مقدمة الناشر

بِسْمِ اللّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على إمام المتقين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد فإنه يسرنا أن نقدم لأهل العلم وكافة قرائنا الكرام هذا السفْر النفيس الذي تكرم به علينا وعلى مكتبة التراجم الإسلامية المؤرخ الأستاذ الفاضل الحبيب أبوبكر بن علي المشهور حفظه اللّه، نقدمه لكم في ثوبٍ قَشِيبٍ، مضبوطاً وفق قواعدِ النحو، وعلاماتِ الترقيم، محققاً وفق قواعد التحقيق وأصوله، مع فهرسٍ للأعلام والشخصيات التي ورد ذكرها فيه، وفهرس آخر للمؤلفات والرسائل التي ذكرت فيه، مدعماً بصورٍ لبعض المترجمين، وأما بنعمة ربك فحدث .

وهذا الكتاب النافع يشكل مرجعاً علمياً لا يستغني الباحث عنه في تراجم معاصري علماء الحضارمة ومتأخريهم، فقد ضمنه المؤلف بضعاً ثمانين شخصية ما بين شيوخٍ للمرتجَم وأقرانٍ له، وما بين من لا يزال حياً ومن توفاه اللّه قريباً، وهو ثالث أثافي السلسلة التي يزمع المؤلف إخراجها، فقد ألف الأستاذ الحبيب أبوبكر ترجمةً لوالده، وهي هذه التي بين يدي القارئ، وأخرى لجده الحبيب أبي بكر، ولا زالت مخطوطة وستطبع في المستقبل القريب، وأخرى لوالد جده الحبيب علوي المشهور التي طُبعت في مجلدٍ باسم «لوامع النور» .

وهذه الكتب الثلاثة ـ والتي سماها المترجم له الحبيب علي بن أبي بكر المشهور والد المؤلف «ا موع الأكبر للتراجم المشهورية الكبرى» ـ تعتبر مرجعاً قيماً

للباحث في تراجم الحضارمة في القرن المنصرم ؛ وذلك لاحتوائها على تراجم الطبقات الثلاث المتأخرة : طبقة والد المؤلف، وطبقة جده، وطبقة والد جده .

ولا نقول بأ ا احتوت كل ما يؤمله الباحث في تراجم متأخري الحضارمة، ولكنها بحق سدت ثغراً كبيراً في تراجمِ علماءِ حضرموت في القرن الماضي، وبالتالي سدت ثغراً في تراجم علماء الإسلام في القرن المنصرم، تلك « التراجم المظلومة » بقلة البحث والمراجع . آملين أنْ تستنهض الهمم لتغطية هذه الثغرة وإخراج سير رجالنا من علماء الأقطار الإسلامية في القرن المنصرم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

دار الفقيه

بِسْمِ اللّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيم

تمَهِيدٌ

الحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه علي سيدنا محمد الأمين، وآله الطاهرين، وصحابته المهتدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد فهذا عرض موجز أُثبت فيه للقارئ بعض الأمور المتعلقة ـذا الكتاب وتأليفه وهدف جمعه وما احتواه من الفوائد المناسبة لمادته، ومصادر الجمع وما يمكن أن يتكبده الباحث من عناء في سبيل الكتابة عن مواضيع التراجم، وما ضاع من كنوز ونفائس بسبب إهمال الكتابة وعدم حفظ التراث إضافةً إلى ما يحسن حفظه وإثباته مما يتعلق بعلوم السلف الصالح واهتماما ـم الفكرية وطريقة التلقي، وما رغبوا فيه من وسائل النثر والشعر حتى صار مظهراً للأدب الحضرمي، وإلى غير ذلك من المواضيع المفيدة إن شاء اللّه تعالى .

✸ سبب تأليف الكتاب :

كانت معاصرتي الذاتية لحياة سيدي الوالد ومصاحبته حضراً وسفراً ليلاً و ـاراً في أغلب أحواله سبباً هاماً في تحريك الهمة لهذا الجمع إضافةً إلى ما سمعته منه رحمه اللّه من أهمية التراجم وفائد ـا الخاصة والعامة، بل ومحاولته القيمة في هذا المضمار بجمع كراسٍ بخط يده يحتوي على سلسلة السلف ابتداءاً من والده السيد أبي بكر بن علوي المشهور، ثم الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور، ثم الجد عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور، وهكذا حتى بلغ بالتراجم إلى الحبيب الأعظم صلى اللّه عليه وسلم .

وكانت هذه التراجم مختصرةً جداً تحتوي على أهم نقاط حياة المترجم له، وكان يقول : ليت أحداً يوسع هذه التراجم ويحفظها في كتابٍ بعد أن يستفيد من كافة كتب التراجم الأخرى، فشرعت منذ زمنٍ بعيدٍ في هذا الجمع الذي يخص آل المشهور مدخلاً لبقية سلسلة الأسلاف .

✸ أهمية علم التراجم :

قال تعالى : { يا أيها الناس إنا خلقْناكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثَى وجعلناكُم شعوباً وقَبائِلَ لِتعارفُوا إن أكْرمكُم عِند اللَّهِ أتقاكُم }، وهذه الآية تشير بوضوحٍ إلى وظيفة علم الأنساب والتراجم، وأن الأصل فيهما شرف التقوى لا شرف القبيلة، والتعارف لا يقف عند حد المعاصرة بين الناس، بل يتسع مفهومه العلمي لخدمة هذه الشعوب والقبائل وأسس تركيبها وفهم عاداتها وتقاليدها، وعنصر جنسها وقواعد كسبها ورزقها وآدابها وآمالها وآلامها .. إلخ .

فالتراجم فرع من علم التاريخ، وعلم التاريخ من الأمور المطلوبة والمعارف المندوبة، لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية والمعالم الدينية، وكم ضاع من خيرٍ وفات من علمٍ باندراس رجاله وحملته :

تـمـوت الخبايـا في الزوايا وما ... مِن الناسِ بين الناسِ في الناسِ ذاكِر

ويترتب على حفظ تراجم الرجال : معرفة الأجيال بمقام الرجال، فالأجيال المتلاحقة تعيش عصورها وأزمنتها، فتظن أفضليةَ الزمنِ الذي تعيشه وشرف العلم الذي يحكمه إذا هي انقطعت عن تاريخها وتاريخ أسلافها، أما إذا عرفت تاريخ أسلافها وقرأت تراجم أصولها تميز لها الفرق بين الأزمان، وتحددت معالم العصور ومقامات الرجال .

ولعمري إن عصرنا الحاضر قد نفخ الشيطان في قلوب كثير من أهله، فصاروا يطعنون في أسلافهم ويتقربون إلى إبليس بشتم آبائهم وأهلهم، نتيجة جهلهم بتاريخ أولئك وتعظيمهم لذوات الزمان والمكان، و ذا الجهل سهلَ عملُ المتجرئين طمس الحقائق واستمراريةَ الإغراب والاغتراب .

وفي مدرستنا ـ مدرسة حضرموت ـ أفذاذ من الرجال وشيوخ كبار حازوا مقام العِلْمين، وبلغوا إلى درجة الإحسان واليقين، وجمعوا في حيا م بين صفات العبودية المحضة للمولى تعالى، وبين إقامته أسباب الحياة من الحلال وبكسب أيديهم، فصاروا يمثلُون أعلى درجات التوكل المحمود، وأنى لنا أن نعرفهم إذا لم نخدم تراجمهم ونبرزها لجيلنا المحجوب بما في يديه من الوسائل والشواغل والشهوات والرذائل، وعبادة العجل المادي .

فالسادة العلويون الحسينيون الذين سكنوا وادي حضرموت إنما سكنوا ذلك الوادي لهدفٍ وغايةٍ، ولم تكن محدودةً بعصر سكنى المهاجر بل كان هدفاً عالمياً أبدياً، بدأ بالمهاجر ولن ينتهي بحفيدٍ ولا سبطٍ، بل سيظل هدفاً سامياً وغايةً نبيلةً تجني الأجيال ثمارها جيلاً بعد جيلٍ إن شاء اللّه تعالى بشرط الاستقامة وحسن الاتباع.

✹ كيفية جمع هذا الكتاب والوسائل المتبعة لذلك :

أشرت فيما سبق أن الدفعة الأولى للجمع كانت بسبب الملازمة الدائمة لسيدي الوالد وأيضاً لتحقيق رغبته التي تمناها، ومع هذا وذاك فقد صادف ذلك هوايةً ورغبةً من الذات ؛ ولكن إبراز مجموعٍ كهذا يتطلب جهداً مضنياً وكبيراً، وهكذا كان،

(٦)

فأول ما بدأت أجمع هذه الترجمة كانت متابعةً لمذكرات سيدي الوالد اليومية [1] التي يجمع فيها أدق تفاصيل حياته وعمله وحطه وترحاله، وغالب مذكراته إنما هي كشكولٌ جامع، وسفر ذاتي نافع، فيها الأشعار والآثار والحكم والعظات ينقلها من مظان الكتب التي يقرؤها أو تقرأ عليه .

وبالطبع كانت هذه المذكرات محفوظةً في الوطن بعد سفره إلى أرض الحجاز أثناء التغيرات الاجتماعية في جنوب اليمن إضافةً إلى ما كان بخطه وهو صغير، ومنها فوائد ترجمة عن حياته وحياة والده وكثير من الأذكار والصلوات وترتيب وظائف الأوقات .

ولكن هذا كله لا يكفي، فهناك شخوص آخرون لديهم من المعلومات عن حياة آل المشهور يمكن الاستفادة من معارفهم، ولهذا كان لابد من السفر إلى حضرموت، فسافرت مراتٍ عديدةً لغرض الزيارة وغرض الاستفادة، وعَلِمت بتريم ما لم أعلمه من قبل، وذلك خلال ما سمعته من بعض أسرتنا الكريمة، ومنهم :

١- العم عبدالقادر الجيلاني ابن أبي بكر المشهور، وهو أكبر أبناء الجد أبي بكر المشهور الذكور، ولديه جملةٌ من الوثائق الخطية، وما يحفظه أكثر .

٢- العم علوي بن أبي بكر المشهور، ولديه أيضاً جملةٌ من الوثائق التي تفيد البحث وتغنيه .

٣- العمة فاطمة بنت أبي بكر المشهور، وهي أكبر الذرية في حضرموت ومنها استفدنا الكثير من دقائق وتفاصيل حياة سيدي الوالد وأخباره وأخبار عناصر الأسرة كلها، كالجد أبي بكر والجد علوي .

٤- العمة خديجة بنت أبي بكر المشهور .

---

(١) تسجيلاً لما سمعته منه رضي اللّه عنه عن ذاته وعلاقته بوالده وأسلوب تربيته ونشأته إلى غـير ذلك من دقائق تفاصيل حياته .

٥- السيد عمر بن علوي الكاف مؤرخ ونسابة القطر الذي أثرى المكتبة العلوية بمجموعات من المصنفات النافعة في هذا الفن، وكان على ارتباطٍ وثيقٍ بآل الشهور، وقد ذكرنا ذلك في ترجمتنا له في « لوامع النور » .

أما عن حياة سيدي الوالد بأحور وأرض القبلة فقد استفدنا معلومات حياته عن عدد كثير من معاصريه، ومنهم :

١- السيد العلامة المؤرخ عبدالرحمن بن أحمد الحامد، صاحب أحور .

٢- الشيخ سالم محمد جنيد، صديق سيدي الوالد وتلميذ الجد أبي بكر المشهور .

٣- السيد محسن بن فضل بن طويل صديق سيدي الوالد وجليسه .

وعدد آخر من الرجال الذين حرصنا على الأخذ للمعلومات المتفرقة منهم حسب الاستطاعة وإمكان الوقت .

وكان أسلوبنا في جمع المعلومات تسجيل ما يمكن تسجيله مع المتكلم بآلة التسجيل أو بالاستملاء منه أو بالمكاتبة إذا تعثر الاجتماع به، وخاصةً بعد أن سافرت إلى الحجاز ثم بعد ذلك أرتب المعلومات في مواقعها من الترجمة حسب الحاجة، وهناك فصولٌ ومواضيع جمعت ماد ا من كتب التراجم الأخرى منها ما هو مخطوطٌ ككتاب « تاج الأعراس » في ترجمة العلامة صالح بن عبداللّه العطاس للسيد علي بن حسين العطاس[1]، ومنها ما هو مطبوع، ككتاب « أدوار التاريخ الحضرمي » للسيد العلامة محمد بن أحمد الشاطري، وسنتناول هذه المراجع في فهارس الكتاب إن شاء اللّه تعالى .

---

(١) وقد طُبِع طبعةً حجريةً بإندونيسيا .

وبالطبع كانت فكرة الجمع لمثل هذا الكتاب ثم فكرة الإخراج النهائي له بينهما سنوات حيث لم أحرص بعد جمع الكتاب في الوطن ثم ترتيبه ائياً في جدة على إبرازه للطبع أو إخراجه للقارئ إلا في هذا العام ١٤١٧، وقد يأ في هذا الوقت فرص كثيرةٌ لجمع بقية التراجم الأخرى، وخاصةً ما جمعته عن سيدي الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور ضمن كتاب « لوامع النور »، وقد طبع منه مجلدان وبقي الجزء الثالث يعد للإخراج والطباعة، و يأ أيضا جمع إضافاتٍ أخر في « قبسات النور » من خلال التعرف على بعض الأفراد الذين تربطهم علاقات مع سيدي الوالد .

✸ **إيضاح بعض الظواهر** في **التراجم :**

قد يلاحظ القارئ الذي لم يعهد بعض العادات أو الأساليب الشعرية أو المفاهيم المعروفة لدى أهل حضرموت كلاماً عن الكرامات أو انفعال الظواهر أو شعراً حمينياً غير مألوفٍ لدى شعراء القوافي المعروفة فيستعجم عليه الأمر .

وقد رغبنا أن نذلل هذه المشكلة للقارئ الكريم فنحيله في مسألة الكرامات وانفعالات الظواهر لدى مدرسة حضرموت لكتابنا « شروط الاتصاف فيمن يريد قراءة كتب الأسلاف »، وفيه وفيه بحثٌ مفيد حول هذه المسألة .

أما مسألة الشعر الحميني أو الشعر الغنائي فهو أحد أساليب مدرسة حضرموت في المخاطبة والتعبير عن العواطف والحوادث، وهو شعر تغلب عليه العامية، ولا يعتني بالفصحى بل لا يتقيد بقواعدها، وقد حاولنا ضبط بناء هذه القصائد الحمينية في هذا الكتاب ليسهل على القارئ فهم العبارات ووقعها الشعري في القصيدة، والجدير بالذكر أن الأشعار الحضرمية تعتني بالحمينيات أو ما يعرف بالشعر الغنائي الذي يوضع أصلاً على نغمات الشعر المغناة دون الاهتمام بالألفاظ الفصيحة، وهذا اللون من الشعر طاغٍ على مسامع الناس وقوي على قلو م، ولذا نجد الكثير من علماء

الدعوة وفقهاء التعليم يعتنون به في مخاطبة العوام، إضافةً إلى أنه لغة الأدب الشعبي والقطاع الأوسع من الناس .

✸ نبذةٌ عن دور التلقي بحضرموت مصدر ثقافةِ المترجم له :

من خلال متابعة الترجمة سيلاحظ القارئ ورود بعض العبارات الدالة على أسلوب التعلم والأخذ والتلقي بحضرموت كلفظة « مدرسة السلف » و « الأربطة » و « الزوايا » وغيرها .

وهذه تعتبر في وادي حضرموت أساس الطلب والأخذ منذ العهود القديمة، فأول ما عرفت حضرموت من العلم الحلقات في المساجد وزيارة العلماء في منازلهم للطلب، ثم بنيت بعض الزوايا ـ وهي جمع زاوية ـ والزاوية مبنى يضاف إلى المسجد أو إلى بعض المنازل ويخصص لدروس العلم [1] من فقه وحديث وتفسير وغير ذلك، كزاوية الإمام الشيخ علي بن أبي بكر السكران المباركة بتريم التي تأسست منذ القرن التاسع ولا زالت تخرج العلماء والفقهاء حتى يومنا هذا [2] .

وأما ظهور الأربطة فأول رباطٍ فتح هو رباط الإمام الفقيه المقدم المتوفى عام ٦٥٣ بتريم، وبعده رباط الشيخة سلطانة الزبيدية المتوفاة عام ٨٤٣، وبعده رباط الإمام الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان بالخريبة المتوفى عام ١٢١٣، ثم رباط سيئون الذي بناه الحبيب علي بن محمد الحبشي، ثم رباط الغيل الذي بناه الشيخ محمد بن يسلم، ثم

---

(١) هذا عند أهل حضرموت، أما في بلدان أخرى فالزاوية مجمع للصوفية يذكرون الله تعالى فيها ويقرؤون القرآن ويؤدون معتاد أدعيتهم وأورادهم .

(٢) وقد أشرنا لها في حاشية ترجمة الفقيه العلامة الحبيب عمر بن أحمد المشهور الذي يتصدر للتدريس في الزاوية في يومنا هذا برقم [٨٤] مع بقية شيوخ سيدي الوالد .

رباط تريم الذي بني عام ١٣٠٤، ثم ظهرت بعض المدارس ذات النمط الحديث ولكنها بصبغةٍ أهليةٍ غير حكومية مثل مدرسة النهضة بسيئون وجمعية الحق بتريم .

وكانت طريقة التدريس تتركز على علوم القرآن والفقه الشافعي والنحو خصوصا وغيرها عموما، ويعتمد للمبتدئ مبدأ التدرج، فيقرأ في الفقه مثلا «الرسالة الجامعة» للإمام الحبيب أحمد بن زين الحبشي، ثم « المختصر الصغير » للعلامة الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بافضل أو « سفينة النجا » للعلامة الشيخ سالم بن سمير الحضرمي الشافعي، ثم « متن الغاية والتقريب » لأبي شجاع الأصفهاني ومنظومة « صفوة الزبد » للإمام ابن رسلان، ثم « عمدة السالك » لابن النقيب المصري، ثم « منهاج الطالبين » للإمام النووي، وقد يتخلل هذه الفترة زيادة « بشرى الكريم » بشرح « المقدمة الحضرمية » للشيخ سعيد باعشن، و « فتح المعين » للمليباري، وكذا غيرها من الكتب حسب ما يراه الشيخ .

ويوصى أثناءها بمطالعة الكتب والحواشي وغيرها، وتقرر بعض الدروس للطلاب المتقدمين في الفقه المدلل وأحاديث الأحكام كـ « بلوغ المرام » وشروح « الصحيحين » أو غيرها من كتب السنة المختلفة . وفي النحو يقرأ « متن الآجرومية » لابن آجروم بدءاً، ثم « متممتها » ثم « قطر الندى » لإمام النحاة ابن هشام، ثم « ألفية ابن مالك » المشهورة، وقد تتخلل ذلك « مُلْحةُ الإعراب » للإمام الحريري، وفي العقائد يبتدئ بـ « عقيدة العوام » للشيخ المرزوقي ثم يتدرج حسب الحاجة .

وزيادة على قواعد هذه العلوم يرتبط الطالب ببرنامج روحي أسبوعي متكامل يوجه باطنه إلى الخشية والذكر والخوف من الله، وذلك من خلال ما رتبه السلف من زياراتٍ وحضراتٍ وموالد وروحاتٍ ولقاءاتٍ بين الشيوخ، مما يعود بالأثر على الطالب ويصبغه بصبغة الروح والسمو والعزة بالله ورسوله والتعرف على أهل الله .

وهذا كله انتهى بمجرد زحف المدرسة الحديثة المتمثلة في منهج الحكومات بحيث زاحمت هذه المدارس نشاط الأربطة السلفية وأغلقت أبوا ا واستقلت بمسألة التربية والتعليم وجعلت منها وظيفة خدمات تابعة للحكومة ومعبرة عن سياستها .

ومن المعلوم أن منهجية المدرسة الحديثة منهجيةٌ مفيدةٌ ونافعةٌ من حيثياتٍ معينةٍ ولها مردودات إيجابيةٌ على الدارس خصوصاً إذا واصل الطالب دراسته إلى المراحل العالية ؛ ولكن كثيراً من الطلاب في هذه المنهجيات يتحولون إلى أضداد وأعداء لمنهج أسلافهم بفعل ما رسم من سياسات ضمنية داخل المدرسة الحديثة ذا ا .

✸ مشكلات خلال التأليف أوجبت الإضافة والحذف:

كانت بداية جمع هذا الكتاب باعتباره أول « ا موعة المشهورية » في التراجم خلال عام ١٣٩٣ تقريبا عندما كنت في الوطن بعد سفر سيدي الوالد إلى الحجاز، وما أن رتبت مسودة التراجم وخاصة ترجمة سيدي الوالد وسيدي الجد علوي حتى أرسلتها إلى الحجاز ليطلع عليها سيدي الوالد ويرى رأيه فيها، وبقيت عنده عدة شهور ثم أرسلها إلى مرة أخرى مشفوعةً برسالة شكرٍ وتقديرٍ وأبياتٍ شعريةٍ ، وبقي الكتاب تحت الترتيب والإضافة والتعديل حتى عام ١٤٠٠ حيث هيأ اللّه الخروج من الوطن متجاوزاً الحدود في ظلام ليلٍ دامسٍ حملت فيه روحي على كفي متعرضاً للموت أو السجن [١] .

ولما بلغت إلى الحجاز ولقيت أبي وأسرتي وأولادي الذين سافروا قبلي بعد وفاة أمهم بعدن وخلال الشهور الأولى بدأت النفس تستعيد بعض تواز ا وهدوئها من

---

(١) بعد تطوراتٍ في الحياة الخاصة خلال هذه الأعوام تعرضت حياتي الشخصية فيها إلى ظـروفٍ نفسيةٍ جادةٍ وتحولاتٍ غريبةٍ، فضمنتها مجموعاً وأسميته « فيض الذكريات »، وهـو مؤلـف يجمع أطراف تجربتي في الحياة منذ الطفولة حتى الاستقرار في الحجاز عام ١٤٠٠ .

رحلة الخط المضطرب، فأرسلت إلى إخوتي في الوطن أن يرسلوا إليّ مؤلفي الخاص بآل المشهور وبدأت أرتبه على ضوء المراجع والشخوص الذين يأت لي م المعرفة بالمقابلة أو المراسلة، حتى تم واستكمل ما ذكرته منه من ترجمة سيدي الوالد وسيدي الجد أبي بكر بن علوي، وقد جمعت منها عدة كراريس ثم توقفت عن الاستمرار لانشغالاتٍ أخرى .

وفي عام ١٤١٠ عرض علي الأخ علوي بن محمد بلفقيه إبراز كتاب «لوامع النور» وطبعه بدمشق، فرحبت بالفكرة وسلمته من الكتاب الجزءَ الأولَ والثاني، فطبعها مشكوراً وبقي الجزء الثالث مخطوطاً لإكمال بعض مواضيعه، وبقي قبسات النور محفوظاً لدي حتى عام ١٤١٧ هذا .

وعلى يؤ الظروف فلا زالت هناك بعض التعديلات المهمة التي نرجو أن نفرغ منها، وأهمها ذكر وفاة بعض الشيوخ الذين ماتوا خلال هذه السنوات الأخيرة وتوسيع بعض تراجم الرجال المختصرة، وإضافات عن بعض الشيوخ والأصدقاء وبعض الوقائع التي تداركناها أخيراً .

وأعتقد أننا قد بذلنا ما استطعنا من جهدٍ في سبيل إثبات ما يلزم إثباته، خاصةً في باب ذكر الشيوخ والمريدين ؛ ولكن هناك العدد الكثير ممن لم نذكرهم من تلامذة سيدي الوالد لعدم وجود شيءٍ عن حيا م أو تفاصيل علاقا م وما آلوا إليه بعد ذلك .

فنهيب بمن وقف على هذا الجمع ويعلم بيقينٍ أن هناك من الرجال والمريدين من يستفاد من ذكر ترجمته وأخباره أن يسعفنا بما لديه من المعلومات لنتدارك في الطبعة القادمة ذلك .

وهنا **ملاحظة علمية هامة،** وهي أنه قد يتبادر لأذهان بعض أهل العلم أننا توسعنا كثيراً في بعض فصول هذا الكتاب على حساب أصول الترجمة العلمية مما يسمى في فن كتابة التراجم « حشواً » غير محمودٍ ومما لا محل له، ولكننا وضعنا بعين الاعتبار الفائدة الدعوية الكبيرة التي نجنيها من إثباتنا لكثير من هذه التفاصيل منها ما هو صلة للرحم ومنها ما هو من قبيل ألا ينسى الإنسان لأخيه صحبة ساعة، ومنها فوائد غير ذلك وإن كان من قبيل الحشو المخالف لأصول الترجمة العلمية .

والله من وراء القصد

المؤلف

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحِيمِ

مُقَدّمَة

الحمد للهِ الذي حرك الدواعي وهيأ الأسباب، وألهم نفس الفقير أنْ تثْبِت من صور الأصول ما يجدر أن يتعظَ به أولو الألباب، والصلاةُ والسلام على الأصل الذي تفرعت منه فروع الهداية والولايةِ والإخبات، الحبيبِ المحبوبِ في عوالمِ الأرض والسماوات، المنــزل عليه في محكم البيناتِ :

{ وفي **الأرض قِطَعٌ متجاورات وجنات مِن أعنابٍ وزرع** ونخَــيلٌ **صِنوانٌ وغير صنوانٍ يسقى** بماءٍ **واحدٍ ونفَضلُ بعضها على بعض** في **الأُكُلِ، إن** في **ذلك لآيــات**}.

وبعد فقد سرت في النفس هِمةٌ كبيرةٌ منذ أنْ كنت في الوطن لتسجيل وجمع نبذٍ مضيئةٍ من حياةِ أصولي وسادتي الأجداد، مبتدئاً بحياة سيدي وملاذي وعمدتي والدي المرحوم برحمة مولاه علي بن أبي بكر بن علوي بن عبدالرحمن المشهور، وخاصة بعد أن فَرغَ محراب الدعوة الذي كان ينثر منه على السامعين دراري الحكمة والموعظة الحسنة لسفره من وطنه إلى حيث تهفو الأفئدة وتطمئن النفوس، فلقد ترك سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى هناك فراغاً لا يملأ ولن يملأ، وأنى له أنْ يملأ وصاحبه كان فذ الشخصية متفرد السلوك .

وهكذا تلَفت بين الحَيرةِ والغيرة، فوجدت الآثار تدعو وتنادي، وبذور الدعوة والتربية الحسنةِ قد اهتزت وربت وأنبتت من كل زوجٍ بهيجٍ، فأوقَيت جمعاً مباركاً

خلالَ عامين من الزمان، وأرسلت ذلك الجمع من بلاد الوطن إلى سيدي الوالد رحمه الله تعالى في مقره من هذه البلاد المطهرة، فاستحسن أبي ذلك الجمع، وفرح به كثيراً، وكـتـب لي قصيدةً شعريةً وكلاماً نثرياً جميلاً، ودعا لي بدعواتٍ مباركاتٍ، كما طلب مني تعديلَ بعضِ الفقرات وطمس بعضِ العبارات حرصاً منه رحمه الله تعالى أن يكونَ الحديث عنه دائراً في فلك المألوف مع أنه يعيش غير المألوف.

ثم يأت بحمدِ الله أسباب الوصول إلى حيث استقر بنا الأمر، فقرأت الجمع المبارك على مسامِعِه رحمه الله تعالى، وناقشته مستفيداً في كـثيرٍ من الفقرات والعبارات وأحداث الماضي ووقائع الحاضر، حتى استوفى الأمر نصابه، فسماه أبي وكتب عليه بخط يده :

{ المجَمُوعُ الأكـبرُ للتّـراجِمِ المَشْهُورِيـّةِ الكُبرَى }

لكونِهِ جمعاً يحتوي التراجم التالية :

١- ترجمةً موسعةً للجد علوي بنِ عبدالرحمن المشهور، وقد طبع بدار المهاجر طبعة أولى عام ١٤١٢ في ثلاثة مجلدات خرج منها اثنان، وسميتها « لوامع النور من خلال ترجمة السيد العلامة علوي بن عبدالرحمن المشهور » .

٢- ترجمةً موسعةً للجد أبي بكر بن علوي بن عبدالرحمن المشهور، وهي في طريقها للطباعة.

٣- ترجمةً موسعةً لسيدي الوالد علي بن أبي بكر بن علوي المشهور، وهو كتابنا هذا .

ولمّا أنْ جرى الأمر المحتوم على شيخِ الدائرة وأب الأجيال استشرت من له الفضلُ والمنة على ذاتي وأدواتي سيدي وشيخي الحبيب الـعـلامـةَ خليفةَ الأسلاف، عبدالقادرِ بن أحمد السقاف، أمتع الله بحياته، فأشار علي بالبدءِ فيما نويت، ونشرِ

ما جمعت، من صورٍ تنطق بحياة الآباء والأجداد، مبتدئاً بترجمة سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى، وبدأت في الأمر المراد، ومن اللّه العونُ والسداد [(١)] .

وقد وضعته على فصول، وهي إجمالاً :

- ذكر نسب سيدي الوالد وولادته ونشأته .

- ذكر أشياخه، وبدأت بمن تقدمت طبقته وقوي أخذه وتلقيه عنهم أو اشتهروا أكثر من غيرهم، ثم أردفته ببقية أشياخه بمن اتصل م استجازةً ونحو ذلك .

- ثم تعرضت لعرض حياة سيدي الوالد مبتدأً بذكر زواجه ثم هجرته إلى أحور، ومعرجاً على أحور وما فيها من مساجد كان للوالد الفضل في إحيائها، ومن عادات سيئة كان له الفضل في تغييرها .

- ثم تعرضت لذكر أعوانه في الدعوة إلى اللّه، ووفاة الجد أبوبكر رحمه اللّه، والزواج الأخير لسيدي الوالد وما رزقه اللّه من الذرية الطيبة .

---

(١) بعد الفراغ من مسودةِ الترجمة التي وزعتها على بعض العلماء وبعض الأقارب الذين لهم صلةٌ بسيدي الوالد لإبداء ملاحظا م: خطَر ببالي أنْ أقرأ تلك المُسودةَ في المَدرسِ اليومي بمنزل سيدي الحبيب عبدالقادر ولكن النفس كانت تتراجع عن ذلك،وفي اليوم الذي ختم فيه ولدي سقاف أبوبكر المشهور كتاب «العطية الهنية» في المدرس رأيت في المساء سيدي الوالد في المنام وكأنه مع جمع غفير من الناس - ومنهم الفقير - جالسين في مدرس يتصدره سيدي الحبيب عبدالقادر وهو جالس في فراشٍ مرتفعٍ قليلاً،وفيما كنت أجلس جوار سيدي الوالد همس في أذني بما معناه: هل قرأت التراجم على الحبيب عبدالقادر ؟ فأجبت بالنفي، فرأيته رحمه اللّه يحبو على ركبتيه معتمداً على يديه حتى مقام الحبيب عبدالقادر وأخذ يكلمه في أُذُنِهِ بشأن الترجمة وقراء ا، وفي اليوم التالي أخبرت الحبيب عبدالقادر بالرؤيا فأذن لي بقراءة الترجمة عليه منذ ذلك اليوم، فشرع الولد سقاف في قرائتها من تاريخ جمادى الثاني ١٤٠٣ حتى شهر صفر من عام ١٤٠٤ .

- ثم سلطت الضوء على علاقة سيدي الوالد بالعلم والقرآن، وذكر معارفه العلمية وكافة نشاطاته العلمية والاجتماعية والدعوية .

- وبعد ذلك رحلاته في الدعوة إلى اللّه، ومؤلفاته وآثاره، ثم نبذ من مكاتباته ومواعظه، ثم ذكر إجازاته وأسانيده .

- وختمت ذلك بذكر صور من جهوده بعد الانتقال إلى الحجاز، ثم ما رفع اللّه به قَدره من ابتلاءاتٍ وأمراضٍ حتى وافته المنية رحمه اللّه تعالى، وذكر حفله التأبيني رحمه اللّه تعالى، والخاتمة.

أبوبكر بن علي المشهور
جدة - ١٤٠٢

سِلسِلَةُ النَّسَبِ

علي بن أبي بكر بن علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن علوي بن محمد المشهور ابن أحمد بن محمد بن أحمد شهاب بن عبدالرحمن بن أحمد شهاب الدين بن عبدالرحمن بن علي ابن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي ابن الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن عبيد الله ابن المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد البـاقـر بن عـلـي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مِيلادُهُ ونَشأَتُهُ

ولد سيدي المرحوم الوالد علي بن أبي بكر بن علوي المشهور الملقب «أبوطالب»[1] بمدينة تريم في ١٦ محرم الحرام من عام ١٣٣٤ من الهجرة، كما هو موجود بثبت المواليد بحضرموت، وقد أثبت في سجل المعاملات الرسمية بحكومة عدن، وكذلك في نسخة الجواز الرسمي بأن ميلاده عام ١٣٣٧ هـ / ١٩١٧ م، والأرجح من التاريخين هو الأول .

---

(١) وجدت خلال زيارتي لتريم في مناسبة وفاة العم عبدالقادر المشهور ربيع الثـاني عـام ١٤١٨ لدى أبناء العم علوي مشهور ورقةً بخط الجد علوي ذكر فيها تواريخ ميلاد أحفاده، ومنـهم سيدي الوالد، فقد كتب عنه ما يلي : ولد السيد المبارك علي ـ وكنيته أبوطالب ـ ابن أبي بكر بن علوي المشهور في ١٦ محرم سنة ١٣٣٤ جعله الله مـن العلمـاء العـاملين الداعين العارفين آمين .

حفظ القرآن العظيم، وترعرع في بيت علمٍ وورعٍ وتقوى توارثه الأبناء عن الآباء عن الأجداد، والده السيد الداعي إلى اللّه بقوله وفعله الجَد أبوبكر بن علوي المشهور، وجـده الـعالـم العامل الذي بلغ رتبة المشيخة في الإفتاء والتدريس الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور الذي وصفه الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري بقوله :

علَوي وإسمه علَوي — هاشمي له أيادٍ سخِـيـةْ
سيد فاضِلٌ عظيم جلالٍ — ذو صِفاتٍ لَطِيفَةٍ معنويةْ
ساد فَضلاً على الخَلائِقِ طُراً — وامتطى ذُروةَ المَعالي مطِيةْ
علَم واحد مِنير بأَرضٍ — مورِد منهلٌ حسِين السجِيةْ
داعياً بالفِعال والقول دأباً — للهدى والتقَى بأحسنِ نيةْ

وفي هذا المحيط المبارك النابض بالخير وأسبابه نشأ سيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور تحت رعايةٍ واهتمامٍ مباركين، لقنه والده وأمه وكافة أسرته محبة العلم وأشربوه إياه مع لبنه ومائه، فترعرع يقرأ كتاب اللّه ويستمع إليه في هذا المحيط الخير النير، وما أن استوى عوده واستقام حتى أخذه والده إلى قبة الشيخ « أبي مريم » (١) ليتمكن من حفظ كتاب اللّه تعالى كما جرت عادة سادتنا العلويين بتريم للتبرك بهذا المقام السلفي المبارك،كما أخذه والده رحمه اللّه تعالى في هذا العمر المبكر إلى مواطن

---

(١) قبةُ أبي مريمٍ قبةٌ سلفيةٌ بناها العلامة محمد بن عمر بن محمد بن أحمد الملقب « أبـو مـريم » المتوفى ١٠ ربيع الأول سنة ٨٢٢، وقد ترجم له الإمام الشلي في « المشرع الروي في مناقـب السادة بني علوي »، وقد بنى رحمه اللّه هذه القبة وأوقفها على حفظ القرآن العظيم وتولى ا تدريس وتحفيظ القرآن جزءاً من حياته، ولا زالت هذه القبة المباركة موجودةً لنفس الغـرض الميمون حتى اليوم، وقد كان لي شرف حفظ شيءٍ من كتاب اللّه تعالى فيها تحـت توجيـه سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى في إحدى سني رحلاته من أحور إلى حضرموت .

التلقي لبدايات العلوم في رباط تريم المشهور [1] ومدارسها المنعقدة لهذا الغرض، فأخذ على أيدي أشياخه الأجلاء بدايات علوم الفقه والتفسير والحديث والتصوف وعلوم الآلة كالنحو والصرف وشيئا من علم المواريث والفرائض، وكان وقته موزعا بصفة دائمة بين قراءة القرآن ومدارسته وريادة مجالس العلم والذكر، ولا ينفك عن حضور مجالس الروحة العصرية التي تقام في مجلس الحبيب علوي بن شهاب الدين رحمه اللّه تعالى، وعند الحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس، وا الس التي يقيمها والده رحمه اللّه وغيرها من مواطن الفضل والمعرفة التي كانت تزخر ا مدينة تريم الغنا آنذاك .

وكان لهذه العوامل المحيطة بنشأته وتربيته دور هام وكبير في ذيب وترقية وتزكية نفسيته الملهمة واستعداداته الكامنة وقَوابِلِهِ المُهيئَةِ حب الخير والصلاح، وعاملٌ مساعد في طي المسافات الزمنية نحو بوادر الأهلية والتصدر المبكر للتدريس والوعظ والإرشاد .

---

(١) رباط تريم هو معهد علمي أُسس على التقوى في عام ١٣٠٤ ، وتصدر للتدريس فيـه نخبـةٌ من علماء حضرموت، وتخرج منه ألوف العلماء والطلاب من أبنـاء حضـرموت والـيمن وعدن والصومال وزنجبار والملايا وأندونيسيا وغيرهم، وكان من أبـرز شـيوخه الحبيـب عبداللّه بن عمر الشاطري المتوفى سنة ١٣٦٠ . اهـ . عن « أدوار التـاريخ الحضـرمي » ص٤٢٢ .

أشْياخُهُ

الشيخ في **اللغة** : من استبان فيه الشيب، وفي العرف العام : هو الحاذق ا ـرب، وفي العرف الخاص : هو الراسخ في علوم الشرع الثلاثة : الإيمان الذي هو مادة التوحيد، والإسلام الذي هو مادة علم الفقه، والإحسان الذي هو مادة علم الحقيقة والسلوك [١].

وفي **لغة أهل التصوف** : هو من يحيي الروح ويميت النفس ويقتدى به .

وفي **اصطلاحهم** : من علم علما لَـ ـدنـ ـيـ ـاً كاشفاً للحقائق والدقائق .

وقد وجد سيدي الوالد في مرحلته الأولى من هؤلاء الأشياخ ما جمع اللّه فيه الخصائص كلها فمنهم من تلقى على يده وقرأ عليه، ومنهم من بارك عليه وألبسه وأجازه ودعا له [٢].

وقد يأت الأسباب لجمع عدد من هؤلاء الأشياخ مع ذكر نبذ يسيرة من حيا م وأحوالهم ومنهم من لم يسعفنا الوقت بأن نـثْـبِـت شيئاً غير ذكرِ أسمائهم، وهذا هو أوان الشروع في ذكرهم، وأسأل اللّه التوفيق [٣] .

---

(١) من كتاب « الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم » ص٣٥ بتصرف .

(٢) سيلاحظ القارئ أن بعض الشيوخ الذين ذكرناهم كان ممن عاصره أو كان مقارنـاً لـه في العمر والزمن والطلب ؛ ولكن العبرة بالاتصال ؛ إذ كان سيدي الوالد يحرص على أن يستمد من كل ذي صلاح وتقى وولاية، فاجتمع له بذلك عدد من أهل الحب والود اتخـذهم لـه شيوخاً ومقتدى وأسوة، نفعنا اللّه بالجميع .

(٣) وذلك بأن نذكر ترجمة الشيخ ثم نذكر اتصال سيدي الوالد به .

١ـ الداعي إلى الله ورسوله سيدي الجدُّ عَلَوِيّ بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور

هـو سـيـدي العلامة الجهبذ الفهامة المربي علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن علوي بن محمد المشهور .

ولد بمدينة تريم عام ١٢٦٣ من الهجرة، و ا نشأ وترعرع وأخذ على عدد من أشياخ عصره بتريم والسويري، ثم سافر إلى دوعن وأخذ على الشيخ محمد بن عبدالله باسودان سبعة سنوات، ثم عاد إلى تريم واشتغل بالتدريس سبعة عشر عاماً بين السويري وتريم .

ثم رحل إلى مصر ومكث ا خمس سنوات، وأخذ على مشايخ الأزهر الشريف، وتزوج ا، وأنجب ولدا سماه محمدا، وقد توفي صغيراً، كما توفيت بعد زوجته، وعاد من مصر إلى الحجاز، وسافر إلى تركيا والشام واليمن لغرض العلم، ثم عاد إلى حضرموت، واستقبله علماؤها ووجهاؤها استقبالاً يليق به، وسكن بتريم بقرب مسجد الشيخ حسين حيث كانت أسرته ووالدته، واشتغل بعمارة مسجد عاشق والتدريس فيه وعمارة مسجد المحضار والتدريس فيه، وتصدر للتدريس أيضا في رباط تريم، وفي عام ١٣٢٥ ابتنى داراً أخرى بجوار جامع الشيخ عمر المحضار وباع داره الأولى، وعاش بين التدريس والدعوة إلى الله في الوادي المبارك وخارجه، فكان يرحل إلى اليمن وإلى الهند وسيلان والسواحل، وأسلم على يده خلق كثير، ولم يزل على ذلك الحال حتى توفاه الله في عشية يوم السبت ٢٤ محرم ١٣٤١، ودفن بمقبرة زنبل رحمه الله رحمة الأبرار، أدرك سيدي الوالد رحمه الله تعالى من حياة جده علوي

سبع سنوات ولكنه لا يذكر منها شيئا كثيراً لِصِغر سِنِه، وقد أخبرني أنه قرأ عليه الفاتحة وألبسه في ذلك السن الصغير ودعا له وأجازه [1] .

ومما يذكره سيدي الوالد من ذلك العهد يوم الوفاة، فقد ذكر أنه صادف يوم وفاته خروج الأطفال إلى زواج أحد السادة، ولما لبسوا ثيا م أدخلوهم على الجد علوي يصافحونه وهو على فراش الموت إلا أن سيدي الوالد يذكر أنه رآه يومها في كامل لباسه وهيئته الرسمية، ولما عادوا من مراسيم الزواج وجدوا الأمر قد تغير والأبواب قد أغلقت، وأخبروهم بوفاته، وقال سيدي الوالد : إنه يذكر امتداد الجنازة من مسجد عمر المحضار حيث أُدخِلَ إلى موقع درسه بالجامع إلى الجَبانة حيث كان يصلّى على الأموات ا، ومع ذلك فإن سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى قد نال بركة جده برؤيته وإلباسه كوفيته والدعاء له، واللّه يتولى الصالحين .

٢ـ الداعي إلى اللّه ورسوله سيدي الجد أبوبكر بن علوي بن عبدالرحمن المشهور(٢)

هو السيد الأديب، المتواضع الأريب، الصادع بالقول الحسن من هذا الدين، في كل قطر ووادي على منوال أبيه الجد علوي رحمه اللّه تعالى تربى بأبيه علوي، ونشأ في بيت من العلم والحلم والتقوى، أمه الحبابة زهراء بنت عبداللّه المشهور، وكان ميلاده بقرية السويري بالقرب من مدينة تريم، حيث كان الجد علوي مقيما ا بعد

---

(١) أشار سيدي الوالد إلى هذه الإجازة في وصيته الشرعية المثبتة في فصل الإجازات .

(٢) انظر الصورة ص١ في الملحق.

حادثة وقعت بين الجد الأعلى عبدالرحمن المشهور وبين آل غرامة الحاكمين للبلاد في تلك الحقبة من الزمن .

وتلقى الجد أبوبكر قسطاً وافراً من العلوم الشرعية وعلوم التصوف والحديث والآلة وغيرها من علوم ذلك العصر على عدد من الأشياخ الأجلاء والعلماء الأوفياء، وفي مقدمتهم والده الجامع للعلوم، والحائز على رتب الفهوم، بما لا يقف عند معلوم، الجد علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور الذي اعتنى به عنايةً خاصةً واهتم به اهتماماً بالغاً، خاصةً وقد تراءت له لوائح النجابة والطاعة الخلصاء، وسلمه بعد أن بـنـى قاعدة علمه وتربيته إلى أفاضل الشيوخ كالحبيب المفتي العلامة عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور، والحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، ووالده الحبيب عمر بن أحمد الشاطري، والحبيب علوي بن شهاب الدين وغيرهم من شيوخ العصر، كما له اتصالٌ بالحبيب علي بن محمد الحبشي وخاصة في حياة والده الجد علوي، وحصلت له رؤيا منامية مبشرة رآها في يوم دخول الحبيب علي إلى تريم، فأخبره ا في ذلك اليوم، فاستبشر ودعا له بخير، وقد ذكرنا الرؤيا كاملة في ترجمة الجد أبي بكر رحمه الله، وكان الجد أبوبكر محبا للرحلة في سبيل نشر الدعوة إلى الله، حيث كانت رعاية الجد علوي منصبة إلى هذا اللون من السلوك المستقيم الذي سبق به فحولُ العلماء والأولياء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد رحل معه مراتٍ ومراتٍ إلى اليمن والهند وإلى الأودية التي ينتشر فيها البدو الرحل من بلاد حضرموت، وعلمه الكيفية السليمة التي تنجذب ا القلوب إلى الدعوة الناصعة الخالصة،فورثَ الحكمةَ من أبيه وأورثَها مِن بعدِه إلى خِيرةِ بنِيهِ سيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور.

وقد ذُكر أن الجد أبابكر تزوج عدداً من النساء أنجبن له ثمانيةً من الذكور وخمسة من الإناث بقي منهم على قيد الحياة بعد وفاته سبعة من الذكور وبنتان، وكان يأمل أن يرى فيهم من يتأهل لحمل راية الدعوة وحفظ كتاب اللّه تعالى،حيث تعددت مشارب الأبناء ونال كل منهم نصيبا وافرا وحظا طيبا من المعارف والعلوم إلا أنه ظل يحلم بمولود يشفي الغليل بحفظ التنـزيل، وكان القدر يخبئ خبيئته المرجوة في حينها، وفي إحدى الليالي والجد أبوبكر في غمرة الارتباط بما يحيط به من حركة علمية ومظهر ديـني فـاخـر يتمتع به والده العلامة المرموق رآى فيما يرى النائم « كأن الحبيب عبداللّه بن عيدروس العيدروس [1] يأتيه ويخرج له لسانه، فيمصه الجد أبوبكر مصات » ثم استيقظ وسكت عن الرؤيا ولم يخبر أحدا ا، فلما كان في بعض المشاهد ا تمعة في تريم التقى بالحبيب عبداللّه بن عيدروس العيدروس، فابتدره بالسؤال عن الرؤيا، فدهش الجد أبوبكر من سابق معرفته بما رآه وقص عليه الرؤيا، فبشره الحبيب عبداللّه بمولود يأتيه يكون حافظا لكتاب اللّه مباركا طائعا، ومرت الأيام كعاد ا تطوي القديم وتنشر الجديد، فظهرت بشائر الحمل جلية على الحبابة علوية بنت آل شهاب الدين، وولدت بالسادس عشر من شهر محرم الحرام عام ١٣٣٤ وساد المنـزل جة المولود المبشر به، وغمر الأب السرور وهو يرى والده الجد علوي تقر عينه ذا المولود المبارك الذي نال نصيبا من الدعاء قبل وجوده وميلاده .

وبلغ بالجد أبي بكر الاهتمام غايته في التنشئة الصالحة لولده، فأخذه إلى شيوخ العصر يحنكونه ويباركون عليه كما جرت بذلك عادة السلف، ولما أن أصبح في سن التعليم اهتم بأخذه إلى مِعلامةِ الشيخ كرامة سعيد ليدربه على مبادئ القراءة والكتابة

(١) كان يطلق على هـذا الـحـبـيـب في تلك الحقبة من الزمن « شيخ تريم » كما روى لي ذلك الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف .

وعلى حفظ القرآن العظيم، وخلع نعليه في قبة « أبومريم » الشهيرة بالعون على حفظ كتاب اللّه تعالى، وكان يوماً مشهوداً إذ اشترى الجد لأولاد القبة ما يدخل عليهم السرور مـن اللـوز والفحيط ـ السمسم المنقّى ـ والحنظل، كعادة أهل تريم عند إدخال أبنائهم إلى هذه القبة النيرة المباركة .

وكان يتعهده بالرعاية والمراجعة والمذاكرة لما يحفظه من دروس عربية وقرآنية، ويأخذه بين الفينة والأخرى إلى المدارس العامة وا الس الجامعة التي يحضرها شيوخ حضرموت رغبة من الجد أبي بكر في أن يحصلَ له التبرك برؤيتهم، ويحصلَ الفتح بالنظر منهم إليه، وما أن اندرج ضمن طلبة الرباط الشهير وخصصت له عزلةٌ خاصةٌ حتى حط الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري نظره عليه واعتنى به اعتناءً خاصاً، وصار ملازما دائما الس العلم ودروس القرآن والفقه والتفسير وغيرها مع كمال الأدب وحسن السمت واستقامة السيرة التي كانت فيه جِبلةً ذاتِيةً شهد له ا كثير من أقرانه في هذه المرحلة، فلا يميل إلى ما يميل إليه أقرانه، ويعاتبهم على ما ينـزعون إليه من ترك اللباس السلفي أو كثرة الاهتمام باللعب أو الِانشغال عن العلم بما لا يجدي ولا ينفع، فلذلك كان يحمل شروط التفرد في شخصيته منذ نعومة أظفاره، فقد ألقَه والده على آداب الأسلاف ظاهرا وباطنا حتى في الهيئة والهندام .

وقد روى لي معاصره ورفيقه في حفظ كـتـاب اللّه في قـبـة « أبو مريم » الشيخ العلامة كرامة سهيل [1] بأنه أَلِف رؤية الوالد خلال تلك المرحلة المبكرة من

---

(١) شيخ ناسك قَدِم من حضرموت إلى جدة عام ١٣٩٤ واشتغل إماماً في مسجد «باتـيـاه» بحارة الكندرة وقد كان في حضرموت خلال عشرين عاما تقريبا مساعدا متبرعـا للقاضـي الشرعي بحضرموت الداخل السيد سالم بن عمر السقاف، وقد كانت له مع سيدي الوالد في

حياته وهو يأتي إلى القبة بكامل الهيئة السلفية والسواك في جيبه لا يفارقه، ولذلك أَنِس والده إلى جبلته الهادئة المتواضعة ورآى منه تعلقاً صادقاً وصبراً على المشاق وتجلداً وصِدق بر ممتزجٍ بإخلاصٍ وتفانٍ، وقد شهد له بذلك كل من عرفه من الأهل والأقارب والأباعد، وروى هو رحمه اللّه لنا من تلك الآداب التي أَلِفَها شيئاً كثيراً في معرض نصائحه وتوجيهاته التي كان يبذلها لنا لنقتدي بحسن فعاله وآدابه، فكان رحمه اللّه تعالى لا ينام في المساء إلا بعد أن يكون والده قد استغرق في نومه، وذلك بعد أن يكون قد أعد له فراشه وماء وضوءه وشربه وما يلزمه خلال صلاته وقيامه و جده لمولاه، ويقرأ عليه من بعض كتب الحديث أو التصوف حتى ينام ولا يكاد جدنا أبوبكر يقف عن استماع القراءة إلا عند النوم أو الصلاة أو عند محادثة الخلق، وإلا فقد كان شغوفاً بالاستماع ومحباً للمطالعة، وليس من أحد يشفي غليله في هذا الأمر الشاق إلا ابنه البار « علي » .

ومما أخبرني به والدي رحمه اللّه تعالى أن أحد إخوته قال لأبيه يوما لما رآى محبته الدؤوبة للاستماع والقراءة عليه : « أنت تحتاج إلى مكينة تقرأ عليك »، ويعلق سيدي الوالد على ذلك بقوله : « إن الوالد أبابكر رحمه اللّه لو أطال اللّه في عمره لرأى آلات التسجيل التي تعيد القراءة وتحتفظ ا، ولكان هو أول من يقتني هذه الآلة لتعينه على

حضرموت وكذلك في أرض جدة لقاءات وجلسات وزيارات متعـددة، وكـان يشـاطره مدارسته للقرآن .

ولما توفي سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى شارك الشيخ كرامة المذكور في غسـله وتكفينـه، وقد أخبرني أنه وجد السواك في يد سيدي الوالد متشبثا به حتى يبسـت عليـه يـده، وتم إخراجه بصعوبة من بين أصابعه رحمه اللّه، وقد ترجمنا له في الجزء الثالث من «لوامع النـور» الذي لم يطبع بعد، وكان ميلاد كرامة ٢٣ جماد آخر سنة ١٣٣٦ .

الاستماع والانتفاع »، وكان من صور بره الصادق رحمه اللّه لوالده عندما طلب منه أن يطلق زوجته الأولى بعد شيء من الخلاف، فقال لوالده كلمته المشهورة : «النساء غيرها كثير، أما أنت لا بديل لك»، فقبله الجد أبوبكر بين عينيه وقال له : «أشهد أنك ولدي حقا».

وهكذا كان والدنا رحمه اللّه تعالى مثال الطاعة والاستجابة الآلية الواعية، ولذلك اختاره الجد أبوبكر ليكون رفيقه الدائم في رحلاته المتكررة في الوادي المبارك أو خارج الوادي إلى أرض القبلة [1] واليمن والهند وسيلان، فكان يسوي شؤون الرحلة ويرتبها ويسجلها في كراس صغير ويستعرضها قبل السفر، ثم يعد المركوب لوالده، فإذا أراد والده الركوب على الدابة جلس والدنا رحمه اللّه تحتها، وصعد والده على ظهره، واستوى على سرج الدابة، فيقوم بعد ذلك والدنا ليردف خلفه، وقد تكون الرحلة طويلة المسافة، فيكتفي الابن البار بملاحقة دابة والده أو مجارا ا والألسن تلهج بقراءة القرآن أو الذكر و الأوراد، وقبل بلوغ المحطة المختارة للنـ ـزلة يكون أبي رحمه اللّه تعالى قد سوى مكان والده ورتبه وفرشه بفراش يليق به، ثم ينـ ـزله من الدابة ويبدأ في إصلاح الزاد وطبخ القهوة وغيرها .

وقد روى سيدي الوالد رحمه اللّه محاسبة والده له عند التقصير في شيء من أمور الرحلة أو إهمال بعض لوازمها، فقد كانوا مرة في إحدى رحلا م من تريم الغناء إلى مدينة الشحر والمسافة لمن يعرفها غير قريبة ولا سهلة، وكان من أمرهم أن حطوا رحالهم بعد الظهر تحت شجرةٍ كبيرة، وأصلحوا شأ م من أكل وقهوة وقراءة

(١) يطلق هذا الاسم « أرض القبلة » على بلاد الصيعر ويبعث وقعوضة وعتـ ـق والعوالـ ـق العليـ ـا والسفلى وما حولها من البلاد .

وصلاة وغير ذلك، ثم غفوا غفوة قصيرة وواصلوا رحلتهم، وبعد أن قطعوا عدة ساعات في السير تذكر والدي أنه نسي علبة السمن في ذلك المكان الذي ارتحلوا عنه، فأخبر والده بالأمر فانتهره وعاتبه وأمره بالعودة منفردا لإحضارها، فعاد أبي بأقصى سرعته حتى بلغ ذلك المكان وأخذ قصعته ولحق بوالده بعد أن حل الظلام وواصلوا رحلتهم الشاقة .

لقد كان لهذه الرعاية الأبوية أثر كبير وعامل هام فيما بلغه والدنا رحمه اللّٰه بعد ذلك من مقام محمود وعطف كبير من شيوخه ومعلميه، وقد قرأ سيدي الوالد على والده من الكتب العدد الـكـبـير والجم الـغـزيـر، ومما أملاه علي من تلك الكتب المقروءة على والده : « صحيح البخاري » و « الجامع الصغير » و«الـتـرغـيـب والترهيب» و« الإحياء » و« تفسير الخازن » و« تفسير الخطيب » و« تـفـسـيـر الجلالين » و« حاشية الصاوي » و« تفسير البيضاوي » و« كلام الحبيب أحمد بن حسن الـعـطـاس»، وجملة من كتب الحبيب عبداللّٰه الحداد، وجملة من مصنفات حجة الإسلام الإمام الغزالي.

كما تعلم من لسان والده ترتيلاً سلفياً مأثوراً في قراءة كتاب اللّٰه تعالى أخذه والده عن الحبيب شيخ العيدروس [١] الذي أخبره أنه رأى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم يقرأ به في المنام، وترتيلاً مصرياً آخر أخذه والده عن الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور الذي كانت له عشرةٌ طويلةٌ بأهل مصر بلغت أكثر من خمس سنوات يطلب العلم في الجامع الأزهر، ويأخذ على أيدي العلماء والصلحاء في ذلك

(١) شيخ بن عيدروس بن محمد العيدروس .

القطر المبارك [١] وتزوج ا وأنجب طفلا سماه محمداً مات بمصر، كما ماتت أمه بعده بفترة قريبة .

ولقد كان الجد أبوبكر ينظر إلى ولده البار نظرة كلها عطف وحنان وأبوة خالصة تفوق التصور والتقدير، وقد وجدت في مذكرة قديمة لسيدي الوالد إجازة من الجد أبي بكر لولده البار كتب له تحتها :

« أجزت ولدنا البار سلوتنا وأنيسنا وجل مطلِبنا من الدنيا ونعيمها علي بن أبي بكر السكران المشهور » ا.هـ [٢]

كما كـتب له وصيةً وشهادةً خطيةً تثْبت رضاه عنه كل الرضى، وتنبي عن الفراغ الذي تركه فارغا في فؤاد والده لم يملأه أحد بعد انتقاله إلى بلاد العوالق السفلى عام ١٣٦٢، وهذا هو مثال الشهادة الخطية المذكورة آنفا :

الحمد لله حمدا كما أمر، وصلى اللّه وسلم على سيدنا محمد القائل : « رحِم اللّه امرأً أعان ولده على بره » وعلى آله وعلى أهل بيته، أما بعد :

اللّهم إني أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت اللّه لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك، وعيسى عبدك وابن أمتك مريم، وإني راض عن ابني البار علي بن أبي بكر المشهور في الدنيا والآخرة، وأقول كما قال سيدنا محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم لسيدنا علي بن أبي طالب :

---

(١) وقد ذكرناهم وتحدثنا عنهم في « لوامع النور » المطبوع، فلينظر .

(٢) أجاز الجد أبوبكر ولده البار في قوله : « اللّه الكافي، قصدت الكافي، وجدت الكافي، لكل كافي، كفاني الكافي، ولله الحمد » أربع مرات لتسهيل الرزق . اهـ عن مذكرةٍ قديمةٍ بخـط سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى .

«أنت مني بمنـزلة هارون من موسى»، وأوصيه بتقوى الله سرا وعلانية، وبالقرآن ونشر الدعوة إلى الله، وبإخوانه وأخواته خيراً في جميع الأمور، ويحب من أُحِب ويبغِض من أُبغضه، وأن يسير بسير أهله وسلفه الصالح، وأن لا ينساني من صالح دعائه كما أنا له داعٍ ومراعٍ له سراً وعلانيةً، هذا ما أعهده إليه .

قال ذا بقلبه ولسانه ورقمه بيده المعترف بالقصور
أبوبكر بن علوي المشهور
حرر في صفر الخير ١٣٦٣ من الهجرة

٣ـ الحبيب عبداللّهِ بنُ عُمَرَ الشَّاطِرِيُّ (١)

شيخ الفتح لسيدي الوالد وإمام منهاجه الروحي والعلمي، واسم هذا الحبيب غني عن التعريف، فقد طبقت شهرته الآفاق وتخرج على يده رجال عديدون من طلاب العلم ودعاة هذا الدين سواء في محيط حضرموت واليمن وفي إفريقيا وإندونيسيا وجزر القمر والهند وسيلان وغيرها .

وقد ترجم له السيد محمد بن حامد السقاف في « تاريخ الشعراء الحضرميين » (٢) ترجمةً حسنةً قال فيها :

---

(١) عبداللّه بن عمر بن أحمد بن علوي بن عمر بن أحمد بن عمر بن أحمد بن علي بن حسين بن محمد بن أحمد بن عمر بن علوي الشاطري .

(٢) (٥: ١٤٠) برقم ١٨٧، وترجم له العلامة الحبيب علي بن حسين العطاس في كتابه «تاج الأعراس» (٢: ٢٢٣) .

هو من العلماء الذين توفرت لهم العلوم والفنون المتنوعة وتكاثرت معهم المعارف والثقافات المختلفة ومن الأعلام الأفذاذ حتى في الصوفيات، ميلاده بمدينة تريم سنة ١٢٩٠ ، و ا تدرج في الحياة ورعايات والده منصبة عليه انصبابا حتى أصبح حدثا من الأحداث الصغار كان لزاما أن يمر بالقرآن ا يد إلى ختامه، والمدهش أنه مرق من الوسط القرآني في بكور إلى صفة التلمذة العلمية والصوفية مع مراقبة واهتمام، ومن البديهي أن له جموع الشيوخ ولا سيما في النواحي الصوفية، ومن البارزين : علي بن محمد الحبشي، والعلامة السيد عيدروس بن عمر الحبشي، والعلامة السيد أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس .

وحيث كان رباط تريم الشهير بمثابة معهد علمي تحت إشراف وإدارة أبيه وكان في حاجة إلى عالم ذي علوم وفنون فقد يسره الله له ليكون القائم بدروسه وعمرانه العلمي والديني والصوفي، فكان خير قائم ومدرس ومرشد وواعظ، وكم انتفع بعلومه العلميون وبصوفياته الصوفيون وبدينياته الدينيون وبعظاته المهتدون، وفي هذه المناظر المختلطة كانت منظوراته في توالي الأيام والشهور والسنين سواء في حياة أبيه أو بعد وفاته .

له مؤلفات عديدةٌ، منها ديوانه المطبوع ورسائل أخرى، وفي مدينة تريم كانت وفاته ليلة السبت في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٦١ من الهجرة، ودفن بمقبرة زنبل حيث مقابر أهله، وقد رثاه جمع من العلماء والشعراء من تلاميذه وغيرهم . اهـ عن « تاريخ الشعراء » .

تتلمذ سيدي الوالد على هذا الحبيب العلامة مدة ليست بالقصيرة، كان خلالها والدنا طالباً يأوي إلى عزلة صغيرة في رباط تريم يطالع كتب الفقه والنحو وغيرها من

دروس الحلقات العلمية المعتادة، ويواظب على حضور مجالس الدرس ليل ار، حتى استطاع خلال فترة وجيزة أن يثلج صدر شيخه النافذ البصيرة فيرتاح إليه ويقربه منه ويبارك نبوغه واهتمامه، وكيف لا يكون منه ذلك الاهتمام بوالدنا رحمه اللّه وهو حفيد شيخه ومعلمه علوي بن عبدالرحمن المشهور الذي امتدحه بقوله :

سيدي قد وقَفْت بـ الباب أرجـو   منـكم شـربةً لقلبـي هنِيةْ
جِئْتـكُم أشتكي الوها مِن خطُوبٍ   غـادرتني أبكِي الدما العندمِيةْ
فسلُوا اللّه أنْ يحل قُـيـودِي   ويـقِـيني شر الأمورِ الردِيةْ

ولم تمض فترةٌ زمنيةٌ أخرى حتى تأهل سيدي الوالد للتصدر في سقف الرباط معلماً لحلقةٍ من حلقات العلم النافع [1] مما ساعده على خوض تجربة تربوية سلفية مستقيمة مكنته بعد ذلك أن يتفرد سلوكا وقولا عن بقية إخوانه ويستلم مفاتيح الخلافة الشريفة منذ تلك اللحيظات المباركات .

ومما أملاه علي سيدي الوالد من الكتب المقروءة على هذا الحبيب : « الآجرومية » في النحو، ثم « المتممة »، و« شرح القطر »، وعدد من المختصرات الفقهية على مذهب الإمام الشافعي .

---

(١) من جملة تلامذته في حلقات الفقه برباط تريم سيدي العلامة إمام الدعاة الحبيـب محمـد الهـدار صاحب البيضاء نفع اللّه به، والذي ترجمنا له مع بقية الشيوخ الذين اتصلوا بسيدي الوالد، وقـد شهد هذا الحبيب تمريض والدنا في أيامه الأخيرة وحضـر مراسـيم الـدفن والـدرس والخـتم، والاحـتـفـال بتلك المناسبة،وشارك في تأبين الوالد بفيض من القول المبارك والإشادة الصـادقة .

وكان سيدي الوالد يذكر لنا من تواضع هذا الحبيب العلامة ما يصدقه البيت القائل:

إذا زاد علم المرءِ زاد تواضعاً وذو الجهل مغرور وفي الجهل يمرح

ومما ذكره سيدي الوالد عن حاله وتواضعه أن والده الحبيب الجد أبابكر رحمه اللّه تعالى رأى في إحدى الليالي الحبيب الأعظم صلى اللّه عليه وآله وسلم على صورة الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري، فأيقظ الجد أبوبكر ولده البار علي وأخبره بالرؤيا، وأمره أن يذهب إلى الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري ليخبره بالرؤيا، فخرج والدي لتوه من آخر الليل إلى مسجد « بابطينة »[1] بجوار الرباط، فوجد الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري يغتسل في جابية المسجد، فانتظره حتى خرج وأخبره بالرؤيا، فضحك الحبيب وتبسم وقال : « حسن ظن أبوك فينا كبير »، فقال له الوالد رحمه اللّه : « إن الشيخ عبدالعزيز الدباغ يقول في كتابه «الإبريز» : إن من رؤي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم على صورته يكون قطب الوقت »، فلم يزد الحبيب عبداللّه بن عمر على التبسم والدعاء للوالد وللجد أبي بكر رحمهم اللّه جميعا رحمة الأبرار[٢]، ومن المعلوم أن الحبيب عبداللّه الشاطري كان له طلب في باكورة حياته بمكة المكرمة حيث مكث ا قرابة ثلاث سنوات وبضعة أشهر بدأت من عام ١٣١٠ وانتفع بجملة من علمائها منهم

---

(١) مسجد بابطينة مسجد ملتصق برباط العلم بتريم تقام فيه دروس فقهيةٌ وعربيةٌ في النحو والصرف والبيان والبديع أيام النشاط العلمي بحضرموت .

(٢) للجد أبي بكر رحمه اللّه تعالى مرائي صالحةٌ ومبشرةٌ أثبتناها في ترجمته رحمه اللّه تعالى في جمع مستقل عن هذا، وهو الجزء الثالث من « لوامع النور » الذي سيطبع في المستقبل القريب بإذن اللّه .

الحبيب حسين بن محمد الحبشي والشيخ العلامة محمد سعيد بابصيل والفقيه النحرير عمر بن أبي بكر باجنيد، وعاد إلى تريم مدرسا في رباطها ومتصدرا في المدرس العام به خصوصا بعد وفاة شيخه الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور، حيث آلت إليه إدارة الرباط فأحسن إدارته وتخرج على يده مئات الطلاب الذين نفع اللّه م في سائر الأقطار، وقد كانت وفاته ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٦١ بتريم، ودفن بمقبرة زنبل الشهيرة .

٤ـ الحَبِيب عَلَوِيُّ بنُ عبداللّهِ بنِ شِهابِ الدّينِ[١]

هو الإمام ا مع على إمامته، الذي وضع السلف الصالحُ تاج الخلافة والعلم والدعوة إلى اللّه على هامته، قطب زمانه وإمام عصره عارفاً باللّه وداعياً إليه بالحكمة والموعظة الحسنة باذلاً نفسه وروحه وراحته وعمره وماله وولَده في سبيل الدعوة إلى الحق وإلى طريق مستقيم، ترجم له الحبيب عمر بن علوي الكاف في كتابه « تحفة الأحباب في ترجمة الحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب »[٢] وقال فيه :

هو السيد الشريف علوي بن عبداللّه بن عيدروس بن محمد بن علي بن عبداللّه بن عيدروس بن علي بن محمد بن الشيخ شهاب الدين، ولد بمدينة تريم في آخر شهر محرم من عام ١٣٠٣ ببيت أهله المعروف بحارة النويدرة، وكان والده إذ ذاك مسافرا بأرض جاوة، ولما بشر به فرح فرحا شديدا وصار يلاحظه أيام طفولته وصباه بمعنوياته ورعاه بروحانيته ودعواته، ولما تكامل عقله وبلغ أشده صار يربيه تربية دينية أخلاقية بما يكتبه إليه من الإرشادات الطيبة ويسديه إليه من النصائح القيمة في رسائله

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص١ .
(٢) ولا زال مخطوطاً في مجلد واحد .

إليه، وفي مدينة تريم حضنته أمه الشريفة فاطمة بنت عمر بن أحمد بلفقيه، وربته أحسن تربية تحت رعاية وإشراف عمه الأكبر محمد بن عيدروس بن شهاب، وحينما بلغ سن التمييز أُلْحِق بالمتعلمين في المحل المنسوب للشيخ عبداللّه بن أبي بكر العيدروس الواقع بجانب مسجد الشيخ أحمد بن محمد بارشيد، فقرأ على المعلم الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن سلمان باحرمي القرآن كله، وتعلم عنده القراءة والكتابة، ثم انتظم في سلك المتعلمين بمدرسة الحبيب عبداللّه بن شيخ العيدروس، وفي شهر صـفـر من عام ١٣١٤ توفيت أمه وسنه إذ ذاك نحو إحدى عشرة سنة فكفله عمه محمد بن عيدروس وجدته عـمـة أمـه الشريفة علويـة بـنـت عمر بن أحمد بلفقيه، وألقى عمه نظَره إليه، واعتنى به أشد مما كان منه في حياة أمه، وكان وقته معمورا، فبعد المغرب يذهب مع عمه إلى الحزب في مسجد الشيخ عمر المحضار، وفي زاوية الشيخ علي كان يقرأ في مختصرات الفقه على شيخه العلامة عبدالرحمن بن محمد المشهور يومي الاثنين والخميس، ولم يزل ملازما لتلك ا الس حتى توفي عمه محمد في ذي القَعدة من عام ١٣١٧ وسنه قد بلغ نحواً من أربعة عشر سنة .

ثم قوي اتصاله بالحبيب عبدالرحمن المشهور حتى صار يثابر على الذهاب إليه صباح مساء في بيته وفي الزاوية وغيرها من محال تدريسه، كما صار ملازماً له في الجموعات والزيارات والمدارس العامة في الرباط وغيره، وفي حضور الصلوات لا يغيب عنه ولا يفارقه إلا في أوقات قليلة، فحظي عنده بالمحل الأعلى من القرب والمحبة التامة والملاحظة الخاصة، وصار يستعين به في قضاء حاجاته حتى كان عنده بمنـزلة أحد أولاده، فصار يقسم له بعض الأحيان في أكله، وكان في بدء أمره مـعـه هو الذي يتولى طبخ القهوة لمن يحضر الروحة، فعابه على ذلك بعض الناس وقال له: إنما أنت في حالتك هذه مثل « حصاة المسيال » أي أنك لم تتحصل على

فائدة علمية، وتمر عليك المسائل وأنت لا تشعر لانشغالك بالقهوة، فأنت إذاً مثل الحصاة الواقعة في مسيل الماء يمر عليها الماء ولا تنتفع به ولا تستفيد منه، فساءته رضي اللّه عنه مقالة ذلك الشخص وترك طبخ القهوة نحو عشرة أيام وصار يطبخها شخص آخر، فناداه شيخه يوما وقال له : « ما لك تركت طبخ القهوة لعل أحداً عابك على ذلك ؟ » كشفاً منه، ثم قال له : قم، اطبخ القهوة كعادتك وأنا أرجو اللّه تعالى أن تسبق جميع أقرانك وتفوقهم، فامتثل أمره وطبخها كعادته وحقق اللّه ما رجاه له شيخه من سبقه على أقرانه، بل امتاز بينهم بخصائص لم تكن فيهم، ومنها مكثه بتريم وإقامته ا طول حياته، لم يخرج منها حتى إلى شيء من ضواحيها ا اورة إلا إلى هود ودمون في بعض المناسبات .

بل ذكر من لا يتطرق الشك إلى قوله : أنه رحمه اللّه لم يركب في حياته مركوباً من مراكيب العصر كالسيارة الكبيرة أو الصغيرة، ولربما ركب الناس في سيارا م إلى بعض المناسبات في ضواحي تريم فيمرون عليه وهو يمشي، فلا يركب معهم، ويعتذر لهم عن ذلك في لطف وحسن عبارة، ثم يجدونه قد سبقهم إلى حيث يريدون، ويفسر ذلك بأن أولياء اللّه تطْوى الأرض لهم كما طويت لكثير من الأنبياء والصالحين، فيبلغون حيث يريدون على كرامة الرحمن ومركب الإيمان، وهكذا كان حبيبنا علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين .

كما تصدر المدارس وا الس يحدو الناس إلى مولاهم وإلى اتباع الصالحين من السلف، بل كان قدوة ومثالاً في أقواله وأفعاله وصبره على المشاق والمكاره ومراقبة الخلق ودوام التنقل بين ا الس وجبر خواطر العامة والمتعلقين وزيارة منازلهم ومشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم وإدخال السرور عليهم مع التواضع والسكينة

المعهودة فيه رحمه اللّه تعالى، وكان رحمه اللّه لا تأخذه في اللّه لومة لائم، وعلى كلامه ومذاكراته مسحة من النور والسناء الرباني حتى إن الذي يستمع إليه وهو يذاكر تأخذه رهبةٌ وجذبةٌ ورغبةٌ إلى الخير، وذلك مما جعل اللّه في كلامه من سر الجذب والتأثير على المستمع، وكانت له مجاهدات ومكابدات في حياته الخاصة أكثر مما يظهر للناس، فهو لا يأكل إلا اليسير ولا ينام إلا اليسير، مع طول قيامٍ بالليل وتلاوةٍ لكتاب اللّه تعالى وللأوراد المأثورة عن الأسلاف، وقد سماه بعض أهل السر «تاج الوادي» وكان كـذلـك تاجه وأمانه، فإنه بعد أن انتقل إلى رحمة اللّه ا الت على البلاد المصاعب والمحن، وقد كان يعرض رحمه اللّه تعالى في مذاكراته لمثل ذلك، وينبه الناس للرجوع والتوبة والإنابة، ويتكلم بالشيء قبل حدوثه، حتى إن كل الذي حصل لحضرموت وجاوة والحجاز من التدهور والتغير سبق وأن تحدث عنه رحمه اللّه، وقد جمع اللّه فيه من الأسرار والأنوار والمكاشفات ما لا يـكـفـيـه ا لمد كله، وقد كتب عنه تفصيلا كثير من مـعـاصـريـه وأنداده كالحبيب عمر بن علوي الكاف، والحبيب محمد بن سالم بن حفيظ، كما جمعت مجلدات كثيرة من كلامه وشـيء مـن مكاتباته وأحواله محفوظة لدى أحفاده المباركين، وبالجملة فالحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين كان آنذاك قطب الدائرة المكين وحارسها الأمين ولسان الدعوة للدين، وقد توفي الحبيب علوي صباح يوم السبت ١٢ رمضان ١٣٨٦ من الهجرة رحمه اللّه رحمة الأبرار .

وقد استمد سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى من هذا الحبيب هبات الروح وبناء النفس واستمد من فيض بركاته وصادق دعواته وحنان رعايته أنوار الحقائق الموصلة إلى عين السلوك السلفي ومنهاج الدعوة المحمدية على غرار المسلك المستقيم لسادتنا العلويين الذين قام هذا الحبيب نائبا عنهم وحاملا لرايتهم، ولذلك كان سيدي الوالد يكثر

من التردد والاتصال رغبة في الوصال من هذا الحبيب المفضال، فهو ملازم دائم لمدارسه العامة في مساء كل ليلة بمسجد سرور بعد صلاة العصر بالنويدرة وبمدرس الشيخ علي يومي الاثنين والخميس وبمسجد الماس وخاصة خلال شهر رمضان الذي يخصص الحبيب التعبد والقراءة فيه دون غيره إلا صلاة التراويح فيصليها بمسجد الشيخ عمر المحضار، كما كانت لسيدي الوالد قراءات خاصة في باكورة الطلب على يد حبيبنا علوي، وقد أملى علي في حياته رحمه اللّٰه تعالى بعض الكتب التي قرأها، ومـنـهـا : « بداية الهداية » للإمام الغزالي و « سفينة النجا » للشيخ سالم بن سمير الحضرمي وقراءات متفرقةٌ في « المختصر » و « أبي شجاع » وقرأ عليه في كلام الحبيب علي بن محمد الحبشي، وبما أن الارتباط الساري قد كان متصلا من ذي قبل بالجد أبي بكر الذي كان له السبق في إخباره بدنو الأجل ومنعه عن السفر إلى أحور فإن الحبيب أيضا كانت له المبادرة الأولى في تخفيف آلام الفراق على سيدي الوالد، وبعثه المبشرات عبر الرسائل لتطمئن النفس ويرتاح الفؤاد [1] .

وقد شهدنا ألواناً من ذلك العطف الأبوي الذي يغدقه الحبيب علوي على سيدي الوالد ويدنيه ويقربه ويفرح بوصوله ويثني عليه وعلى صبره على الدعوة في البادية، وقد قرأ سيدي الوالد في حضرة شيخه عدداً من القصائد الشعرية أذكر منها قصيدة أنشدها في منـزله عام ١٣٨٠ من الهجرة وهو جاثٍ على ركبتيه أمام الحبيب، ودموعه تتحدر على خديه بحرارة وغزارة والعبرات تخنقه بين الفينة والفينة، فيقطع القراءة مراراً وهو يرتعد ارتعاداً من مفرق رأسه حتى أخمص قدميه، والحبيب علوي

(١) ومنها كتابته له عند وفاة والده ما نصه : « نشهد بأن والدك توفي وهو راض عنك في الـدنيا والآخرة » . اهـ من ملاحظات الوالد .

رحمه اللّٰه تعالى يهدئ من روعه قائلا : لا تخاف لا تخاف، بتلك الحركة المعتادة منه رحمه اللّٰه تعالى وهو يبشر المستمدين من حياضه .

وقد كان من محبة سيدي الوالد في شيخه الإمام أن عرفنا على حاله ومقامه قبل أن نراه، حتى إننا لم نكد ندخل إلى حضرته إلا ونحن نرى أمامنا رجلاً لا كالرجال وسيداً بلغ درجة الكمال، نحافظ على هـيـئـتـنا وجِلستنا وخواطرنا في حضرته حتى وكأن الطير على رؤوسنا من شدة السكينة والأدب، وظل الحال كذلك في النفوس يربو ويزداد حتى أحسسنا بما كان يحسه سيدي الوالد بقلبه وبعقله.

٥ـ الحبيب محـمّد بن حَسَن بن أحمَد عِيديد

سيد شريف فاضلٌ جمع من خصال الفضل والعلم والولاية ما لا تجمعه السطور، ترجم له محبه مبارك بن عمر باحريش في « البلبل الغريد » فقال عنه :

كان وجوده رضي اللّٰه عنه وأعاد علينا من بركاته ليلة ٢٥ من شهر رمضان المعظم سنة ١٢٩٠ بتريم بوادي عيديد المنير في بيت والده، وكان والده حين وضعت به أمه في مسجد الشيخ علي بن الشيخ محمد صاحب عيديد المعروف بمولى القبة لحضور ختمه في تلك الليلة، ولما بشر بولادته وكانت الدفوف تضرب وقت الحضرة استبشر كثيراً وحالاً خرج من المسجد وأتى إلى الدار من غير قائد بالرغم من أنه كان مكفوف البصر لما اعتراه من الفرح والسرور، قام والده بتربيته وكـفـالته خير قيام، واعتنى به كثيرا حتى صار يكثر الجلوس في البيت من أجله، وإذا خرج رجع حالاً، ولما بلغ نحو السادسة من السنين خرج به إلى المسجد مكتفياً به قائداً له وإذا لاقى أحداً طلب منه أن يمسح بيده عليه وأن يدعو له، وهكذا كان شأنه، حتى

مرض مرض الموت، وتوفي والده سنة ١٢٩٧ وهو إذ ذاك لم يتم السابعة من عمره، ولكن والدته قامت بتربيته واهتمت بشانه وأرسلته إلى المعلم عبدالرحمن بن محمد بن سليمان باحرمي في محل التعليم المنسوب للشيخ القطب عبدالله بن أبي بكر العيدروس، حتى قرأ القرآن كله، وكان له اتصالٌ كبير بالحبيب العلامة عمر بن حسن بن عبدالله الحداد وهو إذ ذاك في حاوي تريم، فتردد إليه وقرأ عليه وألبسه وأجازه، كما اتصل بعدد من المشايخ في عصره، كالسيدين الفاضلين الوليين
أحمد بن محمد بن عبدالله الكاف، و شـيـخ بن عيدروس بن محمد العيدروس، والحبيب محمد بن إبراهيم بن عيدروس بلفقيه، والسيدين الشريفين محمد بن
عبدالله بن عمر بن يحيى و حسين بن عمر بن سهل مولى الدويلة .

وفي سلخ شهر محرم ١٣٠٤ سافر إلى جاوة واستودع من أشياخه، وطلب دعاءهم، وكان له أشياخ آخرون أخذ عنهم في تلك الجهة من الأئمة والأكابر، ثم عاد إلى الوطن ماراً بعدن في أوائل عام ١٣٠٩ ، ولما عاد واستقر في تريم لازم أجلاء الشيوخ كالسيد العلامة عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور حتى توفي في عام ١٣٢٠، وعزم رحمه الله على السفر إلى دوعن بعد وفاة شيخه، و ا أخذ عن شيوخ الوادي وعاد إلى تريم في العاشر من شهر رجب عام ١٣٢٠، تزوج مرات عدة قبل سفره إلى الحج عام ١٣٢١، وهدف له عدد من المواليد الإناث والذكور، منهم من توفي في حياته، ومنهم من عاش بعده، وخاصة من بناته، ولم يستقر في تريم مدة طويلة بعد حجه حتى سافر مرات ومرات منها إلى المدن والقرى ا اورة في الوادي المبارك ومنها إلى جاوة، ثم عاد إلى حضرموت واستقر ا يعبد الله تعالى ويشهد المآثر وا الس العامة والخاصة حتى أصيب بأوجاع في أسفل ظهره منعته من الخروج حتى أصيب في ٢١ محرم سنة ١٣٦١ بفالج خفيف في الجانب الأيمن من

جسده، وتوفي بعد سبعة أيام تقريباً، ودفن في مقبرة زنبل يوم السبت ٢٨ المحرم سنة ١٣٦١ بعد أن صلى عليه الحبيب عبدالله بن عمر بن أحمد الشاطري، رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأ ار [١].

بـدأت عـلاقـة سـيـدي الوالد ذا الحبيب بعد التعرف عليه خلال زيارات الجد أبي بكر له والاتصال به والتردد عليه واللقاء معه في المحافل والمدارس والمشاهد، وقد أنس الحبيب محمد بن حسن إلى الـمـسـلـك المستقيم الذي كان يسير عليه والدنا رحمه الله تعالى تحت رعاية أبيه أبي بكر، فلم يتردد في قبول تزويجه بإحدى بناته عندما عرض عليه الجد أبوبكر فكرة التزويج بولده عنده وتم ذلك الأمر على خير ما يرام غير أن المنية وافت الزوجة الصالحة بعد ستة أشهر من زواجهما ودفنت بمقبرة زنبل . وقد روى سيدي الوالد رحمه الله تعالى أ ا كانت فتاةً صالحة تقرأ القرآن، وتعرف طرفاً صالحاً من علم الفقه والتصوف ولها نصيب كبير في معرفة سير الرجال من أسلافها العلويين بحضرموت . وذكر سيدي الوالد أن الحبيب محمد بن حسن عيديد زوجه بابنته الثانية، وعاشت مع سيدي الوالد مدة عامين تقريباً وأنجبت له ولداً أسماه عبدالرحمن وبنتاً سماها علوية، وقد اختارهما الله فرطاً لأبويهما في سن طفولتهما وحزن والدي لموت أطفاله حزناً شديداً حتى بدا ذلك على صفحة المحيا، ولما رآه والده على تلك الحالة قال له : « يا علي، عادك باتضجر من كثرة العيال »، وقد كان من موافقة الكشف أن ينجب الوالد نفس العدد من الذكور والإناث الذين أمتع الله م من صلب والده المبشر له بكثرة الأولاد [٢]، وكأن الدعوة قد حصلت

---

(١) عن « البلبل الغريد في مناقب وأحوال الحبيب محمد بن حسن عيديد » لمبارك باحريش بشـيء من التصرف والاختصار، ولا زال مخطوطاً .

(٢) أمتع الله الجد أبابكر بعدد من الذكور والإناث هم :

بإذن اللّه ثمارها منذ لأن ارتبط سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى بزوجته الأخيرة في بلاد العوالق السفلى عام ١٣٦٤ من الهجرة .

ومما تجدر الإشارة إليه في علاقة والدنا رحمه اللّه ذا السيد الفاضل المكاشف تلك الوقفة الهامة مع مجموع أسرته في اختيار بنته الثانية زوجة لأبي رحمه اللّه تعالى بديلا لأختها المتوفية، إذ يذكر سيدي الوالد عن قصة اختيار الحبيب محمد بن حسن عيديد له زوجا لابنته الثانية أنه بعد وفاة زوجته الأولى حزن حزنا شديدا وكأن الحبيب محمد بن حسن لم يخف عليه ذلك، فأدرك أن في نفس الوالد أمرا يخفيه، فساره

١- عمر المحضار بن أبي بكر المشهور، ولد في ربيع الأول ١٣٢١، وتـوفي في «فِلمبـاغْ»، وله ا ذرية.
٢- محمد بن أبي بكر المشهور، ولد في جماد الآخر ١٣١٨ وتوفي في سيلان،وله ا ذرية.
٣- أحمد بن أبي بكر المشهور، ولد عام ١٣٢٨ ورحل إلى سيلان، وله ا ذرية .
٤- عبدالقادر بن أبي بكر المشهور، ولد في ٢٠ جمادى الأول وعاش بحضرموت، وله ـا ذرية، وتوفي في ربيع الثاني ١٤١٨ بتريم .
٥- علي بن أبي بكر المشهور، صاحب الترجمة المرحوم، وذريته بأحور وأرض الحجاز .
٦- علوي بن أبي بكر المشهور، عاش بحضرموت وتوفي ا سنة ١٤٠٦ ، وله ا ذرية.
٧- محمد الغزالي بن أبي بكر المشهور، نشأ بحضرموت ثم سافر إلى عدن ومنها إلى بريطانيـا وتزوج وأنجب ثم عاد إلى الحجاز سنة ١٤٠٤،واستقر ا وتزوج وأنجب، وله ا ذرية .
٨- فاطمة بنت أبي بكر المشهور، توفيت بتريم سنة ١٤٠٧، وقد تزوجت عـدة مـرات ولم تنجب .
٩- خديجة بنت أبي بكر المشهور، تزوجت على السيد عمر بن حامد باعلوي بحضـرموت، ولها ولد واحد له ذرية بسيئون .
وانظر صور الأعمام السادة أحمد وعبدالقادر الجيلاني وعلوي في الملحق ص٩ .

بقوله : لا تحرك من جهاز بنتي شيئاً، واترك كل شـيء فـي مكانه، وما أن مرت على دفن الزوجة الأولى ثمانية أيام كاملة حتى دعا الحبيب محمد بن حسن عيديد الجد أبابكر وولده علي، ودعا من يأنس إليه من السادة الأفاضل وعلى رأسهم الحبيب البركة علوي بن عبدالله بن شهاب الدين، وطلب منهم إحضار «الفحيط» وهو السمسم المنقى الذي يعتاد أهل حضرموت على تقسيمه على من حضر حفلة عقد الزواج، فتم في ذلك اليوم المبارك بمنـزل الحبيب محمد بن حسن عيديد عقد الزواج لسيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور على الفتاة الثانية من بنات الحبيب محمد بن حسن عيديد، وقد سمعت من لا يتطرق الشك في خبره أن الحبيب محمد بن حسن قال : « لو أن عندي عشر بنات لزوجتهن بعلي الواحدة تلو الأخرى » أو قريبا من هذا المعنى، وفي هذا القول إشارة غير عادية إلى ما في إحساس الحبيب محمد بن حسن من إدراك للحال والمقام المستقيم المرضي الذي عليه والدنا رحمه اللّه تعالى، وقد أملى علي سيدي الوالد فيما أملاه علي من أخبار حياته أنه زوجته الثانية من بنات الحبيب محمد بن حسن كانت على قدر كبير من الصلاح والتقوى ومحبة العلم والأوراد وكانت لا تترك قيام شيء من الليل ولا تتخلف عن أورادها ولا أذكارها طرفة عين، فكان له بعد مو ا شجن وذكريات في كل أثر من آثارها، وعند كل موقع من مواقع ركوعها وسجودها، فكان لهذا الحشد من الذكريات دفع قوي في نفس الوالد رحمه اللّه تعالى بأن يغادر أرض تريم سائحاً في بلاد اللّه لعله أن يجد في نشر الدعوة إلى اللّه سلوةً وعوضاً عما فارق من أحباب .

ومما يرويه سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى عن علاقته ـذا الحبيب المكاشف أنه كانت له معه من الكرامات واستظهار ما في الفؤاد حكايات وأخبار عجيبةٌ ولطيفةٌ، منها أن الحبيب محمد بن حسن عيديد دعاه يوم وفاته وهو على فراش المرض وأخبره

بساعة الوفاة وبأنه سيصل إلى عيديد سيل صغير، وسيبلغ إلى موضع كذا وكذا (موضع حدده الحبيب من سواقي عيديد)، وأوصى أن يغسل من هذا الماء، وأخبره أنه من الكوثر، ومما زاد في يقيني وأنا أسجل خبر هذه الحكاية ما وجدته في ترجمته « البلبل الغريد » بخط محبه مبارك بن عمر باحريش ما نصه :

وكان يكثر ذكر الشرب من الكوثر حتى أمر بعض من كان جالساً عنده أن يتلو سورة الكوثر مراتٍ مكرراً لها في كل مرة [1] .

ومما ذكره صاحب « البلبل الغريد » مناسباً لهذا المقام أنه قبل وفاته رحمه اللّه بيومٍ واحدٍ أمر أحد الملازمين الجلوس عنده بقراءة قوله تعالى : { اللّه نور السماواتِ والأرضِ ..} إلخ الآية، ولم يذق منذ ذلك الحين غير الماء وشيئاً من اللبن، وربما أظـهـر كراهية ما قد يقدم إليه من المرق والقهوة، وأخبر سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى أن الحبيب قبض في عين الساعة التي حددها، ووصل السيل الذي أخبر عنه إلى حيث حدده من الساقية، وغُسلَ منه تنفيذاً لوصيته رحمه اللّه تعالى رحمة الأبرار، وأسكنه في جنات تجري من تحتها الأ ار، ونفعنا اللّه به وبأمثاله من الصلحاء والأخيار .

٦ـ الحَبِيب عَبْدُالبَارِي بنُ شَيْخِ العَيْدَرُوسِ

السيد الشريف الرباني، ذو المحيا البهيج النوراني، الذي كان يصفه والدنا رحمة اللّه عليه بقوله : « عبدالباري بن شيخ كله قرآن، من رأسه إلى أخمص قدميه »، تتلألأ منه

(١) « البلبل الغريد » ص٥٠، مخطوط .

أنوار القرآن وتطفح على أساريره أشعة الرضوان والإيمان، ترجم له صاحب « تاج الأعراس » ضمن مشايخ الحبيب صالح بن عبداللّه العطاس، فقال ما مثاله :

« الحبيب العارف، نديم العلوم والمعارف، والـجـامـع بين تليد ا د والطارف، عبدالباري بن شيخ بن عيدروس بن محمد بن عيدروس بن شيخ بن مصطفى بن علي زين العابدين بن عبداللّه العيدروس، وليد تريم ودفينها، وأحد عظماء صوفيتها ومرشديها رضي اللّه عنه، تكرر أخذه وإلباسه من الحبيب أحمد بن حسن العطاس، كما تكرر تردد الحبيب أحمد لزيارة بيتهم بتريم، لكونه أحد معاهدها العلمية » .

ومن صفاته الجليلة التي أوردها صاحب « تاج الأعراس » في سياق الحديث عنه ما نصه :

وهو حسن الحديث في السلفيات، قوي الحافظة سريع الذاكرة في السير كما وصفه الأخ العلامة عبداللّه بن محمد بن حامد السقاف في تعليقاته على « رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية » للمؤرخ الشيخ عبداللّه بن محمد باكثير، حيث يقول في ترجمة والده :

« وأما ولده العلامة السيد عبدالباري فقد تخرج عليه وسار على هديه، وعليه قرأ ما لا عداد له، لاسيما في التصوف والسير والحديث، كما استدام ملازمته إلى وفاته » .

وأورد صاحب « جة النفوس [(١)] في كلام الحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس » :

أن أشياخ الحبيب عبدالباري بعد والده : الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور، والحبيب أحمد بن محمد الكاف، والحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور، والحبيب

---

(١) للمؤلف العلامة المحصل محمد بن سقاف بن زين بن محسن الهادي . انتـهى مـن « تـاج الأعراس » (٢: ٢٤٦) .

محمد بن إبراهيم بلفقيه، والحبيب عيدروس بن عمر، والحبيب علي بن محمد الحبشي، والحبيب أحمد بن حسن العطاس . وكانت وفاة الحبيب عبدالباري في محرم سنة ١٣٥٨ [(١)].

وقد سمعت سيدي الوالد رحمه اللّٰه تعالى يصف هذا الحبيب مراتٍ عديدةً ويقول : إنه كان جماليا يحب من الملابس الملابس الخضراء عِمةً وجبةً وقميصاً ورداًءً، وقد روى لي معاصره السيد البقية أبوبكر بن صادق الكاف أن الحبيب عبدالباري إذا دخل عليهم في مجلس الروحة يملأ المكان بأنواره وطلعته النورانية وهيئته المهيبة الربانية، وكأنما هو قطعةُ نورٍ تتـلألأ، وهو مِن الذين يذكر اللّٰه عند مشاهد م، وقد حباه اللّٰه من علوم الظاهر والباطن ما يعجز عنه الوصف والتبيان، وقد جمِع من كلامه رحمه اللّٰه تعالى درر نفيسةٌ ومعانٍ بديعةٌ وجليلةٌ، وخاصةً في تأويل وتفسير بعضِ الآيات من كتاب اللّٰه تعالى حيث ألهمه اللّٰه من غرائب المعاني ودقائق الفهوم في أسرار القرآن ما لم يحصل لغيره من معاصريه [(٢)] .

قرأ عليه سيدي الوالد رحمه اللّٰه تعالى كتباً متعددة في علم التصوف وطريق القوم بروحته المعتادة التي كان يقيمها بمسجد الحبيب عبداللّٰه بن شيخ، وكذلك جلساته

---

(١) انتهى المنقول عن « تاج الأعراس » (٢: ٢١٠) باختصار .

(٢) وقد جمعها العالم الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط الذي ترجمنا له مع شيوخ الوالد في مصـنفه النفيس « مفاهيم بعضِ الآياتِ القرآنيةِ من أنفاسِ البضعةِ الطاهرةِ النبوية » الـذي جمـع فيـه التفسيرات الإشارية لعلماء آل أبي علوي لجملةٍ من آي الذكر الحكيم، وأفـرد فيـه فصـلاً لمفاهيم الحبيب عبدالباري العيدروس، ولا زال تحت يد مصنفه يضيف إليه ما بدا له .

الخاصة التي يقيمها بمنـزله الميمون بالسحيل [1]، وكذلك قرأ عليه في شيء من كتب الحديث والفقه الشافعي، وألبسه وأجازه مرات عديدة، ومن تلك الإجازات ما وجدته مثبتاً في مذكرة سيدي الوالد رحمة اللّه عليه :

يقال ِلكُل أَلِمَ : سيدنا محمد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم » وكتب تحتها بخطه رحمه اللّه: أجازنا فيها الحبيب عبد الباري بن شيخ .

ومما رواه سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى عن هذا الحبيب النوراني : أنه في أحد الأيام زاره بمنـزله في السحيل حاملاً رسالةً شفويةً وخطيةً من عمه وشيخه الحبيب محمد بن حسن عيديد مضمو ا أنه رأى للحبيب عبد الباري بن شيخ العيدروس رؤيا مـبـشـرة، وقـد أوردها صـاحـب كـتـاب « البلبل الغريد في مناقب وأحوال الحبيب محمد بن حسن بن أحمد عيديد » مع اختلاف في روايتها عما سمعته من لسان سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى، ونذكر الروايتين في هذا الجمع لتمام الفائدة : قـال صـاحب « البلبل الغريد » في ص٤٨ من كتابه المخطوط وهو يسرد بعض كرامات الحبيب

محمد بن حسن عيديد رحمه اللّه تعالى :

ومنها أنه ليلة عشر من شعبان سنة ١٣٥٧ جلس نصف الليل يذكر اللّه تعالى كعادته كل ليلة وبينما هو كذلك إذ سمع قائلا لم ير شخصه يقول : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش ا، ورجله التي يمشي ا، وإن سألني أعطيته،

(١) السحيل هي المحلة التي يقع فيها مسكن الحبيب عبد الباري وفيها مسجد الحبيب عبد اللّه بـن شيخ المذكور في سياق الموضوع .

وإن استعاذني أعذته » سمع ذلك أربع مراتٍ كل مرة من جهة من الجهات الأربع، ثم أقبل إليه شخص على صورة السيد الشريف الفاضل عبد الباري بن شيخ العيدروس بين رجلين عظيمين لم يطق النظر إليهما وقالا له : «هذا منهم».

وكان الحبيب عبدالباري بشعب نبي اللّه هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، فلما عاد إلى تريم كتب له سيدي كتاباً يخبره فيه بذلك، فأشار الحبيب عبدالباري إلى أن الرجلين هما الحبيب الأعظم صلى اللّه عليه وآله وسلم ونبي اللّه هود عليه السلام . اهـ من « البلبل الغِريد » .

وأما ما سمعته من سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى : أن الحبيب محمد بن حسن عيديد رأى رؤيا في منامه وكأن الحبيب عبد الباري بين رجلين عظيمين، وأحدهما يتلو الحديث القدسي المذكور والآخير يشير عند كل عبارة منه إلى الحبيب عبدالباري ويذكر اسمه ويقول : « كنت سمعه الذي يسمع به .. عبدالباري .. وبصره الذي يبصر به .. عبدالباري .. إلخ الكلام »، ويذكر سيدي الوالد أنه حمل البشارة إلى الحبيب عبدالباري بذاته ففرح واستبشر ودعا لهما بخير .

رحمهم اللّه رحمة الأبرار، وأسكنهم جنات الفردوس جوار المختار، صلى اللّه عليه وآله وسلم ونفعنا ببركاتهم في كل حال .

٧- الحَبِيبُ عَلِيّ بنُ عَبْدِالرَّحمَنِ المَشْهُور [١]

الحبيب الذي وقر الإيمان في صدره، العلامة ا مع على جلالة قدره، المشغول بذكر اللّه في سره وجهره، وليد تريم ودفينها، وأحد مشاهير علمائها وصلحائها، كان الحبيب أحمد بن حسن العطاس يقول في حقه : « إنه برزخي » يعني : أن روحه متصلة بأهل البرزخ اتصالاً حقيقياً ووالده مفتي الديار الحضرمية، ومن له المنة الكبرى على السادة العلوية، فإنه تربى بوالده وقرأ عليه وتخرج به، واستخلفه والده وهو في قيد الحياة لَما رأى فيه من الأهلية لذلك، حتى إنه كان يقول : « ولَدِي عِلي أعبَـ ـد مني » . اهـ من « تاج الأعراس » [٢] .

وقـال الـحـبـيـب العلامة سالم بن حفيظ بن عبداللّه [٣] ابن الشيخ أبي بكر بن سالم في كتابه « منحة الإله في الاتصال ببعض أولياه » [٤] :

الشيخ الثالث من مشايخي

الحبيب علي بن سيدي عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور رضي اللّه عنه

---

(١) هو الحبيب علي بن عبدالرحمن بن محمد بن شهاب الدين الأصغر بن عبدالرحمن القاضي بـن شهاب الدين الأكبر .

(٢) (٢: ٢١٠) .

(٣) ابن أبي بكر بن عيدروس بن عمر بن عيدروس بن عمر بن أبي بكر بن عيدروس بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم . اهـ « تاج الأعراس » (٢ : ٢١٢) .

(٤) وهو ثبت حفيلٌ ضمن فيه إجازات جميع شيوخه البالغ عددهم ١٤٩ شيخا، وهو في طريقـه للطباعة .

هو السالك الناسك العابد المتواضع الخاشع الخاضع الذي أفنى قواه في طاعة مولاه مؤلف كتاب « شرح الصدور » في مناقب والده الحبيب عبدالرحمن المشهور، نفعنا اللّه به وأعاد علينا من أسراره وبركاته، آمين .

ولد الحبيب علي بن عبدالرحمن المشهور بمدينة تريم في٢١ ربيع الثاني ١٢٧٤، وعلى المغدقات الأبوية من الرعاية والملاحظة والعواطف والتربية مرحت به الحياة من سنة إلى أخرى، حتى تخطت به حواجز التمييز إلى ما وراءها مجتازة به محيطاً مضيئاً، وبيئةً فَـيـاحـةً بالطيبات والفضائل حتى كان عبيرها يشم من إراداته منذ حداثته أنّ أيام الطفولة المفهومة تقضت من غير عرامة ولا شبهها كما يقتضيه الصبا، حيث كان الناس يرتقبونه مع الأطفال لاعباً من شارع إلى شارع، وإذا م يشاهدونه في مهتدى الكبار سالكاً في كل يوم سبيله إلى المعهد القرآني، متعلماً في خليط الأحداث القرآنيين، وما كاد يأتي على ايته القرآنية حتى ارتقى إلى مستوى المتتلمذين العلميين كواحد منهم في فقهيا م وغيرها، وفي هذه المواطن الثقافية أخذت وجهاته مأخوذا ا من مزيد إلى مزيد، ومن ختام إلى افتتاح، ومن كتاب إلى آخر، ومن فقه إلى تصوف، وهكذا كان سيره الطبيعي في حياته العلمية ومناحيه الصوفية، ومع توالي الأيام وتكرر السنين كان محصوله الفقهي قسطاً وافراً كعالم كبير من العلماء، وصوفي جليل من عظماء الصوفية، مع الإشارة إلى إلمامه بعدد من العلوم والفنون، كالتفسير والحديث والنحو والتوحيد، والدرايةِ بأن فقهياتِهِ مبتدأةٌ بـ « الرسالة الجامعة » و« سفينة النجاة » و« أبي شجاع » و « المقدمة الحضرمية ». كما أن صوفياتِه مبتدأةٌ بـ « بداية الهداية » و« فتح الرحمن »، ولما كان من الجلي رغبة الكثيرين في إماطة الغشاء عن الذين كرع من علومهم واستقى من صوفيا م كشيوخ أولَوه ما أولَوه من منوحا م ومواهبهم، ومنهم العلامة السيد عمر بن حسن بن عبداللّه الحداد، والعلامة السيد محمد بن إبراهيم بن عيدروس بلفقيه، والعلامة السيد علي بن عبداللّه

بن علي بن شهاب الدين، والعلامة السيد أحمد بن محمد بن عبدالله الكاف، والعلامة السيد علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور، والعلامة السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي، والعلامة السيد
عبدالله بن محسن بن علوي بن سقاف السقاف، والعلامة القاضي السيد علوي ابن عبدالرحمن بن علوي بن سقاف السقاف، والعلامة السيد أحمد بن حسن العطاس.

وأما والده فمحور مداره، وقنار مناره، ومروي أغصانه، ومخـضب أطيانه، كنتائج واضحاتٍ، وظواهر بارزاتٍ، مِن موفُور القراءات عليه والمسموعات، في بحر حياةٍ طويلةٍ، وملازمةٍ غير منفَكةٍ، والخُطْو على قدمه، والسلوك في مسالكه، والظهور في صورِهِ وظاهراته كنسخةٍ منه، حتى في الهيئة والرسم، والعلميات والدينيات والصوفيات، حتى إذا سكن رفات والده مقبرةَ زنبل عام ١٣٢٠ أحيا معالمَه ورسومه كنائب عنه في دروسه وصوفياته وروحاته وزياراته ورحلاته السنوية المعتادة إلى النبي هود عليه السلام، وكان خير خليفة خلفه في صالحاته وعاداته ومنظوراته .

وكان من تلاميذه ومريديه العلامة السيد عبدالله بن عمر الشاطري، والعلامة القاضي السيد حسين بن أحمد بن محمد الكاف، والعلامة السيد سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالم، والعلامة السيد علوي بن عبدالله بن شهاب الدين، والسيد العلامة حسن بن عبدالله بن عبدالرحمن الكاف، وجاء في « النفحة الشذية في الرحلة إلى الديار الحضرمية » للعلامة السيد عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط :

أن السيد الصوفي عبدالله بن محمد بن عبدالله الكاف قرأ عليه « إحياء علوم الدين » ثلاث مرات، و« غاية القصد والمراد في مناقب الإمام الحداد » ثلاث مرات أيضا، مع

العلم أنه صورة من رجال « الرسالة القشيرية »، ولون من ألوا م، في طاعا م وزهادا م ومناسكهم، وكافة صفا م، وربما فاق كثيرا منهم بظاهرات كعدم ارتكاب صغيرة من الصغائر فضلاً عن كبيرةٍ من الكبائر منذ ميلاده إلى مماته، ومن ميزاته أنه معجونٌ في العبادات عجناً قوياً، ومدبوغٌ في مدابغ القرآنيات والأذكار دبغاً شديداً حتى كان غامقاً، كله عبادةٌ متواصلةٌ وأذكار وأوراد وقرآنيات بالليل والنهار قاعداً ومضطجعاً وقائماً وماشياً، وعلى وضوءٍ دائمٍ وصيامٍ مستديمٍ، كما أن من المستحيل أن تفوته جماعةٌ أو جمعةٌ أو سنةٌ من السنن، حتى سنن المسجد والأذان والشروق والأوابين صحةً وسقْماً وحضراً وسفراً، فما بالك بالرواتب والسنن المؤقتة وصلاة الضحى والوتر بالكمال ؟ ومن الذين تتجافى جنو م عن المضاجع وأيامه جميعها متنفلات مستغرقَةٌ، وما البقعةُ التي افْـترشت جبينه بلو ا المعروف غير أثرٍ بارزٍ من آثار السجود وكثرة العبادة [1]، إذا سجد في تنفلاته بعد صلاة المغرب يستمر ساجداً إلى أذان العشاء عن رؤية وسماع، وإن يكن له شيء من حظوظ الدنيا فالطيب والملبوس النظيف الأبيض كوالده، وقرة العين في الصلاة، توفاه اللّه في تريم من شهر شوال سنة ١٣٤٤، وفي مقبرة زنبل ضريحه مشهور عند قبر والده يزار مع زياراته .

---

(١) ذكر سيدي الوالد عن الحبيب علي بن عبدالرحمن المشهور أنه كانت له سجدةٌ بين المغـرب والعشاء يستغرق فيها باكياً شاكياً حتى ترى دموعه في ساحة أرض المسـجد مبللـةً موقـع سجوده، وقد يؤذن لصلاة العشاء وهو لا زال في سجوده فيأتي خادمه سـلمان فيقـول : ((سبحان اللّه)) عدة مرات حتى ينتبه فيختم صلاته .

وقد ألف السيد العلامة محمد بن سقاف بن زين بن محسن الهادي ترجمةً وافيةً للمذكور، أسماها «لَمعةَ النور في مناقب الحبيب العلامة علي بن عبدالرحمن المشهور»[1] .

٨ـ الحَبِيبُ عبدُاللّهِ بنُ عَيْدَرُوسِ العَيْدَرُوس

هو السيد المكاشف الذي بشـر الجد أبابكر بميلاد سيدي الوالد بعد تلك الرؤيا المنامية التي رآها الجد وسكت عنها حتى التقى بالحبيب عبد اللّه بن عيدروس وكاشفه ا ثم بشره بِهدوفِ المولود الذكر وأخبره أن يسميه عليا .

وقد وردت ترجمةٌ وافيةٌ لهذا الحبيب الأغر في مجموعٍ لطيفٍ جمعه السيد عبداللّه بن محمد بن عبداللّه بن زين العابدين العيدروس، نأخذ منه طرفاً صالحاً :

ولد الحبيب عبداللّه بن عيدروس العيدروس ببلدة تريم في عام ١٢٨٤ من الهجرة ونشأ في حجر والده وتربى على يديه وتخرج به، وكانت العناية ترعاه وتلاحظه وهو في بطن أمه، وتلقى باكورة المعرفة من كتاب اللّه تعالى في قبة الشيخ أبي مريم، وكان هو من جملة الطلبة الذين افتتحت م القراءة في القبة المذكورة، وبقي يحفظ القرآن حتى بعد أن خرج كثير من الأولاد، حتى حفظ القرآن وأتم دراسته وتقويته

(١) قال الشيخ محمد بن يسلم باخبيرة : إن الحبيب علي بن عبدالرحمن المشهور كـان يخـرج إلى التربة يزور بعض الخاصة، ومنهم الجد علوي بن عبدالرحمن المشـهور، وكـان يطيـل في الزيارات، فقد يستعجله الجد علوي لِيخفف، فيقول له : « يا علوي، شف هـم حـولي، حد عند ركبتي، وحد أمامي، وحد خلفي، كل واحد بغا فاتحة مـني » فيسـكت الجـد علوي ويتركه يطيل .

عند والده، ثم أكب على كسب العلوم وتحصيلها واجتهد في تحقيق العلوم وأبدع فيها حتى صار من كبار العارفين والجهابذة المجتهدين وسلك طريق سلفه الأخيار، أخذ الفقه والتصوف عن والده، ولازمه في دروسه، وحفظ عنده عدة متون في جملة فنون، كـ « صفوة الزبد » للإمام ابن أرسلان في الفقه الشافعي، و« ألـفـيـة ابن مالك »، و « الملحة » للإمام الحريري في النحو و « الرحبية » للعلامة الرحبي في الفرائض، وجزءاً من « الإرشاد » للإمام ابن المقرئ في الفقه الشافعي، وقرأ في المتون الموسعة وأجادها .

ومن جملة أشياخه الذين أخذ عنهم وتأدب بهم : الحبيب علي بن محمد الحبشي، والحبيب أحمد بن محمد المحضار، والحبيب عيدروس بن محمد العيدروس، والحبيب إبراهيم بلفقيه، والـحـبـيـب عبدالرحمن بن محمد المشهور، والحبيب عمر بن حسن الحداد، والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والحبيب أبوبكر بن عبداللّه الخرد، والحبيب عبداللّه بن أحمد بلفقيه، والحبيب شيخ بن عيدروس العيدروس، والحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور، والحبيب علي بن عبدالرحمن المشهور، والحبيب عـبـداللّه بـن علي بن شهاب، والحبيب عبد اللّه بن علوي المشهور، والشيخ حسن بن عوض مخدم، وعدد كثير من المشايخ الأجلاء وفضلاء الوادي المبارك الذين يكثر تعدادهم ويتعذر حصرهم، ولا يسعهم هذا المسطور لكثرتهم وشهرتهم، أعاد اللّه علينا من بركاتهم وأنوارهم وأسرارهم .

ومما يذكره لنا سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى عن علاقته بهذا الحبيب أن والده الجد أبابكر حمله بعد أن ولدت به أمه إلى منـزل الحبيب عبداللّه بن عيدروس العيدروس، وبارك عليه وحنكه ودعا له بدعوات مباركات، ثم لما قَوِي عوده وكَبر قرأ على

الحبيب المذكور شـيـئـاً مـن الـقـرآن الـعـظـيـم بعد الفاتحة، وقرأ عليه طرفا من الفقه الشافعي من « سفينة النجاة » وأجازه وألبسه [1]، وكان عمر سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى إذ ذاك ما بين الثامنة والعاشرة، وذكر سيدي رحمه اللّه تعالى أن الحبيب عبداللّه بن عيدروس سأله مرةً : « من هي الخالة التي هي بمنـزلة الأم ؟ » فقال له : «هي زوجة الأب». ففرح بجوابه ودعا له، وأفهمه عما يخطئ الكثير من الناس في شأن فهم الحديث النبوي : « الخالة بمنـزلة الأم ». حيث يعتقدون أ ا أخت الأم، والصحيح غير ذلك .

وقد وافت المنية هذا الحبيب الأمجد عشية السبت الموافق للخامس من شهر محرم الحرام عام ١٣٤٧ وعمره إذ ذاك ثلاث وستون سنة، ولُحِد في قبة جده الحبيب عبداللّه بن أبي بكر العيدروس .

---

(١) وأمره بالذهاب إلى قبة أبي مريم لحفظ القرآن العظيم ا .

٩ـ الحَبِيبُ أبوبَكْرِ بنُ محُـمَّدٍ السَّرِيّ

سيد شريف من جهابذة العلم والمعرفة بوادي حضرموت المبارك، إمام من أئمة الفقه والنحو والصرف والبلاغة والتاريخ والسير، عرف بين أقرانه وتلامذته ومريديه بطول باعه في سبر غور المعرفة وتدقيق العلوم وتحقيقها، ولد بمدينة تريم الغناء في عام ١٣١٠ من الهجرة ونشأ في ربوعها، وتربى على يد أشياخ أجلاء من شيوخ العلم بحضرموت يضيق المجال عن حصرهم وتعدادهم، أورثوه العلم والأدب والخلق السني القويم، فصار من أحد صدور تريم، وشيخاً من شيوخ العلم والتعليم [1]، قرأ عليه سيدي الوالد رحمه الله تعالى كتاب « المتممة » في علم النحو، وكان يواظب على حضور مجالسه العلمية المختلفة، وخاصة مجلسه الواسع الذي كان يتصدره بمسجد (سرجيس) بالسحيل، وكان مجلساً يغص بطلبة العلم ورواد المعرفة، ويتبادل فيه العلماء ومريدوهم ألوان المسائل الغريبة والعجيبة، ويحلون عويص المشاكل اللغوية والأدبية، ولم تزل هذه العلوم والمعارف مطردة النمو والانتشار حتى خطفت المنية أئمة البلاد الكبار، وصدور المحافل الأبرار، ومنهم الحبيب المذكور الذي اختاره الله إلى جواره في يوم الجمعة المبرور ٢٨ من شهر ربيع الأول ١٣٧٦ رحمه الله تعالى رحمة الأبرار [2] .

---

(١) كان الحبيب علوي بن شهاب الدين يعظمه ويثني عليه وينيبه في تدريس المدرس العام بالرباط إذا قام به عذر عن الحضور، كما كان على جانبٍ عظيمٍ مـن التواضـع ومـوت الـنفس والخمول .

(٢) وقد ترجمنا له في « لوامع النور » (٢: ٥٨) .

١٠ـ الحَبِيبُ عبدالله بنُ محُـمَّدِ بنِ هارُون شِهابِ الدِّينِ نـزيلُ المَدِينَة [(١)]

سيد فاضلٌ ناسك عابد زاهد شريف المنحى والمسلك، متواضع مستقيم، على جادة الطريق القويم، قولاً وعملاً ، عليه الجلال والهيبة والأنوار، وله مجاهدات وأوراد وأذكار، ولد بتريم ١٣٠٣ من الهجرة، وحفظ القرآن العظيم، وتربى على يد عددٍ من مشايخ حضرموت، منهم من كان من أسنانه وأقرانه، ومنهم من كان أكبر في علمه وسنه وشانه، فمنهم الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، والحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس، والحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين، وقد كان ميلادهما في عام واحد، ومن أجل أشياخه الحبيب أحمد بن حسن العطاس، وقد تعلق به كثيراً وارتبط به ارتباطاً وثيقاً، وجمع من كلامه شيئاً كثيراً، ومنهم الحبيب أحمد بن محسن الهدار، صاحب المكلا، وقد اتصل به الحبيب المذكور خلال وجودهما بأرض جاوة، وقد تبع ذلك بينهما مراسلات ومكاتبات، وملاحظات وإشارات وبشارات، ومن أشياخه أيضاً الحبايب أحمد بن محمد المحضار ونجله البركة الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار وقد حفظ لنا حفيده المبارك السيد محمد بن أحمد بن عبدالله بن هارون عدداً من المكاتبات الخطية والمراسلات الودية بين جده المذكور وبين الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار رحمهما الله تعالى برحمته الواسعة.

قرأ سيدي الوالد رحمه الله تعالى على شيخه وخاله الحبيب عبدالله بن محمد المذكور طرفاً صالحاً من كتب علم التصوف ومبائه وأسسه العملية، وقد كان لهذا

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص١ .

الحبيب في نفس الوالد أثر كبير وتأثر ظاهر لما كان عليه الحبيب عبدالله من تواضعٍ وخشوعٍ وحسن سمتٍ واستقامةٍ في ظاهره وباطنه .

وقد ذكر سيدي الوالد أن هذا الحبيب كان يرعاه رعايةً خاصةً، وينظر إليه نظرة عطفٍ وحب وإخلاصٍ مشوبٍ بحسن توجيهٍ وإرشادٍ وتشجيعٍ على سلوك الطريق الأمثل، والسبيل السلفي الأقوم، وقد ألبسه وأجازه إجازاتٍ متعددةً ودعا له وبارك عليه ونظر إليه، توفي هذا الحبيب المفضال المستقيم، في الرابع من شهر ذي الحجة عام ١٣٧١ بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، بعد أن حصلت له إشارةٌ مناميةٌ دلت على قرب الأجل ودنو الأمر المحتوم، وقد ذكر لي حفيده السيد محمد بن أحمد بن هارون أن جده رأى النبي عليه الصلاة والسلام يقول له فيما معناه : « إن معنا لك في المدينة غرفةً إذا دخلتها ما تخرج منها » ففهم الحبيب معنى الإشارة بأنه الأجلُ، فغادر مكة بعد أن ودع كل من يعرفه فيها وداع المستيقن حلول الموت، واتجه إلى المدينة المنورة، وقد روي أن امرأة من السادة رأت في تلك الليلة الزهراء البتول تخبرها بقدوم ضيف من أولادها عليهم، وأمر ‌م بإكرامه، فكان ذلك الضيف هو الحبيب عبدالله بن محمد بن هارون، إذ حركه العزم الخفي أن ينـزل على ضيافتهم، وأخبروه بالرؤيا التي حصلت فلم يجلس، بل قال لهم فيما معناه : وجبت علينا زيارة أمنا التي اعتنت بنا، ونـزل إلى الزيارة، ومكث بالمدينة أياما حتى قضى الله الأمر، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جناتٍ تجري من تحتها الأ ‌ار، ونفعنا الله به وبأسراره آمين .

١١ـ الحَبِيبُ محـَمَّدُ بنُ عَلِيّ الحَبْشِيّ[١]

هو الحبيب مـحـمـد بن علي بن محمد بن حسين بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن محمد بن حسين بن أحمد صاحب الشعب بن محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي، متصلاً نسبه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ولد بمدينة سيئون سنة ١٢٩٩، وتربى في كنف أبيه وأمه وجدته، حتى شب عن طوقه فأخذ القرآن لفظاً ومعنى على يد معلمه الشيخ سعيد بازهير مؤذن مسجد الرياض بسيئون [٢]، وظهرت عليه الرغبة والمحبة للطلب والعلم منذ صباه حتى كان كثير الملازمة المجالس الفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع برباط أبيه، وكان من أجل أشياخه الحبيب العلامة أحمد بن عبد الرحمن السقاف، والعلامة السيد محمد بن هادي السقاف، والعلامة الشيخ محمد بن سالم باطويح، والحبيب حسين بن محمد بن حسين الحبشي، وذكر صاحب « تاريخ الشعراء » أن والده كان يعد شيخ فتحه ومنحه، وقد قرأ عليه من كتب التصوف ما لا معدود له، حتى إنه كان في آخر حياة والده يخلف والده في قراءة « صحيح الإمام البخاري »، وقد كان كـثير الملازمة المجالس ومدارس والده أينما كان، وقد أصبح خليفة والده بوصية منه، فكان المتقدم للصلاة عليه، وكان يقوم مقامه في كل الأمور الخاصة والعامة، كالإمامة بالناس في مسجد الرياض والإشراف عليه، وعمارته بالدروس والعلوم والعبادات والموالد الأسبوعية، وقد كان واعظاً مؤثراً وخاصةً في أواخر أيام حياته، وكانت له

(١) انظر الصورة في الملحق ص١ .

(٢) انظر الصورة في الملحق ص١٥ .

رغبة في الأسفار والرحلات، فقد رحل مرتين إلى الحرمين الشريفين، وإلى بلاد جاوة مرتين، وكان شاعراً مجيداً وأديباً فذاً وعالماً متصدراً [1] .

اتصل به سيدي الوالد رحمه اللّٰه تعالى خلال تردده مع والده إلى مدينة سيئون، وكذلك بعد وفاة والده كان له به اتصال مستمر ودائم، وقد ألبسه وأجازه ودعا له ورضي عن مسلكه وأدبه وحسن عشرته، وقد توفي الحبيب محمد بن علي الحبشي سنة ١٣٦٨ ودفن بمدينة سيئون.

١٢ـ الحَبِيبُ مُصْطَفَى بنُ أَحمَدَ المِحْضار (صاحب القُوِيرَة)[2]

سيد شريف فاضلٌ عالمٌ فَذ الحال والمقال، ولد في القويرة عام ١٢٨٣، وأخذ عن والده وتربى على يديه و ذب بأخويه حامد ومحمد، وتخرج بالحبيب أحمد بن حسن العطاس قراءةً وسماعاً وخدمةً في الحضر والسفر، وتفقه على الحبيب حـسـين بن محمد البار بـالقريـن، وله الأخذ التام والمدد الخاص والعام من الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي، وكان أشياخه ينعتونه بشيخ الحضرة كما لقبه بذلك والده، ويعنون بذلك : أن روحه الزكية تكون لها سلطة خاصة على أرواح الحاضرين في مجامع الذكر، وله قدرةٌ عجيبةٌ وسلاسةٌ نادرةٌ في صياغة المراسلات والمكاتبات النثرية مع الخاصة والعامة، وله في كل مقامٍ مقالٌ يناسبه، وقد يخلط الجد بالهزل فراراً من دعوى العلم، وميلاً لإصلاح ذات البين، وقد جمعت

(١) عن « تاريخ الشعراء الحضرميين »، (٥ : ٢٦٨ - ٢٦٩) بتصرف .

(٢) انظر الصورة في الملحق ص٢ .

مكاتباته في مجلدات، انتفع ا الناس في سائر الأوقات، وشنفت الأسماع ببعضٍ منها في عديدٍ من الجلسات والروحات .

اتصل سيدي الوالد ذا الحبيب مراتٍ عديدةٍ، وزاره زياراتٍ مفيدة، كان منها زيارته للقويرة مع والدِه الجد أبي بكر رحمه اللّه تعالى عام ١٣٥٣ في رحلته الشهيرة التي مر خلالها بكـثير من القرى والأنجاد من أرض القبلة حتى بلغ عدن واليمن ثم إلى أرض الهند وسنقافورة، وقد ذكر سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى أ ما نـزلا ضيوفاً على الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار في القويرة وفرح ما فرحاً شديداً، وأكرمهما إكراماً كبيراً، وكانت تلك جِبلته في إكرام من يفِد إليه من العلماء والصلحاء، وقد تمت بينهم في هذه الأيام القلائل التي قضيناها في ضيافة الحبيب مباسطات، ومذاكرات، ومسامرات، وأحوال، وطيب أقوال، وحديثٌ عن سير الرجال، وتمت من الجد أبي بكر مذاكرات لأهل البلاد في مساجدهم، وتوجيه وإرشاد في مجالسهم ومقاعدهم، وتمت بين الحبيب مصطفى وبين ضيوفه الإجازة والإلباس والإلقام، ومن اللّه لسيدي الوالد فيها بجزيل الإفضال والإنعام .

وتكرر هذا الفيض المدرار، والنظر من قرة عين آل المحضار لسيدي الوالد في رحلته الثانية عام ١٣٦٢ من الهجرة بعد خروجه من تريم متأثراً بوفاة زوجته الثالثة بنت الحبيب محمد بن حسن عيديد، حيث عبر القويرة ومكث لدى شيخه الأبر أياماً أخذ فيها الحبيب بخاطر الوالد وخفف عنه ما يجد من ألم حرقة الفراق، وشجعه على الخروج لغرض نشر الدعوة إلى اللّه تعالى، وقَوي عزمه عليه، ودعا له بالتوفيق، وألبسه وأجازه في كل ما صحت له فيه الإجازة الخاصة والعامة، وغادر سيدي

الوالد مدينة القويرة مزوداً بكل خير، محفوظاً ومرعياً في الحط والسير، حتى نـزل بأحور الميمونة في ١٥ شعبان ١٣٦٢ من الهجرة، واستقر ا .

وكانت له مع شيخه الأجل كرةٌ ولقاءٌ آخر وأخير، وذاك في أول زيارة يقوم ا سيدي الوالد إلى حضرموت بعد استقراره بأحور، وقد كان معه في هذه الزيارة أخوه الأصغر محمد الغزالي [1]، وتلميذه المبارك عبدالله صالح السهل الذي ذكر لي أ م دخلوا القويرة بعد صلاة العصر من أحد الأيام، مشياً على الأقدام، واتجهوا إلى منـزل الحبيب مصطفى، فوجدوه متصدراً روحته المعتادة، وحوله أقرانه ومريدوه وجلساؤه من المحبين والسادة، فلما علم بوصول سيدي الوالد خرج لاستقباله ورحب به ترحيباً يليق به وبأمثاله، واستضافه ثلاثة أيام، وأذن له في الوعظ والكلام، بمسجد القويرة حتى أزف وقت الرحلة وودعه بعد أن كرر له الإلباس والإجازة والإلقام، وكانت هذه آخر العهد بشيخه الهمام، حيث وافت الحبيب مصطفى منيته بعد هذا اللقاء بأعوام، حيث ذكر صاحب « تاج الأعراس » أنه توفي في صباح الأربعاء ٨ رجب من عام ١٣٧٤ .

وقد وقعت يدي [2] على مكاتبةٍ لطيفةٍ من مكاتبات الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار، بعث ا إلى سيدي الوالد رحمه الله تعالى عندما كان بأحور، مؤرخةً في فاتحة القعدة الحرام عام ١٣٦٨، نثبتها بتمامها :

---

(١) جـيء بـالـعـم محمد بن أبي بكر الغزالي المشهور إلى أحور بعد وفاة الجد أبوبكر بـن علوي المشهور بعدة شهور، وذلك بغرض طلب العلم وحفظ الوقت، وقد قيل : إن العم علوي بن أبي بكر المشهور هو الذي قدم به إلى أحور آنذاك .

(٢) وجدت هذه المكاتبة المذكورة عند الشيخ سالم بن محمد جنيد بامزاحم بأحور .

الحمد لله، إلى أحور واسعة الأكناف، بعيدة الأطراف، ذات البرور والبحور والأسياف [1]، والمشتملة على السلاطين والمشايخ والأشراف، والحلان والسكان والرعايا والقبائل والظراف والأجلاف، وكلهم أهل نيات صادقة، وألسنة بالصدق ناطقة، وأعين إلى الخير رامقة، السلطان سلطان، ومحفوظ من كل موذي وشيطان، والشريف ظريف، ولا عنده تحريف، والشيخ أديب، ومن الأصل تاديب، والقبيلي مؤدب، وبالوقت تأدب، والرعوي مـلـتـوي، وعلى شغبه محتوي، والبلدكل في فلكه، ويسرع في مسلكه، بلد قديم، وخيره مقيم، وصراطه مستقيم، وأهله في نعيم، وعوايدهم عايدة، وحوادثهم بايدة، والمقادير تبلغ حدها، وسبحان من بيده قبضها ومدها وبعدها، والأولى السكون والسكوت، وما تبديه عجائب الملك والملكوت :

واسكت يا كـتـكـت والسكوت وتفكر فيما تبديه عجائب المولى

وكلها عجايب، والانتظار واجب، والألطاف حاصلة، والخيرات واصلة، وأحور لا تـزال مـعـمـورة، في المعنى والصورة، وعلمها وتعليمها، في جميع إقليمها، وسلطا ا ينتعش، وفي أحور يرتعش، ويمسي حاله جميل، وربه به حميل، ورعاياه تحته، على طول وقته، وأهل بلده فراحى منه وهو فرحان منهم، وراضين عنه وراضي عنهم، و نيهم كلهم براضة السيد المشهور عندهم، وهذه نعمةٌ يعدو ا اللّه ا مدهم، خباها لهم إلى اليوم، يصلح ا كل سوم، وأين يحصلونه ؟ شريف عالمٌ، معلم علوي، تريمي سني، ترك تريم لأجلهم، لنهلهم وعلهم، شوفوها نعمة خباها اللّه لكم، وساقها اليوم لكم، تقبضوا ا بيدين، وعضوا عليها بالنواجذ، و دي شريف السلام لأحور وسلطا ا، وسادا ا وسكا ا، رجالها ونسوا ا،

---

(١) الأسياف جمع سِيف، وهو ساحل البحر .

وجميع حلا ا، وبرها وبحرها، ومدها وجزرها، وبحرها يمدها، وبالـمـد الكثير يشدها، وأهلها من واسع فضل الغني يمدهم اللّه بالمدد، السلطان والبلد، ووالد وما ولد، بركة العلم والتعليم، وبركة المشهور وتريم، الذي خلاّ تريم، وقال : أحور خير إقليم، وحكمي به مقيم، للعلم والتعليم، على الدين القويم، والصراط المستقيم، وراثة علوية عيدروسية عدنية، ابتدأ ا العدني سيد أهل الفِطَن، و ا قطن، قال الوالد في أبيات :

لِلهِ درك يا الوليْ صاحِب عدنْ يا من أقام بفَرض ربي والسنن

يا نجَـْ ـلَ عبداللّه بن بوبكْر يا شيخ الشيوخ بحضرموت وباليمن

إلى آخرها، ما أحفظها، وقد اقتفاه على الأثر، وطرح الأثر على الأثر، علي الأغر، الولد السيد النجيب، الحبيب ابن الحبيب، علي ابن أخينا المرحوم أبي بكر ابن والده الإمام البركة العلامة الداعي إلى اللّه بقوله وفعله، وحاله، وماله، وعياله، ونيته، وهمته، الوالد علوي بن عبدالرحمن المشهور، نفعنا اللّه به وبعلومه، وقد اتصلنا به وأخذنا عنه، وقرأنا عليه، وسايرناه ووكلناه، وجاء إلى عندنا وجينا إلى عنده، في تريم الغنا، وأضافنا وأجازنا إجازة عامة في طلب العلم وفي الذكر والتذكير وحسن الأخلاق، والالتجاء إلى الخلاق، والصبر، والجبر، ولا قهر ولا ر، حتى يفيض النهر، ويستدير الشهر، وأجـزناكم بإجازة الوالد علوي، وبما أجازنا به الوالد أحمد المحضار، وغيرهم من أهلنا الأخيار، وكم بانعد نفعنا اللّه بالجميع، وأعاد علينا وعليكم الجميل والجمالة في كل حالة للجميع، واصبر يا علي، وفضل ربك ملي، ما يختلي، وهو الواهب، يفيض المواهب، وبالصـبر تزول الغياهب، وينتصر الطاهب، وتفيض السحايب، وتسيل سيولها، وتغطي غيولها، وقد وصل كتابك الواضح، ولفظه ومعناه واضح، بيد المشايخ العموديين يا خير مشايخ،

وفرحنا م، وقد زاروا دوعن، وزاروا الشيخ سعيد، وحصل القبول، وبلسنهم عن الأرض وشر ا، وكلها زين إلى هود وسيحوت، واسفل حضرموت، وبلغوا سلامنا السلطان، وفيه البركة وبايتبارك، وخصوا إخواننا المكرمين، مستمداً علينا أخونا الأجل، المنصب ابن المناصب، ابن الشيخ أبوبكر بن سالم الجيد أبوبكر بن عمر الحامد بن الشيخ بوبكر بن سالم، وسلموا على الأخ محسن فضل، والشيخ سالم بن محمد، والرسايل بيننا، المكاتبة واجبة، والباقي ما هو بيننا، وخص أهم أهل البلد الحبايب والمشايخ، والجيران والحـلان ومن لدينا الأولاد عبدالرحمن بن حامد، وعلوي حسن، وصالح بن عبدالله، وبوبكر بن حسين والولد حامد، والولد علوي بن محمد، وهو توجه إلى المكلا أول أمس، وبوصوله إلى المكلا قال : إن تيسرت [١] زينة نظيفة سريعة ربما أتوجه إلى الحجاز للحج، والدعاء مبذول ومسؤول والـكـتـاب جامع للجميع، والدعاء مسؤول من الجميع، وقد جينا أحور في حياة الحبيب مهدي [٢]، نفعنا الله به الجميع، والدعاء وصية .

المستمد لدعائكم

مصطفى بن أحمد المحضار

لطف الله به

فاتحة القعدة الحرام ١٣٦٨ [٣]

١٣ـ الحَبِيب عَبْدُالرَّحمَنِ بنُ عُبَيْدِاللّه السّقاف [٤]

---

(١) يظهر أن في هذا الموضع سقطت « ساعية » أو « سفينة » .

(٢) الحبيب مهدي بن محسن الحامد، ستأتي ترجمته لاحقاً عند ذكر مسجده بأحور.

(٣) توفي الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار صباح الأربعاء ٨ رجب سنة ١٣٧٤ .

(٤) انظر الصورة في الملحق ص٢ .

الفقيه المبدع، والشاعر المصقع، والعلامة المتبحر الذي شهد له الجميع بالتمكن في علوم شتى حتى قيل عنه : « إنه كان حجة عصره، وبليغ زمانه، وفقيه أوانه » .

ولد بقرية « علم بدر »[1] في ٢٧ رجب ١٢٩٩، وتلقى علومه عن الإمام الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، وانتفع به وببركته ودعائه، وقد ظهرت عبقريته وهو حدث، وكانت له مدائح عظيمةٌ في الحضرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام مثبتةٌ في « ديوانه »، وكان ذا اهتمام عظيم بإصلاح وادي الأحقاف، والقضاء على مظاهر البؤس والإجحاف، وله أشياخ عديدون من الوادي المبارك ومن خارجه، ولهم على معارفه وعلومه وفهومه ونبوغه أثر وأي أثرٍ.

كان اتصال سيدي الوالد رحمه الله تعالى بهذا الحبيب العلامة في سيئون مراتٍ عديدة، وخاصة خلال زيارة سيدي لمدينة سيئون بين الحين والآخر مع والده أو بذاته، ومما يذكره سيدي رحمه الله تعالى أنه في رحلته الأخيرة من حضرموت التي استقر خلالها ببلاد العوالق السفلى عبر في طريقه عام ١٣٦٢ على مدينة سيئون وزار الحبيب عبدالرحمن بن عبيد الله، وقد وجدت مكتوباً بقلمه في مقدمة ديوانه ما صورته :

« وأخذت عن سيدي عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف، وهكذا كل من وجدنا في طريقنا من السلف الصالح » .

وكان له بهذا الحبيب أيضاً اتصال آخر في رحلة العودة الأولى من بلاد العوالق السفلى إلى حضرموت بعد وفاة والده الجد أبي بكر بن علوي المشهور بأعوام، حيث كان يصحبه أخوه محمد الغزالي وتلميذه عبدالله صالح السهل، وقد ذكر لي تلميذه

---

(١) علم بدر إحدى ضواحي سيئون الغربية على طريق القرن .

المذكور أ ما دخلا مدينة سيئون صباحاً، واتجه م سيدي الوالد تواً إلى منـزل الحبيب عبدالرحمن بن عبيدالله، وما أن طرق سيدي بابه حتى أطل من نافذته فرأى الركب، ومعهم مركو م القوي، فرحب م وقال لسيدي الوالد : « يا علي مشهور، اطرح الحمار، الحمار ما هو لك بعد الآن »، فقال له سيدي الوالد: « عادنا يا حبيب عند الباب ما دخلنا »، فرد عليه مباسطاً : « المركوب لنا، وعلينا نأخذك إلى تريم بالسيارة »، وأخذ يردد لقب أهل تريم : « خيلة خيلتين »، ونـزل يستقبلهما، فدخل وفرح ما، وتم الانبساط التام، والكلام المفيد عن الأسلاف، وأخبار الأجداد الظراف، حتى حان وقت الرحلة، إلى مستقر النـزلة تريم، بعد صلاة العصر، فجيء بالسيارة، وتم بيع المركوب على الحبيب كما طلب ورغب، وسافر سيدي الوالد ومن معه إلى تريم، بعد أن ودع شيخه الكريم.

ومما يجدر ذكره أن الحبيب عبدالرحمن بن عبيد الله شخصيةٌ فذةٌ ونادرةٌ، وله من الذكاء المفرط والنباهة إلى جانب العلم ما يميزه عن أهل عصره، بل قال عنه بعض واصفيه : ما انفرجت أنثى عن مثله في عصره .

بلغ رتبة الإفتاء وكان قضاة عصره يهابونه ويقفون عند فتاويه، قال عنه صاحب « التلخيص الشافي » : يأتي بالعجب العجاب، مما لم يسطر في كتاب، ولم يحفظ في جراب، وقد كان إمام المتفننين في القطر الحضرمي » .

له مؤلفات نافعةٌ منها حاشيةُ تحقيقٍ وبحث على كتاب القضاء من « تحفة المحتاج بشرح المنهاج » لابن حجر سماها « صوب الركام في قضايا الأحكام » في مجلدين ضخمين، ومعجم تاريخي وجغرافي لحضرموت سماه « بضائع التابوت في شذرات من

تاريخ حضرموت » في ثلاثة مجلدات، وآخر مختصر منه « إدام القوت في معجم بلدان حضرموت »، و« العود الهندي » في النقد الأدبي، ورسائل أخرى أوصلها بعضهم رسائله إلى أربعين رسالةً، وقد طبع منها الكثير كـ« السيف الحاد في الرد على أهل الإلحاد » و« صوب الركام » .

له رحلات مفيدةٌ إلى كثيرٍ من بلاد العالم انتزع فيها الإعجاب من كبار الزعماء والعلماء ومنهم إمام اليمن أحمد حميد الدين، وجرت بينه وبين والي الأتراك في لحج سعيد باشا مكاتبات قيمةٌ .

وله امتلاءٌ كاملٌ بشيخه الإمام الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، وعليه تدور أعلى أسانيده في رواية الحديث، وقد ذكرها في أبياته المشهورة التي نظم ا أعلى الأسانيد (١) :

نروي الحَدِيثَ عن إمامِنا الأبر شيخ الشيوخ عيدروسٍ بنِ عمر

وقد توفي الـحـبـيـب عبدالرحمن بن عبيد اللّه في ربيع الثاني سنة ١٣٧٥ ودفن في سيئون، رحمه اللّه رحمة الأبرار، وجمعنا وإياه في جنات تجري من تحتها الأ ار .

١٤ـ الحَبِيبُ محُمَّدُ بنُ هادي السَّقّافُ(٢)

---

(١) وستأتي في باب الإجازات .

(٢) انظر الصورة في الملحق ص٢ .

العلَم النبراس الذي استضاء به أهل عصرِه، واستفاد من قوله وفعِله أهلُ مِصرِه، في وِردِهِ وصدرِهِ، إذ كان لهم راعياً ومؤدباً وأباً وشيخاً ومعلماً، ترجم له صاحب كتاب « تاريخ الشعراء » فقال : هو من الأئمة الذين لهم الأثر الواسع في نشر العلوم والمعارف، ومن الشيوخ الذين لهم النفع العام هدياً وإرشاداً، ولد بمدينة سيئون سنة ١٢٩١ من الهجرة وتربى على يد والده، إذ لا تكاد تفتر عنه مراقبته مع الاهتمام بنشأته وتربيته، وفي السنة السادسة من عمره ابتدره والده بحفظ آيات من كتاب اللّه تعالى كتمهيدٍ لأساسٍ متينٍ يشاد عليه كل معلومٍ علمي أو ديني أو صوفي، كما أن والده قبض على زمامه بيديه ولم يفلته للأقران والأخلاط والأغيار، حتى كان وقته موزعاً في قوالب الحفظ والتلقي والمطالعة من غير انقطاع، ثم ذهب به والده إلى عدد من المشايخ ليتتلمذ على أيديهم، ويتبحر عليهم، مثل العلامة السيد عبداللّه بن محسن بن علوي بن سقاف السقاف، والعلامة السيد علوي بن عبدالرحمن بن سقاف السقاف، والسيد الإمام العلامة السيد جعفر بن عبدالرحمن بن علي السقاف، والسيد العلامة أحمد بن عبدالرحمن بن علي السقاف، والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي الذي يعد شيخ فتحِه .

اتصل سيدي الوالد ـذا الحبيب اتصالاً وثيقاً، وأحبه محبةً قويةً، وكانت جذور هذا الارتباط قديمةً جداً يرجع تاريخها إلى ما قبل انتقال سيدي الوالد إلى بلاد العوالق السفلى، وذلك خلال رحلاته مع والده في أكناف الوادي المبارك بغرض الدعوة إلى اللّه تعالى وزيارة العلماء والأولياء الذين يمتلئ ـم وادي حضرموت، وكذلك زاره سيدي الوالد وأخذ عنه عند سفره من حضرموت بعد وفاة زوجته الثانية من بنات الحبيب محمد بن حسن عيديد، حيث ذكر أنه خرج من تريم في شهر رجب من عام

١٣٦٢ وعبر إلى سيئون، واتجه إلى منـزل الحبيب محمد بن هادي السقاف وأخذ عنه الإجازة والإلباس وكتب له وصيةً خطيةً نثبتها في موقعها عند ذكر الإجازات والوصايا، كما تكررت بعد ذلك زيارات سيدي الوالد لشيخه المذكور مع كل رحلةٍ يزور فيها حضرموت من كل عام، وكان لنا من تلك النفحات العنبرية والعطايا العلوية نصيب إذ زرناه مع سيدي الوالد في رحلتنا إلى تريم عام ١٣٨٥ تقريباً، فألبسنا وألقمنا وأجازنا ودعا لنا بدعوات مباركات نرجو من الله قبولها، وقد توفي هذا الحبيب في شهر رجب من عام ١٣٨٢، وأرخ بعضهم تاريخ وفاته : « محمد بن هادي، مولاه عنه راضي »[1] .

١٥ـ الحَبِيبُ أحمَـدُ بنُ عَبْدِالرَّحمَنِ بنِ عَلِيّ السَّقّافُ[2]

إمام من أئمةِ التصوف والطريق، وشيخ من شيوخ المهيع على التحقيق، كان الحبيب علوي بن عبدالله بن شهابٍ الدين يقول فيه : « والله ما في الأكوان مثل أحمد بن عبدالرحمن »، آيةٌ من آيات الله في سلوك الطريق المستقيم، ومرجع في عويص المسائل والعلوم، ترجم له في « تاج الأعراس »[3] بما مثاله :

(١) للحبيب محمد بن هادي بعض المصنفات والرسائل منها « الثمار اليانعة » في علـم النحـو، وصلوات على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، و« رحلته » إلى الحجاز ومصـر وبـلاد الشام، وقد كتب السيد محمد بن سالم مساوى ترجمةً حافلةً له قُرئ مها شذرات في مـدرس الصباح بمنـزل الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف بجدة المحروسة .

(٢) انظر الصورة في الملحق ص١٠ .

(٣) تاج الأعراس (٢: ١٩٢-٢٠٢)، وقد نقلت مختصرةً، وبتصرفٍ يناسب الغرض المقصود من جمعنا المتواضع .

الحبيب منور البصيرة، العلامة الداعي إلى اللّه على بصيرة، والحريص على نشر السيرة، وليد سيئونَ وخِرِيجها ودِفينها، ميلاده في التاسع عشر من شهر شعبان، سنة ١٢٧٨ ، و ا التربع في فسيح الحياة، والترقي في درجا ا من واحدة إلى أخرى وعواطف والده عليه زائدة على إخوانه فوق عناية جده لأمه، الشيخ محمد بن عبداللّه بارجاء .

أدار والده دفة حياته إلى بحور العلوم والعرفان، من طريق الجسر القرآني الذي مر به متخطياً في وجيز الزمان، حيث كان الافتتاح العلمي والصوفي على أبيه في «الرسالة الجامعة» و « سفينة النجاة » و « بـداية الـهـداية » وحفظ « صفوة الزبد » و«ملحة الإعراب»، و«باكورة الوليد في التجويد»، حتى إذا أكمل حفظ هذه المنظومات على والده كانت مواهبه قد انفتحت على مصراعيها، فدفعه إلى التتلمذ على العلماء الأئمة، أمـثـال الحـبـيـب علي بن محمد بن حسين الحبشي، والعلامة السيد عبدالقادر بن حسن بن عمر بن سقاف بن محمد بن عمر السقاف، والعلامة السيد محمد بن علي بن علوي بن عبداللّه الـسـقاف، والعلامة الـسـيـد صافي بن شيخ بن طه السقاف، والعلامة السيد محمد بن عبدالقادر بن حـسـن بن عمر بن سقاف السقاف، والعلامتان السيدان عبداللّه وعبيد اللّه أبناء السيد محسن بن علوي السقاف، والعلامة السيد علوي بن عبدالرحمن بن علوي بن سقاف السقاف، والإمام العلامة السيد عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور وكثير من شيوخ وعلماء حضرموت الذين يضيق ا ال عن حصرهم .

وقد ذكر صاحب « تاج الأعراس » أن الحبيب أحمد بن عبدالرحمن المذكور تفرغ بعد وفاة والده لملازمة شيخه الحبيب العلامة علي بن محمد الحبشي تفرغا كليا،

فكان في معيته ليلاً و اراً قارئا فيما لا عدد له من الكتب والعلوم العمر كله، وورد أنه رحمه اللّه تعالى كان بعد ظهور شيخه في مقام الإمامة العامة يجلس بمسجد الرياض مجلس شيخه كخليفة له في درسه الفقهي الصباحي، ويمتد الانشغال با الس والمدارس من صلاة الصبح حتى وقت الضحى، ثم يعود قبل الظهر إلى مسجد الرياض للصلاة خلف شيخه، وهكذا كان دأبه، لا تفوته مجالسه الـخـاصـة ولا العامة ولا المسائية من كل ليلة بمنـزله أو عند أحد من تـلامـيـذه، وهكذا كان دأبه دون كـلـل ولا مـلـل، حـتـى وفـاة شـيـخـه رحمه اللّه تعالى في ٢٠ من شـهـر ربـيـع الـثـانـي ١٣٣٣ [١].

ويؤيد هذا القول ما ذكره شيخنا وحبيبنا وقدوتنا في عصرنا نجله المبارك الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف في معرض حديثه عن الشيوخ وعمارة أوقا م في يوم الأحد ١٣ من ذي القعدة ١٤٠٣ حيث قال : الذين عرفناهم من الشيوخ ما تمر عليهم فترة من الفترات بدون فائدة، أذكر منهم والدي رحمه اللّه، كان يرجع من المسجد بعد صلاة العشاء ويقوم لصلاة خاصة طويلة [٢]، وعندما ينتهي يقدم له العشاء، والعشاء قليل من خبز الذرة، وبعدها قراءة راتب الحداد، ثم راتب الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، وبعدها يلزمني [٣] بالجلوس للدروس الفقهية، ومطالعتها والبقية ينامون، وفي آخر الليل يكون قاعد وسراجه مرشون [٤] يذكر اللّه،

(١) عن « تـاج الأعـراس »، (٢: ١٩٢-٢٠١)، و « تاريخ الشعراء » (٥: ٥٢ - 55) .

(٢) أحسبها الأربع الركعات التي كان يواظب عليها الحبيب عبداللّه بن علـوي الحـداد و الـتي وردت في الطريقة السهلة .

(٣) الكلام للحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف .

(٤) مرشون، أي : موقّد ومشعل .

وصلاة طويلة ثم تنبيه للنائمين ثم خروج إلى المسجد مع نصف الوقت، فإذا فتح الباب ورآه المعلم أقام الصلاة للمسجد، وبعدها درس في الحديث، كان يقرأ عليه من « الجامع الصغير »، وبعدها قراءة عليه في « موطأ الإمام مالك » وكان القارئ عمر بن سالم السقاف، وبعدها قراءة عليه في « تفسير البيضاوي »، و «تفسير الجلالين»، ثم رجعوا إلى الحديث، ثم في آخر وقته قراءة عليه في « الإحياء للإمام الغزالي »، ثم قبل الإشراق بعشر دقائق يوقف الدرس ويقرؤون ورد الإمام الحداد، يشلونه في المسجد بصوت واحد، وبعد طلوع الشمس يقوم للركوع ركعتي الإشراق والاستخارة وركعتي قضاء الحاجة، ثم يرجع إلى الدار ويقوم بصلاة خاصة به، وأنا أقرأ جزء من القرآن، وينتهي الجزء مع انتهاء صلاته، وتأتي الوالدة تقدم لنا الفطور كسرة من العيش ما يشبع حد قط، وقهوة ما تعرف إ ا بسكر أو بلا سكر، ترتيب دنيوي، مع انه يقدر يقيم هذه الأشياء، لأن له جاه، لكن ترتيبه ما يتغير قط، وبعد انتهاء الإفطار مباشرة نقرأ في أربعة كتب :

ـ القرآن وتفسيره لكل يوم مقرا .
ـ الحديث، وفيه قراءة طويلة من كتب الأمهات .
ـ سير القوم .
ـ والأخلاق .

وكان يميل إلى كتاب « زاد المعاد » لابن القيم، قرأته مرتين أو أكثر، ويميل إلى «حديقة الشيخ بحرق»، وقد قرأ ا عليه مرات، وبعدها جزءين وربع أقص إليه فيها[1]، وينبهنا للتدقيق في المتابعة، ولكنه يمر عليه كالماء ما يغلط، ثم يخرج إلى

---

(١) معناها أتابع قراءته، مِن : قَص الأثر إذا تابعه .

المدرس وهو شيخ المدارس، وهو أول من يحضر لبركة الوقت، وا لمس ما يتجاوز ساعة وربع إلى ساعة ونصف إذا طال تذكيره أو كلامه أو كثرة قراء أو ضيوف .

ثم نرجع إلى البيت أو بيت أحد المحبين، ونبدأ قراءة في كتب الحديث والسير والأخلاق والشمائل، إلى ما قبل الظهر بربع ساعة، يتأهب للقيلولة، وما تتجاوز عشر دقائق، وبعدها نرجع إلى قراءة القرآن مدارسة نحن وإياه، والساعة السابعة والنصف (عربي)، تراه منتصبا في الـصـلاة، يصلي قبلية الظهر صلاة طويلة، ثم نخرج إلى المسجد، فإذا رآه الـمعلم يقيم بـالـصـلاة، وبعد الصلاة وأذكارها قراءة شيء من كتب الغزالي، ونحن في الصفوف خمس دقائق، وتكاد كتب الغزالي كلها طويناها وكتب الحداد في مثل هذا الوقت، ثم الركوع وبعده قراءة جزءين وربع من القرآن، تجي هي والعصر سواء، ثم بعد صلاة العصر قراءة في شيء من كتب الغزالي والشعراني وغيرها من الرقائق إلى قبل المغرب بساعة، نخرج إلى الروحة العامة في مسجد طه [1]، ويأتي إليه الكثير من الناس، وكل من جاء عنده أخذ بخاطره بكلمتين، ويقول له : باتحضر الدرس أو باتكلمنا في حاجتك، فإذا قال : بحضر الدرس، يقول لي : اقرأ، وإذا قال : باكلمك، يقول لي تنحوا قليل ، خلوه يكلمنا كلمتين خفيفتين، ويعطيه الجواب عليها، وانتهى الأمر واستمر الدرس .

وبعدها تقام صلاة المغرب، ويصلي بالناس ثم يرجع لصلاة الأوابين، ويجلس في سارية قريب الحزب العام، إذا جاه المقرا قرأ ما أذن اللّه له، ونحن نكون في المطالعة الفقهية مع أهل المطالعة إلى العشاء، وهكذا العمل كله حتى لقي اللّه تعالى ما فاته شيء قط من هذا أبداً . انتهى من كلام الحبيب عبدالقادر [2] .

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص١٥ .

(٢) عن شريط المدرس ليوم الأحد ١٣ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ بعد القراءة عليه في بعض كتب السلف عن ترتيب الوقت، وذكر حديث: «نِعمتان مغبونٌ فيهما كَثِيرٌ مِن الناس.. » إلخ .

وكانت علاقة سيدي الوالد رحمه الله بشيخه المذكور علاقةً ذات مدلولٍ سلفي علوي، إذ قرأ عليه طرفاً من مقدمة « القطر » في علم النحو، كما تكرر له الإلباس والإجازة والإلقام، وصالح الدعوات خلال زيارات سيدي الوالد إلى مدينة سيئون منفرداً أو مع والده أبي بكر بن علوي المشهور، رحمهم الله رحمة الأبرار .

١٦ـ الحَبِيبُ عبدُالقادِرِ بنِ أحمدَ السَّقاف[1]

نجلُ الحبيبِ المتقدمِ ذكره ووارثُ فيضِه وسره، خليفةُ الأسلاف في عصرنا بالإجماع، الذي انعقدت له الأَلْـوِيَـةُ دون نِـزاع، باعثُ سلوكِ السلف في الحط والترحال، وداعيةُ الخلف إلى سير الفحول من أهل الكمال، حبيبنا وبركتنا وشيخنا وعمدتنا الذي نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يمد له في العمر ويمتع به في خيرات ومسرات، ويدرجنا في خدام أعتابه، والآخذين بركابه، في الحياة الدنيا ويوم الدين، مع الركب الناجي من حزب خير المرسلين، صلى الله عليه وآله وسلم .

ترجم له بعض مريديه ترجمةً مختصرةً حوى في طيا ا شيئاً يسيراً من حياة الحبيب أمتع الله بحياته، ولنا ترجمةٌ موسعةٌ للحبيب عبدالقادر في مجلدين كبيرين شملت كثيراً من جوانب حياته استملينا أكثرها منه واستفدنا بعضها من مجالسة أقرانه وتلامذته، وسميناها « جني القِطاف في شرحِ أحوال وحياةِ وفوائدِ الحبيب عبدِالقادرِ بنِ أحمد السقاف » وسيلحقها أيضاً جمع آخر لبعض كلامه الذي جمعناه من مجالس الدرس الصباحية الذي كان ينعقد بمنـزله بجدة، وسميناه « رشف السلاف مِن كلامِ وفوائدِ

(١) انظر الصورة في الملحق ص١٠ .

ودروس الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف »، ويتضمن عدداً من الإجازات التي أجاز ا تلاميذه وأهل عصره في هذه المرحلة [(١)] .

ولد الحبيب عبدالقادر بن أحمد بن عبدالرحمن السقاف بمدينة سيئون حضرموت في شهر جمادى الآخرة من عام ١٣٣١ من الهجرة، وتربى على يد والده الإمام العلامة الحبيب أحمد بن عبدالرحمن بن علي بن عمر السقاف علامة حضرموت وفقيهها وزعيمها الديني آنذاك .

كانت تربية الحبيب عبدالقادر تحت رعاية والده تربيةً علميةً وأخلاقيةً ودينيةً خالصة، وكان يقضي أوقاته تحت ملاحظة والده وتوجيهاته وإرشاده على طريقة السادة العلويين بحضرموت، أدخله والده في طفولته مبكرا لمعلامة الحبيب طه بن عمر بسيئون كعادة أسلافنا رحمهم الله ليبدأ أول خطواته التعليمية في هذه المعلامة القرآنية المباركة، حيث أخذ مبادئ القراءة فيها على يد الشيخ طه بن عبدالله باحميد، ثم التحق بمدرسة النهضة العلمية [(٢)] بسيئون، وكان منهاجها إذ ذاك منهاجا حافلا غنيا بعلوم العربية والدين، وقد حفظ القرآن ا، وأكمل مراحل تعليمه تحت سقفها، ثم اختير من قبل إدارة المدرسة مدرسا فيها ومشاركا في إدار ا ونظار ا نظرا لنبوغه وتفوقه في شتى ميادين المعرفة والعلوم القائمة آنذاك، وله أشياخ عـديـدون يضيق ا ال عن ذكر أسمائهم مجتمعين، وكان من أجلهم والده العلامة الحبيب أحمد بن عبدالرحمن، والعلامة السيد عبدالرحمن بن عبيد الله، والعلامة السيد علوي بن

---

(١) وكلاهما في طريقه للنشر .

(٢) كانت هذه المدرسة النظامية هي أول مدرسةٍ علميةٍ منهجيةٍ أسست بحضـرموت، وكـان تأسيسها عام ١٣٣٩ من الهجرة .

عبدالله، والعلامة السيد محمد بن هادي السقاف، وغيرهم من رجالات العلم بمدينة سيئون آنذاك، ومن أشياخه بمدينة تريم الغناء الحبيب عبدالله بن عيدروس العيدروس، وقد ذكر الحبيب عبدالقادر أن لهذا الحبيب فضلاً كبير في فتح قسم لتحفيظ القرآن بمدرسة النهضة، واختياره للحبيب عبدالقادر على رأس جماعة من الطلبة لفتح باكورة القسم الـخـاص بـكـتـاب الله تعالى، ومن أشياخه أيضا الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين، والحبيب جعفر بن أحمد العيدروس، والحبيب عبدالله بن عمر الشاطري [1]، وعدد من علماء تريم وسيئون، وغيرها من سائر الأطراف بالوادي الميمون، وقد كان الحبيب جعفر بن أحمد العيدروس يقدمه ويجله على سائر أقرانه، ويبشر بظهوره، ويشير إلى ما سيؤول إليه من مقامٍ رفيع، وفهمٍ وعلمٍ لَدني بدِيع، وقد حقق الله فيه كل ما وعد به الرجال الكُمل، وحصل المقصود المؤمل .

تصدر الحبيب عبدالقادر مجالس العلم والتدريس في مواقع شتى خلال إقامته بحضرموت، فكان يتولى التدريس بمسجد طه بن عمر الصافي إضافة إلى عدد من ا الس والدروس الخاصة والعامة، وكذلك الحال بعد انتقاله إلى الأراضي المقدسة، حيث كبرت دائرة الطلب حوله، واتسعت رقعة المستمدين من فيض مدده وعلمه الفياض، فهو يتصدر كل يوم جلسة الدرس بمنـزله الميمون، الذي تشنف فيها الأسماع بالعديد من كتب الحديث والتصوف والسير إضافة إلى المناقشات والمباحثات في غرائب المسائل وعويص اللغة والبيان والبديع، والتطرق إلى الأدب والحكمة الشعرية والنثرية، وحكايات السلف وأحوالهم، وعادا م وشريف أخبارهم، كما

---

(١) ومن أشياخه الحبيب عبدالباري بن شيخ بن عيدروس العيدروس .

يتصدر عددا من المجالس العلمية الأخرى الـتـي تقام في مدينة جدة على مدار الأسبوع يتنقل من مكان إلى مكان، ومن مجلس إلى مجلس لا يكل ولا يمل، وتراه أمتع الله به نجم الدعوة الوضاء في المجالس العامة التي تعقد في مناسبات العام والموالد الشريفة التي يحتفل فيها ببروز خير الأنام، يحيي الجدوب القلبية بفيض اللسان القرآنية المباركة، ويسقي الدروب النفسية بحسن المواعظ المؤثرة، مستشهدا بالقرآن والحديث والخبر والأثر وحكايات القوم، ومصورا واقع الأمة الأليم، ومداويا للجراح النازفة في هيكل الآداب والأخلاق، وهذا شأنه وحاله في كل بقاع الأرض المقدسة، سواء بأم القرى أو في طيبة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، أو في مدينة الطائف وغيرها من البلاد التي تستضيفه وتستجلبه لسماع اللسان المحمدية الفياضة، ويكتمل أمر التصدر في شهر رمضان من كل عام حيث تعقد جلسة المساء في فناء منـزله الميمون بمدينة جدة، ويفد إليه الجماعات والعشرات يستلهمون الفيض ويستمدون الدعاء من ذي الطلعة البهية العلوية الحضرمية .

وقد ذكر أحد مريديه في ترجمةٍ مختصرةٍ للحبيب أنه كان على جانبٍ كبيرٍ من التعلق منذ الصبا بالأدب والشعر والحكمة، وحافظاً نادراً ومستوعباً لما يقرأ ويسمع ويلاحظ دون مقارنةٍ بأحد، وله قصائد شعريةٌ جمةٌ كلها تنم عن مقدار التضلع لدى صاحبها بعلوم الأدب والبيان والبديع والعروض، وسمو الذوق وعمق الوجدان، فقد كان والده ينظر إليه ويرعاه ويؤهله لخلافة السلوك والطريق القويم للسادة الأعلام، ولذلك لا يكاد يتركه ينفك عن القراءة عليه في كتب الحديث والسيرة والتصوف ساعاتٍ طويلةً دون كللٍ ولا مللٍ، وقد يطلب منه أن يحمل المصحف الكريم ليستمع لحفظه رغبة في أن يعوده على الاهتمام بكتاب الله تعالى، وقد أخبر سيدي الحبيب عبدالقادر أن والده كان يسكت في بعض مواضع القراءة فيرد عليه وليراجع مكان

وقوفه ليس لغلطٍ أو نسيانٍ وإنما حرصاً منه للتأكد من متابعة ولده لقراءته السلسة القويمة .

ومما تجدر الإشارة إليه في مضمار الترجمة لشيخنا الأجل، القارن قوله بالعمل، محبته السارية في قلوب الناس، من كافة الأجناس والألوان، فترى في مجلسه أنواع الجنسيات المختلفة شكلا ولونا، المتحدة فكراً ومضموناً، وترى أيضا أصحاب الحاجات وأرباب القضايا والمشكلات والمصاعب يطلبون منه أن يبذل كلمته ووجاهته عند الوجهاء وأرباب الحل والعقد لحل ما يعترضهم من عقبات، ويكتنف حيا م من مشاكل ومهمات، فتراه أمتع الله به باذلاً نفسه ووقته وصحته خدمة للمؤمنين، وتسهيلا للطالبين من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أجمعين، وقد صدق فيه من قال :

فسيح على أعتابِهِ الكُل ينحني   غَنِي ومحتاج وأَهلُ السرائِر

وقد عـرفـنـاه وألفناه محسناً، وأباً مراعياً، ومؤدباً ملْهماً، ومثالاً في مكارم الأخلاق يحتذى ديه ومسلكه، وداعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة (١) .

اتصل سيدي الوالد ذا الحبيب في ربوع الوادي المبارك، وكان له ارتباط أقوى وأمتن في رحلته الأخيرة إلى دوعن وحضرموت عام ١٣٩٢، حيث كان سيدي الوالد ضمن الجماعة الذاهبة إلى وادي دوعن بغرض نشر الدعوة إلى الله تعالى في ٤

---

(١) ترجم لوالده ترجمةً موسعةً وضمنها إجازاته وأسانيده، ونظـم سلسـلة النسـب العلـوي الشريف، وله جمع لكلام الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي، وله ديوانٌ شـعري جمعـه أخيراً السيد طه بن حسن السقاف، ومن أهم ما كتبه وصاياه ومكاتباته لتلاميـذه وأقرانـه، وقد جمع بعضها في ترجمته المسماة بـ « جني القطاف » لكاتب الترجمة .

جمادى الثانية ١٣٩٢، وعبروا مدينة سيئون، وبعد زيارة ضريح الحبيب علي بن محمد الحبشي نـزلوا بمنـزل الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف، فرحب م وأمدهم بدعواته وتوجيهاته، وكان لسيدي الوالد في هذا اللقاء المبارك زيادةُ اتصالٍ والتحامٍ روحي بالحبيب، وازداد بينهما الارتباط وقَوِيت وشائج الصلات في سبيل خدمة دين رب البريات .

ثم أراد الباري جلت قدرته أن يجمع بينهما في مكان واحد ووطن واحد، حيث وصل سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى ووصل شيخه الحبيب عبدالقادر إلى الأراضي المقدسة في فترة متقاربة، فكان لهما في هذه البلاد لقاءات واجتماعات، وكان سـيـدي الوالد يحرص كعادته على زيارة أهل الفضل والولاية طمعاً في الاستمداد، ورغبةً في الوداد، وكأن القضاء والقدر كان يدفع بأسباب التصريف، إلى يئة أمر شريف، حيث وجدت نفسي بعد فترة من استقرار سيدي الوالد ذه البلاد منـزعجاً وراغباً في اللحوق بمكانه مندرجاً تحت سقف رحمته وبرهانه، وما إن وصلت حتى برزت ضرورة إعداد وتربية من يقوم بوصل الحبل المتصل إلى الأصل، بواسطة من له شرف المقام وبيده القول الفصل، حبيبنا وشيخنا عبدالقادر بن أحمد السقاف، فتكررت زيارة الفقير مع سيدي الوالد الس شيخ الدائرة وإمام العصر، وحصل الانجذاب، واتصل حبل الوصل بين الذهاب والإياب، ووجدت الرغبة جامحةً أن أجثُو بعيـبـي وتقصيري عند سيدي وشيخي مستمداً و مستفيداً، ورأيت برد كبد الأب الملتاع، وأحسست اطمئنان نفسه من الارتياع، حيث ضمن الرعاية عند صاحب الراية، وشيخ الولاية، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ولذلك كنت أرى سيدي الوالد كثيراً ما يستشير شيخه في شتى الأمور، بل كان يستحث الفقير على استشارة الحبيب في ما يستجد من الشؤون، فمنها على سبيل المثال لا الحصر استشارته في أمر السفر إلى الجامع الأزهر بمصر للاستزادة من تعلم العلوم الشرعية عندما عرضت منحةٌ خاصةٌ بواسطة بعض علماء حضرموت المقيمين بجدة، وقد كان رأي الوالد رحمه اللّه تعالى متوقفاً على ما ينشرح به خاطر الحبيب عبدالقادر، وكأن الأمر غدا تسليماً مسبقاً من سيدي الوالد لربط أموري بشيخي الذي سيكون له الأمر في الحركة والسكون من قبل ومن بعد، فلما استشرت الحبيب في ذلك الشأن طلب تأخير الأمر حتى عودة سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى من رحلة العلاج إلى بريطانيا، وشممت من قوله ورأيت في محياه عدم الرغبة في السفر إلى مصر، وتقوى ذلك الخاطر في ذاتي حتى عدلت عن السفر، وكان ذلك في علم اللّه قدراً مقدوراً .

كما أمرني سيدي الوالد أن أستشير الحبيب في شأن العمل بعد أن ارتبطت بإمامة مسجد الشرفية بجدة، وبمجالس الحبيب ودروسه العامة منذ شهر رجب من عام ١٤٠١ من الهجرة، ولكني لم أتجاسر على بث ذلك في حضرته، وتقيد اللسان، عن الإفصاح بخواطر الجَنان، حتى وجدت نفسي راغباً طوعاً ورضى عن الانشغال بفكرة العمل، منكباً على قراءتي ودروسي المتعددة عند سيدي الوالد وفي مجلس سيدي الحبيب عبدالقادر أمتع اللّه بحياته .

كما دفعني سيدي الوالد أن أستشير الحبيب في أمر الزواج بمن تكون من أهل الدين والصلاح، فأسر الحبيب أمر ذلك في نفسه حتى نضجت الشروط و يأت الأسباب وإذا بشيخ الجماعة وأب التربية المحبوب يفاتح مريده المستمد في ليلة من الليالي بالأمر ويشير عليه بالزوجة التي تصلح له في العون على أمر الدين والدنيا، وتم

الأمر على تلك النية المباركة، وشاءت الأقدار السماوية أن تترافق مواكب الآخرة مع موكب اطمئنان الفقير بتمام دينه وكمال نقصه، حيث كان سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى ممدداً على فراش الموت خـلال شـهـر شعبان من عام ١٤٠٢ وهو يستحثنا بإصرار على إكمال إجراءات الزواج المحاط بأغرب الأحوال والأمور وبـإتـمـام موعد الزفاف كما يليق وينبغي، وكان الحبيب البركة المكاشف شيخنا عبدالقادر بن أحمد السقاف يرعى ذلك الارتباط ويستحث أهل الزوجة في الإسراع وكأن القلوب منهم كانت تشعر بالخطر القادم بانتهاء الأجل لسيدي الوالد رحمة اللّه عليه .

فتمت إجراءات الزواج الميمون في صمت وهدوء، وحضر الحبيب عبدالقادر بن أحمد حفل الزواج، والمولد الذي أقامه أهل العروس برعاية أبيها السيد الفاضل عبداللّه بن حامد البار، وأنشدت في ذلك اليوم النشائد ورتبت الفواتح وابتهلتِ الأكُف في ذلك اليوم بالشفاء لسيدي الوالد والدعاء له بالعافية .

وكأن العافية كانت في الانتقال إلى الموارد الصافية، في جنة عالية، قطوفها دانية، إذ فاضت روح سيدي الوالد بعد يوم الزفاف بثلاثة أيام، بعد أن اطمأن على استكمال شروط الاستخلاف، وبعد أن بارك لابنه الأعزب ما يوفر عليه البحث والتطواف، وبعد أن أسلم السفينة بركا ا إلى الربان الحكيم، والشيخ الكريم، الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف .

و لسيدي الوالد في شيخه الحبيب عدد من القصائد الشعرية، نقتبس منها قصيدة قيلت بعد عودة الحبيب من الخليج العربي في شعبان ١٤٠٢، وهو نفس الشهر الذي تمت فيه إجراءات الزواج للفقير،وفيه توفي سيدي الوالد رحمة اللّه عليه، وكانت هذه واحدة من آخر قصيدتين نظمهما سيدي الوالد قبل حلول الأجل المحتوم :

على الطائرِ الميمونِ يا خيـــر قادِمٍ　　　وأهــلاً وسهلاً بالعلا والمكـــارِمِ
هــو السيد المفضالُ مِن آل هاشمٍ　　　حبيب لقد حاز الــثــنا في العوالِمِ
حبيــب ومحبوب ابن أحمد شيخنا　　　له الفضلُ في الدنيا على كل عالِمِ
حوى العلم والتقوى وسِر سلالةٍ　　　حباها إله الخلقِ كل المكارِمِ
فأهلاً وسهلاً غِــبـــت عــنـــا　　　وصِرنا حيارى بعدكم كالبهائمِ
فيا ســيدي طِــبــتــم وطــاب　　　إلى جدةَ الخيراتِ أرضِ المَغانِمِ
ومكةَ أرضِ النورِ فاقت على الورى　　　بحج لبيتِ اللّه أمنِ ابنِ آدمِ
وطيبةَ مثوى اليمنِ والبِر والهُدى　　　وبلدةِ خيرِ الخلقِ مجلى السخائِمِ
عليهِ صلاةُ اللّه دأباً وسرمداً　　　مع الآلِ والأصحابِ أهلِ النعائِمِ
وسلم تسليماً كــثــيراً مباركاً　　　وما غَرد القُمري بسجعِ الحمائمِ

وقد كان لسيدي الوالد مع شيخه الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف جلسات ولقاءات متعددة تم فيها الإلقام والإجازة في بعض الصلوات والأوراد، منها إجازة في عام ١٤٠٠ في صيغة الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم المشهورة : « اللّهم صل على سيدِنا محمدٍ مفتاحِ بابِ رحمةِ اللّه، عدد ما في علم اللّه، صلاةً وسلاماً دائمين بدوام ملك اللّه، وعلى آله وصحبه وسلم » .

وتكررت زيارة الحبيب المذكور إلى منــزل سيدي الوالد مرات عديدة، منها زيارته للمشاركة في حفل ختم « صحيح الإمام مسلم » في غرة شعبان من عام ١٤٠١، وألقى كلمة عظيمة في تلك المناسبة الشريفة بعد الاستماع إلى بعض القصائد الشعرية، منها قصيدة للسيد حسن بن سقاف الكاف، قال في مطلعها :

لم تحـتـجـب عنا ولم تنسانا		بل بالبشاشةِ دائماً تلقانا
وحديثُها عذْب لخاطِبِ ودها		هي لم تجافي في الهوى إنسانا

وقصيدة الفقير إلى اللّه أبي بكر بن علي المشهور، والتي جاء في مطلعها :
تـزيـنـتِ الدنيا وأفْضت		ومن كريم الجودِ بالمطلبِ الوافي
ومازجتِ الأنفاس أنفاح مسلمٍ		فبورِكْت من أطيابِ موردِنا الصافي

ثم رتب الحبيب فاتحة عظيمة فخيمة، شمل فيها الأدنى والأعلى والأبعد والأقرب، ونثبتها إتماماً لصورة الارتباط القائم بين الدائرتين العلويتين على طريق الإمداد والاستمداد :

« الفاتحة أن اللّه يكرم أهل الكرامة ويجمل الأحوال، ويبارك في الأولاد، ويبارك في الأوقات، ويبارك في الأموال ويبارك في المساعي، ويبارك لكم في العلم، وفي حديث الحبيب صلى اللّه عليه وآله وسلم، وفي القرآن، وفي الصلاة، وفي القيام ا، ويبارك في كل ما خولكم من نعمة، ويجعلها ذريعة إن شاء اللّه في الدخول على الحبيب الأعظم صلى اللّه عليه وسلم، وللوصول إلى ذلك السلم، وللانتهاج والابتهاج مع الحبيب صلى اللّه عليه وسلم، أسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يوصلنا مثل ما أوصل أهلنا، ويجمعنا كما جمع أهلنا، ويعلقنا كما علق أهلنا، ويفتح لنا كما فتح لأهلنا، ويجعل القلوب مثابة إن شاء اللّه وأمن للترقي والتلقي كما جعل قلوب أهلنا في خيرات ومسرات، ويجعل الاجتماعات ناجحة ومفيدة، وكلها له وفيه ومنه، ويحضر فيها روحانية الحبيب وروحانية أهلنا، ويرضيهم ويرضى عنهم، ويبلغهم من أخبارنا مايسرهم، ولا يحملهم من أوزارنا ما ينوءهم، ويجعلنا إخوان

صدق مع أهل الصدق، وحق مع أهل الحق، ويربطنا بمن ربطنا به من آبائنا الكمل، ولا يخلفنا عنهم، ولا يعرج بنا على سبيل فاني، ولا على مسلك ولا على دنيا، ولا على لهو ولا على غفلة، ولا على شيء من الآفات، يجعل الطريق مع أهل الطريق، والسلوك مع أهل السلوك، والقدم بالقدم والسير بالسير، حتى م نلحق في جميع الأمور ظاهرها وباطنها ونسأله أن يبارك لنا في الوقت بركة تجمعنا بما نحب وبفوق ما نحب وبغاية ما أعطاه الكامل من هذه الأمة ممن أعطاه اللّه الكمال، وسيره في طريق الكمال، حتى يجعل الساعة كسبعين ساعة، واليوم كسبعين يوم، والسنة كسبعين سنة، ويبارك لنا فيها، ويجعلها إن شاء اللّه مفاتيح من مفاتيح الغيب يلهمنا فيها ما ألهمه من أعطاه علم الغيب، ويفتح لنا باب إن شاء اللّه نحفظ به من العيب، ونكون به من المقربين، مع من قربه من كل قريب، يا قريب يا مجيب، قربنا من أهل التقريب، واسلك بنا مع الحبيب، كما سلكت آبائنا وأعطيتهم خير نصيب، أعطنا ذلك بمحض الفضل ومحض الجود، ومحض المن ومحض الكرم، ومن جمعتنا به أقدارك من إخواننا هؤلاء، وغيرهم ممن صدقوا في التعلق أو ممن لم يصدقوا في التعلق مع أهلهم، أسأل اللّه أن يلحقنا وإياكم وإياهم بذلك الجيل، ويجعلنا ممن وصل مع ذلك الرعيل، ولا يخلفنا عنهم في فعل ولا في قيل، ظاهرا وباطنا، ويربطنا ربطا لا انفصام فيه ولا انفصال عنه ؤلاء الرجال، في خيرات ومسرات وإلى حضرة النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم » .

ثم أجاز الحاضرين في قراءة « صحيح الإمام مسلم » وغيره من كتب الأمهات، وهذا نص الإجازة :

« أجزتكم في قراءة « صحيح الإمام مسلم » و« الأمهات الست » وغيرها من المسانيد مثلما أجازنا فيه شيوخنا، وفي كتب الـفـقـه والـحـديـث والتفسير والتصوف والسير والشمائل كلها لكم ولأولادكم، وأجزتكم أن تجيزوا ».

ومن هذه اللقاءات التي تمت بين سيدي الوالد والحبيب عبدالقادر جلسة حشيمة في ٢٩ من ذي الحجة ١٤٠١ لم يحضرها سوى سيدي الوالد والحبيب عبدالقادر والسيد محمد الغزالي العيدروس والفقير إلى اللّه أبوبكر المشهور، وقد كان لدى الفقير بعض الأبيات الشعرية المعدة لهذا المقام، وجاء في مطلعها :

عـا ج إلى العلياءِ نهج مثابِرِ واعكُف على أبوابِ عبدالقادرِ

وارمِ اختيارك في اختيارِه وانطَرِح إن شِئْت أنْ تحظى بنورٍ سافرِ

وبعد الفراغ من القصيدة دار حديث بين سيدي الوالد والحبيب عن المتعة الصالحة وطول العمر في طاعة اللّه، واستطرد إلى الحديث عن فتح البصيرة فقال :

بصيرة القلب إذا انفتح تشاهد وترقى وتلقى، قال عمكم عبداللّه بن عمر حامد وكان قائد لوالده لأنه كفيف البصر ـ وكان ملازمه وكان من الرجال الذين ملأ اللّه سرائرهم بعطاه ورضاه حتى الحبيب صلى اللّه عليه وآله وسلم يرى في صورته ـ قال:

إن والدي يحكي عن والده الحبيب عمر بن حامد قال : خرجت أنا والحبيب علي وأخذت أعرج، والحبيب قدامي عيني تشوفه وأسعه قدم بقدم حتى وصلت إلى مقام الإمام الحداد، فلما وصلت إلى مقام الإمام الحداد معاد شفت الحبيب .

وعمك عمر يقول : إنه أدب مع شيخه، وإلا فهو يرقى، وهو كذلك، الحبيب عمر بن حامد إمام والشيوخ حقنا كلهم جعلوه بعد الحبيب علي، وهو يجلس في ا لمس محتبي، ما يزيد على التبسم، ولكنهم مجمعين الشيوخ على أفضليته وعلى ارتقائه في المراتب العلية .

وكان الحبيب عمر بن حامد هذا يخدم الحبيب علي في بيته، وتولى مفاتيحه، وتولى خدمته وأقامها، وكان يضيف الضيوف ولا حتى يمص أصابعه من الأكل في بيت الحبيب علي حتى يعود إلى منـزله، وللحبيب علي وصية له تدل على عظم شأنه .

ثم ذكر الحبيب قصة حوار جرى بين والده الحبيب أحمد بن عبدالرحمن وبين الحبيب علي بن محمد الحبشي فقال : والدي يحكي أن الحبيب علي قال له : أنت يا أحمد ما طلبت مني وصية كما الناس، قال : قلت له : أنا أحضر مجالسكم، ومجالسكم كلها وصايا، ولا أتجرأ أقول لكم، فقال له : شفها وصية كتبتها لعمر بن حامد، وفيها قلت : « ثم إنه قد كَثُر الطلبةُ علي من كثيرٍ من الإخوان الذين اتحدت م ذاتي صفةً ومعنى، وفرادى ومثنى، فلم ألْوِ إلى طلبِهم عناني، من غير أن يحصلَ بالإسعاف أمر رباني، حتى جاء الوقت لداعيه »، قال: ثم قال له : أنت واحد من كثير من الإخوان .[1]

ثم أنشد السيد محمد الغزالي العيدروس بالأبيات التي مطلعها :

انفتح باب مغلق بعد ما كان مردود　　　كل الأبواب فتحت ما بقي باب مردود

واسطته السلف والمصطفى خير محمود　　　الحبيبِ الذي به تم لي كل مقصود

ثم قال الحبيب عبدالقادر : هذه الأبيات للحبيب جعفر بن أحمد العيدروس، إمام عظيم ملآن بالسلف، وبالعيدروس وبالعدني، وبالشيوخ المتأخرين .

---

(١) انتهى عن شريط الجلسة المثبتة .

قال سيدي الوالد : نحن زرنا الحبيب جعفر مرة من المرات، فسمرنا معه إلى الفجر في ذكر السلف، فذكر الحبيب عبدالقادر قصة مشا ة عن محبة الحبيب جعفر العيدروس للسهر حتى الفجر حصلت مع جماعة من آل الجفري آل يشبم، والهدار صاحب البيضاء، وعدد من السادة، والشيخ عمر حداد، وما حصل للبعض من تعب وعدم قدرة على مقابلة الحبيب إلا السيد الفاضل عبدالله بن علوي الجفري [1]، فما تحرك عن مجلسه حتى الفجر .

ثم دار حديث شيق عن أحوال الحبيب جعفر ومقامه، ثم طلب سيدي الوالد من الحبيب ترتيب الفاتحة، فرتبها، وهذا نصها :

الفاتحة أن الله يجعلها أيام صفا وأيام أعياد وأيام إمداد وأيام خير وبركة تعود علينا وننال ا كل المقاصد، ونستشعر ا إن شاء الله في وقوفنا في عرفات وقوف الحبيب صلى الله عليه وسلم، ونكون معه حاضرين نسمع دعواته ونلبي مثل ما لبى، ونمشي حيثما مشى، ويهيئ الله لنا الزاد، ويهيئ المطلوب، ويهيئ لنا الله السعادة، وأسباب السعادة، وأبواب الخير كله، يجعله حج مشهود، فيه زحام الوفود، يحضره زين الوجود صلى الله عليه وسلم، ويحضره القاصد بمقصوده وذو الروح بروحه، وذو الخير بخيره، وذو البركة ببركته، وذو الإمداد بإمداده وذو الرعاية برعايته، ويكون لكل واحد نصيبه إن شاء الله، من جلس في بيته يناله نصيبه، ومن حضر يناله نصيبه، وينال إن شاء الله أهل بلدنا وسائر بلاد الإسلام منه نصيب، ويصلح الله ا البلاد، ويصلح ا العباد، ويحفظ الحرمين

---

(١) ترجمنا له في ترجمة برقم [٧٨] مع بقية شيوخ سيدي الوالد .

الشريفين، ويؤمنها زيادة على ما كان لـ هـ ـا من أمان، ويقيم فيها راية العدل وراية الخير، ويعطينا وإياكم العافية، ويجعلها تاج على الرؤوس، ويجعلنا راضين مرضيين، مقربين عند سيد المرسلين، محبوبين محفوفين، بالخيرات الحسية والمعنوية، نبلغ ا الأمنية، ونكون ا مقربين من أهلنا وسادتنا العلوية، ومن خير البرية صلى اللّه عليه وآله وسلم، ويجعل في بقية العمر مدة إن شاء اللّه فيها بلوغ الآمال، يكشف ا عن القلب الغطاء، وينكشف ا لنا إن شاء اللّه ما كان مخفي علينا من أسرار أهلنا ومن إمدادا م وما كان معهم من تعرفات إلهية ومن لطائف رحمانية ومن خيرات ومن بركات ومن إمدادت ومن فيوضات، ننال ا أعلى المراتب الحسية والمعنوية ظاهراً وباطناً في خير ولطف وعافية، وأن اللّه كما جمعنا وإياكم على ذكر السلف يجمعنا م ويرينا إياهم، ويرينا خيرا م ويرينا التعرف، ويجعل ما فيهم فينا، ويلطف بنا ظاهراً وباطناً، وإلى حضرة النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم .

١٧ـ الحَبِيـبُ جَعْفَرُ بنُ أحمَدَ العَيْدَرُوسِ(١)

هو السيد المفضال، كبير الحال، الملآن بحب الرجال، من السلف الأبطال، جمع اللّه فيه من الأسرار والأنوار، الشيء الكثير ووهبه من العطايا الجزال ما لا يقع تحت تقدير، عالي الهمة لا ينظر إلى الدنيا إلا بعين الحقارة، ولا يلتفت إلى الأسباب إلا بإشارة، ولد رحمه اللّه ونفعنا بعلومه وأسراره في ١٣٠٨ بمدينة بور من أعمال السلطنة الكثيرية سابقا، وكان محبوبا كل الحب لدى جدته لأبيه الحبابة عائشة من

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص٢ .

ذرية الحبيب علي بن عبدالله آل السقاف، وكانت من الصالحات، وتزوجت على الحبيب عبدالقادر بن سالم، وهو جد الحبيب جعفر لأبيه .

وقد ذكر لي سيدي الحبيب عبدالقادر كما أخبره الحبيب جعفر بذاته أن أمه لما حملت به كان الحبيب عبدالقادر بن سالم يقول : لو جاء لولدي أحمد ولد سأسميه سالم على اسم جدي، وكانت الحبابة عائشة تقول : إن جاء مولود ذكر فاسمه جعفر باسم جدها الحبيب جعفر بن أحمد بن علي بن عبدالله السقاف، ولما اختلفت على التسمية مع زوجها قال لها : إذا أظهرتي شي كرامة تستاهلين تسميته، فقالت: الكرامة باتظهر، بعد ولادته بايظهر له سن مبكر قبل وقته، فلما ولدت به أمه رجعوا للاختلاف على الاسم، فقالت لهم الحبابة عائشة : الاسم جعفر، وانتظروا سبعة أيام بايظهر الضرس، فقال لها زوجها الحبيب عبدالقادر بن سالم : إذا جا وقت التسمية وظهر الضرس بانذبح سبعة روس غنم، وباندعي الحبايب كلهم، فلما كان اليوم السابع رأوا الضرس ظاهر للعيان، فقال لها الحبيب عبدالقادر بن سالم : تستاهلين يا بنت جعفر، وأسمته جعفر، تربى الحبيب جعفر بواسطة جده لأبيه الحبيب عبدالقادر بن سالم، واعتنى به وأحبه حبا جما، وكان الحبيب عبدالقادر معروف بهمته وشجاعته وكرمه وعبادته وطاعته، فربى الحبيب جعفر تربية خاصة، واختار أن يجعله أميا لا يحسن القراءة ولا الكتابة، وكان لا يستطيع أحد أن يعترض في ذلك، حتى إن والده الحبيب أحمد بن عبدالقادر كان يغضب من هذه التربية الأمـيـة، فيقول له الحبيب عبدالقادر : خلّه أُمي، عادك باتشوفه بعد كيف يكون .

ولما كبر وبلغ مبلغ الزواج عزم جده أبوبكر بن سالم على السفر إلى جاوة، فعزم الحبيب جعفر على السفر معه إلى جاوة، وأذن له مربيه جده عبدالقادر بن سالم ولكن القضا والقدر كان أسبق، إذ عاجلت المنية الحبيب عبدالقادر بن سالم في تلك الآونة، فلما انقضى مدة لوازم العزاء وغيره تم الاستعداد للسفر إلى الشحر، فبلغوها بعد أسبوع من الرحلة فلما استقر م الأمر في الشحر جاء م رسائل من حضرموت يستفسرون عن صحتهم وعن سفرهم، وأخذ جده الحبيب أبوبكر بن سالم يقرأ الرسائل ويجوب عليها والحبيب جعفر أخذته حسرة لعدم معرفته بالقراءة والكتابة، فما كان منه إلا أن دخل ذلك اليوم إلى خلوة وبكى كثيراً كثيراً حتى أُلهم أ ا إنما هي أمر سهلٌ، فقام وأخذ القلم، وكتب ورقةً طويلةً وهو لا يعرف شيئاً غير بعض الحروف، وجاء إلى جده أبي بكر وقال له : شفنا كتبت هذه الورقة، فقال له : يا ولدي، متى تعلمت الكتابة ؟ أنت الا أمي، قال له : ذا الحين بكيت لربي فألهمني الكتابة، ففرح منه، وظهرت عليه آثار الدمعة، وقال : بارك اللّه فيك يا جعفر، هذا أول فتحك .

ثم سافر إلى جاوة، وكان الحبيب جعفر خلال باكورة حياته مولعا بالطرب وأشعار القبولة، وشعر باعطوة وآل باجري، فلما دخل إلى جاوة انشغل ذا اللّهو غالب وقته، وقدر اللّه أن الحبيب محمد بن أحمد المحضار يدخل إلى قريتهم (فروكارتا)، وأخذ الناس ينثالون عليه ويحضرون مجالسه والحبيب جعفر في ذلك السن كان يحضر بعض هذه الاجتماعات، ولما عزم الحبيب محمد المحضار على المسير من فروكارتا إلى جاكرتا جاء إليه الحبيب أبوبكر بن سالم وعزمه وقال له : ما يتأتى إنك تسير وتخلي العدارسة، فاستجاب الحبيب وقال له : غدوة معزومين عندك، فقال له الحبيب أبوبكر : وبعد غدوة عند جعفر بن أحمد، فوافق على ذلك، ثم

توالت عزومات آل العيدروس، فأرسل الحبيب محمد رسولاً إلى جاكرتا بعزمه على التأخر عند العدارسة أربعة أيام، وكان خلالها يحضر الحبيب جعفر إلى جموعه ومجالسه .

كما كان في ذات القرية « فروكارتا » يقيم الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي، فصادف في تلك الأيام أنه نـزل ضيفا على أحد جيران الحبيب جعفر، وكان الحبيب محمد بن عيدروس يميل إلى الطرب، فلما أصبح الصباح صلى الحبيب جعفر مع أصـحابـه، وحمل القنبوس بعد الفجر يغني مع آل باجري، وصادف أن الحبيب محمد بن عيدروس خرج من المسجد بعد الفجر، وسمع صوت الطرب، وقصائد آل باجري، فسأل عنهم وقال : من هم ا اذيب الذي يغنون بأشعار باعطوة وآل جري بعد الفجر ؟ فقالوا له : جعفر بن أحمد العيدروس، فأمرهم يدعوه، فلما جاء الحبيب جعفر كان في غاية الخجل والحيا من هيبة الحبيب والخوف من العتاب الحاد، فلما جاء إليه قال له : يا ولدي إذا تحب القنبوس لا باس ولكن شل من شعر العدني أو من شعر واحد من أهلك وسلفك، فرجع الحبيب جعفر وافتتح طربه بـ« ببسم اللّه مولانا ابتدينا »، ومن بعدها ارتبط بالحبيب محمد المحضار ارتباط كامل، وكان يلازم حضور مجالسه ويذهبون لأجلها إلى سـربـايـة حـيـث يقيم الحبيب، وأدخلهم الحبيب محمد المحضار على شيخ جاوة في ذلك الوقت الحبيب أحمد بن عبداللّه بن طالب العطاس، ومن خبره أنه كان حاد الطبع ما يتحمل المنكر، وقد يضرب بالحجر والعصا لكل من رآه مخالفاً للشرع، ولا تأخذه في اللّه لومة لائم، ولما عرف الحبيب جعفر أحبه حبا جما وقربه إليه وأدناه لما رأى من السعد والحظ الأوفر اللائح على الجبين الأزهر .

ومما يذكره سيدي الحبيب عبدالقادر : أنه سمع الحبيب جعفر بن أحمد العيدروس يقول : إن الفتح حصل له أولا بارتباطه بالحبيب محمد بن أحمد المحضار، ثم من الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب، وكان بعد الارتباط حريصاً كل الحرص عليهم والحضور معهم والسعي في خدمتهم حتى عزفت نفس الحبيب جعفر عن الطرب واللّهو وما إلى ذلك، وصفت النفس وفتح اللّه عليه في قول الشعر، فانثالت منه غرائب العبارات وعجيب الإشارات، مثل قوله في ١٩ ربيع الثاني من عام ١٣٤٨:

قال الفتى العيدروسي شرفونا أهل ودي واوفوا لنا بالعهود
يا اسيادنا تمم اللّه لي مرادي وقصدي نلته كبار القصود
ليلة شريفة ا طلقوا رصاني وقيدي قد حذفوا بالقيود
قاموا على الوعد في رشدي وتجديد سعدي حيا بوقت السعود
يا وقتنا الزين شف طالعك ظاهر ومبدي وكل نعمة و جود
مطلق مرخص معي رخصتي قدها بيدي ما حددوا لي حدود
في الشرق والغرب والبحرين بحري ونجدي وفي العلا والصعود
برقي بمنشا الرضا لايح وقد حن رعدي ما تسمعون الرعود
يا اهل العمى والحسد يا عذّلي واهل حسدي ما حد علي يسود
كل من رمانا بشي ما اعرفه ما كان عندي ما بعد ذا الا العمود
قل للمعادين ما ذا الحين لازم تقدي ولاّ طَلّقنا الأسود
من بعد نصحي لهم بأقل ما كان عندي تشهد علي الشهود
هذا كلامي لكم موفي مبارز بوعدي للخصم سبعة فرود
يا مرحبا بالنبي موسى وعيسى المهدي مع نبي اللّه هود
والمصطفى الهاشمي خير النبيين جدي له خير عم الوجود
والحبر علوي معهم هم كراعي وزندي لكل موذي حقود

نصري م على العدا هم سيف قاطع بيدي   لاهل الجفا والصدود

وقوله في ١٩ شوال ١٣٤٩ :

جددوا لي عهود الود هو والمحبة   والإجازة أجازونا وجابوا لي إلباس
والعمامة وصارومي ورادي وجبة   والعصا للذي يعصي له ضرب في الراس
والرماح الطويلة لي لها باع حربة   والسيوف البواتر للمعادين الانجاس
والكتاب الذي ذكره بقلبي وحبه   للسؤال الذي يورد علي من الناس
والضنا زال إسقونا من الكاس شربة   كاس الانوار والأسرار ما اعظمه من كاس
أحمد المصطفى وآله جميعا وصحبه   وابن محسن الملقب بعطاس
شرفونا وأعلونا إلى خير رتبة   نلت علمي كما ناله علي وابن عباس
سهلوا لي كثير اشيا تعيبة وصعبة   مثلما سهل اللّه للخضر وابنه إلياس
نيبوني على اهل الكون شرقه وغربه   غوثهم صدق ما هو قول ظني ولا قياس
ذا كلامي لمن للخير وفقه ربه   إنس أو جن أو مما خلق ربنا جناس
والصلاة على من خاطبه ربه   ليلة اسري إلى الحضرة وخاطبه بالراس
الحبيب الذي حل في القلب حبه   الرسول النبي الساقي لنا دائر الكاس
سيد الرسل من أطلق عقالي وعصبه   أذهب الضيق من صدري مع الشوش والباس
قوم الدار لي لبنة حجر شغل شعبة   دار غالي قوي واسع وحكمه بالساس
ما تطرقه آلات أرضنا والهربة   من برز له محارب با يقع له تمراس
يغتلب له ويذعن للذي فوق غلبه   الرجال الأسود الضرغمية وفراس

وعلى الآل نعم الآل جمعا وصحبه وابن عمه علي له فضل واسع بلا قياس
ابنة المصطفى الزهرا انجلت كل كربة والحسن والحسين اهل السيادة على الناس
وابن أبي بكر عبدالله شيخ النقابة عيدروس المعالي حط تاجي على الراس
وابنه العدني المشهور من صب سحبه باللبن ما كما ذي الخارقة نظروا الناس
غوثنا شيخنا قد نلت قصدي بقربه له مدافع كبيرة مدرجة بي وحراس
قل لأعدائي شو حصني مدافعه دربه والفتائل على المقصة تكر فوق الانفاس
وألف طيران في المحضرة وميتين قصبة هِ ـَيت هاجر تجاو ا وتسعين مرواس
عاد وقت الصفا وين العرب لي تحبه ؟ عندنا المصطفى حاضر وحمزة وعباس
لي لهم في العلا تسعة وتسعين رتبة راس منهم يوازي ألف مليون كم رأس
وآله اهل الهداية والصحابة وحزبه مسحوني بأيديهم على الصدر والراس
والصلاة على احمد ما فتك سيل شعبه يرعضونه في الكون الرجال أهل الاحراس

واجتمع من هذا الفتح المبارك ديوانٌ شعري جليل، ونفَس عـ يـ ـدروسِ ـ ي أصيل، وكانت هذه الفتوح والمواهب اللدنية طريق اتصاله في هذه المرحلة بالأولياء، فأنِسوا إليه واستأنس م، ودعوا له وتعلق م، ولم يلبث أن جدد العزم للعود إلى حضرموت، وقد انشرح الصدر، وانجلى الأمر، وكان نـ ـزوله بادئ الأمر بسيئون ولكنه كان شديد الانقباض على الخلق ومجامعهم لما يتوارد عليه من أحوال .

ويذكر سيدي الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف أن الحبيب جعفر قال له : إن والده الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف قال له : اجلس يا جعفر في بيتك،

وسجادتك هي مصلاك، فجلس في البيت، وكان لا يخرج إلا لصلاة الفجر، يصلي خلف الحبيب أحمد بن عبدالرحمن ويحضر الدرس عنده بعد صلاة الصبح وخاصة بعد أن استقرت القراءة آخر الأمر في « الإحياء »، واستمر على هذه الحال حتى توفي الحبيب أحمد بن عبدالرحمن، فانتقل الحبيب جعفر إلى تريم وتعلق بالحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، والحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين، وجلس في الرباط وسكن مع أولاده، في نـزال آل الشاطري قريب من الرباط، لأجل أولاده يحضرون الدروس، واستمر هو يحضر ا الس والمدارس والمحافل ويجالس الشيبان ويستخرج منهم الأسرار، وخاصة من الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، كان الحبيب عبدالله كتوماً ا، واستخرج من الحبيب أحمد بن عبدالرحمن من قبل أيام وجوده في سيئون، وما عرفت هذه الأسـرار إلا به، وقد تعلق به تعلقا تاما، واستخرج منه البشائر والأفراح للناس، لما له عليه من إدلال ومحبة، ولما حصل لدى الحبيب جعفر خلال هذه المرحلة من الفتح، وفتحه واضح في قصائده الشعرية التي كتب غالبها في جاوة، وكتب منها الشيء القليل في حضرموت .

وأما عن هِمتِهِ وحالِهِ الكبير فقد قال سيدي الحبيب عبدالقادر بن أحـمـد السقاف: إن من همة الحبيب جعفر مع مولاه أنه ما ينام الليل كله، وله غفوة بعد الإشراق من كل يوم، وقد ألف السهر منذ صباه وشبابه في مسامر آل باجري وباعـطـوة وغيرهم، وأعانه هذا على مواصلة السهر ، فجاءته الولاية، وصار يبيت مع الله في ذكره وفكره، ومن همته أن الدنيا ما لها عنده قيمة ولا قدر قط، ولا يلتفت إليها، ومن همته أيضا أن الأشياء تنفعل له انفعالاً عجيباً، فإذا أراد شيئاً يتيسر له وتأتيه الأموال من علم الغيب دون أن يعلم أحد كيف ينفق مع أن له في حضرموت كل يوم ضيافات وعزومات والمظهر غير موجود، وله ستة رؤوس من

الخيل يملكها لأنه يحبها كثيراً، ومهتم كل الاهتمام بخدمتهن وأكلهن وشر ن وتمام رعايتهن، كما أن عنده من الغنم أكثر من ثلاثين راس دائم موجودة، لا يذبح منهن شيء، وإنما للبن والسمن، وشي يربيها بركة، والذي يذبحهن للضيوف تجلب له من السوق .

وقال سيدي الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف في زهدِهِ ونفْسِهِ السخِيةِ : إن الحبيب جعفر بن أحمد كان على حال عظيم من الزهد في العاجلة، حتى إنه عاش ببور في بيت أجداده لأمه، وهو بيت صغير فيه منـزل واحد كبير يستقبل فيه الضيوف، وتجلس زوجته في الدرج في مربوعة الرقاد، وللمنـزل حمام ما عليه باب سوى شملة تغطي الداخل، وإذا جاء الضيوف قد يجلسون الأيام العديدة فتجلس زوجته مدة وجودهم في مربوعة الرقاد التي ذكرناها، ومع أن المنـزل قديم وخرب إلا أنه معمور بالحبيب جعفر، وفوق ذلك ما حد يخرج من عنده بلاش، لابد يخرج محمل، والذي يطلع من الكيس نقدا يعطيه ضيفه، جاء عنده مرة أحد السادة من وادي بن علي وكان عنده ضعف ومسكنة ومحتاج إلى الصدقة، فاستقبله الحبيب وأضافه وسأله عن اسمه وبلده وطلب منه الجلوس، فاعتذر الرجل وأخبر الحبيب أن قصده العوين (النقود) وبايذهب إلى مكان آخر، فقال له الحبيب : ما شي عوين إلا بعد الغدا، وبعد الغدا استأذن الرجل في الخروج، فأمره الحبيب جعفر بالجلوس للشاي، فجلس وكان يشرب وهو قلق ومستعجل للخروج، فأخذ الحبيب من الكيس ربطة فيها ما لا يقل عن الخمسين، والمسكين ما بغا الا خمسة شلن أو شلن واحد أو كماها، فلما قبضها المسكين من الحبيب ذهل وقال : بغيتها لمن يا عم جعفر ؟ قال له : لك انت، وأخذ يردد وهو في غاية من الذهول : بغيتها لمن يا عم

جعفر، والحبيب يقول له : لك يا ولدي، فبعد أفاق، وقال : واللّه معاد باسأل أحد، هذا يكفي ، وعاد إلى داره .

وأما عن غريبِ أحوالِهِ واصطِلاماتِهِ فقد قال سيدي الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف : إن الحبيب جعفر بن أحمد العيدروس تأخذه أحوالٌ غريبة واصطلامات مهيبة، فتمر عليه الأيام الثلاثة وهو ملقى على الأرض، لا يتحرك يمنة ولا يسرة، ما يعرف أنه حي إلا بتنفسه، وإذا أصابته هذه الحالة يرمي ملابسه من جسده إلا ما يستر عورته لما يرد عليه من حرارة ذكر اللّه تعالى، ولا يأكل ولا يشرب حتى يفيق ويعود إلى حالته الطبيعية .

وقد سهل اللّه له طي الأذكار والأوراد في الوقت القصير، فترى لسانه سريع الحركة كأنما هي عجلة سيارة من كثرة الطي، وله صوت بالذكر يسمعه من كان قريباً منه، فيأتي بألف من لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، سبحان اللّه وبحمده، سبحان اللّه العظيم وبحمده، سبحان والحمدلله ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر، أستغفر اللّه، يا اللّه، قل هو اللّه أحد، والمعوذتين، كل هذه الأذكار يأتي ا من سبعين ألف مرة في عشر دقائق تقريبا .

كان شديد اللّهف على الثلج شتاء وصيفا لما يتغشاه من الحرارة حتى إنه يكرر الشرب للماء البارد شديد البرودة في أوقات متقاربة، وله ولع بالسكر حتى إنه يضع في كوب الشاي الخاص به الشيء الكثير من السكر، ومن قواعده الهامة جلوسه مع أضيافه إلى ثلث الليل الأخير غالبا، ثم يقوم ويركع ما تيسر له من الركوع، ويرجع إلى أذكاره وأوراده الكثيرة .

وقد خرج في آخر عهده من قرية بور إلى سيئون، ومكث ا مدة من الزمن، ثم دخل إلى تريم وأقام ا بقية عمره، توفي رحمه الله في الثالث جمادى الثاني ١٣٩٦ من الهجرة المباركة بمدينة تريم، وشيعت جنازته تشييعا يليق بمقامه عند الله وخلقه كما هي عادة السلف الصالح، ودفن في قبة جده الإمام العيدروس الأكبر رحمهم الله رحمة الأبرار بمقبرة زنبل .

أما عن علاقته وارتباط سيدي الوالد به فذاك قد كان منذ عهد بعيد، خلال وجود سيدي الوالد بمدينة تريم، وتنقله بين البوادي والوديان للدعوة إلى الله، فكان يتردد عليه ويستمنحه الدعاء والرعاية وحسن النظر، وقد ذكر سيدي الوالد أنه أجازه وألبسه وألقمه مرات عديدة ودعا له بالبركة والتوفيق في كافة مقاصده الحسنة، وخاصة في الفتح الرباني من باب الدعوة إلى الله تعالى ورسوله، وتكررت أيضا زيارتنا له مع سيدي الوالد خلال بعض رحلاتنا معه إلى حضرموت، وحصل لنا الإلباس والإجازة والإلقام، وأنشد الفقير في حضرته بعض قصائد السلف .

وكانت آخر زيارات سيدي الوالد للحبيب جعفر عام ١٣٩٢، وكان برفقته الأخ أحمد، وكان خلال تلك الفترة قد اختار تريم مقاما بعد أن انتقل من سيئون .

وقد ذكر الأخ أحمد أن زيارة سيدي الوالد تكررت للحبيب جعفر في منـزله الكائن بجوار الرباط المشهور وحصل لهم الإلباس والإجازة والإلقام، كما أنشد الأخ أحمد عنده بقصيدة له مطلعها :

قال الفتى العيدروسي كل من جد وشمر ... يحظى بما هو بعيد

فاستبشر ا وفرح ودعا له بخير، وكان ذلك آخر عهد سيدي الوالد ذا الحبيب، رحمهم الله رحمة الأبرار .

١٨ـ الحَبِيبُ عمرُ بنُ أحمدِ بنِ أبي بكرِ بنِ سمُـيطٍ (صاحبُ زنجبار)[1]

الإمام القدوة، الذي أخذ العهد على نشر الدعوة بقوة، مقتفياً أثر أهله وأسلافه أهل الفُتوة، ولد رحمه الله تعالى في مدينة أواسند من جزر القمر عام ١٣٠٣، وتربى بأبيه الإمام العلامة المصنف أحمد بن أبي بكر بن سميط، وحسن أخذه على والده حتى بلغ التمييز وزيادة، ثم أرسله والده إلى شبام حضرموت عند عمه الحبيب طاهر بن عبدالله بن سميط لطلب العلم والتأدب بأدب السلف الصالح فكان له بذلك حظ الأخذ والتلقي، والاتصال والترقي، من علماء وصلحاء حضرموت، وحصلت له منهم الإمدادات، وأشار إلى أولئك الرجال في بعض مدونات رحلاته المسماة : « النفحة الشذية في الرحلة إلى الديار الحضرمية »، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيب علي بن محمد الحبشي، والحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس، والحبيب عبدالله بن عيدروس العيدروس، والحبيب الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور، والحبيب علي بن عبدالرحمن المشهور، والحبيب مصطفى بن أحمد المحضار، والحبيب أحمد بن محسن الهدار، والحبيب علوي بن شهاب الدين مع أ ما متقاربين في العمر، وفي شبام أخذ عن عمه الحبيب طاهر بن عبدالله بن سميط، والسيد العلامة عبدالله بن عمر بن

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص٣.

سميط، والشيخ العلامة عبدالرحمن حميد باشراحيل وغيرهم من علماء شبام في ذلك العصر .

وبعد أن تزود بخير الزاد، من كل وتدٍ من أولئك الأوتاد، سافر بأمر والده إلى مسقط رأسه بجزيرة زنجبار، وعاش فيها مع والده البحر الفهامة الذي سكب اللّه له المزون الهاطلة من العلوم اللدنية والفهوم الوهبية الغامرة بين العلم والعمل والإصلاح بين الناس والدعوة إلى اللّه في كل محل، وكان لهما تأثير عظيم في تلك الأصقاع الإفريقية التي حظيت ببركا هما، حتى إن كل زائر لجزيرة زنجبار ممن لهم أدنى حظ من الذوق يرى أ ا قد صبغت بصبغة معينة تميزها عن بقية مدن شرق إفريقيا، وعليها من النور والبركة ما تدركه البصائر وتتأثر به النفوس والقلوب، كما إن الكثير من الناس المواطنين بتلك الناحية ممن حظوا بالاتصال ذين الإمامين تميزوا عن غيرهم بما أشرب في قلو م من الإمدادت والعطايا الخاصة المستمدة منهما .

ولما توفي الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سميط في سنة ١٣٤٣ تولى الحبيب عمر إرث المقام النبوي، وظهر هناك بمظهرٍ سلفي علوي عظيمٍ، بل كان مثالاً في الرصانة والوقار، ولا يميل إلى كثرة الكلام، ولا إلى تزويقه، وهو من الأفراد الذين إذا رؤوا تنجلي برؤياهم الأحزان والهموم، ويسري سرهم في من يحضر مجالسهم .

وكان من ميزاته رحـمـه اللّه تعالى أنه لا يميل إلى الإطالة المملة في ا الس الخاصة ويكتفي بالقدر اليسير منها، إلى حد أنه قد يأمر المنشد بقطع القصيدة إذا طالت، وحتى في ترتيب الفاتحة آخر ا لس لا يطيل ولا يزوق، ويكتفي بيسير الألفاظ مما قل ودل، مع أن مجالسه رضي اللّه عنه مستطابة لا يغشى القلوب منها السأم .

ومن ميزاته رضي اللّه عنه أنه كثيرا ما يروح الأنفس بالتبشير ويباعدها عن موجبات التكدير والتنفير، ويربطها بحسن الرجاء والظن باللّه سبحانه وتعالى، فتطيب بسماع كلماته الندية المرطبة، وتنقلب أحزا ا إلى أفراح وآمال وبشائر حتى فيما ينشد بين يديه، وقد يأمر المنشد بقصائد معينة مما فيها التبشير، كقول الإمام الحداد : « بشر فؤادك بالنصيبِ الوافي »، و « عِش بالرجاءِ والأملْ يا صاحِ » .

ومن ميزاته العظيمة رضي اللّه عنه صغر الدنيا في عينيه إلى حد بعيد، وله في ذلك وقائع غريبة وعجيبة تدل على احتقاره للدنيا والمال، وهذا من أوصافه الوراثية التي لا يعرفها إلا من عاشره طويلا، فهو من الوارثين لجليل الصفات والأخلاق والمكارم العالية من جده صلى اللّه عليه وآله وسلم، ويغلب على سيرته وسلوكه الصفات القلبية والمعنوية مع أنه قدوة في الاستقامة التامة إلا أن سيره إلى اللّه قلبي أكثر منه حسي وظاهر .

وقد كان رحمه اللّه تعالى في أوائل حياته ميالاً إلى الأدب والشعر، وله قصائد رائعةٌ تدل على ذوقٍ رفيعٍ في اللغة العربية إلا أنه لم ينشر شيئا من قصائده ولم يأمر بطبعها، وبقي إلى آخر حياته يتذوق الشعر وينشد بعض الأبيات في مجالسه .

وقال بعض المقطوعات الشعرية كأجوبةٍ على ما قيل فيه من الشعر، كما كان يحب سماع الشعر من غيره، وقد امتدحه بعض الشعراء، ونثروا فيه من دراري المعاني والبيان درراً غواليَ حسان، منها ما امتدحه به السيد الـعـلامـة أحـمـد بن

زين بلفقيه، والذي كان له كامل الأخذ والاتصال بالحبيب عمر خلال أربع سنوات عاشها في زنجبار مجاورا الحبيب عمر رحمة الله عليه (١)، فمما قال فيه :

لن ينمحي عن سويدا القلبِ ذكراها ... يا بلدةً عامر بالخِصبِ مغناها
أعظِم بتأثير ذكراها على خلَدي ... إذ عمقَت في مجال القلبِ مجراها
أنِست فيها بأيامٍ نعِمت ا ... ما كان أعذبها عندي وأحلاها
ـإنْ كان في عدها ـقصر فإن ا ... مِن السويعاتِ أشهاها وأغلاها
ا عرفْت ـرجالاً عز ـمِثْلُهم ... حازوا المكارم أعلاها وأسماها
نـ ـزلْت في دورِهم أهلاً ونِلْت م ... طيب المُقامِ، ونفسي طاب مثواها
يـ ـتـ ـيـ ـمـ ـةُ العِقْدِ فيهم سيد سند ... من نال مِن قمةِ العلياءِ أعلاها
هو الكريم الرضي الخُلْقِ من جمِعت ... فيه المحاسن أزهاها وأ اها
فو إليه قلوب طالما عرفَت ... إحسانه ومحض العطفِ أولاها
هو الشجاع المُجلى في العلا عمر ... وبالأصيل من الإحسان قد باهى
ـابن السميطِ الذي قد طاب عنصره ... وعز في الكون والمعروف أشباها
وحوله ـفتيةٌ من الأشاوسِ، ـإنْ ... عددتها كيف لي أُحصي مزاياها ؟
لهم جميلٌ ومعروف لَمست م ... من الصفاتِ التي تسمو بمولاها
أماثِلٌ قَل أنْ يؤتى بمثلهم ... صفاتهم في سواهم ما عرفناها

...

(١) وممن أخذ عن الحبيب عمر في تلك البلاد وجاوره : الحبيب الداعية إلى الله عمر ابن الشـيخ أبي بكر بن سالم، والسيد هادي بن أحمد الهدار، والسيد محمد بن أحمد بن شهاب الدين .

يا من تحركُنا أيام عهدِهِم هلا ذَكَرتم عهوداً ما نسيناها
ا مضى زمن تزهو النفوس ـِبِهِ أيامه مثلُ أعيادٍ قَضيناها
مجالِس تنعِش الأرواح جتها ويذْهِب الكرب والأحزانَ رياها
ا سرى سِر من عالي شمائِلِهِ مولاه بالذوق والألطاف حلاّها
أعني به ابن سميطٍ من بطَلْعتِهِ تحَيى النفوس ونور الحق يغشاها
يا سيدي عمر مِن والدي لكم خير التحياتِ والأشواق أهداها
ولم يزلْ ذاكراً أيام قُربكُم وراجياً أنْ يعيد اللّه نعماها
أحِن إنْ ذُكِرت يوماً مجالسكم أو هزتِ القلب أصداها ونجواها
تعلقات وأشجانٌ له ـِبكُم في النفْسِ لم يدرِ إلاّ اللّه معناها

. . .

يا زنجبار نعِيد اليوم زورتنا إلى ربوعِكِ أشواطاً قطعناها
هذي مغانيكِ تحيِي القلب روعتها أو تغمر النفس بالأفراح رؤياها
هذا الجمالُ تسبي العين بهجته هذي الرياحين تحيِي النفس أشذاها
ترى مِن النبتِ أزواجاً منوعةً مِن الرياحينِ أشكالاً وأشباها
هنا ترى اللطف والأخلاق عاليةً والنبلَ مِن خيرِ أنواعٍ عرفناها
إنا لَنرجو مِن الرحمنِ خالِقنا بأنْ يحقق آمالاً نويناها
ـِبأنْ نقَدم خِدماتٍ إلى بلدٍ نـ ـزيد منها ومِن إخلاصِ أبناها
لعل مِن أجلها المقدور جاء بنا ومهد السبلَ تمهيداً وسواها
عل المُوفق للإرشادِ يرشِدنا يهدي القلوب إلى توفيقِ مولاها

ومن أشبع الـفـصـل في إيراد فضائله وحاله ومقامه سيدي الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف في قصيدةٍ شعريةٍ قرأها في حضرة الحبيب عمر بن أحمد أثناء زيارة له بجزر القمر عام ١٣٩٣ قال فيها :

ما على الدهرِ بعد ذا من عتابٍ   بعد أنْ نِلْت منيتي وطِلابي
أنجزت وعدها الليالي فـأدنـت   لي الأماني بالقربِ مِن أحبابي
من رسولي إلى بلادي بأني   في ربا السعدِ قد حطّت رِكابي ؟
في رحابِ الإمامِ شمسِ سماءِ الـ   ـمجدِ والفضل يا لها مِن رِحابِ
عمر الحَبر نجلُ أحمد من قد   نال مِن ربـ ـهِ بغير حسابِ
إيهِ « أنقازيا » لقد خصكِ اللـ   ـه فأصـبـحـتِ كعبةَ الطلاّبِ
طِبتِ بالسيدِ الكريمِ وأكْرِمـ   ـتِ بفضلِ مِن ربكِ الوهابِ
حل برج السعودِ أُفْقَكِ فالنجـ   ـم كشمسٍ وقاره في التهابِ
تستقي نورها العوالمُ في شتـ   ـى نواحي سهولِها والروابي
فيكِ كنـز العلومِ فيكِ ثِمالُ الـ   ـجود فيكِ الهدى وسر الكتابِ
فيكِ ما فيكِ، فيكِ ما يقْصر التعـ   ـبير عن وصفِهِ لذي الألبابِ
فسل الغربِ كله وسل المَشـ   ـرق هل فيهما كهذا العبابِ
وارثِ العلمِ وارثِ السر عن أهـ   ـليهِ عمن رقى إلى قوسِ قابِ
قل لأهل العلومِ هاكم مِن العلـ   ـمِ علوماً ما سطرت في كتابِ
قل لأهل الفهومِ هاكُم مِن الفهـ   ـمِ فهوماً في منتهى الإعجابِ
يـتـلـقـى أربابها وارد الإلـ   ـهامِ فتحاً يأتي بغير اكتسابِ

لم ينلْها سِوى امرئٍ حفِظَ القا ـ ـ ب وأفضى بِهِ لنهجِ الصوابِ
حازها عن رجالِهِ ابن سميطٍ عمر القطب وارثُ الأقطابِ
وارثُ السر نسخةُ السلفِ الما ضين ألوارثين علم الكتابِ
يتجلى في وجههِ العلم كالقُر آنِ أسراره بأم الكتابِ

ومدحه أيضا تلميذه العلامة الداعي إلى الله السيد هادي بن أحمد بن عبدالله الهدار في معرض أبيات رحب فيها بقدوم الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف إلى جزر القمر، يعنينا منها في هذا المقام وصفه لصاحب الترجمة في قوله :

إمام الهدى بحر الندى عمر الرضى حليف التقى، ذا منبع الجودِ والسر
سليلُ إمامٍ عن إمامٍ وهكذا إلى المصطفى خيرِ الورى الطاهرِ الطهر
فذا عمر هذا ابن أحمد من سما بِهمتِهِ حتى رقى قِمة النسرِ
فحدثْ عن البحرِ الكبيرِ فإنه يفيض دواماً بالجواهرِ والدر
وذا ابن سميطٍ مفْخر القُمرِ كلها ومفخر كل المسلمين بلا فَخرِ
خليفةُ طه المصطفى سيد الورى ومقْتِفياً للنهجِ يمشي على الأثْرِ
فيا رب متعنا بطول حياتِه ويا رب فاحفَظْه سنيناً بلا ضر

ومن شنف الأسماع بأخباره وآثاره تلميذه الآخذ عنه بالدلاء الواسع الإمام الجامع الحبيب أحمد مشهور طه الحداد، وقد كتب نبذةً عن مجموعِ حياةِ شيخِه ضمنها خلاصة الحياة النورانية، وجوهر الأيام الرحمانية، وقُرئت هذه النبذة في حفل التأبين الذي أقيم على روحه بمدينة جدة بعد وفاته بأيام، ولما التقيت بالحبيب الداعي إلى

اللّه بلسانه العذبة عمر ابن الشيخ أبي بكر بن سالم الضارب من ر شيخه بأوفر نصيب، والآخذ عنه أخذ القريب للقريب، أسمعني من الآداب والأخلاق وشريف العادات والأحوال ما لا يتسع له ا ال [1]، فرغبني هو وأمثاله أن أجمع لهذا الحبيب وغيره من الشيوخ تراجم مستقلةً تكون حافلةً بأخبار الحط والترحال، وتسهم في تخليد ذكرى الرجال، واللّه نسأل أن يعيننا في كل حال على إخراجها.

وللسيد أحمد بن زين بلفقيه قصيدة أخرى في الحبيب عمر بن أحمد بن سميط عام مروره على عدن متجها إلى الحج عام ١٣٨٩ قال في مطلعها :

أجلْ أنت حقاً للقلوبِ حبيبها — بك انكشفت أحزانها وكروبها
يشاهد فيك النور يا سر ذي النهى — ويحيى به مِن كل نفسٍ جدِيبها
يشاهد فيك السر يمتد وجده — إليها فيطفي حرها ولهيبها
تشاهِد فيك العارف الكاملَ الذي — به ينجلي مِن جهلها ما يعيبها
نرى أنك الفرد الذي عز شِبهه — وأنك آسي جرحِها وطبيبها
تذَكرها رؤياك قوماً تنورت — بنورِ إلهِ العالمين قلوبها

(١) مما لا يترك من أمر الحبيب عمر فيما حدثني عنه هذا الحبيب الفاضل أن الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سميط والد الحبيب عمر كان في إسطنبول يوم ولادة ابنه عمر، بجزر القُمر، فلما التقى في صباح اليوم التالي بالإمام الحبيب فضل بن علوي بن محمد بن سهل مـولى الدويلـة بشره بميلاد ابنه وسماه عمر، ولما عاد الحبيب أحمد إلى الجزر وجدهم أسمَـوه بأبي بكر، فقال لهم : قد سماه الحبيب فضل يوم ولادته بعمر، وهو الذي بشرني به، فسموه عمر .

ولا زال للقصيدة أبيات عصماء، وكلمات غراء، اكتفينا منها بالقَدر اليسير تجنباً للإطالة، ومن عجيب وشامل ما كتبه السيد أحمد في شيخه الحبيب عمر قصيدته العصماء التي رثاه ا وجمع فيها جوانب حياته الوضاءة حتى قال له بعضهم : إن قصيدتك هذه ترجمة كاملة للحبيب عمر، وهي هذه [1] :

أيا سيداً للقلبِ والروحِ آسِياً   وفاتك أحيت في النفوسِ المآسيا
لَئِن كنت أُسكِنت الفراديس منـزلاً   وأُترِعت كاس القربِ في الخُلْدِ
فإنا نعاني مِن فراقِك كُربةً   ونلقى به غَمّاً على القلبِ جاثيا
فعين تلَظت بالدموعِ سخِينةٌ   وقلب غدا في لوعةِ الحزن صاليا
حنانيك فابعثْ مِن سناك بوارِقاً   تشِيع فتجلي في القلوب الغواشيا
أيا كوكباً مذ غاب نورك أوحش الـ   ـربوع وأصلاها الخطوب الدواهيا
ترحلَ عنها أنسها وجمالُها   ومانِحها معروفَه والأياديا
بِهِ يغمر الأرواح روح وبهجةٌ   وأُنس يريها منهلَ الحب صافيا
بمجلسِه تغشى القلوب سكينةٌ   وتشمِـم عرفاً للكآبةِ شافيا
فيجلى به ما حاطَها من كآبةٍ   وتنسى شؤوناً للهمومِ دواعيا

. . .

فقد كان من سِر النبوةِ وارثاً   وكان إماماً للأنام وهاديا
تراه فتجلو الهم طلعةُ وجههِ   ويوليك خلْقاً دائم البِشرِ راضيا

(١) كتب السيد أحمد بن زين بلفقيه في صدر الأبيات ما صورته : نفثة حزين في فقيـد الإسـلام سيدي العارف بالله عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط المتوفى في « أنقريجه » جزائـر القمـر شرق إفريقيا، بتاريخ صفر الخير عام ١٣٩٦ من الهجرة المباركة .

وقد كان نوراً ساطعاً يرشِد الورى	وغيثاً غزير الخير للمحل ماحيا
به ارتشدت مِن مسلَكِ الغِي أُمةٌ	به اخضر صقْع كان قبلُ فيافيا
أيا علَماً فَرداً تسامى إلى العلا	نرى فيك أوصافاً تزين المَعاليا
أيا عمر الخير الذي عز مثلُه	ومثلُ أبيهِ ابنِ السميطِ تسامِيا
حديثُك عذْب ليس فيه بوادِر	تعاب ولا يبقي من الشك باقيا
سموت على الدنيا وحقرت غُنمها	إباءً وأرخصت المكاسِب آيـ ـيـ ـا
على فضلِك السامي الخلائق أجمعوا	كأنك منهم قد ملَكْت النواصيا
فعذراً إذا ذابت لحزنٍ قلو م	أو الدمع مِن غُزرٍ أذاب المآقيا
وعذراً إذا بانَ القصور فإن ما	لديك من الأوصافِ يعيِي القوافيا
ولن نوفِ بالأشعارِ قَدرك في الرثا	ولو نحن قَددنا القلوب مراثيا

. . .

أيا سيدي إنا نخفف رزءَنا	بآمالِنا في أنْ يكونَ تلاقيا
فحاشاه مولى الجودِ والفضل والندى	جزيلَ العطايا أنْ يخيب راجيا
وحاشاه أنْ لا يمنح العفو وارداً	ـِبحرِ عطاياه وإن كان عاصيا
عهدت على حسنِ الظنون معولاً	وفي ـِثقَةِ الرحمنِ ربك فانيا
تبشرنا بالخير دوماً وتجتلي	عناءَ قلوبٍ ما برحن شواكيا
وتربطُنا بالجودِ ربطاً كأنما	نرى هِبةَ الرحمنِ فينا سواقيا

. . .

فيا رب واجمعنا وأحبابنا الألى	حبوا بافتقارٍ مِن نداك ا انيا

ويا رب لُم الصدع مِن فَقْدِ من بهم تنير لنا أرواحنا والمغانيا

ويا رب واحمِ الدين من شر وحشةٍ غدا ضرها المرهوب للعين باديا

تفننن في عدوانه كُل حاقدٍ فيا غارةَ الرحمن صدي الأعاديا

وصوني حمى الإسلامِ ممّا أصابه وجر البلايا نحوه والمَخازيا

يخُاصِمه جهراً بنوه، وقد نرى له مِنهم في كُل قُطْرٍ أفاعيا

فذا وقح جهلاً يحقر شانه وذا صار عوناً للخصومِ محاميا

وذلك مخدوع بزخرفِ مبدأٍ توهمه مِن سوءِ فهمٍ مثاليا

تجَاهلَ في الإسلامِ كل فَضيلةٍ تزيلُ العنا والبؤس تنهي المساويا

تجاهلَ أن الدين وحي مِن السما تنزه عن زيغ الهَوى متعالِيا

وإن قوانين الورى بشريةٌ تجسم فيها عنصر النقصِ باديا

ولكن إذا أعمى الإله بصائراً تعامت فلن تلقى لها الدهر هاديا

. . .

إلهي تدارك أُمةً بانَ ضعفُها أمام عدو بان كالوحشِ ضاريا

ورد إليها رشدها علها إذا وعت حق باريها تجيب المناديا

ويا ربنا فاجبر لنا الصدع إننا فَقَدنا حبيباً عاليَ القَدرِ غاليا

وأعلِ إلهي روحه في منازلٍ بمقْعدِ صِدقٍ يلْق فيه التدانيا

مع السيدِ المُختارِ والصفْوةِ الأُلى بسابقةِ الإحسان نالُوا المراقيا

وقد كان الحبيب عمر رحمه اللّه تعالى من المعمرين، توفي رحمه اللّه تعالى عن عمر يناهز الثلاثة والتسعين محتفظاً بأهم قواه الذهنية والجسدية إلا ما كان من مظاهر الشيخوخة وضعفها المعتاد .

ومما هو جدير بالذكر أن للحبيب عمر بن سميط رحمه اللّه رحلات عديدةٌ من بلاد شرق إفريقيا إلى حضرموت والحرمين، منها ما كتبه في رحلته المسماة « النفحة الشذية في الرحلة إلى الديار الحضرمية » والتي صدرت مطبوعةً في مجلدين متوسطين، وأما رحلاته الأخيرة فلا زالت غير واضحة وغير منشورة .

وأما عن اتصال سيدي الوالدِ وارتباطه بالحَبيبِ عمرِ بنِ أحمدِ بن سمَيطٍ فقد اتصل سيدي الوالد به اتصالاً وثيقاً، وارتبط به ارتباطاً متيناً في الحس والمعنى والجوهر والمضمون، بل إن الحبيب عمر يحتفظ في نفسه بمحبة بالغة لآل المشهور، حيث تسلسلت هذه المحبة من علاقته بشيخه الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور، الذي كان له به ارتباطٌ واتصالٌ، ذكر ذلك في رحلته المسماة بـ« النفحة الشذية في الرحلة إلى الديار الحضرمية »، فقال عند الحديث عن بلوغه المكلا ما صورته :

في ليلة الاثنين لخمس خلت من جمادى الأولى ـ وأقمت ا خمسةَ أيام ـ اجتمعت خلالها بالسيد العالم العامل الداعي إلى اللّه الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور، وكان قد حضر ا قادما من حضرموت، وفي أثناء الحديث معهم بزاوية مسجده وعنده عدد من طلبة العلم جرى ذكر سيدي الوالد لشيخنا الشيخ عبد اللّه بن محمد باكثير صاحب « رحلة الأشواق القوية »، فأثنى عليهما وعلى زنجبار وأهلها، وقال : ما دخلت بلاداً وفارقتها وبكى لفراقي أهلها وأبكوني غير زنجبار، ودخولي للسواحل كان بإشارة من مجذوب لقيته بعدن في قبة

الحبيب أبي بكر بن عبدالله العيدروس، قال لي : إلى أين سفرك ؟ فقلت مترددا : « ولا ترجح عندي الإقدام إلى بلاد ». فقال : شـف الـعـامـة تقول : « إذا كنت واحل فعليك بالسواحل ». فانشرح عند ذلك صدري للـتـوجـه إلـيـهـا، وذكر اجتماعه في ممباسا بالسيد العلامة عبدالرحمن بن أحمد السقاف الملقب في إفريقية الشرقية بشيخ الإسلام [1]، وقال : كشف لي عن حاله فرأيته في حال عظيم .

وفي الصفحة السابعة بعد المائتين ذكر الحبيب عمر اتصاله بأحفاد الحبيب علوي المشهور، ومنهم سيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور، فقال ما صورته :

وتوجهنا إلى دار أحفاد الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور لنقرأ الفاتحة في دهليزها و ديها إلى روحه، ولم يكن لدينا علم بوجود أحفاده هناك فإذا م يتلقونا، وهم عبدالقادر وعلوي وعلي، وصعدوا بنا إلى محضرة في الدار، وفي أثناء الحديث معهم سمع أحدهم بقصيدة للحبيب علوي بن محمد الحداد، وأولها :

يا الله اطلبك يا خير والي   جد علينا بأكبر عطية

---

(١) الإمام عبدالرحمن بن أحمد بن عمر السقاف، ولد عام ١٢٦٠ بسيئون، وتلقـى العلـم عـن علماء الصومال حتى برع في الكثير من الفنون، ثم رحل إلى زنجبار وأخذ عن علمائها، ثم عاد إلى كينيا فألقت الدولة القبض عليه وسجن عدة سنوات أكرمه الله فيها بحفظ القرآن ثم أفرج عنه عام ١٢٩٦، وتقلد منصب القضاء في مدينة سيو، وفي سنة ١٣٢٠ أصبح رئيس القضـاة في مدينة ممباسة، وبقي في وظيفته حتى وفاته سنة ١٣٤٠، وكان مثالاً في التقـوى والـورع وكريماً لا نظير له في عصره، رحمه الله رحمة الأبرار .

وبعد تمامها أتـانـي أحـدهـم بكوفيةٍ من ملابس جدهم، وكانت من ملابس الحبيب الحسن بن صالح البحر، وكانت قبلَه من ملابس الحبيب عبداللّه الحداد، فطلب أن ألبسه ا وإخوته وأجيزهم في شيء من الأوراد، فأسعفتهم بطلبهم، وألبستهم مع الحاضرين، وأجز م ذا الذكر يؤتى به في السجود بلا عدد معلوم : « يا اللّه يا اللّه يا علي يا علي، أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة »، كما أجازني بذلك، والإتيان به كذلك، جدهم الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور، بعدما ألـبـسـنـي تلك الكوفية في تلك الحضرة في عام ١٣٢٩، وأفادني أن ذلك مما يعين على تصفية القلب، ثم ختمنا ا لس بالفاتحة .

وكان لسيدي الـوالـد بشيخه الحبيب عمر بن أحمد بن سميط اتصال آخر عام ١٣٨٢ خلال اتفاقه به في عينات، وكان من قدر اللّه أن كنا برفقة سيدي الوالد في ذلك العام، فكان لنا شرف الاتصال والارتباط والإلقام والإلباس والإجازة من الحبيب عمر بن أحمد بن سميط في ذلك العام، وكتب فيه سيدي الوالد أبياتا شعرية صدرها بقوله :

هذه القصيدة أُنشئت في بلدة عينات، قلتها بمناسبة قدوم السيد العلامة عمر بن أحمد بن سميط، وذلك يوم الأحد التاسع من محرم سنة ١٣٨٢، وقد حصل الاتصال ظاهراً وباطناً، واتفقنا بالسادة الكرام العلامة السيد عبداللّه بن أحمد الهدار، والحبيب أحمد بن علي، وعمه شيخ بن أحمد وغيرهم :

سلامي على المفضال من آل هاشمٍ سلامي على من حل في أرضِ غُربةِ

هو السيد البحر العظيم تلاطَمت علوم له فاعْرف أُخي بهمةِ

فدعوته قد عمتِ القوم كُلهم	فأعطى جميع الناس في حسنِ نيةِ
وأوصلَهم للهِ قَربَهم له	بدعوته العظمى حوت كُل حِكْمةِ
وذاك اقتداءً بالحبيبِ محمدٍ	وجد له ذاك الشهاب لِدعوةِ
فديدنه الإرشاد في كُل محفَلٍ	وقد خرق الأسماع مِن غَيرِ مِريةِ
فيا سيدي أُنظُر إلي بنظرةٍ	لِتنقِذَني مِن ظُلْمِ نفسي ومحنتي
فإنيَ محسوب لَكُم وفقيركُم	ألا فانقِذُوني مِن حضيضٍ وشهوةِ
أيا عمر جد لي ـ فَديتك ـ إنني	تأخرت عن ركْب الألى بخطيئتي
وخذْ بيدي والْحِقِ الفرع باصلِهِ	فكُل كريمٍ مجزِلٌ في العطِيةِ
وجدي علَوي سقاكُم حقيقةً	فهل شربةً أروى بعل ونهلةِ
وأنتم كِرام والكِرام بجورهم	لقد شملُوا من كان في ركْبٍ رحمةِ
تفَضلْ أبا الخيراتِ إنك محسِن	ولا زِلْت في يمنٍ وبشرٍ سعادةِ
فنسألُ ربي أنْ يبارك فيكم	وكُل محِب للنبي وقَرابةِ
ومِن حسنِ حظي أنني قد رأيتكُم	بخير مكانٍ بل بأفضل بقْعةِ
لساداتِنا القومِ الكرامِ حباهم	إله كريم نعم تلك العصابةِ
لِفَخرِ وجودِ الأرضِ بوبكرٍ شيخِنا	هو الغوثُ بل قطب على اهل الولايةِ
لقد جمع اللّه الأحبةَ كلهم	بيومٍ عظيمٍ فيه نخبةُ صفْوةِ
وقد جمِع الشملُ بكم فتكَرموا	وأوفُوا عطائي عند بذْل العطِيةِ
وأهلي وأولادي ومن كان حاضراً	وكُل محِب مخلِصٍ في المحبةِ
وصل إلهي كل وقْتٍ وساعةٍ	على المصطفى المبعوثِ للخلقِ رحمةِ

مع الآل والأصحابِ دأْباً وسرمداً   وسلم تسليماً جزيلاً بكَثْرةِ

وألـقـى سيدي الوالد قصيدته الآنفة في منـزل الـمـنصب شيخ بن أحمد بحضور الحبيب عمر بن أحمد بن سميط، ونالت الاستحسان، وحصل النظر والدعاء، ونـزلت على الحاضرين سكينةٌ عجيبةٌ، تفائل الجمع فيها بحصول المدد وشموله، وكان ذلك اليوم هو آخر عهد سيدي الوالد بالحبيب، حيث ذهب الحبيب عمر يتنقل من مشهد إلى مشهد، ومن مدينة إلى قرية، بنية حصول البركات، من مواطن السادات، ولم نطِلْ نـحـن و سيدي الوالد المقام بحضرموت بعد تلك الزيارة المباركة، وتوفي الحبيب عمر بـجـزر القمر سنة ١٣٩٦ (١) رحمهم اللّه رحمة الأبرار.

١٩ـ الحَبِيبُ أبوبكرِ بنُ عبداللّهِ الحَبْشِيّ المُلَقَّبُ بـ « عَطّاس » (٢)

أحد شيوخ الطريق في هذا العصر، وعلَم من أعلام المهيع السوي ولا فخر، بقيةٌ من رجالٍ إذا رؤوا ذُكِر اللّه، ومن الأفراد الذين تستأنس الأرواح لمشاهد م وحديثهم وشريف أحوالهم وأخبارهم وأسارهم وأذكارهم، وعلومهم ومشاهدا م وشهودهم ودعائهم، سيد شريف علَوي، حسيني تريمي، ونسبه هو أبوبكر بن

(١) وقد تزاحم الناس في تشييع جنازته، وامتلأت الطرقات، حتى كان الناس يتناولون الجنـازة من كتفٍ إلى كتفٍ من بيته إلى محل المصلى على مسافةٍ بعيدةٍ دون أن يمشي حاملوها خطـوةً لكثرة المشيعين .

(٢) انظر الصورة في الملحق ص١٠ .

عبداللّه بن علوي بن زين بن عبداللّه بن زين بن علوي بن محمد بن علي بن محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي.

ولد بمدينة ثبي من أعمال الدولة الكثيرية بحضرموت الداخل كما كانت تسمى سابقاً في سنة ١٣٢٨، ونشأ وترعرع ا تحت نظر ورعاية والده العلامة الجهبذ الفَهامة الحبيب عبداللّه بن علوي بن زين الحبشي، وتحت حنان والدته وعدد من صالحي أسرته المباركة الذين أفاض اللّه عليهم من بحار النور، حظاً موفور، وتلقى باكورة الطلب في القرآن العظيم والعربية خطاً وقراءةً على يد والده .

ومما رواه لي ولده السيد عبداللّه بن أبي بكر الحبشي أن والده كان يستظهر القرآن عند أحد الـ مـ ؤدبـ ين بثبي، ويسمى المعلم عبيد عتيق، ثم لما ظهرت قسوة المعلم وشدة معالجته للطلاب وضعه والده تحت عنايته الخاصة .

كما أخذ الحبيب أبوبكر فنون المعرفة والعلم والتصوف عن عدد من أشياخ عصره الذين كانت تزدهر م حضرموت، وتباهي م عالمي الملك والملكوت، ومن أجل أولئك السادة الذين كان لهم عليه الرعاية، ومنحوه أسباب الهداية، وسبيل الوصول إلى مراتب الولاية، والذين فتقوه ومنحوه العلم والأدب والفطنة أخواه وشقيقاه الأفخران حسين وعلوي، وهما اللذان فَتقا رتق الذهن والقريحة وحشياها بالأنوار والبركات والعلوم الصحيحة التي أضحت ا النفس مستريحة، وحدواه إلى ما حدا به سادتنا العلويون أحبا م وأبناءهم، فغذوه من صافي شرا م، وأدخلوه من فسيح با م، وأذاقوه من حالي شهدهم ورضا م، حتى انتقش في سويداء الفؤاد ما انتقش، وربا الإيمان في الصدر الملاحظ وانتعش، وزاده اللّه بمصاحبة الشيوخ الأجلاء نوراً على نور، ومنهم على سبيل المثال الحبيب الداعي إلى اللّه عبداللّه بن عمر الشاطري،

والحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس، والحبيب عبدالله بن عيدروس العيدروس، والحبيب محمد بن حسن عيديد، والحبيب
محمد بن عبدالله العيدروس الشهير بـصـاحـب الـريـضـة، والحبيب أبوبكر بن محمد السري، والـحـبـيـب عـلـوي بـن عبد الله بن شهاب الدين[1]، والـحبيب جعفر بن أحمد العيدروس، والحبيب محمد بن علي الحبشي، والحبيب مصطفى بن أحمد المحضار، والحبيب عمر بن أحمد بن سميط، والحبيب أحمد بن محسن الهدار، والحبيب حسن بن إبراهيم بلفقيه، والحبيب علي بن عبدالرحمن المشهور، والحبيب أحمد بن عبدالرحمن السقاف، وغيرهم من أجلاء العصر وشيوخ المصر .

حيث ذكر المعاصرون بمرحلة الطلب من باكورة الحبيب عطاس نشاطه الدؤوب ورغبته الملحة في الترقي والتلقي أينما حل ونـزل، فكان على هذه المثابة خلال إقامته مع أهله بمدينة ثبي، يأتي سائراً على قدميه منفرداً أو مع أحد أخويه إلى مدينة تريم لطلب العلم ومزاحمة الراغبين في صافي المشروب العذب للقوم، وكذلك الحال بعد إقامته بتريم، حيث مكث في رباط تريم المعروف للغرض ذاته مثابرا على حلقات العلم من فقه ونحو وصرف وحديث وتفسير وفرائض وغيرها من العلوم الرائجة في ذلك العصر، كما كان له قسط وافر من العبادات النافلة كقيام الليل وإحياء ما بين العشائين [2] .

---

(١) كان الحبيب علوي بن شهاب الدين يحبه كثيراً، ويدنيه ويقربه، وينظر فيه شـآبيب السـر، وأنوار الخلافة، حتى إنه أوصى عند موته ألا يلحده في قبره إلا الحبيب عطاس الحبشي، وقد أوفى بذلك ونـزل إلى القبر ولحده .

(٢) ذكر لي بعض أقرانه في مرحلة الطلب أن الحبيب عطاس كان لا ينفك عن صـلاة الأوابـين كاملةً من عشرين ركعة بين المغرب والعشاء في أحد مساجد تريم في باكورة عمره، ولا زال

وما بعد الفجر إلى الإشراق وقراءة القرآن حفظاً ومدارسةً وتأملاً وتدبراً للمعاني والآيات، ويحق للقائل أن يقول : إن عامة الوقت في باكورة حياة هذا الحبيب كان معموراً مغموراً بالنور والبركة، وظل هذا الحال المرتب المتنامي بعد زواجه وانتقاله إلى عيديد وإقامته ا واعتزاله في ذلك الوادي المبارك، مكباً على أبحاثه الهامة ومطالعاته القيمة، ومنقباً عن تراث سلفه الصالح مصححاً وجامعاً، وكان له مسجد صغير بجوار منـزله في وادي عيديد اتخذه معتكفاً ومصلى .

وقد أفاض على أهل عصره بعدد من هذه الكتب التي خدمها ورتبها كمثل «تذكير الناس من كلام الـحـبـيـب أحمد بن حسن العطاس »[1]، وكتاب « كنوز السعادة الأبدية من كلام الحبيب علي بن محمد الحبشي »، وكتاب « تيسير الأمر في قراءة أبي عمرو »، وكتاب « التذكير المصطفى لأولاد المصطفى »[2] .

ودارت دائرة الأيام على الوادي المبارك لتكلأ صدور العباد والزهاد كأمثال هذا الحبيب المبارك رغبةً في الرحلة إلى خارج البلاد طلباً للأمن والتفرغ للعبادة والهدى

حاله كذلك على المواظبة منها على ما تيسر والمحافظة على الأذكـار والأوراد أينمـا أقـام وارتحل، أمتع الله به في خيرٍ وعافيةٍ .

(١) وقد جمع في هذا الكتاب فتاوى الإمام أحمد بن حسن العطاس ومكاتباته العلميـة ومباحثاتـه الفقهية مع علماء عصره بمكة حيث يقيم ورتبه على أبواب الفقه، فكان كتاباً نافعـاً، خصوصـاً مقدمته التي احتوت منهج الاجتهاد والتقليد وميزاني العلم والعمل، وقد طبع، وهو مختصـر مـن أصله المخطوط «تنوير الأغلاس» لبافضل في مجلدين الذي ملئ بأصناف الفوائد في شتى العلوم .

(٢) وقد طبعت تلك الكتب، بعضها في حياة المصنف وبعضها بعد وفاته رحمه الله .

بعيداً عن الحسد والبغض والكراهية التي احتشدت في صدور جهلاء المسلمين ممن تولوا أمر البلاد خلال مرحلة التغيير، فسافر من تريم إلى عدن ثم إلى أرض الحجاز في عام ١٣٩١، ونـزل بمكة المكرمة وأقام ا إقامةً دائمةً يتنقل منها إلى المدينة المنورة أو إلى جدة المحروسة ليشهد دعوة خير أو يشارك في مجمع نوراني مبارك إذا صفا له الحال وحسنت له المشاركة، وإلا فحبيبنا كثير العزلة والتجنب لمـجـالـسـة الخلق أو البروز لهم، كثير النفور منهم ومن علاقا م، وقد سمعته يقول : الخلق ما ركبوا ظهراً إلا وأدبروا، بل رأيته يكره المدح نثراً أو شعراً، ويكره كثيرا من مظاهر الـعـصـر ورفاهيته من مأكلٍ أو مشربٍ أو ملبسٍ راغباً في تقليد الزمرة الأولى من السلف الصالح رحمهم اللّه تعالى .

وقد نشأت علاقة سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى ذا الحبيب منذ عهد التربية الأولى حيث كانا يلتقيان في سفوح الغنا مراتٍ ومراتٍ، حيث يجتمع طلبة العلم وحفاظ كتاب اللّه تعالى ؛ ولكن هذه الروابط ازدادت تناميا ووثوقا بينهما بعد أن كبر سيدي الوالد وظهر داعياً إلى اللّه تعالى في جنبات الوادي المبارك وفي غيره من البلاد، وكان لهما لقاءات في مدينة عدن، منها تلك الأيام الجميلة التي وصفها الحبيب عطاس في قصيدة ورسالة بعثها لسيدي الوالد عام ١٣٦٤ من الهجرة، نثبتها تماما تتميما للفائدة، وقد أرسلها من عدن إلى أحور :

سلام ٍمن اللّه رب البشر ... يخص أخانا العِلي المُشتهر

حباه الإله الذي يشتهي ... ولا زالَ محفوظاَ ٍمن كُل شر

يعلم من كان في أحور ... وينِقذُ سكّانها ٍمن سقَر

مضى وقته في دعاءِ العباد ... ِلسبل الرشادِ ببحرٍ وبر

وأمسى يجالِس بالكُرهِ من   يشبه في فعِله بالـ ـبـ ـقَـ ـر
ومن لا يميز مِما به   مِن الجهل بين النوى والدرر
وذلك مِن وصفِ دارِ الدنى   فكيف يطيب ا المستقر ؟
فآهٍ و آهٍ على ما مضى   وما فات من صفوِ عيشٍ ومر
فقد كنت أفرح بالوقت ينـ   ـقضي كي أروح لتلك الحُجر
بسوقِ الطعامِ بدارِ الكرام   من ال شقاع نعم الخِير
وألقى عـ ـلـ ـيـ ـاً ببنقلَةٍ   يزحزح ما مسني من ضجر
فكم ليلةٍ طاب فيها الغِنا   وطاب الفؤاد بذاك السمر
وكم من حديثٍ شهي إذا   ذكرناه في الكربِ زال الكَدر
وكم من شرابٍ مليحٍ صفا   شربناه تلك الليالي الغرر
وكم قد خرجنا إلى العيدروس   نمشي الهُوينا بتلك البكَر
وكم مرةٍ كان في وسطنا   ويمسِك أيدينا كالعورِ
وكم ضحِكٍ قد علا بيننا   نسِينا به أننا في سفَر
وكم مرةٍ جئت للإسبتال   وشاهدت في أهلِه كم عِبر
وتلك عنايات من ربنا   رعتنا، ولا شك في ذا الخبر
ونحمده ثم نشكره   فبالحمدِ والشكرِ نلقى الظفَر
ونـ ـسـ ـألـ ـه ونـ ـؤمـ ـلـ ـه   يعيد علينا الذي قد عبر
بأوطانِنا في بلادِ تريم   مقر الجدودِ الحسان السير
ويكرمنا في سرورٍ ونور   بدنيا وأخرى بكل الوطَر

نعانق في شامخاتِ القصور ... مليحاتٍ قد زينت بالحَور
شريفاتِ أبكارِ نسل الرسولْ ... بأجملْ وأحسنِ تلك الصور
تكاملَ خلْق وخلْق لها ... ومنها استعار الضياءَ القمر
إذا أقبلت يستريح الفؤاد ... وينبسطُ الجسم حتى الشعر
وذلك سهلٌ على ربنا ... ويجزي ـذا الذي قد صـبر
ودم في سرورٍ ودم في حبور ... ودوداً عَرِيباً كذا في الحُفَر
ودونك ما حررته يدي ... وما أنتجته مليح الفِكَر
وأوصيك لي بالدعاءِ الكثير ... وعفواً فإني كثير الهَذَر
وما القصد إلا سرورك حيـ ... ـن تقرأ هذا الكتاب الأغر
وصلى إلهي على المصطفى ... وسلم تعداد آي السور

صدرت إليك أيها الأخ الوفي هذه الأبيات من قلب ملآن بالاشتياق إليك، وعسى أن توافق لديك، والأمل قبولها على ما فيها، والهدايا على قدر مهديها، وقد عزمت قبل هذا اليوم على السفر إلى جازان في ساعية، وما كنت أدري أن القدرة في تأخيرنا بعدن ماشية، والسبب في ذلك وصول كتاب لي من الأخ
سالم بن عبدالله الحبشي من المكلا بعد وصوله إليها من ثبي بمعية الأخ محمد الشاطري في موتر إلى الشحر، ثم إلى المكلا، وحال وصوله كتب لي بأنه يحب الاتفاق بي قبل مسيري إن أمكن، إذ هو على مخرج الدخول إلى عدن، ثم إلى جيبوتي، لأنه يطلب من أهلها بواسطة الأخ حسين بن محمد المحضار بالمكلا أن يكون أستاذا في مدرستها، وحالاً جوبنا عليه بأننا في انتظاره، وبعد وصوله إن شاء الله يكون المشي للحرمين،

وهناك تقر العين، بكل زين، وندعو لكم بسعادة الدارين، وقد تقدم لكم كتاب مبسوط ـبطي خطوطِ المحب محمد مهدي، وذكرت في تعريفٍ لطيفٍ بعدم وصوله، فأسفت كثير، ثم بشرني المحب محمد بوصول كتاب منكم له ذكرتم فيه وصول كتابي، فالحمدلله على ذلك، فأرجو فرحكم به، وجوابكم عليه قبل سفري، ولم أزل أتردد إلى سوق الطعام كالعادة ؛ ولكني أقول :

أما الخيام فإ ا كخيامِهم وأرى نساءَ الحي غير نسائِها

وأقول أيضا :

كأنْ لم يكُن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكةَ سامر

فالحمد لله على كل حال، دوام الحال من قضايا المحال، والصبر محمود على كل حال، وسمعنا بأن لك عزم على الخروج إلى تريم، فهنيئا لك، بلغنا اللّه تلك الأماكن الشريفة بعد أداء النسكين وزيارة سيد الكونين ونيل جميع ما تقر به العين، من سعادة الدارين .

وقد طال بنا الوقوف بعدن، وبنا غاية الضيق والحزن، وقد من اللّه علينا بالعم طه باهادون المحضار مع العم حامد نتسلى م، وذلك من فضل اللّه علينا، الدعاء الدعاء بصالح الأمور كلها، وإن وصلنا كتابكم في هذه الأيام بانجوب عليكم، وإذا أمكن الكتاب قبل مسيرنا ولو بيوم كتبنا لكم ولو سطرين، والسلام ختام عليك وعلى حاضري حضرتك من أحبابك وتلامذتك، وهذا مني ومن أحبابي وأصحابي، لا سيما عبداللّه باهادون ومحمد مهدي وعلي وعوض وبوبكر وسالم وعبداللّه العاقل، والكل بعافية ويطلبون الدعاء منكم، ونشكر الكل إليكم جزاهم اللّه عنا خيرا .

وحرر سلخ ربيع الأول ١٣٦٤

من أخيك الفقير إلى اللّه

أبي بكر العطاس بن عبداللّه بن علي بن زين الحبشي

آخر عشية يوم الأربعاء

وفي عام ١٣٦٧ نـزل الحبيب أبوبكر بن عبداللّه الحبشي ضيفا على سيدي الوالد بمدينة أحور، وكان لسيدي بصاحبه وشيخه شغف كبير بدا في حسن استقباله له وفرحه به فرحا جما، وصادف وصوله إلى أحور الفراغ من المبنى الجديد الذي ابتناه سيدي الوالد سكنا له ولطلبة العلم القادمين من خارج البلاد، فكتب الحبيب عطاس تاريخا لطيفا للبيت المؤسس بحساب الأبجدية، وكانت هذه الأبيات الجميلة :

بـيـت الصفا والنور	والأنـس والحبـور
مثوى السعادات ومأ	وى الشرح للصدور
بلطفه حساً ومعـ	ـنى فاق كُل الدور
كان أساسه على	تقْوى مِن الغفُور
عامِره نجلُ أبي	بكْر الفَتى المَشكُور
دام مقَر العلَما	ءِ السادةِ البدور
ومِن جمِيع السوءِ محـ	ـفُوظاً مدى العصور
ترعاه عين اللّه في الـ	آصال والبكُور
تارِيخُه : « مبارك	بـيـت علِي المَشهور »
٢٦٣	٤١٢ ١١٠ ٥٨٢ = ١٣٦٧

وقضى الحبيب العلامة بأحور أياما قليلة كانت من أصفى الأيام وأحلاها، وأتمها وأجلاها، تداخلت فيها نفس الأخوين المتحابين حتى اتحدا صورة ومعنى، واحتسيا

كأس المودة بالكأس الأهنى، فكانا يترافقان إلى كل مجلس عطر من مـجـالس العلم والدعوة إلى الله، ويعرف سيدي الوالد الناس بشيخه ذي الطلعة البهية، والسمة النورانية، فيسبقه النور إلى القلوب، فتنجذب إليه، وترتاح النفوس الحائرة لديه، وقـد سـمـع أهل البلاد من شريف قوله، ورأوا من لطيف فعله ما ترك الأثر على المدى،فدام فيهم ذكره، وعلا قدره، واشتهر بينهم أمره .

ولما أزف وقت رحلته عن البلاد حصل لدى سيدي الوالد بعض الانقباض والحزن، وتوسل إليه أن يطيل مكثه ومقامه، إلا أنه اعتذر وأوعد با يء عند سنوح الفرصة مرة أخرى، وقال له فيما معناه : إنما في مدينة الغنا لقاؤنا أتم وأعم وأحرى، وسافر إلى عدن على سيارة من سيارات البضائع، ومنذ ذلك الحين والمراسلات والمساجلات شعرا ونثرا بينهما توصل حبل المودة، وتقوي الكوامن المستعدة، وقد كان من هذه المراسلات والمساجلات ما حفظته الليالي والأيام بين الأوراق ؛ ولكنه بالمقارنة إلى ما عفى عليه الزمن وفات يعد شيئا قليلا، ونـزرا يسيرا، كمثل هذه الأبيات التي كتبها سيدي الوالد لشيخه الميمون في إحدى زياراته لمدينة تريم خلال عام ١٣٨٤ (١)، يقول فيها :

أهدي سلاماً زكياً ... إلى حبيبٍ ذكياً (٢)
عطاسٍ حبشِي فخراً ... من قد نسِينا نسِيا
أتذْكُر العهد ِقدما ؟ ... قد كان عهداً حفِيا
وفي عدنْ يا حبيباً ... كذاك أحور خيا
وليس قصدي تباهٍ ... بل صار في القلبِ كيّا

(١) كُتبت هذه الأبيات في ١٣ ربيع الأول من عام ١٣٨٤ .
(٢) هكذا في الأصل، وهو نعت وصفةٌ لـ « زكِيا » .

مِن هجرِكُم يا خليلي كأنني ذو قَرِيا
فوصلُكُم ذاك طِـبـي إن كان قلبك حيا
فرحمةٌ منك تحيِي فؤاد صب خلِيا

ويظهر من أبيات المنظومة أن طولَ الأيام بينهما أبدت جفوةً وفتوراً لِبعدِ المسافات الظاهرة ؛ ولكن المسافات الروحية لا تعرقلها الحدود ولا العوارض، فكانت قوة تدفع القلب للتذكار، فرد الحبيب عطاس على أخيه وخليله ونديمه بأبيات لطيفة تحمل روح المرح الممزوج بالعتاب :

أهدي السلام أُخيا السيد الأريحِيا
الطـيـب اللوذَعِيا الماجِد الألمعيا
مشهورنا في البرايا من قد تسمى عِليا
وكان فخراً أبوه وجده العلَويا
دام بأطيبِ عيشٍ يقْفُو السبيلَ السويا
ببلدةِ الخير أكْرِم لها رياضاً تهيا
لساكنيها الأجِلاّ العارفين النـبـيـا
كلمحةِ الطرفِ لَما أتى إلينا وحـيـا
زبـيـبـةٌ أسكـرتـه من قبل شربِ الحُمِيا
متى يكونُ التلاقي ؟ متى تكونُ نجِيا ؟
وصاغ شعراً عجيباً بكل لُطْفٍ حريا
يذْكُر فيه عهوداً مضت لنا ونِدِيا
في عدنٍ وكذا في أحور صفْواً جلِيا
والعود أحمد مني ومنه يبعثُ حيا
في دارِنا فهو يزهو بوصفِ زينِ المُحيا

أو دار مشهور إن هو　　　أحب فيها ا يا
والكل سِيانِ عندي　　　لا زلت شهماً رضِيا
هذا جوابك فوافي　　　فمن تراه نسِيا ؟
وكيف ينسى محِباً　　　في النائباتِ و گـيـا ؟

وقد لحق هذا العطاء الشعري لقاءٌ سري وجهري، تبادل فيه سيدي الوالد مع أخيه وشيخه الدعوات خلال تلك الفترة المباركة من ذلك العام خلال زيارته لتريم .

وتكررت هذه الزيارات الظاهرة والباطنة بين الحبيبين، وقد شهدنا منها ألواناً محمودةً خلال مشاركتنا زيارة حضرموت في بعض السنين مع سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى، ومن اللّه علينا خلالها بمعرفته والقراءة عليه ودعائه وإجازته وإلباسه وحسن توجيهه .

وفي عام ١٣٩٢ من الهجرة زار سيدي الوالد مدينة تريم زيارته الأخيرة، وكان يرافقه الأخ أحمد بن علي المشهور، حيث كان ينوي إبقاءه برباط تريم ؛ ولكن مجرى الأحداث المفاجئة خلال ذلك العام غَير الأمر من أساسه، حيث بدت ظواهر الخطرِ المُحدِق ببعض الدعاة والعلماء، فأخذ سيدي الوالد نفسه وولده مودعاً أرض البركات إلى غير رجعة، ولم ينس في غمرة الانـزعاج والارتباك أن يمر على صاحبه وشيخه وحبيبه في ذات اللّه، حيث عبر سيدي الوالد إلى وادي عيديد فوجد الحبيب معتكفا في مسجده الصغير، فودعه وداعا حارا يصفه الأخ أحمد بأنه وداع الإخلاص والمودة الصادقة، حيث كانا يتعانقان ويدعوان لبعضهما البعض والعيون تذرف الدموع، والقلوب تسأل اللّه أن يهيئ أسباب الاجتماع مرة أخرى .

وشاءت الأقدار الإلهية العظيمة أن تجمع بينهما مرة أخرى بعد افتراق، حيث غادر الحبيب عطاس أرض الجنوب في عام ١٣٩٢ لاحقا سيدي الوالد بعدة شهور، وكان لهما في ربوع الأرض المقدسة الطاهرة لقاءات واتصالات هامة وعظيمة، منها: ما حصل في جدة المحروسة، ومنها في مكة المكرمة، وقد وفقني اللّٰه لحضور بعض منها سجلت شيئا من فوائدها على مذكرتي .

فمنها جلسة نورانية عجيبة خلال عام ١٤٠١ بمنـزل ختنه في جدة، تبادلا فيها حكايات الأسلاف، وأخبار الأولياء الأشراف، وذكر لنا من أخبار الجد علوي والجد أبي بكر ما يثلج الفؤاد ويسر النفس، وطلب منه سيدي الوالد أن يسمعني قصة البشارة التي بشر ا الحبيب عبداللّٰه بن عيدروس العيدروس الجد أبابكر دوف مولود يسميه عليا، وأن اللّٰه سيبارك له فيه، فأسمعني إياها، وودت لو كانت لدي آلة التسجيل لأثبتها بصوته، كما طلب مني سيدي الوالد أن أشدو بشيء من كلام الأسلاف، فأنشدت له قصيدة الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحداد :

يا اللّٰه اطلبك يا خير والي   جد علينا بأكبر عطية

فأشار الحبيب بعد الفراغ منها بإبدال قوله : « اضرب العود فالقلب سالي » بقوله: « شل بالصوت فالقلب سالي »، وقال ما معناه : إن الناس ما يفهمون قصد الشاعر، وحكمهم على الظاهر، ثم أجازنا الحبيب وألبسنا ورتب الفاتحة .

وفي ١٩ ربيع الأول عام ١٤٠٢ زرناه أيضا في ذات المكان الأول، وكان سيدي الوالد متأثرا ذلك اليوم حيث بلغ إلى مكان إقامة الحبيب، وقد بدت عليه علامات

الإرهاق، ولما لامه الحبيب عطاس على التكليف قال ما معناه : بانجي حتى على عيوننا لزيارتكم، وتم بينهما في ذلك ما لم أسمعه من قبل من شيق الحديث، ولطف المذاكرة عن الأسلاف وحكايا م وشريف أخبارهم، وأحوالهم ومقاما م وما بلغ إليه أهل الزمان من الإنكار وعدم التصديق بالمكاشفات والأحوال التي تحصل للصالحين .

ثم طلب الوالد من الحبيب الإلقام والإجازة، فتم ذلك وأجازنا إجازة عامة في كل ما ورد عن الأسلاف من أعمال الطاعات كما أجازه في ذلك أهله وأسلافه متصلا إلى النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، ثم أُنشدت في حضرته قصيدة الحبيب علي بن محمد الحبشي : « رب إني يا ذا الصفاتِ العِليةْ »، وبعدها جرى بينهما كلام لطيف عن الوارد الذي يتغشى الحبيب علي عند الكتابة الشعرية والنثرية، وما أفاض اللّه عليه من سلاسة العبارة وعمقها ومتانة تركيب الجملة والعبارات .

وفي يوم ٢٥ جماد الثاني من عام ١٤٠٢ جاء الحبيب إلى منـزلنا لزيارة سيدي الوالد إذ كان يشكو من ألم في رجله اليسرى منعته من الحركة ومن مزاولة الصلاة بالناس في المسجد، وقد سبق مجيء الحبيب إلينا أن حملت له من سيدي الوالد في صباح ذلك اليوم رسالة خطية وقصيدة شعرية يصف فيها ما يجده من ألم يمنعه من الحضور إليه، وهذه هي الأبيات :

إلى السيدِ المفضال للحبشي ينتسِب   يلَقب بالعطاسِ ذي العلمِ والأدب
سلام عليكم يا حبيبي مكَرراً   وتقبيلُ أيديكم كذاك مع الركَب
سلام عليكم ما حيِيتم بلا مِرا   سلام عليكم ما ارتقيتم إلى الرتب

سلام عليكم ما أتيتم لجُدِةٍ ولي ولَع فيكم ولي منكم أرب
ولكنني يا سيدي مـتـألـم بركبتي الأوجاع حلت على العصب
لذا سيدي عذْراً وأرجو دعاءَكم فأنتم أولو المعروف والفضل والحَسب
سمعت بأن الأُذْنَ منكم أليـمةٌ شفاكُم إله الخلقِ مِن سقْمٍ او عطَـب
وأبقاكم ذخراً لنا وتبركاً برؤيتكم ينـزاح ما حل من كَرب
ونذكر أسلافاً لنا عندما نرى محياكم يا من تقَرب بالقُرب
ولا سيما ذاك الحُسين أخوكُم تلاوته الحسنى تثِير بنا العجب
وقد كان في ذاك الرباطِ مرتلاً وعند الحبيبِ الشاطري صاحبِ الرتب

وفي ذلك المساء المبارك من اليوم المذكور بادر الحبيب إلى زيارة سيدي الوالد وجلس معه جلسة لطيفة بعد صلاة المغرب، حضر خلالها درس الحديث الذي يعتاد سيدي الوالد إقامته بين العشائين، وحضر الجلسة السيد صالح بن عبدالرحمن بن سالم البيض الذي كان يواظب على الحضور كل ليلة لمشاركة سيدي الوالد في قراءة الحديث، وحضرها أيضا المحب غيثان بن عبيد بكير والفقير كاتب الترجمة والأخ محضار بن علي المشهور، وبعد تبادل أطـراف الـحـديث والاستماع إلى الحديث أجاز الحبيب عطاس جميع الحاضرين إجازة خاصة في قول : « اللّهم كما أنعمت فزد، ولا عيش إلا عيش الآخرة » عند شم الطيب، وقال : إن من واظب على هذا الدعاء عند شم الطيب غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كما أجاز الحاضرين في كتاب الوصية لأولاد الحبيب عبداللّه الحبشي المسمى « تعريف الذرية الحبشية بآثار أهلهم المرضية »، وفي ختام الجلسة رتبت الفاتحة، وطلب مني سيدي الوالد إعادة الحبيب إلى منـزل ختنه فأعدته، وسألني في الطريق عن الاستغفار المشهور الذي يوصي به

السلف ـ ـ « أستغفر اللّه الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الحي القيوم الذي لا يموت وأتوب إليه رب اغفِر لي » ـ ـ إن كنت مواظبا عليه ؟ فأخبرته بعدم مواظبتي عليه، فأخذ يستغفر العدد المطلوب في مسبحة كانت معي، ثم أجازني فيه وأوصاني بالمواظبة عليه صباحاً ومساءً سبعاً وعشرين مرةً، وذَكَر وردها في كتابه المسمى «التذكير المصطفى لأولاد المصطفى»، وأن من قرأها بالعدد المطلوب لم ير في بيته ولا في أهله ولا في داره ولا في مدينته ولا في البلد الذي هو فيه ما يكره .

ومما وجدته في ديوان سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى في شأن علاقته بالحبيب المذكور قصيدة شعرية كتبها تهنئة بعودة الحبيب عطاس من الحج، ولم يثبت عليها عام كتابتها :

إلى سيدي ـ ذاك الملاذِ ـ حبيبنا أبي بكرٍ العطاسِ نجل شيوخِنا
سلام عليك من بلادٍ بعيدةٍ إلى البلدةِ الغراءِ أرضِ جدودِنا
وصلت إلى الفيحاءِ أطْلُب سيدي نريد الدعا كي يصلح اللّه حالَنا
نهنيك بالحج الشريفِ لكعبةٍ وبالوقفةِ العظمى بيومٍ وقوفِنا
وبالسفرِ الميمون للبلدِ الذي حوت قبر خيرِ الرسلِ طَه حبيبنا
فأنعم وأكرم بالدخول لروضةٍ و وقْفَتِكُم عند الرسول شفيعِنا
لقد ذُرِفَت تلك الدموع بحضرةٍ وزرتم حبيب اللّه في الدينِ والدنا
وقفْتم وسلمتم على خيرِ مرسلٍ فرد عليكم سيد الفضل والمُنا
هنيئاً لكم هذا المُؤملُ سيدي لِمن كان ضيفاً للرسول إمامِنا
سألنا عليكم أخبر «البار سالمٌ » بسفرتِكم في يومِ يمنٍ تريمنا

على الطائرِ الميمون يا خير قائمٍ بلَيلٍ وفجرٍ تالياً لكتابِنا
وصلْتم تريماً في رضاً وسعادةٍ وزرتم فقيهاً ذاك أصلُ شيوخِنا
وسقّافَنا محضارنا بسقيفةٍ ومن هو في الصف الثخينِ وذُخرنا
هو العيدروس والأئمةَ غيرهم م في تريمٍ يجمع اللّه شملَنا
وأيضاً وصلْتم في مرابعِ سادةٍ بِعيديد فيها الغيد تزهو بأرضِنا
فحـيـا رباها كم سعِدنا بزورةٍ لسيدِنا ذاك الإمامِ حبيبنا

ومن لطيف ما كتبه الحبيب عطاس لسيدي الوالد خلال إقامتهما في الأراضي المقدسة هذه الأبيات التي بين فيها رأيه عن شعر سيدي الوالد، وأن عليه سمة الصلاح والتقوى، وقد كتبها جوابا على قصيدة كتبها سيدي الوالد في المدينة المنورة تسلية لولده المبارك عبداللّه بن أبي بكر عندما التقى به في الروضة الشريفة، فقال الحبيب عطاس :

شعر عِلِي المَشهورِ يأتي بغير رويةٍ وشعورِ
فلذا تراه بغير وزنٍ غالباً وترى بِهِ المرفوع كا رورِ
وكلام أهل النورِ يأتي هكذا من غير تقديرٍ ولا تقريرِ
أثنى على عبدِالإلهِ بمدحةٍ بين النظامِ العذبِ والمنثورِ
لَما رآه بروضةٍ نبويةٍ بجوارِ أشرفِ مرسلٍ مذكورِ
يتلُو كلام إلهِهِ في زمرةٍ ساقتهم الأقدار للتطهيرِ
فجزاه مولاه الجواد بخير ما يجزي الهداةَ به مِن التنويرِ
وبلوغ آمالٍ له يرضى ا مولاه والإسعادِ والتيسيرِ
وزوال ما يشكوه من فتنٍ ومن محنٍ وما في القلبِ من تكديرِ

وصلاح أحوال البلادِ ورفْعِ من　　　قد غَيروها غايةَ التغيير
تجري المياه نحو ما كانت ا　　　تجري وما يرضاه خير بشير
المصطفى صلّى عليه اللّه ما　　　حصلَ المُنى لِعلِي المشهور

ولقد أسعفني أخي في اللّه عبداللّه بن سيدي الحبيب عطاس ذه الأبيات التي كتبها والده لسيدي الوالد. كما أتحفني بصورةٍ لقصيدةٍ أخرى كتبها سيدي الوالد للحبيب عطاس وهو إذ ذاك ـ أي الوالد ـ لا زال مقيماً بأحور، فوضعتها في آخر ترجمتنا للحبيب عطاس، وفيها غاية الإيضاح لصدق المودة والمحبة التي كانت تجمعهما في ذات اللّه تعالى، وقد صدرها سيدي الوالد بقوله :

هذه أبيات ملفقةٌ على ميزان البصل أهديها للسيد الجليل، الشاعر النبيل، عطاس حبشي :

سلام يفُوح المِسك منه معنبر　　　لِعطّاسِنا بوبكْرِنا ذو فَطانةِ
عليهِ سلام اللّهِ من أرضِ أحورٍ　　　إلى البلدة الغناءِ أعظَمِ بلْدةِ
مِن الخِل مشتاقٍ لَكُم يا من انتمى　　　إلى الحبشِي المَشهورِ ساكنِ قَريةِ
يِثبي [١] فليس العيب فيها سوى انها　　　لها التبلُ مخلُوطٌ لها بلِبينةِ[٢]
وسيدنا المفضالُ ينسى لِخِلِهِ　　　ويتركُه لا يهتدي ببصيرةِ
ويهجره لا يذكر الخِل لحظةً　　　بتخطيطه سطراً له في الكتابةِ
أتذكر إذ كنا خرجنا ببكْرةٍ　　　مِن العيدروسِ وسطكم مثلُ شيبةِ؟

(١) ثِبي قريةٌ صغيرةٌ تبعد عن تريم نصف ميلٍ تقريباً، وهي مسكن الحبيب عطاس .
(٢) التبل ما يخرج من البر بعد حصاده، وتستعمل في حضرموت لخلط الطين الذي يصنع منه اللِّبن، وهو أيضا اللقب الذي يطلق على أهل ثبي عند المباسطة .

أتذكر يوماً عند شقّاع شيخِنا   بمحضرةٍ فيها السرور بضحكةٍ[(١)] ؟

أتذكر في بيتي وقلت لسيدٍ   فكِبد تحوش للقروش الكثيرةِ ؟
أتذكر إذ كُنا بمكةَ يومئذْ   نقَبلُ للبيتِ العتيقِ بضمةِ ؟
كتبت لكم مع ٍبن سميطٍ معبراً   عن الشوق للإخوان نعم السلالةِ
على رأسِهم عطاسهم هو ذخرنا   إذا استعرضوا كان القمر وسطَ هالةِ
فما كان منه غير إعراضه على   عِبيدٍ له يدعى بمستورِ شهرةِ
وقد قلتم يوماً بأبياتِ عدةٍ   على صوتِ دانٍ قلت نظماً بغنةِ
ذكرتم بأن العيش في أرضِ غربةٍ   هو السجن بل قيد حديدٍ بشدةِ
ألا فارحمن يا سيدي ِلمحِبكُم   فقلب له يكوى بأعظمِ كيَّةِ
هو الشوق للغناءِ والمنـزل في ربى   تريمٍ تكُن حتى الوفاةِ بتربةِ
وليس الأسى والحزنُ في حق صِنوكُم   ولكنه يخشى لأمرٍ ِبصبيةِ
فسيدنا في خنفَرٍ يوم موته   على صبيةٍ يبكي بأرضِ البداوةِ
أخوكم بذا حيرانُ يطلب غارةً   فهيا بغاراتٍ تجِيءُ بسرعةِ
فسيدنا علوي الشهاب مبشر   بأن المقر في تريمِ العظيمةِ
فنرجو من اللّهِ يحقق دعوةً   من السيد المفضال شيخ العصابةِ[(٢)]

---

(١) منـزل الشيخ محمد مهدي الشقّاع بعدن .

(٢) المقصود بهذه الإشارة ما ذكرناه في ترجمة الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين، وهـو أن الوالد رحمه الله ألقى على مسامع الحبيب علوي بن شهاب قصيدة من نظمه عـام ١٣٧٩ بتريم خلال زيارته للحبيب في منـزله، وكنا معه في تلك الزيارة وكانت الدموع تبلل خدي

وصار أخوكم حائراً ومبرساً بما قد يدور في الدماغ بفكرةٍ
وقلب له كان النياطُ مقَطعاً به لهب يذكيهِ شوق ولوعتي
ولو تر في الحالات وهو مدله لكنت له ترثَى بكل حنانةِ
تر الدمع من فوق الخدودِ معبراً لما فيه من تذكار تلك الأحبةِ
فيأتيَ بعض الأهلِ وهو مشنج بعبرتِهِ يبكي بأعظمِ دمعةِ

الوالد ولحيته وثيابه ويهتز جسمه ويرتعد وهو يلقي قصيدته، وكان يتوسل فيها أن يجعل اللّه موته بتريم الغناء، فأشار عليه الحبيب علوي بن شهاب بحصول ذلك وأنه يموت في تريم إن شاء اللّه ؛ لكن القضاء والقدر جرى مجراه، فكانت الوفاة بجدة والمدفن بمعلاة مكة، وأشكل ذلك علي من حيث ما أعلم أن دعوات الأولياء مستجابةٌ عند اللّه وأن الوعد الذي قطعه الحبيب علوي بإذن اللّه لن يخيب، فكيف جرى الأمر الأمر على خلاف ذلك ؟

ولأجل تبديد هذا الخاطر سألت الحبيب عطاس حبشي أثناء زيارتنا له بمكة المكرمة بعد وفاة سيدي الوالد بمدة قصيرة، وقلت له : إن الحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين كان يقول لسيدي الوالد : «لا تخاف.. سيكون موتك ومدفنك بتريم» أو ما في معناه لما قرأ عليه سيدي الوالد القصيدة عام ١٣٧٩، فقال لي الحبيب عطاس بما معناه : وهو كذلك، والوعد قائم، وكلام الحبيب علوي صحيح.. ولكن والدك حصلت له ساعة صفاء مع ربه في مرضه وكأنه طلب النقلة إلى العالم الثاني وما بقي من عمره يكون إن شاء اللّه في طول أعماركم في طاعة اللّه ورضاه، ففهمت من هذا القول عبارة سمعتها من سيدي الوالد قبل وفاته بليلتين عندما زرته ومعي العم عبداللّه بن حامد البار يوم ١٥ شعبان وكذلك معنا الأخ محضار، فلما دخلنا فرح واستبشر وقال لي وعينه تدمع : مرحباً بالإمام، وقال لنا أيضا : البارحة حصل المقصود، وعرفت بعد أن المقصود هو مطلبه في النقلة بعد حصول ساعة الصفاء التي ذكرها الحبيب عطاس .

يقولُ له: ماذا أصابك سيدي ؟   يجيب عليه خافتاً بكُلَيمةٍ[١]
فهل نفحةٌ بل دعوةٌ لأخيكُم   بظهر الغيوبِ فهي تقبلُ سرعةِ
ونخرج للغناءِ في خير حالةٍ   مع الأهل والأولاد في خير بقعةِ

يحسن لنا الإيطانُ فيها فإ ا   لقد فَضلَت في قول ساداتِ خِيرةِ[٢]
ويكرمنا الغفار فضلاً ورحمةً   وطول حياةٍ ختمها بالسعادةِ
ويرزقنا رزقاً حلالاً بلا عنا   ولا منةٍ للخلق فهي المصيبةِ
ويصلحنا يهدي سويد قلوبنا   ويملؤها بالخير في كُل لحظةِ
يوفقنا طاعاتِ ربي وجدنا   محمدٍ المختار أعظمِ رحمةِ
وصلى إلهي كل وقتٍ وساعةٍ   عليه مدى الأزمانِ في كل طرفةِ
مع الآل والأصحاب ما قالَ قائلٌ :   « صلاةٌ وتسليم وأزكى تحيةِ »

وعاش سيدي الحبيب عطاس أخريات حياته في رحاب البيت الحرام مجاوراً لتلك البقاع المقدسة زاهداً في العودة إلى حضرموت بعد أن حبب اللّه إليه المقام بالأرض الحرام هو وولده عبداللّه وأسر ما، واستقرا بالمنـزل الجديد الذي شيده ولده عبداللّه في نواحي مكة، وصار مقصداً للزائرين وكعبةً للقاصدين، وتفرغ الحبيب في هذا المنـزل للتصنيف والتحقيق ولطاعة اللّه وعبادته والجلوس لطلبة العلم في مساء كل ليلة حتى قضى اللّه عليه بأثر الريح في جزءٍ من جسمه فثقل عن الخروج للناس وبقي

---

(١) كتب سيدي بين قوسين بعد « خافتا بكليمة » : تريم، أي أ ا المقصود ببكائه .

(٢) كتب سيدي بين قوسين بعد « سادات خيرة » : شوارع تـريم إلخ، إشـارة إلى المقولـة :
«شوارع تريم شيخ من لا له شيخ» .

تحت العلاج حتى شفاه الله من آثار الريح إلا أن الضعف دب إلى جسمه واعترته حالة الشهود التي تعتري غالب الأولياء في أخريات أعمارهم.

وفي يوم الأربعاء ٢٨ رجب الفرد توفي الحبيب عطاس بمنـزله المبارك وصلي عليه في الحرم الشريف وشيعت جنازته في موكبٍ عظيمٍ حتى مثواه الأخير في حوطة المعلاة التي دفن ا ظهر الخميس عام ١٤١٦، وأقيم عليه الدرس والعزاء بمنـزله بمكة المكرمة وكذلك بجدة والرياض واليمن، وعبر الخطباء والمُذَكرونَ والشعراء بالقصائد العديدة عن حز م العميق بوفاته، وشارك الفقير بقصيدةٍ أُلقيت في ختم الدرس الذي عقد بمسجد العيدروس بعدن، وهي:

المَوت يفْجع والقضاءُ مرير	ولِفَقْدِ عطّاسِ الإمامِ نذِير
خبر كصاعِقَةِ العذابِ تجَلْجلَت	في الخافقينِ وزلْزلَ التفْكِير
ماذا يراد بأُمةٍ قد أُنقِصت	أطرافُها وتحقق المسطور؟
الناس تفْنى رهن كُل دقيقةٍ	وبواحدٍ يتضاعف التقْدِير
من مِثْلُ عطّاسِ الإمامِ المنتقى	غَوثٌ شريف عالِم نحرير؟
هو نسخةُ الأسلافِ في أحواله	ورع وزهد زانه التشمِير
هو نسخةُ الأسلافِ في عاداتِهِ	وصفاتِهِ ويشِع منه النور
هو نسخةُ الأسلافِ في تحقيقهِ	يحصِي الشوارِد..دائِب وصبور
كَتب التراجِم واعتنى بِرجالِها	وأضاءَ درب العلم وهو جدِير
وله مِن الأشعارِ كُل لطيفةٍ	سِلس الصياغةِ رائِق ونضِير
أَكْرِم بِهِ من سيدٍ متفَردٍ	نور الجلالةِ ساطع مشهور
متواضع للّهِ رجاع لَه	رطْب اللسانِ ودأْبه التذْكِير

أشياخه شهدوا لِعِظْمِ مقامِهِ   وله المقام الفائق المذكور
منذُ الصبا متقَلب في قالب التـ   ـسليكِ عِلْم زانه تطْهير
الوقت سيف في جميع حياتِه   حتى تحقق عِنده المَستور
مِن بلدِةِ الغناءِ جاء مهاجراً   في الدينِ لا مالٌ ولا جمهور
وأقام في أُم القرى متبتلاً   يهدِي الأنام وبيته معمور
يتردد الرواد كُل عشِيةٍ   في روضةٍ يشفى ا المصدور
يلْقَونَ من كرمِ العطاءِ معادناً   ويعود عائِدهم عليهِ النور
وله المدينةُ إنْ أتى متنـ ـزه   يرتاح في أكنافِها ويزور
يقضي الليالي قائماً متهجداً   تكْسوه فيها جةٌ وسرور
رحِم الإله حبيبنا وإمامنا   ذاك الفقيد الضيغم المشهور
وجزاه عنا خير ما يجزى فتى   عن عصرِهِ والخلد فيهِ الحور
ولنجلِهِ المفضال ألْف تحيةٍ   وله العزاءُ ومن لديهِ يزور
نِعم الخليفةُ نال كُل فضيلةٍ   وهو الفتى المحبوب والمنصور
ولأهلِهِ وذويِهِ ثُم محِبهم   ومريدهم والخاملُ المستور
ثم الصلاةُ على النبي وآلِهِ   والصحبِ ما غَنت هناك طُيور
وختامها مِسك وعِطْر فائِح   يغشى ضريحاً جاورته قُبور
في حوطَةِ المعلاةِ روضةِ جنةٍ   ثم الشبيكةُ والحُجونُ النور
تلك المنازلُ كم أتاها ضيغم   كالحبرِ عطّاسٍ كذا المشهور

٢٠ـ الحَبِيبُ العَلاّمَةُ محمدُ بنُ سالمِ بنِ حفيظٍ ابنِ الشيخِ أبي بكرِ بن سالمٍ[١]

العالمُ الجهبذُ الحجةُ الذي اشتهر في عصره بالحزم والعزم والإقدام، في كل أمرٍ ومرام، لا يخشى في الله لومة لائم، بلغ إلى مرتبة عالية من العلم والفتوى، مع السكينة والتواضع والتقوى، وقد عرفته حضرموت عالماً معلماً فقيهاً داعياً شاعراً أديباً مؤرخاً مثالاً في كل فن شريفٍ، وقدوةً في كل شامخٍ منيفٍ، ولد بقرية «مشطة» في سنة ١٣٣٢ من الهجرة، و« مشطة » ضاحية من ضواحي تريم الغنا، وتلقى بدايات معارفه وعلومه على نظر والده المتبحر في شتى العلوم والمعارف وعلى أيدي شيوخ ذلك العصر والمصر، ومنهم الحبيب عبدالله بن عـمـر الـشـاطـري، والحبيب عبدالله بن عيدروس العيدروس، والحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين، وقد كتب من كلامه شيئاً كثيراً، ومنهم الحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس، والحبيب علي بن عبدالرحمن المشهور، والسيد عابدين بن أحمد جنيد، والحبيب عمر بن أحمد بن سميط، والحبيب جعفر بن أحمد العيدروس، وكان له به ارتباط قوي ومتين، وكان يكثر التردد عليه، وله فيه قصائد عديدة، منها قصيدة قال فيها :

يا خير ليلة حضرناها عند الحبيب الولي جعفر
ليلة زهية ا طبنا عنا ا زال كل الشر

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص٣.

ومنهم الحبيب محمد بن هادي السقاف، والحبيب مصطفى بن أحمد المحضار، وله مكاتبات وردت إلى الحبيب محمد بن سالم لا زالت محفوظةً لدى أولاده، ومنهم الحبيب حسن بن إسماعيل الحامد، وغيرهم من شيوخ تلك الحقبة الزمنية المباركة .

وقد كـان لتوجيههم وحـسـن نظرهم ورعايتهم لقلبه وقالبه أثر كبير به، دأب على العكوف طالباً ومريدا، ينال منهم مزيداً ومزيدا، حتى تم الأمر، واستدار الشهر، وفاض النهر، فظهر و بر، وأشرق ونور، وأفاد واستفاد، وصنف فأجاد، ورقى مرقى الآباء والأجداد، فحمل على عاتقه راية الدعوة إلى الله تعالى في الوادي وخارجه، واهتم بتدريب العدد الكبير من طلبة العلم على نشر الدعوة في الحضر والبادية، بل كان يقوم مع عدد منهم برحلات متكررة إلى البوادي والقرى، ليتدربوا على مواجهة الخلق وكسب التجربة في الدعوة إلى الله تعالى كما كانت له رحلتان في ذات الغرض السامي إلى الهند والباكستان وإلى السودان والسواحل، وفيها زار الحبيب العلامة عمر بن أحمد بن سميط، وتم له في تلك البلاد كامل الإجلال، ولطيف الاستقبال .

كما أن له باعا عظيما في التصنيف المفيد، والتحقيق السديد، فقد ذكر نجله المبارك الحبيب عمر أن من تصانيفه المعروفة : «تكملة زبدة الحديث في فقه المواريث»، و« المفتاح في باب النكاح »، و « الفوائد الثمينة لقارئ المختصر والسفينة »، و«دروس التوحيد»، و « النفحة الوردية نظم السيرة النبوية »، و « الوسيلة للوقاية عن مضلات الفتن في جواب أسئلة عدن »، و «قرة العين بجواب أسئلة وادي العين»، و« نفحة الطيب العاطر في مناقب الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري »، و«نظم مولد

الحافظ عماد الدين ابن كثير»، و « التذكرة الحضرمية فيما يجب على النساء من الأمور الدينية »، و « النقول الصحاح على متن العدة والسلاح » [1] .

ومجمل القول : إن الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ كان من أركان العلم والمعرفة المرموقين الموفقين المقبولين لدى الخاص والعام .

وقد كان اتصاله وارتباطه بسيدي الوالد رحمه اللّه تعالى منذ باكورة الطلب في مدارس ومجامع تريم المشهورة، وازداد الارتباط توثقاً خلال ظهور الحبيب محمد بن سالم بحضرموت وتصدره الإفتاء والتدريس والنفع للمسلمين، فكان سيدي الوالد يتردد عليه بين الحين والآخر، وقد عرض عليه في إحدى السنين التي زار فيها حضرموت منظومته الفقهية التي سماها « هدية الأطفال » في مبادئ الفقه الشافعي، فقام هذا السيد العلامة بتنقيحها وتصحيح ما ضعف من أبيا ا وعبارا ا حتى صارت منظومة حسنة المضمون والمعاني، كما عرض عليه بعض ما نظمه سيدي في « السيرة النبوية » على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فنال من شيخه الاستحسان مع التوجيه والتنقيح والبيان .

وقد حفظت لنا مذكرات سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى عددا من المراسلات الشعرية والنثرية بينهما كلها تدل دلالة قاطعة على مدى الألفة بينهما، وتظهر كيفية المودة والعلاقة القوية التي تكـتنف جوانحهما، فمما كتبه سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى لهذا الحبيب هذه الأبيات الشعرية في ١٥ محرم ١٣٧٩ جواباً على رسالة وردت إليه منه :

---

(١) وهذه الكتب طبعت جميعها ما عدا « نفحة الطيب العاطر »، فـلا زال مخطوطـاً، وأكثرهـا يتواصى بتدرسيها في الحلقات العلمية .

إلى السيدِ المفضال من آل هاشمٍ أخي العلمِ مفتاح العلوم الغزيرةِ
محمدٍ من حاز الكمالَ بأسرِهِ بتقديره للعلمِ في كل جلسةِ
عليك سلام اللّه يا ابن حفيظِهم فأنت الفتى المحفوظُ من شر بدعةِ
فشكراً لكم يا سيدي بنصيحةٍ تعبر عن صدقٍ وحب ورحمةِ
ألا فارحمن يا سيدي ِلمحِبكِم فقلب له يكْوى بأعظمِ كَيةِ
هو الشوق للغناءِ والنـ ـزل في الربى تريمٍ بلادِ النورِ حلت بفكرتيْ
ببشار حـ ـيـ ـا اللّه بشار زنبلٍ ا ِمن ثَرى الجناتِ أعطَر روضةِ

واسترسل سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى في أبياته الشعرية معبراً عما يجول بخواطره من لواعج واشتياق لأرضه وأهله ومسقط رأسه ليس هنا مقام الاستطراد فيه، وسنثبت نص القصيدة في ديوانه الشعري إن شاء اللّه تعالى .

وقد أجاب الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ بأبيات نثبت منها قَدراً صالحاً وطرفاً ملائماً :

إلى ابنِ أبي بكرٍ سليمِ الطويةِ « علي » ربيبِ ا ِدِ أُ ي تحيتي
تحيةَ ذي ود لمحبوبِ قلبِهِ مكررةٍ في كل وقتٍ ولحظةِ
تحيةَ إخلاصٍ وصدقِ أخوةِ تزف إلى المشهورِ نجلِ الأئمةِ
تحيةَ مشتاقٍ تساق من الحِمى إلى أحورٍ تنحو ديار الأحبةِ
إلى من ثوى فيها يعلم جاهلاً وينذِر من يعصي ِبشر العقوبةِ
يبشر من في طاعة اللّه شغلُه بفوزٍ ورضوانٍ وحورٍ وجنةِ

وذا ديدنُ الأسلافِ في كل موطنٍ　　فليس لهم قصد سوى نفع أُمةِ
لقد فارقوا أوطانهم عن كراهةٍ　　لتبليغ دينِ اللّه في كل بقعةِ
ففازوا برضوانٍ من اللّه دائمٍ　　ونالوا مقاماً دونه كُل رِفعةِ
فطوبى لهم إذ أخلصوا في فِعالهم　　وأقوالهم واستسهلوا كل عقْـبـةِ
وإن علياً كان آباؤه الدعا　　ةُ للدينِ في كل النواحي بِهمةِ
فلا بِدع أنْ يقفو « علي » طريقَهم　　فأعظِم ا من مِنحةٍ أي مِنحةِ
ومن شابه الأسلاف في هديهم فقد　　تمسك في التقوى بأوثَقِ عروةِ
فيا رب وفقْنا لمنهاجِ أهلِنا　　ويسر لنا يا رب مِن كُل بغيةِ

وأما نماذج مراسلاته النثرية فقد وقفنا على واحدة منها كتبها الحبيب لسيدي الوالد خلال وجوده في إحدى رحلاته بتريم الغناء، جوابا على رسالة وأبيات شعرية بعثها إليه سيدي الوالد تتضمن سؤالاً فقهياً عن حكم المرور بين يدي المصلي، وهذا هو نص رسالة الحبيب :

حـضـرة الأخ الحبيب علي بن أبي بكر بن علوي المشهور، لا زال في حبور وسرور، وعليه السلام والتحية، يتكرران صباحا وعشية، وعلى بنيه وأخيه والذرية .

ثم إني تشرفت باستلام مكتوبكم المحتوي على الأبيات الرجزية، المتضمنة السؤال عن المرور بين يدي المصلي، وتلونا جوا ا أعلاه، والشوق إليكم كثير، وأما ما ذكرتم من أن المانع من الوصول إلينا ما تعلمون من الشوق لحديث خواص الخواص، فأنتم من خواص الخواص، وأما إذا كنتم تعنون أمراً آخر فلا تقيسوا ما عندكم بما عـنـد غيركم، وعلى كل حال فنرجوكم الموافقة على تشريفنا بالوصول إلينا يوم

السبت، ونتناول الغدا معا، وبمعيتكم أولادكم الجميع، والمأمول منكم الموافقة على ما ذكرنا . والبيت مفتوح، للغادي ومن يروح، فكيف بمن يحب غذاء الروح،ومعدود لدينا من أهل الفتوح ؟ أهلا وسهلا وإلى الملتقى، والسلام .

المستمد

محمد بن سالم بن حفيظ

وقد جرى بينهما في أ ـ حـ ـ ق من الأيام لقاءات عديدة خلال رحلات سيدي الوالد إلى مدينة تريم تم بينهما فيها تبادل الإجازات والإلباس والإلقام، وكان سيدي الوالد يحب استشارته وأخذ رأيه في بعض شؤونه الخاصة، منها : أنه استشاره في شأن تزويج الأخ محمد الولد الأكبر في ذرية سيدي الوالد، فأشار عليه بالمكان المناسب لدى عمه الناسك الصالح الحبيب عبداللّه بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، وقام بذاته لترتيب الأمر وتحديد المهر وقارب بينهما، وأصلح أمرهما، وكان ثمرة ذلك الارتباط الحسي والمعنوي بين ذرية سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى وبين أرض الأجداد، وموطن السلف الأوتاد، حيث تكررت زيارة الأخ محمد إلى تريم بعد زواجه في حياة سيدي الوالد .

وكان آخر لقاء جمع بين سيدي الوالد وبين الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ عام ١٣٩٢ خلال رحلة سيدي الوالد الأخيرة إلى حضرموت، حيث زاره بمنـزله وشاركه الرحلة في سبيل الدعوة إلى اللّه تعالى مع جماعة الدعوة بوادي دوعن، واتصلا معا في تلك الرحلة الرحمانية بكثير من أهل العلم والصلاح والتقوى، سواء في مدينة تريم أو بمدينة سيئون أو غيرها من الوادي المبارك الذي سمح الوقت بوطء ثراه وزيارة أوليائه من ظاهر أو باطن أو حي أو ميت .

وقد كتب العلامة الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ رحلةً مفصلةً لا زالت مخطوطةً جمعت خطوات الرحلة المباركة تلك منذ الخروج من تريم حتى ناية الأمر وعودة أهل الدعوة إلى محطة العلم والأجر، وقد ذكر الأخ أحمد الذي كان مرافقا لسيدي الوالد في هذه الرحلة أن سيدي الوالد عاد من رحلته الميمونة مع جماعة الدعوة إلى تريم، وأصبح ذلك اليوم زائرا لتربة السلف الكرام، فجاءه أحد الصالحين وأخبره أن في الأمر خطرا، وأشار عليه بالسفر قبل حلول الخطر، إذ كان يـبـيـت لجماعة الدعوة أمر خفي، فانـزعج سيدي الوالد وعاد من توه إلى المنـزل يرتب أمر سفره إلى سيئون، وودع أهله وإخوانه في ظروف عجيبة وغريبة، وأخذ معه الأخ أحمد بعد أن رأى صعوبة إبقائه بحضرموت، بعدما اغبر الأفق بـغـبـار الـريـب والشك والبهتان، ومنذ ذلك الحين فُقِد الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ بعد أن دبرت مؤامرة خطف له، ولا يعلم أمره إلى اليوم .

وقد بارك الله له في ذريته، ومنهم الحبيب ا اهد الصبور مشهور ابن الحبيب محمد الذي آل إليه الأمر بعد والده وصار متحملاً أعباء الأسرة، وقام بكل ما كان عليه والده من أمور الخصوص والعموم، بل صارت كثير من عادات وترتيبات تريم قائمةً على الحبيب مشهور وخاصةً في تلك المرحلة العصيبة التي كان فيها حزب الإلحاد مهيمناً على البلاد، وكذلك الحال من بعد زوال كابوس الإلحاد قام الحبيب مشهور مع إخوته بإعادة كل مظاهر السلف وزيارا م وعادا م على أفضل ما يرام وقام معهم أعيان تريم،كما يباشر اليوم مهمات التدريس في رباط تريم المبارك عالماً فقيهاً ومربياً جزاه الله خيراً .

وخلال هذه الحقبة ظهر أيضاً إلى جانب الحبيب مشهور أخوه الداعية إلى الله الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ[1] الذي حفظ الله به و ـمته روح الدعوة وسر الطريق المباركة، وخاصةً في تلك الحقب المظلمة في تاريخ حضرموت، والتف حوله المتعلقون بمنهج السلف، وصبر على نشر الدعوة في داخل وخارج تريم حتى ترسخ في الجيل المعاصر حقيقة الوعي التام بشرف الدعوة والأخذ بطريق اتباع السلف، وقد أبدع في استخدام كافة الوسائل المناسبة للزمان لجذب قلوب الناشئة، فكان بذلك خيراً كبيراً للبلاد .

وأعاد لمدرسة حضرموت وجهها المضيء في جوانب عديدة، ومن أهمها :

١- تقوية أواصر العلاقة بين شباب المرحلة ومدرسة السلف .

٢- إعادة وسائل التلقي المتوارثة عن السلف، كالإجازة المسندة والارتباط بالشيخ ودراسة علم السلوك .

٣- تجديد وسيلة المعرفة والإبلاغ بما يتناسب مع جيل العصر المتأثر بالظروف المدرسية، فافتتح دار المصطفى لدراسة العلوم الشرعية سنة ١٤١٧، ورسم لها منهجاً تعليمياً تربوياً يجمع بين ثوابت التعليم والتربية السلفية، وبين الوسائل والتطبيق المعرفي الحديث، كما فتح العديد من الأربطة القديمة كرباط الشحر ورباط عينات .

٤- حولَ الأنشطةَ الإعلامية الحديثة إلى خدمة منهج السلف، وتربية الجيل المسلم على الخلق والآداب، فأقام جلسات للدعوة إلى الله في الشوارع والحارات، وشجع الشباب على الإنشاد بقصائد السلف بدلا عن الأغاني، ونشر الدعوة بواسطة الأجهزة البصرية والسمعية، مما مهد أسباب المعرفة والعلم والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في الواقع كله .

---

(١) انظر الصورة لكليهما في الملحق ص١٠ .

٥- أسهم في إعادة دور مدرسة حضرموت في العالم من خلال رحلاته العديدة إلىالعديد من بلاد العالم ومشاركته في بعض المؤتمرات الإسلامية العالمية، واستقطاب العديد من طلبة العلم للدراسة في دار المصطفى بتريم ونشر الآراء الصائبة عن منهج الدعوة إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة من خلال البرامج التلفازية المحلية والخارجية.

وبالجملة فالسيد عمر بن محمد بن حفيظ يعد في مرحلتنا المعاصرة أحد الأعمدة العلمية والعملية للنهج العلوي المتجدد بروح الزمان والمكان دون إفراط ولا تفريط .

٢١ـ الحَبِيبُ محَمَّدُ بنُ أحمَدَ الشَّاطِرِيّ(١)

جِهبذٌ من جهابذة العصر، وموسوعةٌ علميةٌ زاخرةٌ بشتى المعارف والعلوم، وباحثٌ محَقق تفْخر به البلاد وتزهو، صنف عدداً من الكتب العلمية في التاريخ والأدب شعراً ونثراً، وله ديوانان، سمى الأول بـ« ديوان الشاطري »، وسمى الثاني بـ« القطوف الجنية »، وله كُتيب في سيرة المصطفى نظَمه بالحرف المهمل، وهو من أبدع ما كتب على هذا المنوال، وله شرح على كتاب والده «الياقوت النفيس »، طبع مؤخراً في ثلاثة مجلدات .

ولد هذا السيد العلامة في مدينة تريم عام ١٣٣١، وسمي محمداً بإشارةٍ من الحبيب أحمد بن حسن العطاس، وتلقى بداية علومه ومعارفه الشرعية والأدبية والعقلية على علماء بلده، ومنهم والده العلامة أحمد بن عمر الشاطري مفتي حضرموت ومؤلف كتاب « الياقوت النفيس في مذهب ابن إدريس »، كما درس على

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص١١ .

يد غيره من العلماء والشيوخ بحضرموت، ومنهم السيد العلامة عبدالله بن عيدروس العيدروس، والسيد العلامة عبدالباري بن شيخ العيدروس، والسيد العلامة عبدالله بن عمر الشاطري شيخ رباط العلم بتريم، وهو الرباط الذي تخرج منه الحبيب محمد بن أحمد الشاطري، كما تخرج من مدرسة الحق بتريم، وكان من أبرز شيوخه ا الأستاذ العلامة والكاتب الفهامة محمد بن هاشم بن طاهر العلوي، وله شيوخ كثيرون يضيق ا ال عن تعدادهم، وكلهم توسم فيه الخير منذ صباه، ومهم من ألبسه وأجازه على طريقة شيوخ حضرموت في ذلك العصر، وقد ساعده على التحصيل ذكاءٌ حاد ورغبةٌ صادقةٌ وحب شديد للعلم والأدب والشعر، وقد حفظ « الألفية » لابن مالك، وحفظ جزءاً كبيراً من «الإرشاد» لابن المقرئ في الفقه، واستوعب حفظاً ودراسةً عدةَ متونٍ أخرى كـ «السلم» في المنطق، و « الجوهرة » في التوحيد، و « صفوة الزبد » لابن رسلان في الفقه [1] .

اشتغل بالتدريس وهو في سن مبكرة، وتلك صورة من صور التربية العملية عند شيوخنا بحضرموت، حيث يؤهلون أبناءهم وتلامذ م للتصدر والتدريس ليتمكنوا من كسر حاجز الرهبة والخجل وتثمر علومهم التي يستوعبو ا عملاً ظاهراً في تحمل مسؤوليا م وسياسة رعيتهم .

وقد كان لهذا السيد العلامة باع طويلٌ ودور فَعالٌ وأساسي في النهضة العلمية والأدبية التي شهد ا حضرموت خلال حقبةٍ زمنيةٍ مزدهرةٍ مضت فيما كانت تسمى بـ « الدولة الكثيرية »، فقد ذكر في مقدمة ديوانه « القطوف الجنية » أنه أسس جمعية

---

(١) أُخذ هذا الجمع عن ترجمة الحبيب محمد بن أحمد الشاطري في ديوانه « القطوف الجنية » بتصرف وتعديل، وقد ترجم له العلامة النحوي الحبيب حسين بن محمد بن هادي السقاف ترجمةً أوسع طبعت في مقدمة الشرح الذي شرح به كتاب والده « الياقوت النفيس ».

الأخوة والمعاونة وانتخب رئيساً دائماً لها، كما وضع هو وزملاؤه سلسلة الكتب المدرسية ومقررا ا التعليمية مما أثار إعجاب كثير من التربويين العرب في حضرموت، وقد ذكر أنه طلب للتدريس بسنغافورة في مدرسة الجنيد الإسلامية، فسافر إليها عام ١٣٥٥، ودرس بتلك المدرسة واتصل هناك يئات ورجالات الجالية العربية، ثم عاد إلى حضرموت مع اشتعال الحرب العالمية الثانية عام ١٣٥٩، واشتغل بالتدريس والمحاضرة في معاهدها، وقد تدرج هذا السيد العلامة في مناصب ووظائف شتى كلها على قدر كبير من الأهمية والمكانة، وساهم في حل معضلات البلاد ومساندة المحتاجين والمظلومين ؛ ولكنه آخر المطاف استعفى من كافة مسؤولياته حين لم يرضِهِ موقف الأنظمة القائمة في البلاد .

هاجر إلى المملكة العربية السعودية عام ١٣٩٣ واستقر به المقام كمستشار ثقافي بمدرسة الفلاح الثانوية بجدة، وألف في نطاق عمله بعض الرسائل والكتب، كما كان يقضي وقتا كبيرا في المكتبة العامة للمدرسة للمراجعة والاطلاع .

يتصدر هذا الحبيب العلامة دروساً علميةً وفقهيةً وأدبيةً في بعض أيام الأسبوع تقام في بعض منازل السادة من أهل حضرموت بجدة، وهم بذلك يحيون المآثر العلمية والحلقات الفقهية والأدبية التي كانت تعقد في حضرموت، ويحضر هذه الدروس جم غفير من الحضارمة المهاجرين، وتناقش ا مسائل شتى وتقريرات لطيفة على جانب من الأهمية والفائدة .

اتصل سيدي الوالد رحمه اللّٰه تعالى ذا السيد الجليل بادئ ذي بدء بمدينة الغناء « تريم »، وقرأ عليه أيام زهو الحركة العلمية بمدرسة جمعية الأخوة والمعاونة، وكان كثيرا ما يتردد عليه بمنـزله للاستمداد والاستفادة، ويحضر بعض مجالسه العلمية

وندواته الأدبية التي كان يقصدها الجم الغفير من طلبة العلم وعشاق المعرفة، واستمر الاتصال والاستمداد بينهما بعد سفر سيدي الوالد من تريم الغناء إلى أرض القبلة للعلم والدعوة إلى اللّه تعالى .

ومما وقفت عليه من دلائل الصلة القائمة بينهما هذه الأبيات الشعرية التي بعث ا الحبيب محمد بن أحمد الشاطري جوابا على قصيدة ورسالة وردت إليه من الوالد رحمة اللّه عليه في ١٤ ربيع الأول ١٣٧٤ :

أُرد تحِيـاتِي إلى مـنـبـعِ الهدى   علي بن أبي بكرِ الّذي حالَف الهُدى
هو السيد المَشهور يا طالمَا بدا   بأحور كالليثِ الّذي يدفَع الردى
وكالشمسِ يهدِي ضوؤها كُل حائِرٍ   فتلْقاه دأْباً للظّلامِ مـبـددا
أتاني خِطاب مِنك يشفِي مذَكراً   بعهدٍ لنا أمسى له متـعـهـدا
هدفْنا بِهِ نحو المَعالي مجدداً   مكارِم آباءٍ وللشعبِ مسعِدا
ونرجو دواماً أنْ يحقق ما بدا   إلى أنْ نـبـلـغ الغاياتِ بالرغْمِ للعدا
وأنْ ننشر الوعي الحَمِيد جميعنا   وأنْ نـتـبـع الجَد الزعيم محمدا
عليهِ سلام اللّه دأْباً وآلِهِ   وأصحابِهِ ما دمت للشعرِ منشِدا

وقد شاءت الأقدار الإلهية، التي تحرك الأفئدة الإنسانية، أن يلتقي سيدي الوالد بشيخه المذكور في الأراضي المقدسة الشريفة خلال سني الهجرة من أرض الوطن بعد أن بدا أن السياسة القائمة هناك دد دماء العلماء وتحارب أهل التقى والزهادة علَناً، وتكررت بينهما في أرض جدة اللقاءات والزيارات، وغشيان مجالس العلم والمذاكرات، وكان لنا ولإخواننا بعض النصيب في المشاركة في بعض هذه الزيارات

التي تحصل بينهما، وقد عن لسيدي الوالد بعد وصولي إلى هذه الأرض المباركة أن أتلقى طرفا من علم الفقه على يد هذا العلامة المشهور مغانمةً للوقت ، وتوقاً للأخذِ على مثله، وقد منحه اللّه من العلم والمعرفة ما يسهلُ على الطالب فهم أعصى المسائل وأعقدها، فبعثني إليه حاملاً إليه بعض الأبيات ومستفسرا منه الأمر بالمثول والطلب على يديه [1]، وكانت أبيات القصيدة التي كتبها له سيدي الوالد شكرا له على إهداءه رسماً تذكارياً للسيد العلامة الأديب أبي بكر بن شهاب، ونبذةً جمعها حبيبنا محمد في حفل تأبين الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري رحمه اللّه تعالى قال فيها:

إلى السيدِ المِفضالِ مِن آلِ شاطرٍ ... محمدٍ المحبوبِ سِراً كذا جهرا
عليك سلام اللّه يا سيد التقى ... عليك سلام اللّه تعزى إلى الزهرا
عليك سلام اللّه ما دمت ناشراً ... لِعِلْمٍ بِهِ الطلاّب تفْهم ما تقْرا
عليك سلام اللّه يا سيد العلا ... وأهديت تذكاراً لِمن كان مفْخرا
« أبي بكرٍ » الفَذ العظِيمِ شِهابِنا ... تراجِمه فاقَت على كَوكَبِ الشعرى
وأخبرني إبـ ـْـنـ ـي « أبوبكْرٍ » الّذي ... يريد لِـ ـيـ ـقْـ ـرا العلم يدرِك ما يقْرا
أجـ ـبـ ـتـ ـم له جازاك ربـ ـّـ ـي ... وأكْرمكُم فَضلاً وأنتم بِهِ أحرى
وأرسلَتم تـ ـأبِـ ـين سيدِنا الّذي ... حوى العلم بل قد فاق حقّاً على الورى
هو الشاطِري كان شيخي وشيخكُم ... ولا محصِ للأعمالِ مِن فَيضِهِ تترى
فأشكُركُم شكْراً جزيلاً مع الثنا ... أطال لكم مولاي يا سيدي عمرا

---

(١) تم الأخذُ والقراءةُ على الحبيب في تاريخ الثلاثاء ٣ ربيـع الأول ١٤٠٢ ، وشـاطرني القـراءةَ الأخ محمد بن هارون بن شهاب الدين، وكانت قراءتنا في « المنهاج » للإمام النووي في الفقه.

وفي خِتامِ القصيدةِ التي لم نثْبتها بكُـامـلـهـا ذَيـلَ بالعبارات التالية :
حضرة سيدي وشيخي العلامة محمد بن أحمد الشاطري أمتع اللّه بحياته ..
بعد التحية وتقبيل أيديكم الكريمة صدرت أبيات ملَفقَةٌ ركِيكَةُ المعنى من غير ميزان ولا مراعاة للإعراب والقوافي، وإنما تطفلا، ولا أقدر أن أعبر لكم عن شكري، والدعاء مبذول، ومنكم مسؤول .

علي بن أبي بكر المشهور

فرد عليه السيد العلامةُ الحبيب محمد بن أحمد الشاطري بأبيات على ذات الميزان والقافية :

إلى ابنِ أبي بكرٍ كَتبت معـبـراً ... بِشِعرٍ مِن الشعرِ المُقَفى بِحَرفِ « را »
أُجِيب بِهِ عن شِعرِهِ وهو بادئ ... ففاز بِسبقٍ في المَيادينِ إذ جرى
وإني وإياه بشِعري وشِعرِهِ ... معاوضةٌ منا كمن باع واشترى
ذَكَرت زماناً يا علي كأنه ... مِن الذهبِ الإبريزِ بل كان أفْخرا
لَئِن كان قد ولىّ فإِن ثماره ... إلى اليومِ نجنِيها ولا زال مثْمِرا
بفضل شيوخٍ قَدس اللّه سِرهم ... وأسكَنهم جناتِ عدنٍ وأكْبرا

وفي ختام قصيدته كتب ما صورته :
فضيلة الأخ النبيل الجليل علي بن أبي بكر المشهور، السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، وبعد :

فقد وصلتني أبياتكم بيد الولد المهذب أبي بكر، وسررت ا جدا، وقد أجبتكم عليها مبادرة بالأبيات التي في الصفحة الأولى، أرجو قبولها، والدعاء منكم مسؤول، ولكم مبذول، وسلموا على الأولاد ومن شئتم، بلغ اللّه الجميع جميع الآمال، إنه كريم .

أخوكم
محمد أحمد الشاطري
حرر في ٤ ربيع الأول ١٤٠٢

وقد كان سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى دائما يذكر لنا طاقة النشاط المتدفق في صدر العلامة السيد محمد بن أحمد الشاطري، وأنه يعد من نوادر الأفذاذ الذين أنجبتهم بلاد الأحقاف في الأعصر المتأخرة، ويزداد يقين المرء عندما يجالس هذا الحبيب أو يحضر بعض دروسِه الفقهيةِ والأدبيةِ والاجتماعيةِ والعلميةِ التي لا تترك في الموضوع المتحدث عنه شاردةً ولا واردةً إلا وذكر منها طرفاً يشبع السامع، ويقنع الطامع، فقد شاءت إرادة المولى أن تجتمع كلمة الكثيرين من طلبة العلم في جدة من هذه الأرض الطيبة فيعيدون جة المدارس التي كانت في حضرموت، وترى علاّمتنا الفقيه المؤرخ في عدة دروس تدور على مدار الأسبوع يتحف الطلاب وراغبي العلمِ بالفرائدِ واللآلىء ما لا تِقِف معه قيمة ولا أثمان [1]، وجزاه اللّه عن العلم وأهل العلم خيرا، وأمتع اللّه به في كامل الصحة والعوافي، آمين، وللاستزادة فقد ترجم له تلميذه العالم الفقيه النحوي الحبيب حسين بن محمد بن هادي

---

(١) نشِر له مجموعةٌ من المحاضرات القيمة منها محاضرةٌ قيمةٌ ألقاها بدار الفقيه المقدم بتـريم ١٣٦٧ عنوا ا « سيرة السلف من بني علوي الحسينيين »، وهي قَـيِـمـةُ المضمون، وحاويةٌ على إجاباتٍ هامةٍ تدور في أذهان المتطلعين إلى معرفةِ حقيقةِ السلوكِ والأدبِ الّذي عرفتـه بـلاد الأحقاف .

السقاف ترجمةً مستقلةً مستوعبةً لجوانب حياته طبعت في مقدمة كتابه «شرح الياقوت النفيس» الذي طبع أخيراً .

كما له مجموعةٌ أخرى من المؤلفات العديدة المفيدة التي أغنى ا المكتبة الحديثة، ومنها « المعجم اللطيف في ضبط النسب الشريف »، و « تدريب الراوي في الرد على الشيخ الطنطاوي » وغيرها من الكتب المفيدة، أمتع اللّه به في عافية .

٢٢ـ الحَبِيبُ أحمَدُ بنُ صالِحِ الحَدّادُ
« صاحبُ نِصاب »(١)

الإمام الداعي، صاحب اللسان الواعي، والعقل الراعي، ذو الجاه الواسع، والمقام الشاسع، والحال الجامع، الذي اجتمعت عليه قلوب أهل عصره ومصره، وأحبوه في جهره وسره، عين أعيان الـزمـان، الإمـام ابن الإمام، إلى سيد الأنام صلى اللّه عليه وآله وسلم أحمد بن صالح بن عبداللّه بن طه بن عبداللّه بن طه بن عمر شقيق قطب الإرشاد الحبيب عبداللّه بن علوي الحداد .

كان وجوده في مدينة نصاب، من أرض العوالق العليا في شهر ذي القعدة الحرام عام ١٣٢٩، نشأ وترعرع تحت رعـايـة والـده الـعـلامـة الولي ومؤدبه في الحس والمعنى الحبيب صالح بن عبداللّه الحداد، وتلقى مبادئ تعليمه في اللغة العربية والقرآن على يد الشيخ عمر بن مـحـمـد باهرمز تلميذ الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري، حفظ القرآن العظيم، ونبغ في فنون التعليم، ودرس مبادئ العلوم

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص٣.

الشرعية على والده، ولما توفي والده عزم الأمر على السفر إلى دوعن لطلب العلم، فرحل إليها ومكث أربع سنوات وتزوج بها [1]، وتلقى صنوف العلم على عدد من شيوخ ذلك العصر، وزار تريم وسيئون وعينات خلال هذه السنوات الأربع للزيارة والتبرك وحسن النظر من الشيوخ، والتعرف على مآثر الصالحين ومزاراتهم .

وكان الحبيب أحمد في طلب العلم شغف ورغبة وممن يأخذ الكتاب بقوة، كما هو حال أهل الفتوة، أصحاب المقامات المرجوة، والسرائر المجلوة، وحبيبنا أحمد ممن أكب واجتهد، وتفَرّغ وتجرد، وأمد واستمد، وزود وتزود، وزاحم بالركب في كل موطن ومشهد، حتى [2] آذن الدلاء بامتلاء، واقتبس من الفيض السلفي الأجلى والأحلى، فعاد إلى أرض وطنه المبارك يحمل

---

(١) وقد سبق للحبيب أحمد أن تزوج في بلاده نصاب قبل سفره إلى دوعن .

(٢) استفدنا من إثبات هذه المعلومات من الحبيب محمد بن عبدالله الهدار صاحب البيضاء، وعن السيد علوي بن أحمد الحداد الملقب بالجاوي وإخوانه .

ومما أفادنا به السيد العلامة محمد عبدالله الهدار أن الحبيب ولد في نصاب في القعدة الحرام ١٣٢٩ ، وانتقاله إلى رحمة الله خنقاً على يد أخبث طائفة على وجه الأرض يوم المعراج ٢٧ رجب ١٣٩٢ ، ذكر أن والده رحمه الله كان يقول له : سيرفعك الله مقاماً عالياً على بلية تبتلى بها آخر عمرك، فصدق الله وعده، وأكرمه بالكرامة الكبرى والشهادة العظمى، حيث دعوه بعد رجوعه من المسجد وبعد أن صلى الضحى فيه، وكانت صلاته كل يوم الصبح إماماً بجمع كثير وقرآنٍ مرتلٍ من أول الختمة إلى آخرها كل يوم ربع جزءٍ غالباً، أما في أيام صلاته الخاصة بالخاصة فنحو نصف جزء وأكثر، وفي يوم ٢٧ رجب قرأ من سورة الرحمن عروس القرآن، ووقف على قوله : { ولمن خاف مقام ربه جنتان }، وقد نشأ رحمه الله منذ صباه في أحضان العلم والعبادة تحت أنظار والده القطب الحبيب صالح بن عبدالله الهدار الحداد .

البشرى والإسعاد، وينظم الدروس للحاضر والباد، ويحيي المآثر ويدعو إلى رب العباد، وظل هكذا الحال وهو في علم ومعارف، ونشر الدعوة الـحـسـنـة بكل المشارف، يتنقل بين البادية والحاضرة، ويذهب إلى أماكن البدو والقرى العامرة، يسانده من أهل بيته وأبناء عمومته عدد ممن نالوا المقصد الأسنى، والمشرب الأعذب الأهنى، ويـؤازره في سـبـيـل الدعوة أهل السلطان والسكان، حتى علا جاهه وظهر، وعرف في أصقاع البلاد وظهر، وكل من زاره أو تشرف بمعرفته انبهر، وخاصة بعد أن ورث المقام من أبيه وأخيه الأكبر، بعد مو ما وانتقالهما إلى عالم الأرواح، وقام بالمقام أكمل القيام، وظهر فيه ظهوراً يليق بخلافته، فكان معتنياً باستقبال الزوار والأضياف، كريماً في ضيافتهم واستقبالهم، مهتماً بكثيرٍ من عادات أسلافه في الزيارات والحضرات وترتيب شؤو ا، وكان يحضر الحضرة المباركة التي تقام في ضريح والده، ويحضرها الجم الغفير من أهل البلاد، وله فاتحةٌ طويلةٌ جامعةٌ شاملةٌ تستمر حوالي الساعة الكاملة من الوقت يستحضر فيها أسماء السادة العلويين في كل مكان، وأسماء الأولياء والزهاد والعباد، والصالحين من بقاع الأرض أجمعين، كما أن من خلاله الكريمة حب الأضياف، وقد يأمر ضيفه إذا رغب فيه وأحبه أن يجلس الشهر والشهرين في ضيافته، وقد لا يرغب في الضيف أو يراه مستعجلاً، فيقتصر على الثلاثة الأيام المسنونة .

كما كانت له رحمه اللّه جلسات علميةٌ ومذاكرات وعظيةٌ للرجال والنساء في مساجد نصاب وما حولها من البلاد، وكان لا تأخذه في اللّه لومة لائم، ولا يحابي أحداً ولو كان من أهل الحل والعقد والسلطان، وقد عرفه سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى بحضرموت، ثم عرفه أكثر من ذي قبل في زيارته الأخيرة لمدينة نصاب عام ١٣٦٧ من الميلاد، حيث عبر سيدي الوالد على هذا الحبيب عند أفوله من زيارة تريم

خلال ذلك العام، وكان برفقته عدد من أنجاله، وهم الفقير كاتب الترجمة والأخ علوي بن علي المشهور والأخ عمر المحضار وولد العم أبوبكر بن عبدالله بن سميط، واسمه محمد، وعقد سيدي الوالد النية على زيارته بعد أن بلغ مدينة عتق من بلاد العوالق العليا، حيث تم له النـزول عند مشايخ آل باجمال، ومنها نوى الرحلة إلى مدينة نصاب للزيارة ثم الرجوع في نحو ثلاثة أيام ليواصل الرحلة إلى بلاد العوالق السفلى، وترك المتاع واللوازم عند آل باجمال في مدينة عتق، وأمرنا بمرافقته والاستعداد النفسي لمقابلة الحبيب المذكور، وبلغنا مدينة نصاب بعد صلاة العـصـر حيث كان الحبيب وعدد من إخوانه وأقاربه يجلسون جلستهم المعتادة في منـزله، فخرج الحبيب ومن معه يستقبلون سيدي الوالد، وولجنا إلى المنـزل المبارك، وأخذنا مقاعدنا في تلك الروحة السلفية المشهورة، وواصلوا قراء م ومناقشا م، حتى حان وقت صلاة المغرب، فصلى سيدي الوالد بأهل البلاد في مسجد الجامع، وحضر الجم الغفير من أهل البلاد يستمعون النصيحة التي شنف ا سيدي الوالد أسماع الحاضرين بعد الصلاة، وظل الحال على هذه الصورة المباركة بين الدعوة إلى الله وحضور مجالس العلم والذكر وإقامة الموالد النبوية مدة أيام ثلاثة، ثم استأذن سيدي الوالد صاحب المقام للرحلة إلى البلاد، فما كان من الحبيب إلا أن أغلق باب الرخصة ودعا سيدي الوالد إلى البقاء في نصاب، وتكررت محاولات سيدي الوالد في الأمر ؛ ولكن الحبيب كان قد صمم وعزم العزم الأكيد على أن يستمع كل أهل البلاد بادية وحضرا إلى صوت الدعوة المحمدية ورد الطلب باعتذار، وأعد العدة لتنقل سيدي الوالد في مساجد البلاد ومعاهدها لنشر العلم والدعوة، ولما رأى سيدي الوالد أن الأمر أصبح في حكم الوجوب لبى الرغبة المباركة وأمر الفقير بالبقاء معه، واستأذن الحبيب في السماح للبقية من الإخوة والمرافقين بالسفر إلى البلاد، فأذن لهم وتم تجهيز سفرهم إلى مدينة عتق ثم إلى أحور .

وتم إحصاء المدة التي قضاها سيدي الوالد في مدينة نصاب وما جاورها في تلك الفترة قرابة الشهرين من الزمان [(١)]، زار خلالها غالبية المدن والقرى المشهورة كعبدان وضرا ومرخة وخورة وحطيب، وغيرها من المدن الشهيرة بالوادي المبارك، وحيثما حل أو نـزل كان الأهالي يقومون باستقباله ومن معه بأتم البشاشة والفرح، ويطلقون العيارات النارية في الهواء، وينشدون الأناشيد، ويحتفلون به احتفالاً عظيماً .

وبعد مرور الفترة المحددة للإقامة بهذه البلاد حصل الإذن من الحبيب بالسفر على طريق العودة إلى بلاد العوالق السفلى، وتم الوداع الحار بأعظم الصور والهيئات، ومما أذكره في ذلك اليوم المهيب دخولنا قبل السفر إلى غرفة خاصة للحبيب ولف علينا وعليه ثوبه وقال : « أنتم أهل بيتي » كما هو تقليد سادتنا العلويين، وتمت الإجازة العامة والخاصة والمشابكة والمصافحة وتلقين الذكر، وما يعتاده مشايخ السادة العلويين من أقوالٍ وأدعيةٍ في مثل هذه المواطن، وخرجت البلاد عن بكرة أبيها مودعةً سيدي الوالد إلى طرف الوادي الكبير، ومن عجيب ما يذكر أن المودعين حينما بلغوا إلى وسط الوادي وهم بين الأهازيج والنشيد السلفي وضرب الدفوف وإطلاق العيارات النارية توقفوا عن المسير، وجاء أحد العامة بثوبٍ طويلٍ أخضر اللون فجمع فيه أقدام سيدي الوالد مع أقدام الحبيب أحمد بن صالح، وطلب منهم الابتهال إلى اللّه بسقيا البلاد وإغاثة العباد بالأمطار، وكنت خلالها خائفاً وجِلاً وأنا أشاهد سيدي الوالد يشهق بالبكاء والنحيب مما يفعله هؤلاء العامة حسن ظن منهم

(١) في هذه المدة أصيب الفقير كاتب الترجمة في مدينة نصاب بمرض الجدري ومكث أياماً يعـاني منه ثم تم الشفاء، ويسمونه في تلك البلاد « الجعرة » بتشديد العين، وكان ـ وللّه الحمـد ـ خفيفاً لم يترك أثراً .

وصِدق طَوِيةٍ ونيةٍ، ورفِعتِ الأكُف بالابتهال إلى اللّه تعالى لسقيا الأمة، ثم بعد تمام التوديع والمعانقة والمصافحة غادرنا هذه البلاد إلى مدينة الصعيد، ووصل الخبر مساء ذلك اليوم بوصول السيول المباركة لسقيا بلاد العوالق العليا ومنها مدينة نصاب وما جاورها، فتم الفرح والاستبشار بقبول الدعاء وصدق نية أولئك الأخيار، في التوجه إلى العلي الجبار .

وجملة القول : « إن علاقة سيدي الوالد بهذا الحبيب كانت تحمل الدلالات القاطعة والبراهين البينة على حصول المدد والاستمداد والبركات له وللأولاد لكثرة ما حصل بينهما من تلازم ومحادثات وقراءات وإجازات وإمدادات وفيوض وبركات، والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات » .

وقد كانت بين الحبيب وسيدي الوالد مراسلات لم يحفظ لنا الدهر منها شيئاً، وتمت أيضا بعض المراسلات الشعرية بينهما ومراسلات من بعض أقارب الحبيب، وكلها لا يوجد في حوزتنا الآن منها أصلٌ ولا صورةٌ .

وكان سيدي الوالد يتتبع أخبار شيخه الداعي، ويتشمم الأنباء عن أثره الكبير في تلك البلاد البعيدة، وخاصة بعد أن حصل في البلاد ما حصل من مواجهات الدعاة وأذيتهم وتحقير شأنهم وشأن دعوتهم بعد حدوث التغيير الاجتماعي والسياسي في البلاد عام ١٣٨٧، وكان آخر ما ضاعف الهم والألم في صدر سيدي الوالد ما جرى خلال عام ١٣٩٢ حيث تضاعف الأذى من الأوباش لهذا السيد الجليل حتى قتلوه شهيداً في ٢٧ رجب ١٣٩٢ بعد الضحى، ودفن مع جماعة من أهل البلاد في ظروف أمنية سيئة، وكتب اللّه له الشهادة العظمى بعد أن عاش إماماً وداعياً ومذكراً

وهادياً إلى سواء السبيل، وخلفه في مقامه ولده الحبيب طه بن أحمد بن صالح [1]، وهو خير خلف لخير سلف، وابن عمه، الحبيب العالم الجليل عبدالله بن محمد بن صـالـح وأحـمـد بـن مـحـمـد بن صالح، أخذ الله بأيديهم وجنبهم شرور الأزمان وحوادث الطغيان، آمين [2] .

---

(١) وأمه الشريفة الصالحة سلمى بنت أبي بكر الحداد المتوفاة فاتحة شوال ١٣٩٦ بمدينة نصـاب، وكان له أخ أكبر يدعى علي، وقد توفي شاباً في حياة والده .اهـ عن « مذكرات الهدار ».

(٢) يذكر الثقات أن الحبيب أحمد بن صالح الحداد حفظ القرآن العظيم مكابدةً في سـن الكـبر، وكان فراغه في حفظ القرآن كاملاً قبل استشهاده بأيامٍ قلائلَ فقط .

٢٣ـ الحَبِيبُ محَمَّدُ بنُ عَلَوِيِّ بنِ شِهابِ الدِّينِ[١]

الوارثُ الحقي، لمواريث الأسلاف في المقام الصدقي، العارف باللّه الإمام الجامع لمحاسن الشمائل والأوصاف الذي نشأ ا منذ الصبا، الذي كتب عنه بعضهم فقال : « شب براً تقياً عفيفاً راضياً زاهداً عابداً ذا سمتٍ ووقارٍ ومهابةٍ تتغشاه الأنوار».

ولد بتريم عام ١٣٣١، وتربى بـأبـيـه الإمام علوي بن عبداللّه بن عيدروس بن محمد بن شهاب الدين، وقد اعتنى به والده عناية تامة، ورعاه رعاية خاصة، وحل نظره المبارك عليه . كان والده لا يقوى على فراقه، ولا يأذن له بالسفر إلا لحول الحبيب علي بن محمد الحبشي لسيئون لكونه شيخه، ولزيارة نبي اللّه هود في وقتها المعهود .

كان والده يقول فيه : « محمد ولدي حالُه أكبر من حالي »، وسمعت من بعض محبي الحبيب علوي المتعلقين أنه قال : « ما سميته محمداً إلا والنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم عند رأسه »، وأنه قال : « إن مدد ولدي محمد مِن النبي بلا واسطة » . كان مهاباً محبوباً ينبيك لونه عن حاله، اجتمع الصغير والكبير على محبته والإقرار بجلال قدره، ولم يستطع عدوه أن يقْدح في وصفه بما يشين، بل شهد أعداؤه بفضله .

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص٣.

كانت مجالسه في تريم مغمورة بانشراح الصدور ونـزول السكينة والخشية، إذا نظرت إليه ذكرك ربك، وإن استمعت إلى قوله وقع بقلبك، ينطبق عليه قول الحبيب عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه في وصف القوم في قصيدته العظيمة «الرشفات»[1] :

إذا رؤوا يشهر ذِكْر اللّه فهو لهم سيما على الجباهِ
يعرف معناهم بلا اشتباهِ مِن حيثِ ما يعرف ذو الجلال

لهم مِن التقوى أجل زِينةْ عند لقاهم تنـزلُ السكِينةْ
وتحصلُ الجَمعِـيـةُ المُـبيـنـةْ فتجذِب الألباب بانفعال

أخذ العلم وسلوك الطريق على يد شيوخ أجلاء كأبيه الحبيب البركة المربي، ذي العلم الوهبي، علوي بن عبدالله بن شهاب الدين، والحبيب عبدالله بن عيدروس العيدروس، والحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، والحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس، والحبيب علي بن عبدالرحمن المشهور، والحبيب أحمد بن عمر الشاطري، والحبيب أبي بكر السري، والشيخ محفوظ بن سالم بن عثمان الزبيدي، وقد قرأ عليه نحواً من عشرين سنة بأمر والده .

ولما توفي والده الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين تولى خلافة الأمر من بعده، فعمر الزوايا والمجالس والمدارس، وقام بالأمر خير قيام، وكان يدرس بزاوية الشيخ علي بن أبي بكر السكران ظهر يومي الاثنين والخميس، ويقيم المولد والتذكير

---

(١) « رشفَات أهل الكمال ونسمات أهل الوصال » قصيدةٌ للإمام المذكور تكاد أن تكون مدرسةً ذوقيةً مستقلةً جامعةً لأهم آداب الطريق إلى الله ووصف عباد الله الصالحين من أولئك الذين عرفتهم مدرسة حضرموت، وقد شرحها الشيخ العلامة عبدالله بن أحمد باسودان شرحاً وافياً لا زال مخطوطاً، وأما القصيدة فقد طبعت طبعة حجرية .

ليلتي الجمعة بمسجد شهاب الدين، والثلاثاء بمسجد سرور، والروحة عصر كل يوم عدا الاثنين والخميس .

كان رحمه الله يمتاز بتواضعه الشديد وموت نفسه حتى إنه كان يتعاهد الغنم في بيته كل يوم، ويحمل أكلهن ويحلب لبنهن بنفسه حتى مات، وكان إذا مر على صبيانٍ سلم عليهم، ولا أذكر أحداً يبادرنا بالسلام في صغرنا غيره [1]، وقد يأتي إلى منـزله بعض عامة الناس فيقوم بخدمتهم بنفسه، فيحضر لهم القهوة والماء وغير ذلك، وكان يحب الفقراء والمساكين ويجيب دعوتهم، وقد يحضر في اليوم الواحد أربع أو خمس عزائم ليجبر خاطر كل واحد، فقد كان تام الحرص على جبر الخواطر.

تعرض رحمه الله تعالى للأذى الشديد والتعنيف والشتم وغير ذلك من قبل بعض الحساد وأهل الأمر والنهي في البلاد، فكان معهم مثال الصابر المحتسب، لا يتبرم ولا يشكو، وحفظه الله من مكرهم وكيدهم .

وأما علاقته بسيدي الوالد فهي العلاقة المتصلة بآل شهاب الدين وآل المشهور حيث يجتمعون في أصل واحد، ثم إن مما توارثه أسلافنا الكرام أنهم يعرفون الفضل لأهل الفضل، وينطرحون لبعضهم البعض أدباً واعترافاً وتواضعاً حتى ولو كانوا من الأقران في العمر أو الطلب، ولذلك فنرى سيدي الوالد يستمد الفيض من شيخه وأخيه خليفة السلف في تركةِ الخلف الحبيب محمد بن علوي بن شهاب الدين قبل وفاة والده وبعدها، وحصل لهما الاتصال الكامل والاتحاد الشامل زيادةً على الأمور

---

(١) العبارةُ لكاتبِ مسودةِ الترجمةِ الأخ الداعي إلى الله الناشئ في طاعةِ مولاه الحبيب عمر بن محمدِ بن سالمِ بن حفيظٍ ابنِ الشيخ أبي بكرِ بنِ سالمٍ .

الحسية المتعارف عليها لدى الأسلاف من إجازةٍ وإلباسٍ وتشبيكٍ وتلقينٍ وإلقامٍ وغير ذلك .

وقد أخبرني الأخ أحمد بن علي المشهور الذي كان مرافقاً لسيدي الوالد في رحلته الأخيرة إلى حضرموت عام ١٣٩٢ أن سيدي الوالد زار أخاه وشيخه الحبيب محمد بن علوي عدة مرات في منزل والده الحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين، وحصل لهم الانبساط التام والاستئناس، وشكا سيدي الوالد حالة الناس وما وصل إليه الحال من تدهورٍ في الأخلاق واستخفافٍ بأهل العلم والفضل والصلاح، فأظهر الحبيب محمد غاية الكمال في الاستسلام المطلق للمقادير الواردة من رب الأرباب، فاستذكر سيدي الوالد الأبيات القائلة :

دع الإعتراض فما الأمر لك ولا الحكم في جريان الفَلَك

ولا تسأل اللّه في حكْمِهِ فمن خاض لُجة بحرٍ هلك

ولما أراد اللّه تدبير أمرٍ خفي في ذلك العام المشحون بالغرائب سافر سيدي الوالد من تريم دون أن يلتقي بأخيه وشيخه المفضال، واكتفى بإيداع السلام إليه مع العم عبدالقادر جيلاني المشهور لما حصل من تغيرٍ في الأفق، وقبضٍ لبعض العلماء والدعاة إلى اللّه تعالى بعد أوبتهم من وادي دوعن في جمادى الأولى من ذلك العام، وكان ذلك آخر العهد بينهما إلى الأبد، رحمهما اللّه رحمة الأبرار، توفي الحبيب محمد بن علوي بن شهاب الدين يوم الثلاثاء من ربيع ثاني عام ١٤٠٠ وهو يذاكر ويدعو إلى مولاه في مدينة المسيلة خلال الابتهاج بحول الحبيب عبداللّه بن حسين بن طاهر، وكان لموته صدى عظيم وأثر عميق، وحزن الناس لِفَقْدِهِ حزناً عظيماً، وتناول الشعراءُ أقلامهم والوعاظُ قرائحهم وألسنتهم، ورثَوه بما يجب أن يرثى به ذلك الداعية الصابر، ومن جملة من رثاه في ذلك اليوم الذي حدثت فيه مفاجأة القدر

ولده المبارك الصالح الأواب، عبداللّه بن محمد بن علوي بن شهاب، ومن جملة ما قاله في والده :

إنا للّه وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم، { وما جعلْنا لِبشرٍ مِن قَبلِك الخُلْد أَفَإنْ مِت فَهم الخَالِدونَ }، {كُل نفْسٍ ذَائِقَةُ المَوت}:

ـ المَوت باب وكُل الناسٍ داخِلُه ـ

وكـانـا أموات لكن بخت من قدم إحسان، وهذا الوالد رحمه اللّه رحل إلى اللّه وهو ينشر الدعوة إلى اللّه، قـال تـعـالـى : { ومـن يـخـرج مِن بـيـتـهِ مهاجِراً إلى اللّه ورسولِهِ ويدرِكْه المَوت فَقَد وقَع أَجره على اللّه }، خرج بقصد ونية إلى شرح الإمام الـحـبـيـب عبداللّه بن حسين بن طاهر الـذي يـقـول القائل فيه : « ما بانفضل الفقيه على عبداللّه بن حسين [1] »، والوالد ندر بنية صالحة، وقام ينشر الدعوة إلى اللّه وفي آخر المذاكرة فاضت روحه الشريفة أمام الضريح، الـحـمـد للّه، اللّه يخلفه علينا وعلى جميع المسلمين، شو نحن فـقـدنا آباءنا وفقدنا رجالنا، والآن واجب علينا أن نعتبر وأن نتذكر وأن نرجع إلى اللّه وأن نتوب إلى اللّه، وكان هذا الوالد ملازم لوالده الجد علوي، وكان على طريقة حسنة وعلى طريقة مرضية حتى قال فيه الحبيب علوي : « هذا محمد مقامه عظيم، ومعه سر ما هو معي »، اللّه ـ إن شاء اللّه ـ يجعل لنا شي من هذا السر،

---

(١) الفقيه هنا هو الإمام محمد بن علي باعلوي شيخ مدرسة آل باعلوي ومؤسسها، وقـد تـوفي رحمه اللّه عام ٦٥٣، وقد ترجمنا له انفراداً في كتابنا «الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم »، وهو في طريقه للطباعة، وعبداللّه بن حسين هو الإمام عبداللّه بن حسين بن طاهر أحد أئمـة العلـم والإصلاح العلمي والاجتماعي والسياسي بحضرموت، وانظر ما كتبه الحبيب محمد بن أحمـد الشاطري في « أدوار التاريخ الحضرمي » عن هذا الإمام، وقد توفي هذا الإمـام عـام ١٢٧٢ رحمه اللّه تعالى .

ويخلفه علينا وعلى جميع المسلمين بخلف صالح، ويجعلنا ـ إن شاء اللّه ـ من المتقين، ويجعلنا ـ إن شاء اللّه ـ من المتبعين لهؤلاء الرجال الكرامِ المطعمين ِلمن أمهم في الخِصبِ والمَحل .

قالوا : إن الحبيب أحمد بن حسن العطاس لما مات كتب الحبيب عبداللّه بن عبدالرحمن بن شهاب تعزية لأهله، وعزاهم فيه وفي عدد من الرجال لي ماتوا فجأة هكذا، وموت الفجاء النبي استعاذ منه، ونحن بالأمس فجعنا بفاجعة عظيمة، وهي موت هذا الإمام العظيم الذي يحق أن يقال فيه : ولد بتريم وحفظ القرآن العظيم، ونشأ على سيرة طيبة، فكان لا ينام حتى يكبس رجلي والده، وكان يقوم معه في كل حال وباراً به، ونحن ادعوا لنا أن نكون خلفاء لهم وأن نكون من كمل الرجال، نحن الا مقصرين، ونرجو من آبائنا أن يدعو لنا وأن ينظروا إلينا بنظر، فنحن ما يحسن أن نقوم ولكن قلنا امتثال الأمر خير من سلوك الأدب كما الوالد محمد لما قام في جنازة الحبيب علوي، ونحن عسى أن نكون مثلهم ونلحق م: يا رب فالحقنا م يا ربنا، اللّهم اخلفه علينا بخلف صالح، انتقصناه نقص، قال تعالى : { أولَم يروا أنا نأتي الأرض ننقُصها ِمن أطْراِفها }، ومن النقص موت هذا الإمام، كان إمامنا وقدوتنا في كل شيء وصرنا بعده عوران :

وصِـرنـا حيارى في مفاوِزِ جهلِنا نشبه ِبالبهمِ السويـْـرحةِ الغفْلِ

نخـبـطُ لا ندري الطرِيق ..

هو الآن بعد موته يا بخت أهله به، بايقدم عليهم وبايكون من كبار الرجال عندهم، وبايقابلونه بمقابلة تامة، لا سيما الحبيب علوي كان يقول : « هذا ولدي وصديقي وابني »، ويحبه كثير، واللي معه جعله لابنه، وإن شاء اللّه عسى ربنا يلحق الفرع بأصله، ونكون نحنا إن شاء اللّه حتى في عشر معشار ما حصلوا والا

نحن كما قال القائل : « شتانَ بين مشرقٍ ومغربٍ »، ما فينا حتى ربع أخلاقهم أو سدس أو عشر أو شي مما رأيناه فيهم، ومما مضوا عليه ؛ لأ م مضوا على طريقة حسنة، منذ نشؤوا ما عصوا اللّه، ولا صبوا ولا شيء، ولهم المرائي الحسنة ولهم العبادة والقيام، ما ترك قيام الليل حتى ليلة وفاته، اللّه يرحمه ـ إن شاء اللّه ـ ويخلفه علينا بخلف صالح وعلى جميع المسلمين، قال الحبيب علوي بن شهاب لما مات الحبيب عيسى الحداد وعمي أحمد بن عمر الشاطري وحسن بن عبداللّه الكاف قال : هؤلاء نقص على قبيلتهم وعلى أولادهم وعلى بلدهم »، ونحن هذا الوالد نقص علينا كبير جم، وعاد نحن الا الآن افتقدنا الحبيب علوي ؛ ولكن نقول : عسى ببركتهم

رب فانفَعـنا ببـركَتِهم واهدِنا الحسنى بِحرمتِهم
وأمِتنا في طَرِيقَتِهم ومعافاةٍ مِن الفِـتـنِ

اللّه يثبته إن شاء اللّه بالقول الثابت، ويكون من كبار المقابلين لهؤلاء الرجال، حاشا يردونه، بايقابلونه بمقابلة حسنة، اللّه يثبته بالقول الثابت ويثبتنا نحن بعد عمر طويل وجميع المسلمين، وأن اللّه ينظر إليّ وإليكم وادعو لنا والعفو منكم .

وتـكـلـم الـسـيـد العلامة سالم بن عـبـد اللّه بن عمر الشاطري في تلك المناسبة، وقال من جملة ما تحدث به [1] :

وقد التقط الموت علينا في هذه الأيام درة مضيئة.. وجوهرة من السلالة العلوية.. مِن :

بيتِ النبوةِ والفُتوةِ والهُدى والعلمِ في الماضي وفي المُتوقعِ

(١) كلمة الحبيب سالم كلمةٌ طويلةٌ شاملةٌ حاويةٌ، اخترنا منها ما أثبتناه، وهو قليلٌ من كـثيرٍ.

والموت نقاد على كَفِهِ جواهر يختار منها الجِياد

أخذ الموت علينا عالماً من علماء المسلمين، وعابداً من العباد الصالحين :

بكّاءُ ليلِتِهِ سجاد خلْوتِهِ مِن خوفِ مالِكِهِ يستعذِب التعبا

أخذ الموت علينا عظيماً من عظماء الإسلام، وعالماً من علماء الإسلام، وموت العالم والصالح ليست مصيبة خاصة بأهله، بل إن مصيبته عامة على المسلمين أجمعين، قال القائل :

وما كان قيس هلْكُه هلْك واحدٍ ولكنه بـنـيـانُ قَومٍ تصدعا

وقد أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أن موت العالم نجم طُمِس، وأنه مصيبةٌ وكسر لا يجـبـر، فقال عليه الصلاة والسلام : « إن اللّه وملائكته حتى النملةَ في جحرِها وحتى الحيتانَ في بحرِها ليُصلونَ على معلِمي الناسِ الخير »، وموت العالم نجم طُمِس، ولموت قبيلة أيسر من موت عالم، أخذ الموت علينا هذا الإمام العظيم، نسأل اللّه أن يبارك في أولاده وأحفاده وأسباطه وأن يخلفه بالخلف الصالح سيدنا ووالدنا ومربينا محمد بن علوي بن عبداللّه بن عيدروس بن محمد بن علي بن عبداللّه بن عيدروس بن علي بن محمد بن سيدنا شهاب الدين الأصغر أحمد بن عبدالرحمن بن سيدنا شهاب الدين الأكبر أحمد بن عبدالرحمن بن سيدنا الشيخ علي بن أبي بكر السكران بن عبدالرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي بن سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي بن مـحـمـد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيداللّه ابن المهاجر إلى اللّه أحمد بن عيسى بن محمد النقيب ابن سيدنا علي العريضي ابن سيدنا الإمام جعفر الصادق ابن سيدنا الإمام محمد الباقر بن

سـيـدنـا علي زين العابدين، وهو ابن الحسين بن فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم .

وتكلم بعد الحبيب سالم عدد من الخطباء والعلماء، وأفاضوا القول في الحبيب، وقد جمع بعض المحبين هذه الخطب في شريط خاص يمكن العودة إليه عند الحاجة، وأخـتـتم الحديث عن الحبيب محمد بن علوي بن شهاب الدين ببعض الأبيات التي حركتني الدواعي أن أقرأها في حفلة التأبين التي أقيمت على روحه في مدينة عدن بمسجد أبان في ختم الدرس على روحه :

قفراً أرى الدنيا بموتِ محمدٍ — يا للفجيعةِ كيف حالُ الوادي ؟

كيف المواطن وا السن بعده ؟ — أَلِفَت محـيـاه البهي الهادي

برد الأمان على « سرور » بوجهه — وبوجههِ الوضاءِ فـيـض رشادِ

درس الرباطِ تيتمت حـلـقاته — والمولد المشهود فيه ينادي

وتريم تنـزف دمعها لفراقه — تَـبْـكـي بموتِ العابِدِ السجادِ

واللّه ما فَقَد الزمانُ كَمِثْلِهِ — يدعو الجَميع لسيرةِ الأجدادِ

خـلـف لخير سلالةٍ محمودةٍ — سلك الطريق بهمةٍ وجِهادِ

خلّف الحبيب محمد بن علوي بن شهابِ الدين أولاده المباركين : عبداللّه، وهو القائم بأمر الخلافة بعد والده، وقد كان مهيأ لها منذ حياة والده وجده، ويليه أخوه المبارك علي، ذو الصوت الشجي، وهو عضد أخيه في مقام جده وأبيه، ثم أبوبكر، وهو أصغرهم، وهيأ اللّه له الأسباب للإقامة بأرض الحجاز يـعـمـل ويـجـد مجاهداً، ويحضر مجالس العلم والفضل مستمداً ومستفيداً، ولكل منهم ذريةٌ مباركةٌ، نسأل اللّه أن يمتع م في خير، وأن يعمر الزوايا بأهلها، ويجعلنا

وإياهم قرة أعين في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، ندخل السرور والرضا على الآباء والأجداد، وعلى حبيبنا محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم .

٢٤ـ الحبيبُ سالمُ بنُ حَفِيظٍ ابنِ الشيخِ أبي بكرِ بنِ سالمٍ (صاحِب مِشْطَة)

هو الحبيب العلامة سالم بن حفيظ بن عبداللّه بن أبي بكر بن عيدروس بن عمر بن عيدروس بن عمر بن أبي بكر بن عيدروس بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي [1]، ولد بجاوة في بلد بندواسة في ٢٥ شهر شوال ١٢٨٨، ومن عناية اللّه به أن سافر به والده من جاوة في ١٥ صفر الخير ١٢٩٧ إلى حضرموت حوطة مشطة، وفي هذه السنة ذا ا شرع في قراءة القرآن على يد المعلم عبود بن سعيد باشعيب، حيث استقدمه والده لتعليمه من قرية السويري بأجرته، ثم استأجر بعده معلما آخر عند سفر الأول إلى الحج، وكان الثاني من قرية الواسطة، واسمه عبداللّه بن الحسن باشعيب، وأكمل عنده القرآن كله بمعية جملة من الأولاد الصغار .

وفي أوائل سنة ١٣٠٤ رحـل بـه والـده من مشطة إلى تريم لطلب العلم الشريف، ولدراسة القرآن العظيم، وتم ذلك مرات على يد المعلم عـبـد اللّه بن أحمد باغريب في قبة أبي مريم، وحيناً في مسجد الجامع، وحيناً في مسجد المعلم المذكور بالسحيل، وكانت سكناه في بيـت المعلم المذكور حتى تم له مع عدد من طلبة العلم الانتقال إلى منـزل الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور، وفي هذا المنـزل المبارك كان سيره مع بقية الطلبة بسير شيخه الإمام عبدالرحمن المشهور،

---

(١) أخذت الترجمة عن « منحة الإله » للحبيب سالم مع شيء من التصرف .

فيقومون معه من آخر الليل إلى مسجد الشيخ علي بن أبي بكر السكران لتدارس القرآن حتى الفجر، ثم قراءة في بعض الكتب عند الحبيب إلى الإشراق، ثم العودة إلى بيت الحبيب، ثم توزيع اليوم على مجالس علمية في بيوت المشايخ الباذلين وقتهم لإفادة طلبة العلم، ومكث الحبيب سالم بتريم على هذه القاعدة مدةَ عامٍ واحدٍ تقريباً، ثم انتقل إلى سيئون سنة ١٣٠٥ لزواج والده بسيئون، و ا مكث لطلب العلم متنقلاً بينها وبين تريم ومشطة مدة سنتين ونصف أو أكثر، وقرأ على عدد من أشياخ زمانه وتزوج بمشطة، وبقي يتردد على تريم بين الحين والآخر، حتى عزم على حج بيت اللّه الحرام سنة ١٣٢٠، وهناك اجتمع بعدد من العلماء والصلحاء، وأخذ عنهم ثم عاد إلى بلده بحضرموت، وكانت له رحلات عديدةٌ منها رحلاته إلى وادي دوعن سنة ١٣٤٩، ومنها رحلته الثانية إلى الحرمين سنة ١٣٥٥، ودخل إلى جاوة ١٣٥٦، ثم رحل إلى الهند وجاوة مرة أخرى، ثم عاد إلى الحرمين سنة ١٣٥٧، ومنها رحل إلى زنجبار وممباسة، ثم عاد إلى عدن وحضرموت وبلغ إلى موطنه المبارك في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٨ .

وكان له في كل هذه الرحلات اتصال واجتماع بكبار علماء عصره، ومن كان ظاهراً في مصره، وقد أثبت مجموع هذه الاتصالات وثمارها من الوصايا والإجازات والمكاتبات في مصنفه المبارك المسمى بـ« منحة الإله في الاتصال ببعض أولياه »، وأفاض القول عند الكلام عن أشياخه الأكابر، بل يعد الجمع في محتواه ثبتاً لأحوال وأعمال أولئك الأشياخ الذين ارتبط م حساً ومعنى، وكان مجموع من أثبتهم من الأشياخ مائة وتسعة وأربعين شيخا، يأتي في مقدمتهم والده الحبيب حفيظ بن عبداللّه رحمه اللّه المتوفى في ١٧ رجب سنة ١٣٤٠، والحبيب العلامة مفتي الديار

الحضرمية الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور المولود في ٢٩ شعبان سنة ١٢٥٠ والمتوفى ليلة السبت الموافق ١٧ ظفر الخير سنة ١٣٢٠، والإمام الجهبذ الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي المتوفى في ٩ رجب سنة ١٣١٤، والحبيب الزاهد الأواب علي بن عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور المتوفى في ٩ شوال سنة ١٣٤٤ بتريم، والحبيب أحمد بن حسن العطاس المولود بحريضة في شهر رمضان ١٢٥٧ والمتوفى بحريضة في ١٦ شهر رجب سنة ١٣٣٤، وذكر من شيوخه الجد علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور، وكان ترتيبه في الكتاب المذكور الخامس والتسعين ص٢٣٥، وقد أثبتنا هذه الترجمة المذكورة في ترجمة سيدي الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور عند الحديث عن تلاميذه والآخذين عنه، ولهذا الاتصال الوثيق بين الحبيب سالم بن حفيظ والجد علوي سرى الارتباط إلى سيدي الوالد مع الحبيب المذكور، وتم بينهما اللقاء في تريم ومشطة مرات عديدة حصلت خلالها المذاكرات المؤنسة والمحادثات المفرحة، ولم يبخل الحبيب سالم على نجل وحفيد شيخه فحصل الإلقام والإلباس والإجازة، وفي إحدى السنين التي حرص سيدي الوالد أن نرافقه فيها إلى حضرموت أخذنا سيدي الوالد إلى مشطة برفقة ولده الإمام العلامة محمد بن سالم بن حفيظ لزيارة والده، ففرح بسيدي الوالد وبنا، وحصل لنا منه المدد والارتباط والتبرك، وقد بقي الحبيب سالم أخريات أيام حياته بمشطة مرشداً ومفتياً ومعلماً للناس في أمر دينهم مع غاية الأدب والتواضع وموت النفس، حتى لا يكاد أن يعرف إذا دخل مجلساً من المجالس العامة لحرصه على إخفاء نفسه والتستر من الظهور والشهرة، وكانت وفاته رحمه الله في رجب سنة ١٣٧٨ بمدينة مشطة بعد أن بلغ التسعين سنة رحمه الله رحمة الأبرار .

٢٥ـ الحَبِيبُ عبداللّه بنُ عليّ بنِ عبدِالرّحمنِ المَشْهُورِ

الفقيه المجهذُ المدقق، والعلامةُ الحجةُ المحقق، الذي أنفق العمر من دفته إلى دفته، مكباً على العلم والتعليم، والنفع للعام والخاص، عامراً أوقاته بكل مجدٍ ومفيد، ولد بمدينة تريم في سنة ١٣١٩ من الهجرة، وحفظ القرآن العظيم، وتربى بأبيه الناسك العابد الحبيب علي بن عبدالرحمن، حيث منحه الرعاية التامة وحط عليه العناية الخاصة والعامة، حتى بلغ ما بلغ، كما كان لِقُبِةِ الشيخ أبي مريمٍ بذْر البركاتِ الربانيةِ، وفيضِ الإمداداتِ الرحمانيةِ في باكورة حياته، وأول خطواته، وكان له بعدها من الأشياخ من تقر بهم العين وتنفتح بمجالستهم البصائر، وتمتلئ بأنوارهم المحاضر، كالحبيب الداعي، والأستاذ المراعي، الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري، والحبيب أحمد بن عمر الشاطري صاحب « الياقوت النفيس »، وقد كانت بينهما مودةٌ وأُلْفَةٌ أسقطت بينهما الكلفة .

ومن أشياخه الحبيب علوي بن شهاب الدين، والحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس، والحبيب عبداللّه بن عيدروس العيدروس، وغيرهم من شيوخ هذه الحقبة المباركة الذين خاض بهم ومعهم فنون العلوم وبحور الفهوم من العلم والمعلوم، وكان لا يفارق المدارس العامة والخاصة في أوقات انعقادها، بل عرف أنه من فحول روادها، وتصدر المجالس الفقهية والعلمية، وكان البِاقِعةَ المفتي، وخاصة بعد أن توفي الحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين عام ١٣٦٨، حيث ذكر أنه تصدر للتدريس في زاوية سيدنا الفقيه وزاوية الشيخ علي، وتقدم بالناس لزيارة التربة في يوم الجمعة المشهود، وله درس كان يقيمه في مكتبة الجامع، هذا بالإضافة إلى الدروس

الخاصة التي كان يعقدها بمنـزله في محضرة [1] جده الحبيب عبدالرحمن المشهور، ويحضرها أقرانه من طلبة العلم، مثل الحبيب العلامة محمد بن أحمد الشاطري، والحبيب علوي بن عمر بن عبدالله العيدروس، والسيد محمد بن عبدالله العيدروس، والسيد العلامة محمد بن سالم بن حفيظ، والسيد العلامة سالم بن علوي خرد، وأمثالهم من علماء تريم وطلبة العلم المتلهفين على المجالس والفوائد .

وقد ذكر ولده المبارك حسين بن عبدالله المشهور أن والده كان يعاني من هجوم ابتلاءاتٍ وأمراضٍ عديدةٍ تنهش جسده وتقلق راحته ؛ ولكنه مع ذلك كان متجلداً صبوراً على المشقات، لا يكاد يظهر شيئاً مما به، حتى على أقرب أهله وخاصته، بل كان يخدم نفسه بنفسه تحرزاً مِن تغير قَلْبِهِ على من لا يستجيب لدعوته وحاجته، بل كان مثالاً يحتذى في الصبر والاحتمال .

عرفه أصحابه ومعاصروه بالحدة في الطبع مع ذكاءٍ متقدٍ وبديهةٍ عجيبةٍ واستذكارٍ نادرٍ للحفظ والمعلومات، ومع كل ذلك فقد أجمع الكل أنه كان حريصاً كل الحرص على التمسك الكلي بآداب وأخلاق السلف الصالح، لا يميل إلى الدعةِ والتكاسل، ولا يرغب في ضياع أوقاته فيما لا تحته طائل، حتى إنه من كثرة رغبته في الاستزادة من العلوم رحل إلى الحج عشر مرات تقريبا، فأتاح له ذلك الأمر أن يتصل بشيوخ الحرمين ويتعرف على علماء وصلحاء من شتى الأقطار والأمصار، ويستفيد من رحلاته وتنقلاته دروس الصبر والتحمل ومعرفة أحوال الناس ومعاشرتهم

---

(١) المحضرة هي القاعة أو الغرفة التي تعقد فيها الدروس والمجالس المختلفة .

وخلطتهم في مد م وقراهم مما كان له الأثر الواسع في بناء صرح علمه وفقهه ومناقشاته القائمة على نصرة الحق والدين، وقد صنف عدداً من الرسائل الفقهية المختصرة التي حررها رغبة في النفع الخاص والعام، وله أيضاً فتاوى شرعيةٌ لا زالت قيد لحفظ لدى أولاده المباركين، ولما أراد اللّه أخذه إليه دفع عليه جنود الابتلاء حتى أقعدته على فراشه مدة تقارب العامين كان خلالها لا يبرح الفراش إلا مع من يحمله ويساعده حتى وافته المنية بمنـزله في مدينة تريم عام ١٣٨٨، ودفن بمقبرة زنبل، وكتب على قبره : « العلامة الفقيه حافظ كتاب اللّه » .

أما علاقته وارتباطه بسيدي الوالد رحمه اللّه تعالى فكان واضحاً من تكرار الزيارات بينهما وحصول المدد والاستمداد عند التقائهما، حيث يقضيان الساعات في ذكر أحوال القوم وأخبارهم، وقد يتعرضون لشيء من عويصات المسائل التي تكون عادة أحد المواضيع التي يبحثها الحبيب كل يوم، وقد شهدنا مع سيدي الوالد في محضرة الحبيب عبدالرحمن بن حسين المشهور جلسات عديدة، كان لنا شرف المشاركة بالإلباس والإلقام والإجازات التي تبودلت بين الحبيب المذكور و سيدي الوالد رحمهم اللّه تعالى، كما كان يطرب لإنشاد الفقير بقصائد السلف، وكثيراً ما كنت أشهده يحدق في من وراء نظارته التي لا تثبت على عينيه، وكأنما هو يتفحص النغمة التي تصدرها النفس المبتدئة في التعرف على الذوق، والربط بين الكلمة المنشودة والانـفـعـال فيها، بل كثيراً ما رأيت دموعه تتحدر على عينيه عند ورود ذكر الصالحين، وخلال ترتيبه الفاتحة، واستحضاره شيوخ المهيع السوي، من السادة بني علوي [1] .

---

(١) كما طلب منه سيدي الوالد في إحدى السنين التي زرنا فيها مدينة تـريم أن يطلعنـا علـى «الثـبـت الكبير لأنساب السادة العلويين» الذي جمعه جده الحبيب عبـدالرحمن المشـهور،

وقد كان سيدي الوالد رحمه اللّٰه تعالى يعرفنا في تلك المحضرة الواسعة على الموقع الذي كان يجلس فيه شيخه الحبيب علي بن عبدالرحمن المشهور، ويتذكر مرحلة تعلمه وأخذه على يديه، وكانت تلك المحضرة الواسعة هي الموقع الخاص بمجلس ومطالعة ومراجعة وتأليف الحبيب عبدالرحمن بن حسين المشهور، وفيها ألف تلك الكتب النافعة، وأرخ السلاسل التاريخية الناصعة، رحمهم اللّٰه رحمة الأبرار، وأسكنهم جنات تجري من تحتها الأ ار [1] .

٢٦ـ الحَبِيبُ أحمَدُ بنُ محسِنِ بنِ عبداللّٰهِ الهَدّار
(صاحبُ المُكَلاّ)

هـو الإمام فخر الإسلام السيد أحمد بن محسن بن عبداللّٰه بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، ذي المعالي والمكارم، وارث الأسرار وسليم الأفكار، والخائض بحور الولايات الغزار، الذي كتب عنه حفيده ومريده السيد العلامة عبداللّٰه بن أحمد الهدار ما صورته :

العلَم المفرد، غُرةُ جبينِ عصره، وحلية أيام دهره، آية الزمن في خوارق العادات والكشف الجلي الساطع، والبرهان القوي اللامع، صاحب الرياضات والعبادات والأذكار في الخلوات، نـزيل المكلا الحافل بجلائل الآثار وكبريات الأعمال وا هود الشاق .

فلبى الطلب وأطلعنا عليه، وأثبت أسماءنا بخط يده في موقعها من « الشجرة العلوية » .

(١) جـمـعـت هذه الترجمة بمساعدة نجل الحبيب المترجم له حسين بن عبداللّٰه بن علـي بـن عبدالرحمن المشهور بمدينة جدة المحروسة .

أُذْعن له أهلُ عصرِهِ ساحلاً وداخلاً في العلم والعمل والإخلاص والورع والاستقامة والصدق مع اللّه سراً وعلانيةً، فظهرت على يديه الكرامات والمدهشات، وكان قصره بالمكلا محجاً تؤمه الناس من كل فج من ملوك وعلماء، وعظماء وزعماء، وصلحاء وأولياء، لالتماس صالح دعواته، وصادق نظراته، وهو يملي عليهم من درر نفائس علومه اللدنية، ونصائحه الغالية الدينية، وكثيرا ما يرشد الملوك والقضاة والحكام بأسلوب المرشد الحكيم، والواعظ الغيور المستقيم، ولا يخشى في الحق لومة لائم .

له صلوات على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم طبعت في حياته تحت اسم : «روض الأنوار ومختصر كنـز الأسرار»، وهي حافلة بالسر النبوي والطيب المصطفوي، جعلها بعض الصالحين من أوراده الأسبوعية، فظهرت عليه آثارها وصفت روحه ببركة إدرارها .

وكان له رحمه اللّه أخذٌ وتلق عن أكابر الشيوخ المسلكين، أهل الرتب والتمكين، جمعهم أيضا السيد عبداللّه بن أحمد في الثـبـت المعروف بـ« العقد الفريد في ضبط وتقييد ما وصل إليه الإمام فخر الإسلام أحمد بن محسن بن عبداللّه الهدار ابن الشيخ أبي بكر بن سالم من الأسانيد »، وقد ظهر من خلال تتبع الثـبـت المذكور أن شيوخه الذين أخذ عنهم واستمد منهم متفرقون في سائر البلاد، فمنهم على سبيل المثال لا الحصر : الحبيب أحمد بن حسن العطاس، وكانت

صلته من أعظم الصلات، وقد صدر به ثبته المسمى بـ« العقد الفريد » [١]، الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ساكن الغرفة، والحبيب عبدالقادر بن أحمد قطبان السقاف بجهة جاوة، والحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي ساكن سيئون، والحبيب أبوبكر بن عمر بن يحيى، والحبيب محمد بن صالح بن عبدالله العطاس ساكن عمد، والحبيب حسن بن
أحمد بن سميط ساكن بلدة شبام، والحبيب عمر بن هادون بن هود بن علي بن حسن العطاس، والحبيب عبدالله بن أبي بكر العطاس ساكن بلدة حريضة، والحبيب طاهر بن عمر الحداد وابنه عبدالله ببلدة قيدون، والحبيب المكاشف العارف بالله عبدالله بن محسن العطاس صاحب (بوقور)، والحبيب الصفوة صاحب العلوم الفياضة عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور صاحب « البغية » [٢]، والحبيب علوي بن علي الهندوان صاحب (روغة)، والحبيب محمد بن عيدروس الحبشي، والحبيب عبدالله بن علي بن حسن الحداد، والحبيب أحمد بن هادي بن سالم ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، والحبيب أحمد بن محمد المحضار،

---

(١) وقد طبع طبعةً أزهرية .

(٢) واسمه « بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين مع ضم فوائد جمة من كتب شتى للعلماء المجتهدين »، مطبوع،وهو حاشيةٌ نفيسةٌ حشِيت بشوارد الضوابط الفقهية والفوائد العلمية ولُخصت بيد فقيهٍ متضلع من مجموعةٍ من الفتاوى المطولة،وهي: فتاوى الإمام عبدالله بن حسين بلفقيه، والإمام عبدالله بن عمر بن يحيى، والإمام علوي بن سقاف الجفري العلويون الحضرميون، والإمام محمد بن أبي بكر الأشخر اليمني، والإمام محمد بن سليمان الكردي المدني، ثم أردفه بفتاواه ونوازله التي وقعت له وسماه « تكملة بغية المسترشدين »، وقد طبع طبعةً أزهرية، ويكثر التواصي بمطالعته في حلقات الحضارمة لقوته في حصر الشوارد واقتناص الفوائد .

والـحـبـيـب أبـوبـكـر بن عـبـدالرحمن بن طاهر، والحبيب أحمد بن عبدالله بن الحسين بن طاهر بالمسيلة، والحبيب يحـيـى بن عـلـي بن قاسم الأهدل في (سرباية)، والحبيب محمد بن عبدالله بارقبة ببلدة سرباية، والحبيب محمد بن شيخ المساوى، والحبيب أحمد بن طه السقاف، والشيخ عبدالله بن عمر باجماح من ذرية الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، والجد علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور .

وقد كتب له إجازة خطية في الصحاح وغيرها من كتب الحديث ختم ا مجموعه « العقد الفريد »، وقد كانت له مع الجد علوي علاقةٌ متينةٌ وارتباطٌ متين، كانت هذه العلاقة هي إحدى العوامل الهامة في ارتباط سيدي الوالد رحمه الله تعالى بالحبيب أحمد بن محسن حيث زاره مرات عديدة بمنـزله الكائن في مدينة المكلا، وحصل له منه الإلباس والإلقام والإجازة والاتصال ظاهراً وباطناً .

وقد زرنا ضريحه بعد وفاته خلال عدة رحلات مررنا فيها مع سيدي الوالد بمدينة المكلا، ويذكر أن وفاته كانت في ذي القعدة سنة ١٣٥٧ تقريبا .

٢٧ـ الحَبِيب أحمَد مَشْهُور بنُ طَهَ الحَدّاد[١]

لسانٌ علوي من ألسنة الدعوة المحمدية المباركة، وعلَم سلفي من أعلام الطريقة السوية التالدة، وشيخ من شيوخ حضرموت الذين يقتدى م ويهتدى ديهم،

(١) من مقدمة كتاب الحبيب أحمد « مفتاح الجنة » بتصرف في العبارة، وانظر الصورة في الملحق ص١١ .

ترجم له ولده محمد بن أحمد في مقدمة « مفتاح الجنة » الذي ألفه الحبيب أحمد مشهور نقتبس منها مختصراً شافياً :

هو العلامة السيد أحمد مشهور بن طه بن علي بن عبداللّٰه الحداد العلوي الحسيني الحضرمي، ولد بمدينة قيدون بوادي دوعن بحضرموت عام ١٣٢٩، و ا نشأ وترعرع في بيتٍ من بيوت العلم والصلاح، وكانت أمه الصالحة صفية بنت طاهر الحداد المدرسة الأولى، إذ كانت من الأمهات القلائل اللاتي ضن الزمان بمثلهن علماً وحصافةً وفصاحةً، وكانت من حفّاظ القرآن الكريم، فغذته بلبا ا وهي تتلوه، ورعته بتوجيهها وهي تدارسه آياته، وكانت أول من أخذ بسمعه لتروي له في قصصها حياة الذين أدركتهم من أئمة العلم والصلاح .

وأما أشياخه فهم عدد كبير، ومنهم السيد العلامة الداعي إلى اللّٰه عبداللّٰه بن طاهر الحداد وأخوه الجهبذ الحبر الإمام الفقيه المسند المؤرخ علوي بن طاهر الحداد مفتي جوهور بماليزيا سابقاً، وعليهما كان جل انتفاعه وتلقيه في معهد الحفاظ الذي أسساه بمدينة قيدون سنين عديدة، ومن شيوخه عمدة السلف السيد صالح بن عبداللّٰه الحداد وقدوة الخلف السيد أحمد بن محسن الهدار، كما سمع أيضاً من الإمام الكبير الحبيب أحمد بن حسن العطاس .

هاجر في عنفوان شبابه إلى جاوة ثم عاد إلى وطنه وشارك في حركة العلم والأدب والشعر والتصوف وعلوم العربية والتاريخ وحفظ الكثير من المتون وبرز أخيراً كخطيبٍ وشاعرٍ وناثرٍ، وهاجر في عنفوان شبابه إلى إفريقيا الشرقية ليكون ا علماً وإماماً وداعيةً من دعاة الإسلام مع أنه كان يزاول التجارة من باب صيانة العلم والحفاظ على شرفه من الحاجة إلى غيره، وكان في تجارته زاهداً قانعاً، كما نجده

موزع الأوقات في الطاعات والعبادات وفي الإصلاح الاجتماعي وفي إلقاء الدروس الهامة التي يحضرها العديد من العلماء والمصلحين والطلاب بين المسجد والمنـزل، وقد تتلمذ على يديه شباب كثيرون هم الآن في إفريقيا الشرقية مثالٌ للخلق الإسلامي والتوجيه السليم [(١)] .

ولقد هدى اللّه به خلقا كثيراً، وأسلم على يديه الجم الغفير من الوثنيين والمسيحيين، واشتهر صيته في الآفاق ورشح للقضاء العالي أكثر من مرة فرفضه، وكان همه وشغله الشاغل بعد الدعوة إلى اللّه إبطال عاداتٍ سيئةٍ متفشيةٍ استحكمت في النفوس ودرجت عليها الناس حتى حسبوها من الدين والدين منها براء كعدم توريث البنات واختلاط الرجال بالنساء في المناسبات الاجتماعية وانتهاك حرمة المساجد بما يحصل فيها مما ينافي الآداب الشرعية، فهب يرشد ويوجه بالحكم والموعظة الحسنة حتى انتفع به كثير ومحى بدعوته من آثار الجهالات الشيء الكثير .

ولعل أشد ما حاربه في تلك البلاد بالحجة القوية نحلة القاديانية الخبيثة، والتي انتشرت في شباب المسلمين وشيبا م في أوغندا، فانبرى يصول ويجول ويباحث ويناظر في المساجد وا امع حتى أصا م الخوف وخسر هنالك المبطلون .

---

(١) كما أقام الحبيب أحمد رحمه اللّه تعالى بالدعوة والمساهمة الفعالة إلى بناء عدد من المسـاجد والمعاهـد بإفريقيا الشرقية، منها أربعة مساجد في حزام « ممباسة » ومسجدين بأرض الوديفو.

وفي الغالب أنه ما من مسجد إلا وبنى جواره مدرسة وظيفتها تحفيظ القرآن وتعليم مبـادئ الدين، وفي مدينة لامو أشرف الحبيب أحمد على تشييد معهد علمي ورباط تكاـف بنـاؤه المبالغ الهائلة التي قام بالقسط الأوفر من تكلفته الشيخ الفاضل ناصر لوتا المقيم حاليـا بمدينـة دبي من أرض الخليج .

ومن مؤلفاته أمتع الله به مجموعةٌ من الفتاوى المتناثرة في كل فن، وشرح لمنظومة سعيد بن نبهان المسماة بـ« الدرة اليتيمة » في النحو، ومنظومةُ « السبحة الثمينة نظم مسائل السفينة » [1]، ورسالةٌ باسم « المسك الفائح في أحكام الصيد والذبائح »، ورسالةٌ في معنى التشويش المنهي عنه في الصلاة، وله مجموعةٌ ضخمةٌ من الخطب والمذاكرات والمواعظ المرتجلة التي كان يلقيها في الجمع وفي غيرها من المناسبات .

اتصل سيدي الوالد رحمه الله تعالى بهذا الحبيب القدوة في باكورة حياته وخلال التجربة الأولى في السياحة عبر قرى الوادي المبارك في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، مستمداً من تجربة شيخه مستفيداً من قدرته العلمية وملكاته الأدبية، كما ازداد الاتصال والارتباط بينهما خلال لقاءاتهما المتكررة في مدينة تريم خلال زيارات الحبيب أحمد مشهور إلى حضرموت في بعض السنين قادماً من إفريقيا الشرقية، وقد عرفناه واتصلنا به مع والدنا في إحدى رحلاته المباركة إلى أرض الأسلاف المطهرة حيث اجتمعنا له في منـزل العلامة الداعي إلى الله الشيخ فضل بن محمد بافضل، ولازلت أذكر بعض الحكايات والكرامات التي قصها على الحاضرين في ذلك المجلس منها قصةٌ غريبةٌ حصلت له مع الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين .

---

(١) شرح هذه المنظومة الشيخ الفقيه محمد باعطية بإشارةٍ من الحبيب أحمد مشهور الحداد، وقدم الشرح المذكور للطبع، وكتب له السيد عمر حامد الجيلاني مقدمةً جيدةً حوت تفاصيل دقيقةً عن علم الفقه واهتمام علماء حضرموت به وعرج على تفصيل الكلام عن المنظومة وأهميتها وعن مؤلفها، وسمي هذا الشرح بـ«الدرة اليتيمة في شرح السبحة الثمينة»، وخرج إلى القراء مطبوعاً بعد وفاة الحبيب أحمد مشهور الحداد رحمه الله تعالى .

وشاء اللّه محرك القلوب والأجساد أن يجمع بين الأشتات في الأرض المباركة الآمنة أرض الحجاز التي تهفو إليها الأفئدة وتطمئن في مشاعرها القلوب، فتكررت تلك الاجتماعات والارتباطات والإمدادات الحسية والمعنوية، وكان لنا نصيب حفظ عددٍ منها على الأشرطة المسجلة و ا من الإجازات والإلقام والإلباس والمحادثة بأحوال الصالحين وما وهبه اللّه لهم من الأحوال والصبر على الأهوال ما يستحق أن يكون منهاج المريد وتحفة المستفيد .

وكان لسيدي الوالد مع الحبيب أحمد مشهور بن طه الحداد لقاءٌ هام في ربوع المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عام ١٣٩٣ حيث أملى الحبيب المذكور على سيدي الوالد إجازةً ووصيةً حافلةً شاملةً سرد فيها نبذةً صالحةً من حياته وطلبه واتصاله بالشيوخ، وأجاز فيها سيدي الوالد بكل ما أجازه فيه شيوخه وفي كل ما تصح له فيه الإجازة من خاص وعام إلى النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، وسنثبت الوصية كاملةً في قسم الوصايا والإجازات .

وقد انتقل سيدي الإمام الحبيب أحمد مشهور بن طه الحداد إلى رحمة اللّه ورضوانه يوم الأربعاء ١٤ رجب ١٤١٦، وصلي عليه في الحرم المكي ثم شيع في جنازةٍ مهيبةٍ ودفن في مقبرة المعلاة، رحمه اللّه رحمة الأبرار، وأسكنه وإيانا جناتٍ تجري من تحتها الأ ار .

٢٨ـ الحَبِيبُ عُمَرُ بنُ عَلَوِيّ الكاف (١)

أحد أعلام هذا العصر وسادة المعرفة فيه، انتهت إليه أصناف العلوم، فصار لها أباً وأماً، فهو المؤرخ، واللغوي، والشاعر ا يد، والناقد البصير، والفقيه، والمعلم الحاوي، والمرجع المتكامل، وقد عد شيخ عصره بحضرموت .

ولد في ٨ ربيع الأول عام ١٣٢٥ بمدينة تريم تحت رعاية أبويه وعناية شيوخ عصره الذين فتحوا مغالق الذهن وأشعلوا وقود البصيرة، فهو التلميذ النجيب، والمريد القريب، من أولئك الفحول، خلفاء السلف الأصول، ومنهم الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، والجد علوي بن عبدالرحمن المشهور، والحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس، والحبيب علي بن عبدالرحمن بن محمد المشهور، والحبيب عبدالله بن عيدروس العيدروس، والحبيب أحمد بن عمر الشاطري، والعدد الجم من مشايخ حضرموت الذين غَذَوه بِلُبان العلم حتى امتلاء الدلاء، وصدق الولاء، وصار أحد المشار إليهم بالبنان في حضرموت، يدلون المريد على صافي الموارد، وأنصع الفوائد، ونادر الفرائد، ولما بان هلاله وصفا زلاله أظهره الله في حضرموت أحد شيوخها الأفذاذ، الذين جعلهم الله للأمة ذخرا وملاذ.

فكان لسيدي الوالد رحمه الله تعالى نصيب من الأخذ على هذا السيد الجهبذ، إذ قرأ عليه نصيباً من علوم العربية، وخاصة علم النحو، كما قرأ عليه في «المنهاج»، وتلقى عنه أطرف الأخبار والروايات الصحيحة التي كان يشنف ا المحافل وا الس،

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص١٢ .

ويلطف ا حرارة البحث والجدل الهادف في المدارس، وقد انتفع بالحبيب عمر بن علوي كافة أهل عصره ومصره سواءٌ من خلال دروسه المعقودة في تريم أو من خلال كتبه ومؤلفاته وبحوثه القيمة.

وقد ساعفني الحظ أن أتفق به في حضرموت والحجاز، واستوضحت منه كثيرا من مبهمات الروايات والأخبار من أسلافنا، كما استفسرته عن بعض الحوادث والوقائع، فكان ا نعم الخبير المطلع .

وسجلت من أقواله بعض الأشرطة لتكون مذكرةً عند الكتابة عن الأسلاف، ومرجعاً وثيقاً أرجع إليه عند احتدام الخلاف، وقد أكب آخر الأيام على تصنيف بعض التراجم، منها ترجمة الحبيب علوي بن شهاب الدين، وتراجم أخرى للذين لم تصل إليهم أقلام المؤرخين من فحول السادة العلويين، ولا زالت هذه المصنفات الثمينة قيد الحفظ بيد أولاده .

وقد قضى هذا الحبيب حياته كلها مجتهداً في نشر العلم وبذل النصيحة وحل معضلات المسائل متصدراً العديد من مجالس تريم وفاتحاً باب بيته لطلبة العلم كل الأوقات ومرتباً لهم أياماً في الأسبوع للتردد عليه، يقرأ عليه كل منهم فيما يناسبه من فنون العلم، ولم يزل كذلك حتى دعاه داعي مولاه في ساعةٍ لم يكن لأحدٍ فيها حسبانٌ لوفاته ودون مرضٍ أو عجزٍ بل كان ليلة وفاته في كامل صحته مستعداً لاستقبال بعض طلبة العلم كعادته، فورد عليه وارد الأجل عصر يوم الاثنين ١٢ جماد الأول عام ١٤١٢ وهو جالس في منـزله، واهتزت البلاد بخبر وفاته، وشيع في جنازةٍ مهيبةٍ إلى الجبانة وصلّى عليه الحبيب البركة عبدالقادر بن أحمد السقاف الذي كان

حينها في زيارة حضرموت، وقد كان عازماً على الرجوع إلى الحجاز قبل مدة، وشاءت الأقدار العجيبة أن يتأجل سفره مرةً بعد مرةٍ حتى يوم وفاة الحبيب عمر، فقد حصل الإذن بالسفر بعد الصلاة على جنازة الحبيب وغادر إلى الحجاز في ذات اليوم، فسبحان محرك الأمور .

وقد ترجمنا للحبيب عمر بن علوي في « كتاب لوامع النور ترجمة سيدي الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور »، وفي « جني القطاف في ترجمة سيدي الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف »، رحمه الله رحمة الأبرار.

٢٩ـ الحَبِيبُ عبداللّهِ[1] بن حَسَنٍ بَلْفَقِيهِ

البحاثة الشهير، والعالم النحرير، ، والمؤرخ الدراكة، الذي شهد له الأعداء قبل الأحباء والأصدقاء، وأشاروا إلى فضله وجلالة قدره، ورجاحة عقله ورصانة قلمه، وارتفاع شأوه وسلمه، قائداً من قادة النهضة الإصلاحية، وزعيماً دينياً ووطنياً في حضرموت وخارج حضرموت، وكاتباً مدققاً كانت مقالاته المفيدة تظهر على جريدتي «الإقبال» و«حضرموت» بإندونيسيا ـإبان وجوده ا[2] .

ولد في مدينة تريم يوم الخميس الثاني من شهر ربيع الأول من عام ١٣١٤، وتلقى باكورة العلم والمعرفة الابتدائية بمعلامة بارشيد المنسوبة إلى سيدنا العيدروس الأكبر، ثم التحق بالمعاهد الدينية وزوايا المساجد التي كانت ـإبانَ تلك الحقبة الزمنية مركز النشاط العلمي، فقرأ على سادة البلاد وعلماء الناد الذين كانوا على قدم المعارف والعلوم عاكفين ليل ار، وصار م علَماً من أعلام تلك الدار، وصاروا به يذكرون كما يذكر م، وصرنا نحن بعد التحاق الزمن ودورته نعده في ركبهم وجيلهم، ومنهم سيدي الـعـلامـة الداعية إلى اللّه الجد علوي بن عبدالرحمن

---

(١) تعارف الحضارمة على التسمية بعبداللّه التسمية المعروفة لكنهم تعارفوا على تسمية أخرى مع النطق بلفظ الجلالة مرقق اللام، ولا يتأتى ذلك إلا بكسر الدال قبله، وحبيبنا عبداللّه اسمه من هذا النوع، وهي تكتب كغيرها لكن تلفظ بكسر الدال من «عبد» وترقيق لامِ لفظ الجلالـة بعده .

(٢) كتبت هذه الترجمة عن الترجمة الـمـثـبـتـة بكتاب المترجم له، والمسمى «الشـواهد الجلية على مدى الخلف في القاعدة الخلدونية»، والترجمة بيد الشيخ علي سـالم بكـير، وتم الأخذ عنها بتصرف طفيف .

المشهور، والحبيب العلامة مفتي الديار الحضرمية عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور، والحبيب القانت الأواب علي بن عبدالرحمن المشهور، والحبيب العلامة أستاذ عصره ومصره الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري، والسيد العلامة حسين بن أحمد الكاف، والسيد الفاضل سقاف بن حسن بن أحمد العيدروس، والحبيب العلامة عبداللّه بن عيدروس بن علوي العيدروس، والشيخ العلامة أحمد بن عبداللّه البكري الخطيب، وولديه الفقيهين أبي بكر مفتي تريم وعبدالله، والشيخ الفقيه محمد بن أحمد الخطيب، وغيرهم من سادة العلم والترقي في تلك الحقبة المزدهرة من حياة حضرموت .

رحـل إلى جـاوة في مـطـلـع عـام ١٣٢٩، وأخذ عن جملة من الشيوخ القائمين ا، كالحبيب أبي بكر بن عمر بن يحيى، والسيد عبد اللّه بن عـلـي الحداد، والسيد محمد بن أحمد المحضار، والسيد عبداللّه بن محسن العطاس، والسيد أحمد بن طالب العطاس، وغيرهم من العلماء الأعلام في ذلك القطر الواسع، وكان لاتصاله ؤلاء الأمجاد ـ وغيرهم من وجهاء وأعلام تلك البلاد ـ أثر كبير في تنشيط وبعث الهمة الدفينة التي تراود نفسه في الإصلاح والصلاح، وخاصة لما كان الخمول والركود يغزو عقول المسلمين ويعطل طاقا م وأفكارهم، فكان بادئ أمره يكتب المقالات المعبرة، ثم كثرت ا الات والأنشطة التي خاضها وعمل ا أو ساهم فيها أو أيدها بصوته .

ولما عاد إلى حضرموت لم يبخل على مسقط رأسه وتربة وطنه أن يبذل النفس والنفيس والوقت والمال في سبيل النشاط الفكري والاجتماعي، فساهم في تأسيس نادي الشبيبة المتحدة بتريم، واشترك عضوا في إدارة مدرسة جمعية الحق المشهورة،

وشجع على تأسيس مجلس الإفتاء الشرعي بتريم، وتأسيس المعهد الفقهي الذي تخرج منه العدد الكثير من طلبة العلم، وقد اتجه خلال تلك المرحلة وما لحقها من الزمن إلى التأليف، فكان منها تعليقاته على « رحلة الثغرين » للأستاذ ابن هاشم، ومساهمته في إخراج كتاب « تاريخ الدولة الكثيرية »، للأستاذ محمد بن هاشم، وكتابه القيم المسمى بـ« الشواهد الجلية عن مدى الخلف في القاعدة الخلدونية»، وما فيه من صبغة الإقناع وإيراد البرهان القطعي والدليل المادي والشاهد العيني على صحة ما ذهب إليه في رد القاعدة التي اتخذها بعض المستشرقين وسيلة لنسف الهيكل المتماسك للسلالات العلوية، والقارئ للمؤلف القيم يجد المجال فسيحا لمعرفة روح الكاتب الحجة فيما ذهب إليه، كما أن من جيد مؤلفاته « صبح الدياجر عن حياة الإمام المهاجر »، و « استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات »،و«تفنيد مزاعم الشيخ صلاح البكري»،و« تذكرة الباحث المحتاط » في تاريخ رباط تريم،وكتب كثيرة تناولها الشيخ علي بن سالم سعيد بكير في ترجمته للمذكور في آخر كتابه «الشواهد الجلية»[1] .

تردد سيدي الوالد رحمه اللّٰه تعالى إلى منـزل السيد العلامة عبداللّٰه بن حسن بلفقيه كثيرا لطلب الفائدة الحسية من العلم وثمرات الأدب والتاريخ، وللاستمداد المعنوي لما لدى الحبيب المذكور من روابطَ وثيقةٍ واتصالاتٍ متينةٍ بشيوخ الطريق الأوتاد، وقد زرناه عدة مرات مع سيدي الوالد بمنـزله رحمه اللّٰه تعالى الكائن على طريق النويدرة بتريم، وشهدناه عالماً فذاً حجةً في قوله وفعله، كما زرناه مرةً أخرى بعد أن أقعده الريح والشلل وسكت عن الكلام والحديث، وكان يحب السماع،

---

(١) وكل هذه المؤلفات طبعت عدا « صبح الدياجر » .

حتى إنني لما جلست لأنشد بعض الأبيات من كلام السلف الصالح أشار إليّ أن أقترب إلى جانبه، فكان يستمع والدموع تنحدر من عينيه، ورتب بعد ذلك فاتحة جليلة مع صعوبة في النطق، وقد توفي الحبيب المذكور بعد انحدارٍ شديدٍ في صحته وطول مرض في ١٢ من رمضان سنة ١٤٠٠، ودفن بتريم مثوى الصالحين من الأهل والسلف،رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأ ار.

٣٠ـ الحبيبُ هَدّارُ بنُ محُمّدٍ الهَدّار نـزيلُ المَدِينَةِ المُنورة[1]

السيد الناسك الشارب من سلاف المحبة الخالصة للحبيب الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وا اور له حياةً وموتاً منذ قدومه إلى المدينة هدار بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن صالح بن عبدالله بن محسن ابن الإمام الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم .

ولد بمدينة القطن من أعمال السلطنة القعيطية سابقا سنة ١٣١٠ ونشأ ا وأخذ عن جملة من مشايخ حضرموت، وله تعلق قوي بالحبيب أحمد بن محسن الهدار صاحب المكلاّ، وله أخذٌ عن جملة من علماء الساحل، وكانت له صلةٌ قوية بسيدي الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور ويعتبر من أخص تلاميذه، وقد ترجمنا له في «لوامع النور» في الجزء الثاني، كما ترجمنا له في « جني القطاف في ترجمة الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف » وأما صلته بسيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور فكانت في الحجاز، وقد التقيا بعد رحلتهما في اليمن وحضرموت وتكررت زيارة سيدي الوالد للسيد هدار وسمع منه الكثير من مجريات الأحداث التي عاصرها مع

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص١٢ .

سيدي الجد علوي في الشحر والمكلا والغيل وغيرها كما نال منه الإجازة في تكرار هذه الأبيات المنسوبة للإمام مالك، تكرر عند الكرب والضيق :

إلهي نجني مِن كُل ضِيق   بجاهِ المصطفى مولى الجميع
وهب لي في مدِينتِهِ قَراراً   ورزقاً ثُم دفْناً في البِقيع

وللحبيب هدار صلوات نبوية سماها « بدر السعود »، وقد نلنا منه الإجازة، وكان لنا ولله الحمد شرف الاتصال به وزيارته في المدينة المنورة مرات عديدة، وأجازنا وألبسنا وألقمنا وذكر لنا عميق صلته بالجد علوي وبالجد أبي بكر والوالد رحم الله الجميع، وللأخ شهاب الدين بن علي المشهور به صلةٌ متينة .

ومنذ أن أقام الحبيب هدار بن محمد في المدينة ومنـزله يغشاه الزوار من كل الأقطار يلتمسون بركة دعائه ونظره، وكانت تعقد في منـزله جلسة عظيمة كل ليلة ثلاثاء يقرأ فيها جملة من كتب العلم فقها وحديثا وتفسيرا وتصوفا، وفي محرم من عام ١٤١٢ دعاه داعي مولاه فتوفي بالمدينة ودفن في البقيع رحمه الله تعالى.

٣١- الحَبِيب زَين بنُ إبراهِيمَ بنِ سمُيط[١]

هو العالِم الفقيه حافظُ المذهبِ النحوي المِفَن المشارك في شتى العلوم العارف بالله والدال عليه بمواعظه ورقائقه الصوفية، ذو الطلعة العلوية السلفية، الحبيب زين العابدين بن إبراهيم بن سميط، الذي انتهت إليه المرجعية في الفقه والفتوى في البلاد الحجازية .

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص١٢ .

ولد في جاوة عام ١٣٦١، وترب ا في أسرة صالحة وأبوين صالحين، وكان أبوه يأخذه في صغره إلى الحبيب علوي بن محمد الحداد صاحب بوقور ونقيب السادة العلويين في تلك البلاد، فيحضر المولد الذي يقيمه هذا الإمام بعد صلاة العصر في بيته إلى ما بعد المغرب، وفي بعض الأحيان يذهب لوحده، فحصل له من تلك ا الس بركة الحضور، وهو أول الشيوخ في حياته، ثم سافر إلى حضرموت لطلب العلم الشريف عام ١٣٧٧ وعمره ١٦ سنة بعد أن تعلم في مدارس جاوة القراءة والكتابة والتجويد، وكان يرافقه أخواه محمد وأحمد وكريمته،وأقاموا في بيت والدهم في تريم .

وشمر فيها عن ساعد الجد في طلب العلم مة وتفان وإخلاص وصدق، فأخذ الفقه عن الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ قارئاً عليه المختصرات الفقهية، مع حفظ «صفوة الزبد» لابن رسلان وقراءة شرحها، ثم بقراءة « الإرشاد » لابن المقرئ وحفظه إلى باب الجنايات، وأخذ عنه الفرائض، ويسيراً من « نصب الشرك في علم الفلك » للعمودي، وأخذ عنه منظومة « هدية الصديق » للحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، وعن الحبيب عمر بن علوي الكاف أخذ النحو والبلاغة، فقرأ عليه في البلاغة «مؤلفَه» فيها، ولا زال مخطوطاً، ويصفه المُترجم بأنه مؤلف نفيس وحفيلٌ،كما قرأ عليه «متممة الآجرومية» وحفظ « الألفية » وابتدأ عنده في شرحها، وعن الشيخ محفوظ بن سالم أخذ الفقه وأكمل عنده شرح « الألفية » كما أخذ الفقه عن الشيخ سالم سعيد بكير باغيثان، وقرأ « ملحة الحريري » على الحبيب سالم خرد .

كما كان يحضر مجالس وروحة الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين، ومشايخه الذين أخذ عنهم أخذ تبرك واستجازهم كثيرون، وقد ذكرهم جميعاً في «ثبت إجازاته» ولا زال مخطوطاً .

وبعد ثمان سنين من الدأب المتواصل في العلم الشريف أرسل الحبيب محمد الهدار للحبيب محمد بن سالم بن حفيظ رسالة يطلب فيها مدرساً من رباط تريم، فاستشار الحبيب محمد المترجم في أمر الهجرة والإقامة في البيضاء والتدريس في رباطها، فوافق على ذلك، حتى نـزل في عدن عند الحبيب سالم بن عبدالله الشاطري عندما كان خطيباً وإماماً في خور مكسر، وكانت عنده مكتبةٌ كبيرةٌ حافلةٌ بالكتب، وكان الحبيب سالم مجتهداً في مطالعتها اجتهاداً كبيراً فكان الحبيب زين يشاركه المطالعة .

ثم توجه إلى البيضاء إلى رباط الحبيب محمد الهدار، ففرح به الحبيب محمد فرحاً شديداً وزوجه ابنته، ويعتبره المترجم من أكبر شيوخه وقد أجازه إجازةً مكتوبةً أثبتها المترجم في « ثَبتِ إجازاته ». كما كان المترجم يحضر مدارسه ومجالسه العامة ويعده من فضلاء شيوخه وإن لم يقرأ عليه في الكتب العلمية كثيرا، كما كان المترجم الساعد الأيمن له إذ كان الحبيب الهدار يستعين به في الدروس الخاصة والعلمية ويقوم هو بأمور الدعوة والجلسات العامة والوعظ والخطابة وغيرها، وقد يدرس في بعض الأوقات قليلاً لكثرة انشغاله بإرشاد العباد .

وقد مكث المترجم في البيضاء أكثر من عشرين سنة ونفع الله به طالبي العلم والمعرفة وخرج رجالاً كثراً وكان يقوم بالخروج للدعوة إلى الله مع بعض الطلبة إلى القرى الكثيرة المنتشرة حول البيضاء، فكان يخرج مع أحد الطلاب على حمار واحد ويتبادلان الركوب عليه ضحى الجمعة ويعودان في المساء، ومن أكبر تلاميذه هناك الشيخ محمد الحريري الذي نفع الله به في يافع، ومحمد عبده، ومنصور اليافعي، وعبدالرب اليافعي، والعلامة الداعية إلى الله القائم بالدعوة في إفريقيا هذه الأيام

الشيخ محمود بن عبدالباري الصومالي، والشيخ عبدالله النخشبي الذي يدرس الآن في رباط البيضاء، وأبناء الحبيب محمد الهدار، والعلامة الفقيه المربي الذي نفع الله به البلاد في حضرموت الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ، ومنهم أيضاً الحبيب شهاب الدين بن علي المشهور أخو كاتب الترجمة، وغيرهم كثير .

وكانت له أمتع الله بحياته في رباط البيضاء ا اهدات القوية، والرياضات النفسية السلفية، مع الجد والتشمير والاجتهاد في مطالعة كتب التفسير والحديث والفقه والكتب السلفية وسائر الفنون، وكان يدخل غرفته ويغلق بابه الفترة الطويلة حتى يأتي الطلاب ويحاولون إخراجه منها لكي يشاركهم الطعام، وكانت له همةٌ عاليةٌ لا تعرف الكلل أهلته لأن يرث الأسلاف ويصبح من كبار أئمة المرحلة وشيوخها، بل إن من عادة الحبيب محمد الهدار إذا كان في مجلس وقام أحد العلماء بالإفتاء فيه أو بالإجابة على سؤالٍ فقهي لأحد الناس أن يراجع المسألة بعد ا لمس أياً كان العالم أو المسألة إلا إذا أجاب المترجم، وكان ـ أي الحبيب محمد ـ يقول ما معناه: إذا أجاب الحبيب زين فلا داعي للمراجعة .

وبعد إحدى وعشرين سنةً من العطاء المتواصل والإمداد والاستمداد سافر إلى الحجاز ثم جاءه طلب من السيد عمر الجفري بالتدريس في رباط المدينة المنورة الذي كان للحبيب محمد الهدار الفضل الكبير في إرساء دعائمه، فسافر إليه عام ١٤٠٦ في شهر رمضان، وأراد الباري سبحانه أن يشارك المترجم هذا لعطاء المتواصل الحبيب سالم بن عبدالله الشاطري ما يقارب اثنتي عشرة سنة، وكما التقيا في فترة الطلب عندما كانا في تريم، ثم بعدها في عدن وفي غيرها، فقد قاما برباط المدينة خير قيام، ثم شاءت الأقدار أن ينتقل الحبيب سالم سنة ١٤١٧ إلى تريم للقيام بشؤون رباطها

السلفي المبارك والتصدر فيه للنفع العام والخاص عاضداً بذلك شقيقه الحبيب حسن الشاطري جزاهما اللّه عن البلاد خيراً .

وكان أول الطلاب في تلك الفترة التلميذ النجيب عبداللّه الأهدل، وكان معه من قدماء الطلاب الذين بدؤوا طريق تعلمهم في تلك الفترة عشرةُ طلاب تقريباً: الحبيب عبداللّه باعبود، وهو من المدرسين في رباط تريم الآن، والشيخ حسن بصري، وقد نفع اللّه به في جاوة وله رباطٌ هناك، والشيخ عثمان المهيني الكويتي، وهو قائم الآن في بلاده الكويت بالتصدر لنفع الناس وتعليمهم، والشيخ محمد فال الشنقيطي، وهو من علماء المالكية الصالحين المتواضعين، ولا يزال قائماً بالرباط نفعاً وانتفاعاً، والحبيب سالم بن أحمد الجفري، والآن نفع اللّه به في جاكرتا، وهذه الكوكبة من العلماء لازموا الاشتغال بشيخهم العلامة المربي السنين الطويلة وهو لا يفتر ولا يمل في توجيههم وتربيتهم وتعليمهم، وبعضهم أوصلها إلى اثني عشر سنةً من طلب العلم والتأدب بأدب القوم حتى أينعت الثمار وحان القطاف، وقد تخرجوا وأكمل المسير بعدهم أعداد كبيرةٌ لا زالت حتى الآن تواصل رحلة الأخذ والاستمداد عن المترجم في رباطه في المدينة .

ومع أن اللّه قد يسر للمترجم ما لم يـ يسره لأحدٍ غيره من الاستقرار في المدينة المنورة عند الحبيب صلى اللّه وسلم عليه وعلى آله ووجود الطلبة المتفرغين له والراحلين إليه ووجودهم في رباط المترجم الرباط السلفي العلوي الذي يضمهم جميعاً في جو روحي علمي بهيج، ومع كثرة طلبته وتزايدهم وانشغاله بتدريسهم مع كبرٍ في السن لم يكتف نفعنا اللّه بعلمه بالتدريس بل واصل رحلة الطلب وأخذ يثني الركب عند علماء المدينة وصلحائها، فأخذ الأصول عن العلامة الأصولي والفقيه المالكي

الشيخ زيدان الشنقيطي رحمه اللّه تعالى قارئاً عليه « الترياق النافع على مسائل جمع الجوامع » للإمام أبي بكر ابن شهاب، وقد أُعجب به الشيخ زيدان كثيراً لكون كتب الحضارمة لم تصل إلى بلادهم، كما قرأ عليه منظومة « مراقي السعود » للعلامة الشريف عبداللّه العلوي الشنقيطي في أصول الفقه والتي تعتبر من أكبر المتون التي يقرأها المنتهي في الأصول .

كما لازم الاشتغال بإمام أهل اللغة في عصره العلامة الفقيه الشريف الشيخ أحمد ـ بتشديد الدال وضمها ـ ابن محمد حامد الحسني الشنقيطي أمتع اللّه بعافيته، فقرأ عليه شرح ابن عقيلٍ « للألفية »، و« إضاءةَ الدجنة » للإمام المَقري في العقائد، و«السلم المُرونق» للإمام الأخضري وأصله المنثور « إيساغوجي » للإمام الأ ـري كلاهما في علم المنطق، و« إتمام الدراية لقراء النقاية » للإمام السيوطي في أربعة عشر فناً من بينها القرآن والحديث والطب والتشريح، وكتاب « المقصور والممدود »، و«لامية الأفعال» للإمام ابن مالك، وكتابين في الصرف، وا ـلد الأول من « مغني اللبيب » للإمام ابن هشام، كل ذلك كان يقرؤه قليلاً قليلاً في وقتٍ متقاربٍ بعد صلاة الصبح في حرم المدينة، ولكنه ـ كما يعلق المترجم ـ مع الدوام يكثر ويتبارك، وكان الشيخ أحمد المشار إليه آيةً في العلم والورع، وبحراً غزيراً متلاطم الأمواج في اللغة وأشعار العرب، لا يهتدى لشاطئه ولا يسبر غوره في النحو والصرف، وفقيهاً مالكياً من الرعيل الأول مستحضراً لمختصر « سيدي خليل » محققاً لمعانيه مستحضراً لأقوال المالكية مع تواضعٍ جم وخمولٍ دائم، وكان يقول عن المترجم : ما شاء اللّه على الهمة، الشيخ زين مجتهد في الطلب كثيراً .

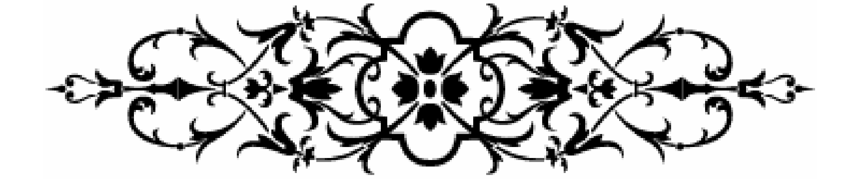
وأما عن علاقة سيدي الوالد به فقد عرفه في تريم تحت سقف رباطها الشهير، وكانت يتبادلان الزيارات، ثم عرفه والتقى به في مسجد العيدروس في عدن مع الحبيب سالم الشاطري، ويقول المترجم بأن سيدي الوالد استجازه بالقوة فأجازه المترجم، كما التقى المترجم به في الحجاز واستجازه فأجازه سيدي الوالد، ويصفه المترجم بأنه شديد التواضع رحمه اللّه تعالى .

وقد وضع اللّه للمترجم القَبول بين الخلق، ورزقه هيبةً في المظهر والطلعة، وله ترتيب خاص في أوراده وأذكاره الكثيرة جداً مع كثرة انشغاله بالتدريس، فتجده لا يفتأ يذكر اللّه بعد قيامه الليل منذ خروجه لصلاة الفجر في الحرم المدني إلى ما بعد صلاة العشاء، ويكثر من المراجعات والمطالعات لشتى الكتب، ويعتني بتوجيه طلبته وتربيتهم وتعليمهم ومتابعتهم .

ومن أهم مؤلفاته كتاب « الأصول الخمسة لطريق السادة العلويين »، والذي أفرد فيه الأصول الخمسة لطريق السادة بني علوي ـ وهي العلم والعمل والإخلاص والخوف والورع ـ بالبحث واستقصاء النصوص القرآنية والنبوية وأقوال السلف من الصحابة والتابعين والعلماء، وهو مخطوط لا زال تحت يد المترجم يقع في مجلدين كبيرين، ومنها « الأجوبة الغالية » في الإجابة عن منهج الفرقة الناجية، وقد طبع، وله تفسير إشاري لآياتٍ من القرآن الكريم جمع فيه المفاهيم السلفية لأئمة العلويين وتأملا م في الآيات القرآنية، وسماه « مفاهيم بعض الآيات القرآنية من أنفاس البضعةِ الطاهرة النبوية »، استقصى فيه كثيراً من تفسيرا م الإشارية، ويقع في مجلد، وهو في طريقه للطباعة، ومؤلف آخر في التفسيرات الإشارية للأسلاف للحديث النبوي

الشريف، وهو أوسع من سابقه، ولا زال مخطوطاً، وثبته الذي جمع فيه إجازاته، مخطوطٌ أيضا، وغير ذلك مما لا زال تحت يديه يضيف إليه ويصحح ما بدا له منه .

ويعتبر المترجم الآن من أكبر شيوخ المرحلة، وقد يسر اللّه له الكثير من الطلبة المتفرغين لنهل العلم من معينه، وصار مظهراً من مظاهر الطريقة العلوية والعلوم السلفية في عصره، أمتع اللّه بعافيته وأدام النفع به آمين .



بقيّة من الأشياخِ وبعض مَن اتّصَلَ بهم واتّصَلُوا بِه

[٣٢] الحبيب حسن بن محمد فَدعق المكي

ومن جملة أشياخه السيد العـلامة التقي النقي حسن بن محمد بن عبداللّه بن عمر بن حسين بن علوي بن حسين بن فدعق العلوي المكي، ولد بمكة سنة ١٣٠٩، وحفظ ا القرآن وبعض المتون على يد الشيخ محمد بن عبداللّه بافيل الحضرمي، وأخذ عنه شروحها، وتلقى كتب العربية والفقه عن علماء الحرم المكي، ومنهم العلامة حسين بن محمد الحبشي مفتي مكة، والشيخ محمد سعيد بابصيل، والشيخ عمر باجنيد رحمهم اللّه، وكان الحبيب المذكور إماماً للشافعية بمكة مدةً طويلةً خلال عهد الأشراف، ورحل إلى جاوة، وفيها اجتمع بأعلام السادة العلويين، خاصة بالحبيب علوي بن محمد الحداد صاحب « وسيلة العباد » التي جمع فيها أوراد جده الإمام ا دد عبداللّه بن علوي الحداد رضي اللّه عنه، وعاد إلى مكة وبقي ا مرموقا بإجلال السادة العلويين وغيرهم .

اتصل به سيدي الوالد خلال حجته الأولى عام ١٣٧١ (١)، وعام حجته الثالثة ١٣٩٢، وخلال إقامته بمكة المكرمة من ذلك العام، كما أخذ عنه إجازة خطية سنثبتها في موقعها من فصل الإجازات والوصايا .

---

(١) حج سيدي الوالد حجته الأولى عام ١٣٧١ تقريبا، حيث سافر بطريق البر مـع سـيارات الأجرة التي خرجت ذلك العام عن طريق الربع الخالي، وكان معهم سلطان شقرة من بـلاد الفضلي .

[٣٣] الشيخ سالم بن سعيد بكير باغيثان

ومنهم الشيخ العلامة الكبير والمفتي النـزيه الشهير، الفقيه الورع المحقق سالم بن سعيد بن سالم بكير باغيثان التريمي الحضرمي الشافعي من عائلة حضرمية تريمية أصيلة تسكن وادي عيديد الواقع في الجنوب الغربي من مدينة تريم ، قبيلة معروفة فيها العدد الكثير، فيها العدد الكثير يحترفون الزراعة والغراسة .

ولد رضي اللّٰه عنه بتريم بوادي عيديد في شهر رجب من عام ١٣٢٣، ونشأ وتربى في أحضان العفة والكرامة، وزوايا العلم ومحاريب العبادة والإمامة، درس القرآن في مستهل حياته الروحية في معلامة العيدروس الأكبر المنسوبة الآن للشيخ العارف باللّٰه أحمد بن محمد بارشيد على يد المعلم الجليل الشيخ عبدالرحمن بن محمد باحرمي، ثم حفظ القرآن عن ظهر قلب خلال ثلاثة شهور بقبة أبي مريم الشهيرة، وعندما فتحت مدرسة جمعية الحق سنة ١٣٣٤ التحق ا كتلميذ من تلاميذها متدرجا من صف إلى صف إلى أعلى على يد أساتذة المدرسة، كالأستاذ محمد عبدالمولى بن عبدالقادر بن طاهر، والـشـيـخ العلامة حسن بن حمد عرفان بارجاء، إضافة إلى مطالعات ومراجعات وقراءات أخرى على مـشـايـخ كثيرين، منهم الحبيب أحمد بن عمر بن عوض الشاطري، والحبيب حامد بن محمد السري، والحبيب عبداللّٰه بن عمر الشاطري، وانتظم في سلك المدرسين برباط تريم سنة ١٣٤٦ بطلب من الحبيب عبداللّٰه بن عمر الشاطري، وانضم أيضا إلى التدريس في المعهد الفقهي الذي افتتح بتريم سنة ١٣٧٧ إضافة إلى تدريسه بمدرسة الإقبال ببلد دمون.

تـولى منصب رئاسة مـجـلـس الإفتاء بتريم عندما برز نشطا في شتى العلوم، ولا سيما في الفقه الإسلامي، ومشتركا في مجلس القضاء بتريم في فترات عديدة، وقد حاز الثقة التامة من العلماء ومن المواطنين، وورد في ترجمته المخطوطة بقلم السيد عبدالرحمن بن حامد السري أن الحبيب الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور إذا رآه بطريق مع بعض طلبة العلم وهو راكب يترجل إعظاماً وترغيباً في العلم وإظهاراً لشرفه، وورد أيضا في ترجمته عدد ممن أخذ عنهم، كالحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، والجد علوي بن عبدالـرحمن المشهور، والحبيب علي بن عبدالرحمن بن محمد المشهور، والحبيب عبدالله بن عيدروس العيدروس، والحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس، وغيرهم من رجال القرن الرابع عشر الهجري من تريم وسيئون وعينات وغيرها .

وقد تخرج على يده تلاميذ ومريدون كثيرون من حضرموت ونواحيها، من الآفاق القريبة والبعيدة، وبقي بحضرموت على أتم الأخلاق والآداب والتواضع وخدمة العلم وأهله ونفع الخاص والعام، ونصر دين الإسلام، محتسبا صابرا ومثالا حقيقيا يحتذى به في كل الخصال التي عرف ا رجال حضرموت الأتقياء الأنقياء حتى توفاه الله بعد مرض ألم به، ودفن بمدينة تريم في ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦، ورثاه العلماء الأكابر بالشعر والنثر .

وقد عني الحبيب العلامة عبدالرحمن بن حامد السري بجمع ترجمة حاوية شاملة لأخبار وآثار هذا الشيخ الناسك النافع وألحق ا كتابه الفقهي الناصع المسمى « فتح الإله المنان من فتاوى الشيخ المحقق سالم بن سعيد بكير غيثان »، وقد وفقني الله أن أقف على هذا الكتاب وعلى الترجمة المفصلة بفضل ولده الشاب الفقيه علي سالم

بكير خلال زيارته للحرمين سنة ١٤٠٥، واقتبست منها ما سبق إثباته وذكره هنا، وهي الآن مطبوعة .

وأما علاقة سيدي الوالد به وارتباطهما ببعضهما البعض فذاك أمر بدهي لمن عرف مسقطَ رأسيهما ومنبع ريهما وموقع التقائهما في تريم، حيث يذكر سيدي الوالد أنه كان يحضر بعض ا الس العلمية والحلقات الفقهية خلال مرحلة طلبه في الرباط، وبعد ذلك نال من ذلك المعين الحجة ما أفاده في العلوم الفقهية بـفـروعها، ومن سيرته السلفية الرحبة ما جعل لسانه دائماً يذكرنا بِهِ وبأدبِهِ وتواضعه مع امتلاء جـرابـه بالعلم، حتى لـربـمـا جلس في أخريات ا لمس مع أن كافة من حوله لا يبلغون مرتبته في العلم والفتوى، رحمه اللّه رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأ ار، آمين .

[٣٤] **الحبيب عبداللّه بن أحمد الهدار ابن الشيخ** أبي **بكر بن سا**لم

ومنهم السيد العلامة والعلم الشهير النحرير الداعي إلى اللّه بقوله وفعله، الأديب النجيب المنيب، الحبيب عبداللّه بن أحمد بن عبداللّه الهدار ابن الإمام الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، كان مولده سنة ١٣٣٤، وهو نفس العام الذي ولد فيه سيدي الوالد، وكانت نشأته وتربيته بمدينة عينات تحت رعاية أبويه وملاحظة شيوخ عصره ومصره وأئمة دهره، ومنهم شيخ فتحه الإمام الحبيب حسن بن إسماعيل بن الشيخ أبي بكر بن سالم الذي كان قائما بنشر العلم والدعوة في عينات، وابتنى ا رباطا للعلم والتعليم .

للحبيب عبداللّه بن أحمد نشاطٌ عظيم في مجالاتٍ كثيرةٍ ومتعددةٍ، فهو الداعي والمعلم والمؤدب والمصلح والشاعر والرحالة، وقد خلف رحمه اللّه تعالى ذِكْراً حسناً

وثناءً عطِراً له لدى تلامذته والمتعلقين بجنابه، كـمـا خلف تـراثـاً أدبـيـاً وأعـمـالاً كتابيةً متنوعةً كان منها « ديوانه الشعري » ومعارضةٌ لقصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد »، وله قصائد أخرى على نسج البردة والهمزية، و ترجمةٌ واسعةٌ قيمةٌ لجده الشيخ أبي بـكـر بـن سـالـم سماها « الجواهر »، وله جمع شريف للصلوات على صاحب الرسالة التي صنفها الشيخ أبي بكر بن سالم، وعـنـي أيـضـا بـطـبـع « وسيلة الصب الودود إلى الإله المعبود بسر زيارة نبي اللّه هود »، وله « نظم السيرة النبوية » ورسائل أخرى .

وكان اتصاله بسيدي الوالد منذ عهود سابقة بحضرموت، وأيضا من خلال زيارة سيدي الوالد لمدينة عينات، والتقائه به في شريف المناسبات، كما زرناه برفقة سيدي عام ١٣٨٢ في منـزله، وكان ذلك العام موافقا لزيارة الحبيب عمر بن أحمد بن سميط لـ« عـيـنـات » مما كان سببا لكل من حضر أن ينال من الحبيب عمر الإلقام والإلباس والإجازة العامة في محافل مهيبة ومجالس عجيبة أقيمت في ذلك اليوم المبارك، وقد توفي الحبيب عبداللّه بن أحمد الهدار في عينات سنة ١٣٩٦، رحمه اللّه رحمة الأبرار .

[٣٥] **الحبيب سالم بن علوي خرد** [١]

ومنهم السيد العلامة البارع والجهبذ اللامع الجامع الناثر الشاعر الخطيب المصقع سالم بن علوي خرد، ولد بتريم الغنا سنة ١٣٢٣ ونشأ بها وحفظ القرآن وتفقه على جملةٍ من مشايخ الوادي، وأخذ عن أئمة عصره كالحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري والحبيب محمد بن حسن عيديد والحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين والحبيب

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص١٢ .

عبدالله بن عيدروس العيدروس والحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس وغيرهم، وتخرج على أيدي هؤلاء الرجال مبكراً وظهر علماً من أعلام تريم مشاركاً باللسان والجنان شعراً ونثراً وأدباً وفقهاً وروايةً ودرايةً، كما كان يسهم في إصلاحات الوادي ويدعو إلى النهضة العلمية والعملية مع غايةٍ من الصدق.

قضى حياته في خدمة الدعوة إلى الله ونشر العلم حتى انتقل إلى الحجاز بعد حدوث التغيرات الاجتماعية وقام في جدة بتأسيس بعض المجالس العلمية التي لا زالت منعقدةً إلى اليوم، وحرك همم السادة في المَهجر لاتباع سلفهم في النفع العام والخاص، وله خطب حماسيةٌ ملتهبةٌ في المساجد، ولا زالت العديد من هذه الخطب والمواعظ محفوظةً لدى أولاده، وكذلك أشعاره ومذاكراته.

وكانت له رحلات عديدةٌ إلى أنحاء المملكة العربية وخارجها مثل مصر والسودان والكويت وأندونيسيا، وتخرج على يديه عدد كبير من طلبة العلم وانتفعوا به سواءٌ خلال إقامته بحضرموت أو بعد انتقاله إلى الحجاز وكان يلقى قبولاً من كافة طبقات الناس، توفي رحمه الله في سنة ١٣٩٨ بجدة وبكاه أهله وتلامذته وأحبابه وشيع إلى مكة ودفن في حوطة المعلاة رحمه الله رحمة الأبرار.

وأما عن صلته بالوالد فكانت منذ الصبا بتريم، وهي تجسيد لما كانت بين الآباء من الصلات الروحية والمحبة الأكيدة الصادقة، وكان سيدي الوالد يزوره في منـزله بتريم كما كان هو يبادل سيدي الوالد الزيارة ويجلسان الوقت الطويل في المذاكرة والمنادمة واستعراض الكتب والفوائد، وقد تيسر لنا زيارة السيد سالم خرد بمعية الوالد في منـزله بتريم واستمعنا إلى جملةٍ من نصائحه الغالية، وأتم الله لنا هذه العلاقة

بالصلات القوية والحميمة مع أولاده وخاصةً الأخ عبدالقادر بن سالم الأديب والعالم والشاعر والناثر الوارث لسر أهله وسلفه، وكذلك إخوته المباركين الأخ علوي صاحب الباع الواسع في العلم والأدب والأخ محمد الأديب الأريب بارك اللّه فيهم أجمعين، وجعلنا خير خلف لخير سلف آمين، وغفر لوالدينا ووالديهم.

[٣٦] الحبيب محمد بن عبداللّه العيدروس « صاحب الريضة »

ومنهم الحَبيب مُحَمَّد بن عبداللّهِ العيدروسِ المَشهورِ بـ« صاحِبِ الريضة » وهي قرية بالقرب من مدينة تريم، كانت بها نشأة هذا الحبيب وتلقيه، مع أنه كان يذهب إلى تريم وسيئون للطلب بعد أن شب وترعرع، وكل من يعرفه يصفه بأنه من الذين يمشون على الأرض هوناً، نـزيهاً عفيفاً شريفاً متواضعاً، مع قناعةٍ بالرزق اليسير، وشغف في طلب العلم والمدد من أهله، ويتوج ذلك كله عزةُ نفسٍ وغزارةُ علمٍ ورجاحةُ رأيٍ وحصافةُ تفكيرٍ وصبر على البلاءِ .

أخذ عنه سيدي الوالد أخذَ تبركٍ، والتقى به في تريم مرات عديدة، وزاره إلى قريته ومنـزله، وطلب منه الدعاء والإلباس والإلقام والإجازة، فتم له المقصود، وحظي بما يحظى به خير الوفود،وكانت وفاته بحضرموت ولم نقف على تاريخ وفاته .

[٣٧] الحبيب حسين بن أحمد الصليبية العيدروس

ومنهم الحبيب المجذوب الحافظ لكتاب اللّه تعالى حق الحفظ السيد حسين بن أحمد الصليبية[١] العيدروس، ولد بتريم وحفظ القرآن في ستة شهور، وهو آيةٌ في

(١) آل الصليبية لقبوا بذلك أخذاً من الصلابة والشدة التي كانت في بعض أجدادهم، ويلاحـظ أن تصريفها تحكمت فيه اللهجة المحلية وليس منقاساً على قواعد الصرف .

الحفظ والإدراك منذ صباه، فلا يكاد ينتبه لشيء مقروءٍ أو مكتوبٍ إلا و مر عليه مستوعباً أو حافظاً من مرته الأولى أو الثانية إذا تأخر، وقد حفظ «شواهد ابن عقيل» لما طلب منه الحبيب عمر بن علوي الكاف أن يستنسخها له من الأصل المخطوط، وذكر أن القرآن كان يسهل عليه في التلاوة حتى إنه ربما قرأ القرآن من يومه في الصلاة، ويذكر السيد طاهر بن حسين الكاف الذي كان زميلاً له وصاحبا أنه حضر معه في مسجد الماس ليستمع إلى قراءته في طي القرآن له فقرأ أجزاء عديدة في ركعة واحدة والسيد طاهر قائم يتابع القراءة في المصحف حتى تعب من القيام، فجلس وصلى الحبيب حسين صلاة الضحى أربع ركعات من أول النهار حتى قرب الظهر بختمة كاملة .

وكان في بدء تعلمه في مدرسته جمعية الحق بتريم يعد من أوائل الطلبة الذين تفخر م المدرسة، وكان أيضا على جانب عظيم من الصلاح والتقوى والمحافظة على الطاعات ومجالس العلم المنعقدة بتريم، ملازماً لها أشد الملازمة خصوصاً مجالس الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين، ويذكر أنه لم يخرج من تريم إلا مرتين حاجاً لبيت اللّه، وله قصائد شعريةٌ عجيبةٌ، منها مرثاةٌ في الحبيب علوي بن شهاب الدين مـثْـبـتـةٌ في كتاب «تحفة الأحباب في ترجمة الحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب» الذي صنفه المؤرخ الحبيب عمر بن علوي الكاف .

وكانت ترد عليه بعض الأحوال الغريبة فيسكت ولا يتكلم ولا يتحرك المدة الطويلة حتى إن العدد من الناس لا يستطيعون تحريكه من مكانه، ويشرب عندما يرده هذا الحال من الماء الشيء الكثير، وقد يشرب القربة الكاملة في الجلسة الواحدة، ثم يعود إلى حاله المعتاد، وكان سيدي الوالد دائم التردد عليه بمنـزله الكائن

بالنويدرة، ويظهر من ذلك أن بينهما من الحب والمودة والارتباط المعنوي الشيء الكثير إضافة إلى الارتباط الحسي، حيث تجمع بينهما بعض أواصر القرابة، وقد زرناه مرات عديدة بتريم خلال رحلاتنا المتكررة، وحرص الوالد رحمه اللّٰه على أن نستمد منه ونتبرك بالإلقام والدعاء وحضور مجلسه المبارك، وقد اعتزل الحبيب المذكور في أواخر حياته الناس بمنـزله لا يخرج إلا للضرورة القصوى، ولربما زاره بعض منادميه وأصدقائه الذين يطمئن إليهم ويسكن بوجودهم معه حتى أثقله المرض، وتوفي بتريم يوم الجمعة الموافق ٩ من ذي القَعدة الحرام ١٤٠٥، وقد خرج في جنازته الجمع الغفير، رحمه اللّٰه رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأ ار.

[٣٨] الحبيب هادي بن أحمد الهدار قاضي زنجبار

ومنهم السيد العلامة الداعي إلى اللّٰه ورسوله بقوله وعمله الحبيب هادي بن أحمد الهدار قاضي زنجبار من أرض السواحل سابقا، وأحد رجال التربية والتعليم بمدينة مروني عاصمة جزر القمر، وسليل الأكابر من آل الشيخ أبي بكر بن سالم .

ولد بحضرموت بمدينة عينات، وتعلم ا ونشأ، وتلقى نصيباً وافراً من المعرفة بتريم وغيرها من مراكز المعرفة الـفـيـاضـة، ثم رحل إلى إفريقيا وأقام ا وتصدر للدعوة بإذن من الحبيب الداعية الإمام عمر بن أحمد بن سميط، والذي كان هناك قائما بالدعوة إلى اللّٰه والإرشاد، وهناك تزوج وأنجب، وعلم وتعلم، وأمد واستمد، ونفع وانتفع، ولما كبر في السن هيأ من يقوم مقامه في التعليم والإفادة، وتردد على الحرمين وأرض الخليج العربي، وخلال هذه الرحلات المتكررة كان دائماً يزور سيدي الوالد ويتصل به، وكان سيدي أيضا يزوره ويتذكر معه باكورة الحياة الأولى بمسقط رأسيهما تريم وعينات، وتلاقيهما هناك مرات في المشاهد والمحافل والمدارس والزيارات المتبادلة، وقد تشرفنا جميعا في مدينة جدة المحروسة بمعرفته

وزيارته ولطيف أخلاقه، حيث زار سيدي الوالد عدة مرات على ما به من آلام وأمراض، وكان آخر العهد به عام ١٤٠٢، حيث استقر بمدينة أبوظبي بالخليج، وكان ا علَماً مرشداً، وداعياً معلماً، ومركزاً يتجمع عليه الراغبون في الفيض العلوي والأدب النبوي، وكان آخر أمره أن وجه دعوةً من مقره بالخليج إلى الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف للزيارة ونشر الدعوة، فلبى الحبيب وسافر إلى الخليج في شهر جمادى الثانية من عام ١٤٠٢، وعقدت بحضرته الاجتماعات العظيمة والمذاكرات السلفية المؤثرة، وأصيب الـحـبـيـب هادي بنوبةٍ قلبيةٍ مفاجئةٍ في أحد ا الس العلمية، وأوصى بأن يصلي عليه ضيفه الكبير الحبيب عبدالقادر، وكانت منـيـتـه في ذلك الشهر، وصلى عليه الحبيب عبدالقادر، وأُلقيت في تلك المناسبة كلمات قيمةٌ أشادت به وبحاله وفضله وباستقامته وصبره ونشره للعلم والدعوة إلى اللّه مع غاية الصبر والاحتمال، رحمه اللّه رحمة الأبرار .

[٣٩] الحبيب عبداللّه بن شيخ العيدروس

ومنهم الحبيب الناسك الأواب، سمير الكتاب والمحراب، ولزيم الآداب، الظاهر رغم تواضعه عبداللّه بن شيخ بن عيدروس بن محمد بن عيدروس العيدروس، ولد بتريم في ١٣١٦ تقريبا ونشأ ا، وترعرع تحت رعاية أبيه الذي كان آيةً في التقوى، مرافقاً له في مواقع علمه وتعبده وتنسكه، مترددا معه وبعده إلى مواطن الطلب والتلقي العام والخاص بتريم، ومتصلاً بشيوخ عصره في تلك الدائرة المباركة وما جاورها من قرى النور السلفي المبارك .

سافر إلى جاوة قبل زواجه وأخذ ا عن الحبيب محمد بن أحمد المحضار والحبيب محمد بن عيدروس الحبشي، وعدد كبير من شيوخ جاوة من آل العطاس وغيرهم،

ومكث ا حوالي خمس سنوات اشتغل ببعض الأسباب وتزوج وأنجب بعد أن عاد إلى حضرموت، وتزوج مرة أخرى بحضرموت وأنجب ولداً [1] لم يبق غيره من ذرية الحبيب عبدالله، إذ توفاهم الله في سن صباهم ما عدا عددٍ من البناتِ من زوجاتٍ أُخريــاتٍ .

وكانت له إبان وجوده بحضرموت وقبل سفره إلى جاوة مجاهدات ومكابدات، وكذلك بعد عودته إلى تريم، وخاصةً في الأوراد والعبادات وعمارة الأوقات بالمدارس وا الس والخروج من آخر الليل إلى مساجد تريم للتعبد، ويذكر أن في إحدى ليالي خروجه إلى مسجد الشيخ علي بن أبي بكر السكران بتريم ليصلي فيه وجد عند فتح الباب أن المسجد غاص بالمصلين، فارتعب وخاف وعاد إلى بيته، فوجد أخاه الحبيب عبدالباري منتظراً له عند باب مسجد آل عبدالله بن شيخ بالسحيل، وقال له : « إن والدك ظهر لي »، وقال : « انتبه لعبدالله لأنه يسري إلى مساجد كثيرة، وقل له يعمر مسجدكم، وما أمـلـتـوه وأردتوه بايحصل لكم عمارة مسجدكم » .

وكان محباً لزيارة نبي الله هود كل عام، حتى بلغ به الأمر أن يبيع بعض النخل في سبيل الذهاب إلى هناك، وبنى هناك بيتاً للنــزول فيه، وبقي الحبيب عبدالله بتريم معتنياً بدروس العلم في قبة أهله وجده المعروفة وبغيرها من المآثر، مترقياً في مقامات العطاء الإلهي بالآداب ولزوم المحراب والأوراد وإكرام الضيفان والقُصاد، ممثلاً لأهله وأسلافه الأمجاد، حتى مرض بحصر البول ومكث به متألماً نصف شهر

---

(١) هو السيد المبارك وطالب العلم المتفقه محمد بن عبدالله بن شيخ الملقب بالمستور، وكـان لـقـبـه بذلك لـمـا أنجبته أمه في عقد الخفية الذي كان شائعا بحضـرموت، ويعـود فضل جمع هذه الترجمة له ولمعاونته ومساعدته القيمة لها ثم الاتصال به لهذا الغرض في جـدة المحروسة عام ١٤٠٤ .

تقريباً حتى توفي متأثراً في شهر رجب من عام ١٤٠٠، وكان سيدي الوالد كثير التردد إليه، ولما يربطه به وبأخيه الإمام عبدالباري من روابط المودة والأخوة والطلب، وكان لنا شرف التبرك منه والتعرف عليه بمنـزله في سنة ١٣٦٧ وخلالَ مراتٍ أخرى.

[٤٠] الحبيب عبدالرحمن بن سالم البيض

ومنهم السيد الصالح، ذي الحال الطافح، عبدالرحمن بن سالم البيض [(١)]، حيث كان لسيدي الوالد اتصالٌ تام به في الأرض المباركة الطيبة، فقد حصل بينهما الاجتماع وتبادلا الإجازات في كل من المدينة المنورة، وفي مدينة جدة بعد إقامتهما ا، وكان كل منهما حريصاً كل الحرص على زيارة صاحبه، وتمكين العلائق الروحية بما أَلِفَته الأرواح الصالحة عند التقائها، وقد صحبنا سيدي الوالد في عدد من تلك الزيارات الأخوية في الله، وتم الإلقام والإلباس والإجازة منه لنا ولسيدي الوالد في كل ما أجازه به شيوخه ووالده، ولا يخفى على المطلع ما سبق من العلائق المتينة بين الجد علوي رحمه الله تعالى وبين الحبيب سالم البيض صاحب الشحر، والسيد عبدالرحمن المذكور، وقد أفضنا القول عن هذه العلاقة في موقعها من ترجمة الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور، وقد توفي الحبيب عبدالرحمن بمدينة جدة ظهر الأربعاء ١٣ جمادى الثاني ١٤٠٧ ودفن بمكة المكرمة .

[٤١] الشيخ محمد بن عمر بن يسلم باخبيرة [(٢)]

ومنهم الشيخ الناسك الزاهد التقي النقي المتجرد عن الأسباب الصابر على البلوى محمد بن عمر بن يسلم باخبيرة، صافي السريرة، وحسن السيرة، الذي زهِد

---

(١) ولد السيد عبدالرحمن بن سالم البيض بمدينة الشحر سنة ١٣٣٠ .

(٢) انظر الصورة في الملحق ص١٣ .

بقَدرٍ من اللّه في الحياة الدنيا وما فيها، فلم يكن له نصيب من مالها ولا نسائها ولا زخرفها ولا طعامها، يكتفي باليسير، وينفق القليل والكثير، من جالسه عرف فيه نور الولاية ظاهراً للعِـيان، لا يحتاج إلى توضيحٍ ولا تِبيان .

كان له مع سيدي الوالد اتصالٌ ظاهر وباطن، ووصالٌ ولقاءٌ ومذاكرةٌ في شؤون القوم وأخبار السادة الأكابر، وكان كثير الزيارة لسيدي الوالد بمنـزله، وقد يلتقي به في بعض ا الس والمدارس، وقد اجتمع لدى سيدي الوالد من يد الشيخ محمد بن يسلم باخبيرة عدد من الكتب الثمينة الهامة كان الشيخ يصطحبها معه عند زيارته ومجيئه، ويهديها لسيدي الوالد بعد أن يكتب عليها الإهداء بقلم يده .

وسنفرد في جمعٍ قادمٍ ـ إن شاء اللّه ـ عن شيوخ العصر وأوليائه ترجمةً حافلةً للشيخ المذكور، حيث تشرفت بالجلوس معه مراتٍ عديدةً جمعت خلالها نبذةً من حياته وأحواله وأخباره وفوائده الغنية المفيدة [١]، وستكون تلك نواةَ الحديث عن حياته القادمة إن شاء اللّه تعالى، وكانت وفاته رحمه اللّه ظهر الأربعاء الموافق ١٣ جمادى الثاني ١٤٠٧ بجدة، ودفن بالحجون بمكة المكرمة [٢] .

[٤٢] الحبيب علي بن شيخ بلفقيه

ومنهم السيد الجهبذ العلامة صاحب المعارف والفهوم الداعي إلى اللّه بالحكمة والساعي في أثر القوم الحبيب علي بن شيخ بلفقيه الذي اشتهر في كل موطن وبلاد،

---

(١) وقد جمعناها مؤخراً في رسالةٍ سميناها « السحابةَ المَطِيرة في ذكر حياة الشيخ الحفيـفِ الحـاذ الذي لا مال له ولا ولد الشيخ محمد بن عمر بن يسلم باخبيرة » .

(٢) ولد الشيخ محمد بن يسلم باخبيرة عام ١٣١٣ تقريبا بمدينة شبام .

وعرفه الحاضر والباد، وشهد بفطنته وذكائه ومعرفته وحصيف رأيه كل من عرفه وجالسه وتلقى عنه وسمع منه الدرر السنية التي يتحف ا السامعين، ويؤنس ا المتعلمين والمعلمين .

عرفه سيدي وارتبط به وأخذ عنه وتردد عليه في مسقط رأسيهما تريم الغناء، بل كان سيدي الوالد حريصاً كل الحرص على زيارته والاستمداد منه كلما سنحت له فرصة السفر إلى تريم بعد حلوله بأرض العوالق السفلى، وقد أخذنا سيدي الوالد مرات إلى منـزله للتعرف عليه والأخذ عنه والاستمداد منه، وذلك في تلك الرحلات التي سافرناها إلى تريم إبان وجود السيد المذكور ا قبل سفره إلى الحجاز والخليج عندما كان علَماً من أعلام التربية والتعليم، وكانت وفاة السيد علي بن شيخ في مدينة أبوظبي سنة ١٤١١ .

[٤٣] الحبيب سقاف بن زين بلفقيه (١)

ومنهم السيد المنيب الأريب السالك على منهاج السلف في القول والفعل والهيئة والأدب الحبيب البقية سقاف بن زين بلفقيه اللاهج بأخبار القوم، والحاوي لفوائد حكايات السادة الأشراف، والداعي إلى سيرة الأسلاف .

وله بسيدي الوالد ارتباطات جمةٌ، ولقاءات مهمةٌ، وزيارات واتصالات في مسقط رأسيهما تريم وفي جدة من أرض الحجاز، حيث كانت جذور العلاقات منحدرة من معرفة الحبيب سقاف بالجد علوي والجد أبي بكر وما كان لهما من الاتصال والوصال، ولذلك فقد ظل سيدي الوالد محافظاً على هذا الاتصال مكرراً

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص١٢ .

للزيارة مع كل فرصة تبدو لهذا السيد المفضال، فقد زاره واستجازه في مدينة تريم مرات عديدة، وكذلك الحال في بلاد الحجاز، حيث صحبته عدة مرات إلى منـزل نجله المبارك لغرض التعرف والتقرب والأخذ والاستمداد، فكان بينهما من لطيف المذاكرة وحسن المعاشرة ما يؤكد قوة الارتباط المتين بينهما، وتوفي بالرياض ثم نقل جثمانه إلى جدة ودفن بمكة المكرمة سنة ١٤١٤ .

[٤٤-٤٧] **الحبايب مهدي وأبوبكر وحسن وسالم أبناء الإمام الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري** (١)

ومنهم الســادة الأجلاء الأعلام مهدي وأبوبكر وحسن وسالم أبناء الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري، كان لسيدي الوالد بهم أتم الاتصال في مدينة تريم، بل كان سيدي الوالد يضعهم في مقدمة الشيوخ الذين يزورهم ويتصل بهم، وكيف لا يكون ذلك وهم أبناءُ شيخ فتحِهِ ومنحِهِ، وإمامِ متجره وربحه، الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري ؟ وقد استجازهم سيدي الوالد لنفسه ولأولاده، وحصل لنا منهم مراتٍ بتريمٍ الإلقام والإلباس والإجازةُ، وذلك خلال رحلتنا الأولى إلى حضرموت عام ١٣٨٠ خاصة .

كما أن سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى كان لا ينفك عن السؤال عنهما حيثما نـزل من البلاد، وقد تكررت زيارته فيما بعد لأخيهما المبارك العلامة الداعي إلى اللّه

سالم بن عبداللّه الشاطري بعد إقامته بعدن معلماً وإماماً وخطيباً بمسجد الإمام

(١) انظر صورة الحبيب حسن والحبيب سالم في الملحق ص١٣ .

أبي بكر بن عبدالله العيدروس الملقب «العدني»، وحصلت بينهما الرابطة العلوية القوية والألفة والاتصال الظاهر والباطن .

وقد كان لهذه الأسرة الشريفة التي جاءها الفضل والنور منحدراً من الأصول الأولى لقاءٌ بسيدي الوالد في مدينة أحور من بلاد العوالق السفلى، حيث دخل كل من الحبيب مهدي والحبيب أبي بكر ابني الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري أحور منذ ما يقرب من ستين عاماً وحصل لهما استقبالٌ ومقام يليق بهما، وتم في هذه الرحلة تمكين الروابط والقواعد الأخوية وحصل الارتباط والتمكين، حتى أذن الله لهما بالسفر من أحور في نهاية ذلك الشهر متجهين إلى بلاد المحفد بعد أن عطرا البلاد بأريج الدعوة المحمدية ونفحات الطريقة العلوية .

وأما في الحجاز فقد توطدت هذه العلاقات وتكررت الزيارات، وكان لنا مع سيدي الوالد زيادة لتمكين هذه الأواصر بزيارة كل من الحبايب أبي بكر وحسن وسالم، وكانوا يترددون على جدة ومكة والمدينة، والارتباط بنيل الإجازات والإلقام والدعاء، وقد توفي الحبيب مهدي الشاطري رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٥ بالخليج العربي ودفن في أبوظبي، وكذلك أخوه الحبيب أبوبكر توفي بالخليج بعد عملية أجراها بالمستشفى عام ١٤١٣ رحمهما الله رحمة الأبرار .

وفي المرحلة الأخيرة هيأ الله للحبايب آل الشاطري إعادة فتح رباط تريم، فعاد كل من الحبيب حسن وأخيه سالم إلى تريم وأعادا التعليم إلى الرباط وكذلك المدرس العام وانتفع الناس بعودهما المباركة ووفد إليهما طلبة العلم من كل مكان، نفع الله بهما وأمتع بهما في خير وعافية .

وقد أخذ الحبيب حسن عن والده الإمام وجملة من شيوخ عصره، وتصدر مبكراً في رباط تريم، وصار خليفة لوالده بعد أخيه محمد المهدي، وتخرج على يديه الكثير من طلاب العلم في حضرموت وفي الآفاق، وهو من طبقة الوالد، ثم رحل من حضرموت بعد التغيرات الاجتماعية إلى الخليج، وانتفع به الناس هناك، ثم عاد بعد ذهاب نظام الحكم الشيوعي واستعاد فتح الرباط وتصدر في حضرموت للدعوة ونشر طريقة السلف، ويشارك في الجموعات العامة المعهودة بتريم وغيرها، وهو اليوم من أكبر شيوخ المرحلة في تريم الذين تدور عليهم مهمة التربية والدعوة على منهج السلف .

[٤٨] الحبيب حسن بن علي الحداد منصب المقام الحدادي

ومنهم الحبيب ا ـذوب المحبوب البالغ في صفاء النفس إلى الغاية، وتلوح على محياه إشارات الرعاية والعناية، الشهم الكريم ذي المدد والإمداد، السيد الشريف حسن بن علي الحداد، منصب المقام الحدادي، وشيخ دوائر العطاء الإمدادي الذي وهبه اللّه من المواهب ما لا يحصى ولا يعد، وملأه مدداً على مدد، زيادةً على ما وصل إليه من الأب والجد، وكان لسيدي الوالد به كاملُ الاتصال والأخذ والتبرك والاستمداد في مدينة الـ ـحـ ـاوي مراتٍ ومراتٍ، حيث ألبسه ما في حوزته من إلباسات القوم، وأجازه في كثير من الأوراد، وفي الدعوة والإرشاد للعباد، وتم بينهما اللقاء مرةً أخرى في مدينة المكلاّ خلال رحلة سيدي الوالد من أحور إلى حضرموت عام ١٣٧٨، وسبق لهما اتصالٌ آخر خلال زيارة الحبيب حسن بن علي الحداد إلى مدينة أحور عام ١٣٧١ من الهجرة المباركة وذلك خلال شهر جماد الأول، وكان بصحبته الحبيب عمر بن عبدالرحمن بن حسن البحر، ومكثا بأحور

لدى سيدي الوالد مدة خمسة عشر يوماً، ثم سافرا براً إلى حضرموت عن طريق عرقة من بلاد الواحدي كما كانت تسمى سابقاً .

[٤٩] الشيخ فضل بن محمد بافضل

ومنهم الشيخ العلامة، الفقيه حافظ المذهب، المتضلع من العلوم، والمتبحر في ألوان الفهوم، الداعي إلى الله فضل بن محمد بن عوض بافضل، الممنوح من كل فضل، حدث عن البحر ولا حرج من العلم والفهم والعقل، اتصل به سيدي الوالد قبل أن ينتقل إلى بلاد العوالق السفلى، وعرفه معرفةً تامةً في باكورة حياته الأولى، وازداد الارتباط بينهما كثيراً، فكان سيدي الوالد يتردد على مسكنه زائراً ومستمداً وممِداً، كما كان الشيخ رحمه الله تعالى يكرر زيارته لسيدي الوالد في منـزله بتريم، وفي عام ١٣٧١ من الهجرة وصل الشيخ فضل إلى مدينة أحور زائراً وداعياً، فاستقبله سيدي الوالد وجمع له الناس مراتٍ عديدةً، فألقى عليهم من المواعظ البليغة ما أبكى الخلق، وحصل بزيارته تأثر عظيم في البلاد، ولم يمكث ا سوى خمسة أيام، ثم سافر إلى مدينة عدن ثم إلى حضرموت، وذلك في شهر شعبان، وقد زرناه مع سيدي الوالد بمنـزله الكائن في شعب خيله مراتٍ عديدة، وحصل لنا الإلقام منه ومن بعض الصالحين الذين يحضرون مجالسه في تلك الأيام النيرة، وقد توفي الشيخ فضل بتريم عام ١٣٩٦ رحمه الله رحمة الأبرار .

[٥٠] الحبيب علوي بن شيخ باعبود مولى الدويلة

ومـنـهم الحبيب البركة المعمر الملحوظ في السكون والحركة، الذي كان على صلةٍ وثيقةٍ بالجد علوي، وكان له لزيماً وصديقاً وتلميذاً، السيد الشريف المنيف، علوي بن شيخ بن حامد باعبود مولى الدويلة، المولود بتريم سنة ١٣٠٠، والمتولي

إمامة مسجد الإمام عمر المحضار مدة أربعين عاماً تقريباً، وجليس الأولياء والأقطاب، وأنيس العلماء والأنجاب، صافي السريرة، وحسن السيرة .

اتصل به سيدي الوالد منذ صباه، وعرفه بمعرفة أبيه وجده، فكان كثير التردد عليه والزيارة له بمنـزله، ولما ارتحل سيدي الوالد إلى أرض القبلة كان لا يتأخر عن زيارته مع شيوخه الأوائل وآبائه الأفاضل، ولما هيأ اللّه لنا الرحلة إلى حضرموت كان لنا به اتصال، وأخذ سيدي الوالد منه الإجازة والإلباس، وعرفّنا على قُربِهِ من الجد علوي خصوصاً على سائر الناس، وقد أفردنا له ترجمةً خاصةً أملاها ولده المبارك هاشم علوي باعبود ضمن الحديث عن تلامذة الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور فانظرها في « لوامع النور » .

[٥١] **الحبيب حامد بن محمد السري** جمل الليل

ومنهم الحبيب العلامة الشاعر المصقع والأديب المقتدر ذو المحامد والمنصب الفخري، السيد الشريف الحبيب حامد بن محمد السرِي، كان آية في الأدب والشعر، وديوانه أبرز شاهد على ما له من ملَكةٍ شعريةٍ وفصاحةٍ جِبليةٍ، وشعره رصين قوي ينم عن اقتدار صاحبه من الكلمات والمعاني، وفي القصيدة المذكورة أدناه لمعةٌ من ذلك، وقد قام الحبيب العلامة الشاعر الأديب محمد بن أحمد الشاطري والحبيب محمد بن حسين بن هادي السقاف جزاهما اللّه خيراً بتحقيق ديوانه والاعتناء به، وهو في طريقه للطباعة تحت متابعة حفيده المبارك السيد حسن السري الذي قام بجمعه جزاه اللّه خيرا، اتصل به سيدي الوالد في مديـنـة تريم واستجازه ا، وطلب منه الدعاء والإلقام، وكان له به غاية الاتصال والارتباط آنذاك، ثم تمكن الأمر وازداد الاتصال وقوي بعد أن صار سيدي الوالد أحد الدعاة الأعلام في أرض

العوالق وبلاد القِبلة وما حولها، والتقى به عام ١٣٩٢ في مدينة عدن، وطلب منه الإجازة الخطية فلبى الأمر، وكتب له إجازةً مختصرةً أشار فيها إلى علاقته بالجد علوي بن عبدالرحمن المشهور، وأنه من شيوخه الذين استمد منهم وتلقى، وقد أثبتنا الإجازة كاملةً في قسم الإجازات من هذا الجمع المبارك إن شاء الله تعالى، وقد التقى سيدي الوالد بالسيد حامد السري بمدينة جدة وتذاكرا حياة الجد علوي وما كان عليه، فحركت هذه الكوامن شاعرية السيد حامد فكتب هذه القصيدة(١):

يا سلِيلاً لشيخِنا والمُرجى	عِند ضِيقِ الخَناقِ للتنفِيسِ
علَوي المَشهورِ بحرِ العلُومِ	وهو ليثُ الوغَى بحر الوطِيسِ
رفَع الله شأنه في المعالي	رفْعةً لا تزالُ فَوق الرؤوسِ
يا علِي المَعالِ في كُل حالٍ	مِن سعودٍ قد برئَت مِن نحوسِ
لَك في الصالحاتِ ما سوف يبقَى	ذِكْره قد علا على بلْقِيسِ
قَدس الله سِركُم آلَ بيتٍ	شغلُوه بالذكْرِ والتقْدِيسِ
ذَهب خالِص ودر نقِي	لم تشبه الأدرانُ بالتلْبِيسِ
يا شريف الأخلاقِ وابن شريفٍ	مفْخرٍ في مؤثلٍ قُدموسِ
دب في السرور لَما رأَتكُم	مقْلَتي اليوم في مقامٍ نفِيسِ
فتوجه بحق شيخِي لمولا	ك ليسدِي في الحَي نير مروسِ
فهو إنْ عضلَ العضالُ وأعيا	كُل داءٍ دواءُ جالِينوسِ

(١) عثرنا على هذه القصيدة لدى حفيد السيد حامد الأخ حسن بن علي السري جزاه الله خيراً، وقد أثبتها في ترجمة لجده حامد التي جمعها في مقدمة ديوان جده برقم ٢٨٢ تحت عنوان «إلى حفيد شيخي».

إنه كاد أنْ يرى ما وراءَ الـ غَيبِ مِن هول سيلِهِ ورديس

كما وطد سيدي الوالد هذه العلاقة السلَفية، والرابطة العلَوية، مع ولَدي الحبيبِ حامد، وهما الحبيب المرحوم عبدالرحمن، والحبيب البركة عبدالقادر الملقب « جيلاني »، فأكثر سيدي الوالد من الاتصال والزيارة مما لما كان يتردد على تـريـم الغـنا قادماً لها من أحور، وكثيراً ما كان يدعوني للإنصات الجيد إلى نشيدهما ؛ لأستمد أسس النبرات الصوتية، والنغمات الشجية اللَّـتـين يحسِنانِها من قواعد السلف الصالح بحضرموت .

[٥٢] الحبيب عبداللّه بن حامد البار صاحب مقام الإمام عمر البار

ومـنـهم العم الفاضل، سليل الأفاضل، القائم بمقام أجداده في محاسن الأمور، بما تضيق به السطور، ولا يتسع له المسطور، السيد الشريف عبداللّه بن حامد البار، ذو القَدر والمقدار، والمعروف في الوطن وخارجه بالإصلاح، والسعي بين القبائل والحضر بالصلاح والفلاح، وأمره مشهور، في تلك الدور، وخاصةً أن مقام جدِهِ الكرار، الإمام عمر البار، قد آلَ إليه وصار، هو القائم عليه، والصادر والوارد يرد لديه، فقام بالأمر خير قيام، وظهر في ذلك المقام بالإكرام والإنعام، وكان لسيدي الوالد به الاتصال التام، خلال زيارته عام ١٣٩٢، مع جملة الدعاة العلماء الذين وفدوا إلى دوعن للدعوة والتذكير، فقد ورد في الرحلة أ م زاروه ودخلوا عليه بمنـزله، فأكرم وِفادتهم وفَرِح م، وكان يشكو في تلك الأيام من الحمى، وطلب دعاءهم ودعا لهم، وطلبوا منه التبرك والإذن بالدعوة فأذن لهم، كما كان لسيدي الوالد به اتصالٌ أوسع وأرحم بعد التقائهما في مدينة جدة، وذلك خلال حضور سيدي الوالد الحضرة المباركة التي تقام بمنـزله كل عشية ثلاثاء إحياءً

للحضرة المتوارثة عن الإمام عمر البار رحمه اللّه تعالى، كما قوي الاتصال وازداد الارتباط بعد خطبة وزواج الفقير كاتب الترجمة لدى الحبيب المذكور بإشارة الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف، حيث صار الارتباط من جميع الجوانب أقوى وأمتن .

وقد أهدى سيدي الوالد وهو على فراش المرض من شهر شعبان ١٤٠٢ مسبحته الخاصة التي كان يسبح ا في سريره بالمستشفى للحبيب عبداللّه بن حامد، وذلك في آخر زيارة قمنا ا له في غرفته بمستشفى سليمان فقيه بمدينة جدة، وقد أخبرنا في ذلك بقوله : « البارحة حصل المقصود » وكأنه رحمه اللّه كان يعني أنه ظهر له في المنام شيءٌ مبشر، ولم نفطن إلى القصد الأوسع المشير بالوفاة إلا بعد موته رحمه اللّه تعالى .

وقد كان ميلاد العم عبداللّه بن حامد البار بالقرين من وادي دوعن سنة ١٣٢٥ وأخذ عن جملةٍ من علماء حضرموت، وقد ترجمنا له ترجمةً مفردةً سميناها « ندى الأزهار »، ولا زالت مخطوطة، وكانت وفاته ضحى يوم الثلاثاء غرة جمادى الأول عام ١٤١٨ بمنـزله الكائن بجدة، وكان ذلك اليوم موافقاً ليوم إقامة الحضرة بمنـزله، ونقل بعد المغرب إلى مكة المكرمة بعد أن صلي عليه بجدة، ثم صلي عليه بالحرم المكي، ثم نقل إلى الحجون ودفن ا، رحمه اللّه رحمة الأبرار، وقد خلفه في هذا المقام من بعده ولده الأبر عيدروس بن عبداللّه حفظه اللّه وسدد خطاه .

[٥٣] **الحبيب محمد بن حسن العطاس والحبيب محمد بن حسين بن سالم العطاس**

ومنهم السيد المنيب الأريب محمد بن حسن بن محسن العطاس، والسيد العالم ذي المكارم محمد بن حسين بن سالم العطاس، كان اتصالهما بسيدي الوالد في مدينة أحور بأرض العوالق السفلى سابقا في شهر رمضان من عام ١٣٦٣ من الهجرة،

وذلك عقب حلول سيدي الوالد بأحور، وقبل زواجه ا، حيث قدم إليها من حضرموت بطريق الساحل، ولما وصل إلى أحور فرح ما سيدي الوالد، وطلب منهما البقاء خلال شهر رمضان المبارك، فأقاما تلبيةً لدعوته، ونـزولاً عند رغبته، ومما يذكره السيد محمد بن حسن العطاس أن سيدي الوالد عـيـن لكل واحد منهما مسجداً من مساجد البلاد يصلي فيه بالناس صلاة التراويح، ثم يلتقيان بسيدي الوالد في موقع سكنه، وظلا على هذا الحال إلى ما بعد انقضاء عيد الفطر المبارك، ثم سافرا إلى عدن، وقد تكرر الاتصال واللقاء مرةً أخرى بين سيدي الوالد والسيد محمد بن حسن العطاس في ربوع الأرض المقدسة، حيث كان السيد المذكور يحرص على زيارة سيدي الوالد بمنـزله كلما نـزل بمدينة جدة قادماً إليها من الرياض، حيث يقيم هناك مع بعض أسرته وأولاده .

[٥٤] الحبيب حسين بن عبداللّه عيديد (١)

ومنهم السيد الولي الأكيد، الفاضل ا يد، الحبيب حسين بن عبداللّه بن حسن عيديد، ذي البركات الموفورة، والأحوال المستورة، صافي السريرة، وطيب السيرة، اتصل به سيدي الوالد في حضرموت وبأحور عندما مر ا في بعض رحلاته (٢)، وأبقى ا طيب الذكر ، وكان عاليَ القَدرِ بخلقه الحسن ولطيف معشره، ونور باطنه وظاهره، وقد دلل بعض من عرفه ا أنه عام دخوله إلى أحور تعرض لقطاع الطرق من البدو ولم يجدوا معه شيئاً يستفيدونه من به وسلبه، فأطلقوه داعياً لأولئك بالهداية والصلاح، رحمه اللّه رحمة الأبرار .

Comment: صفحة١٣٢ : ماذا هنا ؟

(١) انظر الصورة في الملحق ص٤.

(٢) وصل إلى أحور من بعده أولاده طاهر وعلي سنة ١٣٨٢ وزارا سيدي الوالد وحضرا عنـده الروحـة وقرآ عليه في كلام الحبيب علي الحبشي ولم يمكثا سوى يوم واحد فقط ثم سافرا إلى عدن.

وله اتصالٌ وثيق وعظيم بالحبيب علي بن محمد الحبشي، ظهرت عليه آثاره وغمرته أنواره، وهذا ما يبديه لنا في أخباره وأشعاره، منها قوله :

بشر القلب بالبشرى قد الوحي ياتيه
فانني اليوم في وصل الحمى ذاك أفاديه
من أتانا وله مقصده من الخير نعطيه
أو أتانا وله نية من السر نكسيه
ذاك ما فيه نية قصد نيته نعطيه
نعطي الكلْ على حسب البواطن نواليه
نحكم إلا الباطن بما فيه ندريه
لو ترى الغيث ينـزل عندها الكشف
لكن الستر أحسن هكذا فيه يكفيه
والغبي الغبي من لا درا كيف نلقيه

[٥٥] **الحبيب سالم بن عبدالله الحبشي الملقب « البار »** (١)

ومنهم السيد العلامة الحبيب سالم بن عبدالله الحبشي الملقب « البار »، سليل السادة الأخيار، اتصل بسيدي الوالد واتصل به سيدي الوالد أيضاً في منتدى القوم الأطهار بتريم وثبي، حيث كانا يقيمان ويتتلمذان ويحضران مع الأقران والأمثال في المدارس العامة والحلقات الخاصة، مع أن الحبيب سالماً أكبر سناً من سيدي الوالد، ولما شاءت إرادة الله الرحلة لهؤلاء السادة من موطن أسلافهم إلى أرض الحجاز تكررت فرص الاتصال الدائمة، حيث كانا يحرصان على زيارة بعضهما في ذات الله، ويجسدان في ذلك الأدب النبوي

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص١٤ .

والمسلك العلوي في معرفة كل واحد منهما حق صاحبه، وقد سمعت منهما لذيذ الأخبار والحكايات والمباسطات والحكم والأشعار والمذاكرات كلما التقيا في منـزليهما بجدة، وبقيت هذه العلاقة والمودة دائمة الجَنى والثمر بعد وفاة سيدي الوالد رحمه اللّه، حيث ظل الحبيب سالم على ذات الحال السلفي في زيارة موقع صاحبه، وتفقدِ بنيِهِ وأخلافِه داعياً ومراعياً حتى وفاته بجدة سنة ١٤١٥، ودفن بحوطة المعلاة بمكة المكرمة.

[٥٦] **الحبيب علوي بن عبداللّه السقاف** (١)

ومنهم السيد العلامة علوي بن عبداللّه السقاف، من كبار رجال وادي الأحقاف، ومن المستمدين أنوار الولاية من موطن القوم، وقد التقى به سيدي الوالد مراتٍ كان آخرها عام ١٣٩٠ بمدينة عدن، وذلك قبل عزم الوالد على السفر إلى الحرمين، واستـمـنـحه إجازةً خطيةً، فكتبها له مشيراً إلى ما أجازه به الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور، وقد أثبتنا الإجازة المذكورة في موضعها عند الحديث عن الإجازات في هذا الجمع المبارك .

[٥٧] **السيد محمد بن شعيب الأهدل**

ومنهم السيد الولي محمد بن أحمد شعيب الأهدل اليماني، والمرشد العام بتهامة وجبيل، ومفتش مدارس قضاء حران، حيث اجتمع به في ٢١ ذي الحجة ١٣٩٢ بمنـزل السيد العلامة محمد بن علوي المالكي بمكة المكرمة، وحصل تبادل الوصايا والإجازات بينهما، وقد أثبتنا وصية وإجازة الأهدل لسيدي الوالد في قسم الإجازات، وقد التقيت بالسيد الأهدل المذكور، وأوعد بإحضار الإجازة التي كتبها الوالد له بمكة .

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص١٤ .

[٥٨] الشيخ عمر عوض حداد

ومنهم الشيخ الناسك الزاهد خامل الذكر ومكنون السر عمر عوض حداد نـزيل مكة المكرمة، والهارب عن الخلق إلى اللّه، عرفه سيدي شيخاً في النحو وعلوم الآلة والتصوف عندما كان متصدراً بتريم، وقد قرأ عليه سيدي الوالد حاشية كتاب «المتممة» في النحو المسمى بـ« الكواكب الدرية »، واستفاد منه في شئون عديدة، ولما هاجر سيدي الوالد من تريم إلى أرض القبلة كان يزور شيخه المذكور عادةً في رحلاته التي يقيم خلالها بمدينة تريم، ويأخذنا معه إلى مدرس ذلك الشيخ العلامة الذي كان يقيمه بعد صلاة الفجر من بعض أيام الأسبوع بمسجد بابطينة الكائن بجوار الرباط العلمي المشهور بتريم، حيث يقيم لبعض الطلبة دروساً في أصول اللغة العربية وآلتها، ولما جمع اللّه الشتيتين في هذه الأرض الطيبة كانا حريصين على الالتقاء والتزاور في بعض الأوقات، وخصوصاً عندما كان الحرم الشريف يجمع بينهما، وقبل أن يصبح سيدي الوالد إماماً في مسجد الشرفية بجدة سنة ١٣٩٤ .

وقد تكررت لقاءاتنا مع الشيخ عمر حداد ونلنا منه الإجازة العامة في الأوراد والأذكار والصلوات وفي كلما يقرب إلى اللّه وألقمنا، وذلك في يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية سنة ١٤١٨ بمكة المكرمة بمنـزل السيد عبدالقادر الجنيدي.

[٥٩] الشيخ محفوظ بن سالم بن عبداللّه الزبيدي

ومـنـهـم الشيخ الفقيه العلامة المتواضع الزاهد في الدنيا ومتاعها الصبور الشكور خادم العلم والطريقة محفوظ بن سالم بن عبداللّه بن عثمان الزبيدي أحد علماء تريم المشاهير، كان في بادئ أمره حراثا مع أبيه سالم بحوطة الشيخة سلطانة، وكان له شغف بالعلم، فسافر صغيراً إلى تريم، والتجأ إلى الحبيب عبداللّه بن عمر

الشاطري، واشتكى حاله وبكى إليه، فقبله الحبيب وأدرجه في تلاميذ الرباط المذكورين، فحسن أمره وظهر، وتلقى على الشيوخ ما أمتع وأ ر، وصار بعد أن تخرج مدرساً لبعض الحلقات الفقهية على سقف الرباط الشهير، كما كان يقيم دروساً لبعض الطلاب ا تهدين من آخر الليل ببعض مساجد تريم، إضافة إلى مواظبته المستمرة على المدارس العامة والمحافل الجامعة والمشاهد الواسعة والموالد النبوية، وله فرص يجلسها مع كبار شيوخ زمانه، كالحبيب علوي بن شهاب الدين، والذي كان يحبه ويقربه ويدنيه، وكان صوته في النشيد يوم مدرس الرباط هو الصوت المحبب إلى قلوب الصلحاء والأولياء، وقد ذكر سيدي الوالد أنه قرأ على هذا الشيخ العلامة طرفاً صالحاً من علم الفقه الشافعي، كما كان يحضر بعض مدارسه ومجالسه، إضافةً إلى ملاحظاتٍ وتوجيهاتٍ سلفيةٍ علويةٍ كان الشيخ محفوظ لا يضن ا على ذي طلب علمٍ نافعٍ، وقد ابتلي الشيخ المذكور آخِر عمرِهِ بأمراضٍ شتى، وعالج نفسه، وصبر على قضاء اللّه ومراده حتى عاجلته المنية في ٢٩ ذي القَعدة سنة ١٣٩٦ رحمه اللّه تعالى .

[٦٠] **الشيخ توفيق أمان**

ومنهم الشيخ الوفي، والمحب لأهل البيت الصفي، سلمان أهل البيت المقرب الأقرب، صاحب الـصـوت الأعذب والدمعة المنسكبة وحادي مسجد سرور، ومجالس الصفا والحبور، في القطر المغمور بالنور، وأنيس شيخ المتأخرين حبيبنا علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين، الذي يتصدر مقامات العطاء، وتطرب روحه للصوت المعطاء، من المحب توفيق بن فرج أمان، رحمه الرحمن، وأسكنه عالي الجنان.

فقد كان على جانب من الصدق وصفاء النفس والأدب الجم والتواضع المشوب بالسكينة، والطريقة الحسينة الرصينة، أخذ سيدي الوالد عنه أولياتٍ صالحةً في علم النحو واللغة العربية وآلا ا حينما كان الشيخ توفيق واحداً من كبار المتضلعين بعلوم الآلة بتريم، كما تلقى عنه كثيراً من الآداب المتعلقة بالقوم، وأسدى له مـلاحـظـاتٍ جليلةً مستشهداً بما حصل له من النفع والانتفاع، والاطمئنان والارتفاع، والقرب والتقريب، والفتح القريب .

ولذلك نرى سيدي الوالد يحفظ لهذا الشيخ المتواضع وداً وحباً مفعماً بالإخلاص، ويحرص كل الحرص على زيارته كلما وفَد قادماً من أرض القبلة إلى تريم، وكان الشيخ لا يتهاون في إظهار غاية الفرح والسرور بفرع دوحة آل المشهور، رغم كبر سنه وطعنه في الشيخوخة، إضافةً إلى استجابته رغبة سيدي الوالد في الإنشاد ببعض قصائد السلف بنفس الحماس والرغبة والانفعال الذي كان يظهر عليه إبانَ مرحلة عطائه البكر في ا الس والاجتماعات النـيـرة، كما حرص سيدي الوالد أن يعرفنا في زيارتنا الأولى والثانية لتريم ذا الشيخ الصالح، فزرناه بعد عصر أحد الأيام في منـزله المتواضع بالنويدرة، واستأذن سيدي الوالد أن أسمعه شيئاً من قصائد السلف ليلاحظ على صوتي وأدائي، فأذن لي أن أشدو بقصيدة من قصائد الأسلاف، ثم أخذ يتحدث مع سيدي الـوالـد ومـع الحاضرين في شأن الإتقان للنشيد وما كان يجده من شيوخ عصره في ذلك، وغمرني رحمه اللّه تعالى ببعض الملاحظات المفيدة، وأهمها : تحسين الإلقاء مع الاهتمام بالنحو، وترتيب نغمات الصوت، وصحة النطق، والتؤدة في النشيد، وكان لتلك التوجيهات أثر إيجابي في ذاتي إلى اليوم والليلة، عمر هذا الشيخ الصالح أعواماً في بيته ومنعزلاً عن الخلق إلا من جاء له قاصداً حتى تـاريـخ ١٩ رجب ١٣٩٩، حيث لقي حتفه بمنـزله بعد

مرض خفيف، ودفن بتريم رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأ ار .

[٦١] الشيخ عبيد الله بن عوض المصلي

ومنهم الشيخ الصالح والمعلم الذي أرسى اللبنات الأولى في حياة سيدي الوالد التعليمية خلال مرحلة الطفولة، وهو الشيخ عبيد الله بن عوض المصلي القائم بتحفيظ القرآن للصبيان في القبة المباركة المسماة بقبة أبي مريم، وكان شديد الأخذ بالعقوبة لمن يتأخر في حفظ ما عليه من دروس، وانتفع به على شدة أخذه عدد كبير من طلبة القبة، وكانت له أعمال أخرى يقوم ا استدراراً للرزق وشحذاً للذهن، كإصلاح الساعات ومضخات الماء ومكائن الخياطة وغيرها، ولم نقف على تاريخ وفاته ولا عن تفصيل حياته، رحمه الله رحمة الأبرار .

[٦٢] السيد محبوب بن محمد الجيلاني

ومنهم العالم المحدث السيد المنيب المحجوب [١] صاحب الأحوال السنية والأخلاق المرضية، السيد محبوب بن محمد الجيلاني الحنفي [٢]، نشأ وتربى في دلهي عاصمة الهند في بيـت علم وتقوى وهداية، حفظ القرآن ودرس الأمهات الست، وحققها على مشايخه بالهند، ونبغ في جميع فنون العلم، وكان ماهراً في علم الطب، درس المذهب الحنفي وتعمق فيه، وهو مذهبه ومذهب بلاده، وطريقته نقشبندية

---

(١) ذلك لكثرة احتجابه عن الناس بكثرة خلوته .

(٢) التقى سيدي الوالد بالسيد محبوب عدة مرات في الشحر، كان منـها لقـاؤه لـه في سـنة ١٣٧٨، وكان بصحبته كل من الأخ محمد والفقير كاتـب الترجمـة، وألقمنـا وألبسـنا وأجازنا، وأنشدت عنده ببعض كلام السلف، كما قرأت عنده شيئاً من القرآن .

جيلانية، اشتغل في باكورة حياته العملية بالهند موظفا لدى الحكومة في نظارة المعارف، وبقي ا مدةً من السنين، ثم اعترته جذبةٌ إلهيةٌ وترك الوظيفة وخرج سائحاً على وجهه باحثاً عن شيخ يطمئن إليه ويرشده طريق الآخرة، فأخذ ينتقل من بلاد إلى بلاد حتى أخبره بعض المشايخ بأن شيخه في بر العرب، فعزم على السفر إلى بغداد لزيارة السيد عبدالقادر الجيلاني، وفي الطريق ضاعت السفينة ووصلت إلى قشن وكان في السفينة رجل صالح من الهند أيضا وعليه سيما الصلاح والتقوى، فأشار على السيد محبوب بالنـزول في قشن، فنـزل وجلس بمسجد صغير بالقرية، وكان فيها جماعة يقال لهم آل باعبده قاموا بالسيد حق القيام وأكرموه حتى سافر عنهم إلى المكلا واستوطنها متخِذاً من مسجد الروضة مأوى له، وفي أحد الأيام علم به الحبيب أحمد بن محسن الهدار، فلما جاء إليه أخذ السيد محبوب يتأمل في الحبيب أحمد بن محسن ويقول في نفسه : لعله هذا الذي رأيته في المنام، فكاشفه الحبيب أحمد بن محسن وقال له بما معناه : ما هو « كأنه » أو « لعله هذا» ولكن أنا بنفسي شيخك، وأنا الذي جذبتك إلى هنا، فالتزم السيد محبوب شيخه الحبيب أحمد بن محسن الهدار، وحصل له منه الإلباس والإجازة، ولقنه الذكر إلا أن السيد محبوب قال له : أنا نقشبندي، فقال له الحبيب أحمد : وأنا عندي النقشبندية، فأجازه في الطريقة النقشبندية .

ثم مكث السيد محبوب في مكانه بمسجد الروضة يتردد على شيخه، وكان له في كل يوم وليلة ختمة من القرآن، وكان لا ينام الليل بل يجلس على النافذة التي في المسجد مشرفاً على البحر طرداً للنوم، وكان يصوم النهار ويأكل من عمل يده مما يحصل له من المعالجة للأمراض وغيرها، وكان يقول : « قطعت السبعة الأنفس في سبعة أشهر »، وفي حياة الحبيب أحمد بن محسن عزم على الحج فلم يأذن له الحبيب

أحمد أول مرة، ثم أذن له فسافر إلى الحرمين، وأدى النسكين، وقبل أن يسافر من المكلا للحج دعاه الحبيب أحمد بن محسن وألبسه قميص الشيخ أبي بكر بن سالم[1] مولى عينات، ولما كان يطوف بالكعبة قال : رأيت الحبيب أحمد بن محسن الهدار يطوف بالكعبة وسألت أحد الحضارم عن الحبيب أحمد : هل جاء إلى الحج ؟ فأخبرني بوفاته، وبعد الحج أخذ السيد محبوب يتنقل بين البلاد، فسافر جهة اليمن وأخذ ا قرابة عام كامل، ثم تنقل من بلاد إلى بلاد في طريقه إلى المكلا، وفي المكلا التقى السيد محبوب بالحبيب عبداللّه بن عبدالرحمن ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، فأخذه الحبيب عبداللّه معه إلى الشحر، وكان السيد محبوب مشتاقاً للخلوة، فدخلها عند وصوله إلى الشحر في مربعة الحبيب محمد بن شيخ في مخزن ا، وكان لا يدخل عليه إلا من يحمل الأكل في أسبوع، وأخذ على هذا الحال ثمانين يوماً، ثم خرج وبطنه لم تعد تقبل الأكل، فصار يتدرب على الأكل قليلا قليلا حتى اعتدل، ثم تزوج عند الحبيب محمد بن عبدالرحمن ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، وهذه البنت قد خطبها الحبيب أحمد بن محسن الهدار، فاعتذروا له، فقال لهم : سيأتي رجل من الهند ويتزوجها، فكان قوله عين الواقع، وأنجبت له بولد سماه عبدالقادر وثلاث بنات .

ومن أخص تلاميذ السيد محبوب الشيخ عبدالكريم بن عبدالقادر الملاحي [2]، ومنه أخذنا هذه المعلومات عن السيد محبوب، وللشيخ محبوب مريدون وتلامذة لا

---

(١) قال تلميذه الفقيه الشيخ عبدالكريم الملاحي أن السيد محبوب قبل وفاته طوى ثوب الحبيب الشيخ أبي بكر بن سالم وقال : ارموه في البحر، ما وجدنا أحداً متأهلاً له .

(٢) هو الشيخ عبدالكريم بن عبدالقادر بن عبيد بن سالمين الملاحي، ولد في « أنقازية » من جزر القمر سنة ١٣٢٨، ونشأ بالسواحل وتعلم ا، والتقى بالحبيب أحمد بن عمر بن سميط

يتجاوزون عدد الأصابع، وبقي الشيخ محبوب بالشحر على أحسن حال قائماً بالدعوة وحادياً إليها في تلاميذه ومحبيه، حتى جد عزمه إلى عدن ليرافق أبناءه المقيمين هناك، وانتقل إليهم وسكن عدن خمس سنوات حتى أدركته الوفاة هناك، ودفن في مقبرة العيدروس في ذي القعدة سنة ١٤٠١ رحمه اللّه رحمة الأبرار .

[٦٣] الحبيب محمد بن عبداللّه الهدار « مفتي البيضاء » (١)

ومنهم السيد العلامة الباذل مجموع همته وحياته وظاهره وباطنه وعمله ونيته في سبيل الدعوة إلى اللّه وإرشاد البادية والجهال، والساعي في أشرف المساعي والخلال، الحبيب محمد بن عبداللّه الهدار بن شيخ بن أحمد بن محسن بن علي بن صالح بن محمد بن صالح بن أحمد بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم مولى عينات.

وتبرك به، ثم سافر إلى الشحر وسكن ا وأخذ على الحبيب عبداللّه بن عبدالرحمن ابن الشيخ أبي بكر بن سالم في مدرسة مكارم الأخلاق في الفقه والنحو والتجويد وغيرها، التحق بالتدريس في بلاد « الحامية » ومكث ا خمس سنوات، وكان يقيم بعض دروس الفقه والتصوف في مساجدها، ثم تنقل عدة أعوام في التدريس بين الشحر والحامية، ثم ذهب إلى الغيل مدرساً في رباطها سنةً واحدةً، ثم مدرساً في المعهد الديني ا، ثم انتقل إلى ريدة عبدالودود مديراً لمدرستها مدة سبع سنوات، ثم أحيل إلى التقاعد وبقي بالشحر مدرساً في رباطها حتى توفي الحبيب عبداللّه بن عبدالرحمن، فبقي بعده قائما بالتدريس فيه مع بقية المعلمين حتى قيام التغيرات السياسية والاجتماعية في جنوب اليمن، فانتقل إلى الغيل داعياً إلى اللّه وتنقل بين الغيل والشحر يحدو الناس إلى اللّه في ا الس العامة والخاصة، ويقيم بعض الدروس، منها درس في مسجد بن عتيق، ومسجد بازراد، وقد أمضى الشيخ الملاحي حياته كلها في سبيل نشر العلم والنفع العام حتى أدركته المنية في شهر ربيع الثاني عام ١٤١٧ رحمه اللّه رحمة الأبرار .

(١) انظر الصورة في الملحق ص١٤ .

ولد في قرية عزة من أعمال مدينة البيضاء باليمن السعيد سنة ١٣٤٠ من أسرةٍ شهيرةٍ بالعلم وتعاليم الدين نـزحت من عينات إلى البيضاء اليمنية في القرن الحادي عشر تقريباً، ووالده السيد الشاعر الأديب عبداللّه بن شيخ الملقب بالهدار، نشأ الحبيب محمد وترعرع في عزة يتردد على الكتاب لتعلم القرآن والقراءة والكتابة في مدينة البيضاء، ثم بدأ في دراسة المتون لدى مفتي البيضاء الشيخ العلامة محمد حسين الهيثمي المتوفى سنة ١٣٨٠ حتى بلغ الثامنة عشر من عمره، فرحل إلى حضرموت ولم يهيء اللّه له في هذه الرحلة أن يجاوز المكلا، فعاد مع صاحب له كان لزيمه في البيضاء في ظروف صعبة وقاسية، ثم كرر الرحلة بطريق القوافل البرية مرةً أخرى حتى وصلا إلى تريم والتحقا بالرباط الشهير، وبرز الحبيب محمد الهدار بروزاً ملحوظاً في الحفظ والاطلاع برعاية شيخه الإمام الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري خلال الأربعة الأعوام التي فصلت بين وصوله من البيضاء وبين وفاة الحبيب عبداللّه الشاطري سنة ١٣٦١، وبقي الهدار في الرباط فترةً لم تطل في حساب الأعوام، وعاد إلى البيضاء مع صاحبه الآنف الذكر، وهو السيد العلامة محسن بن محمد بن عبدالرحمن الهدار المتوفى سنة ١٣٩١ .

وافـتـتـح الحبيب محمد في قريته عزة مدرسةً أهليةً نفعت الناشئة وعرفتهم طرفاً صالحاً من أمر دينهم ودنياهم، ثم رحل الحبيب محمد إلى الصومال واشتغل إماماً بمسجد مرواس بالعاصمة مقديشو، وبقي هناك متنقلاً حيناً إلى البيضاء وحيناً إلى الصومال حتى عام ١٣٨٠ حيث أذن اللّه أن ينشأ المعهد العلمي الأهلي بمدينة البيضاء تحت إشرافه ونشاطه، ومساهمة عددٍ من المدرسين أولي العلم والهمة في الدين، كالحبيب العلامة زين بن إبراهيم بن سميط الذي تقدمت ترجمته، والسيد أحمد بن عمر بن شيخان الحبشي، وعدد من أنـجـالـه المباركين، ولا زال معهده المبارك

يؤدي دوراً فريداً من نوعه في رقعة الجزيرة العربية بأسرها من حيث المنهاج والمادة والمعلم وثمرة المعرفة، حيث أقيم على غرار رباط تريم المشهور، واستمِد منه المنهاج وطريقة التدريس وترتيب أوقا ا فيما ينفع الروح المؤمنة والنفس المطمئنة .

وللحبيب محمد نشاط كبير في عمارة وبناء عدد من المساجد في بلاد البيضاء ونواحيها، ويتسع نشاطه النافع في طريق نشر الدعوة المحمدية بين المدن والقرى، فقد عرفته اليمن بشطريها وأرض الحجاز وكل موطنٍ يفد إليه أنه إمام سلفي مبذولٌ للدعوة إلى اللّه متفانٍ في سبيلها مع غاية الأدب والتواضع والإحسان في القول والعمل، وله رحلات إلى حضرموت بمد ا المتعددة، ولأرض العوالق العليا ودثينة وما جاورها في سبيل التعليم والدعوة، وله مجاهدات في الظلمة والعبادة متقشفاً في معيشته، يحب المساكين ويأنس إليهم و م، وبالجملة فهو فريد متفرد في عصره، مثالٌ في مصره، له مصنفات عديدةٌ منها : «شفاء السقيم في أحاديث المنقذ العظيم»، و « نيل السعادة من مخ العبادة »، و« مفتاح الحج »، و « جواهر الجواهر في الأذكار»، و « عجلة السباق إلى مكارم الأخلاق »، و « صاروخ القرآن والسنة على رؤوس الفتنة » [1]، ورسائل أخرى غيرها، وكان صلته بسيدي الوالد رحمة اللّه عليه قديمةً جداً تصل جذورها إلى رباط تريم، حيث كان كل من السيد الهدار والسيد الوالد يسكنان به ويتعلمان، ويذكر سيدي الوالد أنه كان يتصدر بعض الدروس للطلبة في الرباط، وكان من ضمن طلبة الحلقة تلك السيد محمد بن عبداللّه الهدار، وأما لقاءا ما بعد ذلك فقد تكررت مراراً في حضرموت والحجاز، وحصل الارتباط والاتصال الروحي مراتٍ ومراتٍ حساً ومعنى، ولما داهمت المنية سيدي الوالد في شهر

---

(١) وهذه الرسائل مطبوعة .

شعبان من عام ١٤٠٢ كان الحبيب الهدار موجوداً في جدة، فهرع إلى منـزلنا معزياً ومشاركاً لنا في المصاب الجلل، وتفضل أمتع الله به في تولي الكلام والتوجيه في المسجد لثلاثة أيام بعد العصر، كان يذكر فيها كثيراً من علاقته بسيد الوالد، وما أصاب الإسلام والمسلمين بموته وارتحاله، وقد توثق الاتصال الروحي وسرى منه إلى جميع أنجال المرحوم، فلنا به اتصالٌ وثيق وبأولاده المباركين، خصوصاً بعد أن صار الأخ شهاب الدين طالباً ومريداً ضمن طلبة الرباط هناك، حيث تم اختياره لذلك الموطن المبارك للإفادة والاستفادة، وبلغ بذلك القرب ما يتمناه من الحسنى وزيادة .

وقد قضى الحبيب محمد الهدار كل دقائق وذرات حياته بالعمل والعلم والذكر والدعوة إلى الله حتى أخريات عمره، وقد اختار في هذه المرحلة المجاورةَ بالحرمين الشريفين ولم يخرج إلى البلاد سوى مرتين كان إحداها سنة ١٤١٤ خرج بالطائرة إلى تعز ونـزل إلى عدن وصلى الجمعة بجامع العيدروس وصادف في ذلك اليوم حضور رئيس البلاد وجملة من رجال الدولة وخطب الفقير إلى الله أبوبكر المشهور خطبة الجمعة وفيها إشارةٌ إلى ما وقع لمقام الإمام العيدروس من الأذى والانتهاك، فقام رئيس البلاد بعد الجمعة وشنع ذلك الفعل الذي قام به الغوغائيون وأعلن عن إعادة الاعتبار الرسمي للمسجد والمقام، وكان لهذا التأييد أثر كبير في إعادة ترتيب أوضاع المسجد والمقام ونجاح سير الرباط، وبعد ذلك عاد السيد الهدار إلى البيضاء ولكنه تعرض لأزمةٍ حادةٍ في التنفس فعاد اليوم الثاني إلى جدة بالطائرة وكأنما لم يدخل اليمن إلا لحضور الجمعة التي أُعيد فيها اعتبار مقام الإمام العيدروس حيث كان السيد الهدار من أول المشجعين على الخروج للدعوة باليمن وأول من حمل لواءها في الماضي القريب .

وفي أثناء تردده على الحرمين داهمه المرض مرةً أخرى فأدخل مستشفى بخش بجدة وعانى من أزمة التنفس معاناةً شديدةً وغاب عن وعيه وأُدخل العناية المركزة حوالي خمسين

يوماً فقد الأطباء بعدها الأمل في حياته، ولكن اللّه من عليه بعدها بالعافية وخرج من المستشفى ومكث بمكة عدة شهور ثم عادت له الأزمة مرةً أخرى وشاء اللّه وفاته في مساء يوم الاثنين من ربيع الثاني عام ١٤١٨ وذعر الناس بالخبر واجتمع لتشييعه خلق كثير وجهر المشيعون أصوا م بالذكر في جنازته حتى مثواه الأخير بالمعلاة، وأقيم عليه بمكة وجدة والبيضاء وحضرموت وعدن وغيرها ختم الدرس والعزاء، رحمه اللّه رحمة الأبرار، وقد صنف نجله المبارك الحبيب حسين القائم الآن مقام والده على رباط البيضاء حفظه اللّه ترجمة حافلةً لحياة والده تقع في مجلدين، وهي في طريقها للطباعة سماها « هداية الأخيار في سيرة الحبيب محمد الهدار » يسر اللّه خروجها قريبا .

[٦٤] **الشيخ محمد بن سالم البيحاني**

ومنهم الشيخ العلامة محمد بن سالم البيحاني الكدادي، والذي أصيب منذ الصبا بفقد حاسة البصر ؛ ولكن اللّه عوضه انفتاح البصيرة والتلهف على الطلب للعلوم والمعارف وهو في قريته الصغيرة، ولذلك سافر به أهله إلى حضرموت في سن مبكرةٍ، وتلقى دروس العلم من الفقه والتفسير والحديث والتصوف وأصول العربية في رباط تريم على يد شيخه الإمام عبداللّه بن عمر الشاطري، وقد بدا نبوغه مبكراً وقوته في الحفظ والاستيعاب، حتى إنه كان يحفظ الدرس من كثرة الإنصات والتركيز على ما يقرؤه زملاؤه، وقد طالبه زملاؤه مرةً بدفع قسطه من قيمة الوقود الذي يستضيئون به، فقال لهم : إني لا أبصر ولا أنتفع بالضوء، ولما عالجوه مراتٍ ومراتٍ لم يزده ذلك إلا عناداً وإصراراً، فشكوه إلى الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري، فدعاه وقال له : إنك أنت وإياهم منتفعون، ويلزمك أن تدفع لهم نصيباً من الدراهم، وأعطاه الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري شيئاً من المال، ولما عاد إلى أصحابه ركب نفسه وعقله ولم يعطهم شيئاً، فشكوه مرةً أخرى، فعنف الحبيب

عبدالله بن عمر الشاطري له القول، وأمره بالدفع، وهدده بالعقاب، فأعطى المال لزملائه على مضض، ويذكر الشيخ محمد بن سالم البيحاني في بعض أحاديثه أنه انتفع بمرحلة الدراسة الأولى كثيراً، وغرست في ذاته فضائلَ جمة، وعلوماً ومعارف، شكر أمرها فيما بعد، حيث انتقل من حضرموت إلى عدن، وتفقه على يد الشيخ محمد العبادي، وتأثر كثيراً بأفكاره وآرائه، ثم سافر إلى مصر والسودان، وطلب العلم في جامعة بخت الرضاء، وتخرج منها بامتياز، وعاد إلى عدن داعياً ومعلماً، و ا أسس معهده العلمي وأقام فترةً من الزمان إماماً وخطيباً لجامع العسقلاني الشهير، وكان متفرداً في رؤيته الفكرية عن كثير من علماء عدن وحضرموت خصوصاً فيما يتعلق بالاعتقادات والعادات مما سبب له معهم نـزاعاً وصراعاً أُلفَت فيه الكتب والرسائل بحثاً عن الحق وإثراءً عملياً لإيجاد الإجابة السليمة عن كثيرٍ من مختلف الأمور التي أخذت تستشري بين المسلمين وتفرق بينهم منازع وفِرقاً، وكانت للشيخ البيحاني مؤلفات عديدة تبين غزارة علمه وفقهه، ومنها «إصلاح ا تمع» وكتابه التاريخي المنظوم « أشعة الأنوار » و « رباعيات البيحاني » وكتابه « عبادةٌ ودين » الذي أُثيرت حوله ضجةٌ كبيرةٌ واتسعت بسببه رقعة الخلاف بين العلماء، وبين بعد ذلك خطأ المطبعة فيما نشرت عنه فيه من أن مذهب البوذية أحد الأديان السماوية، وصنف هو في هذا المضمار كتاباً صغيراً سماه « زوبعةٌ في قارورة » وكانت تلك فترةً غـريـبـةً من فترات الاختلاف بين المسلمين، اختلط فيها الحابل بالنابل، وضاع الأمر من جذوره، ولم يستفد أحد من ذلك الخلاف سوى أعداء الإسلام والمسلمين.

كان سيدي الوالد يزور الشيخ محمد بن سالم البيحاني بين الفترة والأخرى خصوصاً عندما يزور مدينة عدن قادماً إليها من أحور أو من حضرموت، ويدور بينهما حديثٌ ودي وشيق يذكر فيه الشيخ أيام مرحلة دراسته بحضرموت، وقد

رافقته مراتٍ في زياراته وأمرني أن أقرأ شيئاً من كتاب اللّه تعالى، ودعا لي، وأمرني بملازمة الحفظ وتكراره، وطلب منه سيدي الوالد أن يخصص لي ـ ولو بعض الوقت ـ للقراءة عليه، فوافق على الأمر، وقرأت عليه « الأربعين النووية »، وسمعت منه شرحاً لطيفاً وعجيباً مع ملاحظاتٍ قيمةٍ جمعتها في كراس خاص بذلك، وقد جرى لي معه حوار لطيف حول كثيرٍ من المسائل التي يختلف فيها مع علماء حضرموت بينت لي أن الاختلاف يعود إلى مسائلَ اجتهاديةٍ وفهومٍ استنباطيةٍ مرتبطةٍ بنوازع ورغبات وطموحاتٍ لا يمكن فهمها إلا با ًلسة الدؤوبة وتتبع الرغبات والأماني الدفينة في الصدور .

وقد كان الشيخ البيحاني يأنس كثيراً لمن يزوره، خصوصاً من أهل حضرموت ويحبهم كثيراً، وقد زودنا في زياراتنا المتعددة بكثير من مؤلفاته ورسائله، وأجاز سيدي الوالد كما أجازه سيدي الوالد في الدعوة إلى اللّه وبما حصل عليه كل منهما من الإجازات، وقد وقفت على إجازةٍ من هذه الإجازات أملاها الشيخ البيحاني كتبت على الصفحة الأولى من رباعيات البيحاني التي أهداها لسيدي الوالد عام ١٣٨٩، وهذا نصها :

هذه نسخة من رباعيات البيحاني هديةٌ من صاحبها للعلامة الداعي إلى اللّه ورسوله السيد علي بن أبي بكر المشهور مع الإجازة في روايتها وفي سائر ما أرويه عن مشايخي من كتب التفسير والحديث والفقه الإسلامي معتذرا عن الأغلاط المطبعية في هذه النسخة مكتفيا بفهم القارئ وذكائه للصواب .

المخلص محمد بن سالم البيحاني

(صورة الختم)

٢٥ شعبان ١٣٨٩ هـ

١٩٦٩/١١/٥ م

وقد توفي الشيخ محمد بن سالم البيحاني في مدينة تعز بعد خروجه من مدينة عدن كئيباً حزيناً حينما اتضح له أن الأمر القائم ا بعد التغييرات الاجتماعية لا يزداد إلا بعداً عن الدين وقرباً من الإلحاد، وأ م في دعوا م الكذوبة إنما كانوا يعدون القش على الحفيرة للعلماء ورجال الدين بكافة أنواعهم وصورهم واعتقادا م وآرائهم، ودفن في مقبرة تعز سنة ١٣٩١ بعد أن قدم إليها من بيـت اللّه الحرام، رحمه اللّه رحمة الأبرار، وأسكنه وإيانا جنات تجري من تحتها الأ ار .

[٦٥] **الشيخ علي بن محمد باحميش (قاضي عدن)**

ومنهم الداعية إلى اللّه الذي لا يخاف في الحق لومة لائم الشيخ علي بن محمد باحمِيش من كبار العلماء في مدينة عدن، وله دور بارز في الدعوة إلى اللّه والصدع بالحق، وعاش فترة من عمره إماماً وخطيبا لمسجد الشيخ العدني، وتصدر للقضاء والفتوى والعقود وغيرها من أعمال القضاة، وكان له اتصالٌ بحضرموت وعلمائها من خلال سفره إليها للأخذ والاستمداد فترةً من الزمن، وغالب شيوخه من اليمن وعدن إبان فترة ازدهار حركة العلم والعلماء ا .

وكان تعرف سيدي الوالد عليه خلال تردده إلى عدن قادماً إليها من مدينة العوالق أحور أو من حضرموت، وربما قصد منـزله للزيارة، وحصل له اللقاء به مرات عديدة في جامع العيدروس بعدن، ولمعرفته التامة بسيدي الوالد كان غالباً ما يطلب منه بعد صلاة الجمعة أن يذكر الناس بالتي هي أحسن، ولما كانت مرحلة الصراع الفكري قائمةً بينه وبين الشيخ البيحاني تغذيها أسباب غير واضحة وتعزز من استشرائها علائق مريبة وغريبة دخل سيدي الوالد خلالها إلى عدن وصلى صلاة الجمعة بجامع العيدروس وتناول الشيخ باحميش هجوماً عنيفاً على أسلوب التربية

والدراسة في المعهد العلمي وتناول أيضا شخصية البيحاني ذاته، وبعد الجمعة طلب الشيخ من سيدي الوالد أن يعقب على الموضوع فرأى سيدي الوالد أن الموضوع كله والحديث فيه أمر يجر إلى الفتنة خصوصاً لما كان على الملأ من المسلمين، فأخذ سيدي الوالد يتكلم عن مناقب الإمام العدني وحاله وعلمه وما وهبه الله من الجاه الواسع والكرم الفياض، ولم يتعرض من قريب ولا من بعيد لموضوع الخطبة، وبعد تمام الموعظة عاتبه الشيخ باحميش على حياده في ذلك، فبين له سيدي الوالد عذره .

وقد تعرض الشيخ علي باحميش آخر عهده إلى التهديد والسجن والإنذار بالموت، وذلك بعد حصول التغيرات السياسية والاجتماعية في البلاد وصار العلماء هدفاً من أهداف النظام القائم، خصوصاً لما كان باحميش يتكلم بالحق على منبره ويشير إلى المفاسد والأخطاء التي يقع فيها الحكام، وقد داهمته في إحدى الأمسيات سيارة خاصة وهو جالس بجوار منـزله بعدن وأصيب بإصابات بالغة كانت سببا في وهنه ودنو أجله حيث توفي بعد ذلك بشهور قلائل ودفن في الجناح الأمامي لقبة الإمام العيدروس بعدن، وقد قام المتطرفون عام ١٤١٦ بنبش قبره وحرق بعض أجزاء جثته، رحمه الله رحمة الأبرار.

[٦٦] **الشيخ سالم بن محمد بن جنيد بامزاحم (صاحب أحور)**

ومنهم الشيخ الصالح والأب الناصح سالم بن محمد بن جنيد بامزاحم، أحد الشيوخ وأهل الطاعة والصلاح والخمول في أحور، ولد ونشأ وتربى بأحور وأخذ باكورة القراءة والكتابة ا، وكانت أسرته من أهل الصلاح والتقى، فاختاره والده بعد أن كبر وقَوِي طالباً في رباط تريم، فرحل من أحور إلى حضرموت وتفقه على شيخه الإمام عمر بن أحمد الشاطري وولده العلامة الإمام عبدالله بن عمر الشاطري،

ومن تلك المواطن المباركة حصل الاتصال والتعارف بين الشيخ سالم وبين آل المشهور، حيث كان يتردد بين الحين والآخر على كثير من ا الس والمحافل التي عرفته بالجد أبي بكر وولده علي، والذي صار لهما فيما بعد صديقاً وأنيساً وصاحباً، ولما رجع الشيخ بعد التخرج إلى أحور مر سيدي الوالد مع الجد أبي بكر بأحور عام ١٣٥٣، ونـزلا فترةً من الوقت ا، وكان اللزيم والصاحب والدليل لهما هو الشيخ الناسك سالم بن محمد بامزاحم، وقد ذكر أنه كان يحتفظ بالمركوب الذي يسافران عليه عنده حتى أن سيدي الجد لما عزم على السفر إلى عدن لقي سيارةً فسافر ا وأوكل سفر الحمار إلى الشيخ سالم، فسافر به إلى شقرة ثم إلى عدن، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في ترجمة الجد أبي بكر رحمه الله تعالى .

وتمكن الاتصال والعلاقة الحسية والمعنوية بين سيدي الوالد والشيخ سالم بن محمد زيادة وزيادة عندما نـزل الوالد بأحور معلماً وداعيةً سنة ١٣٦٢ من الهجرة، وكان الشيخ سالم من الأشخاص الذين بذلوا الجهد في ترغيب سيدي الوالد بالإقامة بأحور للعلم والدعوة، وظل الشيخ سالم طيلة فترة بقاء سيدي الوالد بأحور لزيمه وصديقه ووزيره ومحبه، حتى إننا شهدناه يأتي إلى منـزل سيدي الوالد بالليل أو بالنهار لحضور الدروس والروحات مع مسافة البعد بين منـزلنا ومنـزل الشيخ سالم، وكان سيدي الوالد يحبه ويجله كثيراً، وأمرنا بالأخذ عنه والتلقي في الفقه والفرائض، وظل يعمل مدرساً في المدرسة الميمونة مساعداً لسيدي الوالد في نشر العلم ا، وقائماً بوظيفة القضاء بين الناس في مسائل العقد والنكاح والطلاق حتى سافر سيدي الوالد من أحور عام ١٣٩٢، والشيخ قائم بوظائفه المتعددة حتى سنة ١٤٠٠، حيث تقاعد واعتزل الأعمال وتفرغ للعبادة والطاعة وما يهمه من أمر دينه ودنياه .

ويعد الشيخ سالم مثالا حيا للتواضع والتأدب وموت النفس مع جلالة العلم والحال وصدق الارتباط والإخلاص والحب لآل البيت، إضافة إلى زهده وتقشفه وعدم التفاته إلى الدنيا بالكلية، وله شغف بكتابة التاريخ وبعض الحوادث والمناسبات، وأفادنا في ترجمة سيدي الوالد كثيرا بما دونه من المعلومات .

ونجد الوفاء والصدق الذي تحلى به هذا الشيخ القدوة لم يتركه معتزلاً في منـزله وبيته، وإنما تراه يتردد على منـزل سيدي الوالد بين الحين والآخر زائراً لمن بقي هناك من أولاده متفقداً حالهم مواسياً لهم ومشاركاً في ما يعقدونه من الدروس والجلسات، وباذلاً ما بقي من وقت للعلم والإفادة، وقد توفي رحمه اللّه تعالى في شهر جماد الأول عام ١٤١٠،رحمه اللّه رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأ ار .

[٦٧] الحبيب عبدالرحمن بن أحمد الحامد (صاحب أحور)

ومنهم السيد الفاضل الداعي إلى اللّه والفقيه والإمام لمسجد أهليه الحبيب عبدالرحمن بن أحمد الحامد المولود بأحور سنة ١٣٢٠ تقريباً والآخذ من حياض العلم والمعرفة بتريم بعد أن شب وقوي عوده وحان موعوده اقتداءً بجده الإمام العلامة مهدي بن محسن الحامد تلميذ الحبيب عبداللّه بن حسين بن طاهر، ولما عاد من تريم إلى أحور عاد بنشاط وعلم ودعوة إلى اللّه وذكاء خارق، واشتغل بالتعلم والدعوة في النواحي المترامية حتى أصيب بشيء من الريح منعه عن الكلام، ويقال : إن ذلك من العين حسداً على ما وهبه اللّه تعالى من العلم والتبليغ، ولما شفاه اللّه تعالى بعد مدة من الزمن بقيت اللسان المباركة تعاني شيئاً من الثقل مما منعه من الاستمرار في وظيفته كاملةً، واقتصر على الإمامة والخطبة في مسجد جده، كما اشتغل بالقضاء والحكم بين الناس فترةً من الوقت على عهد السلطان عيدروس بن علي، ثم اعتزل

ذلك وتفرغ للكتابة وجمع الحوادث والتاريخ والتنقل بين البادية والقرى يدعوهم إلى الله تعالى إضافةً إلى حبه للأعمال الزراعية وخدمة الأرض المباركة الطيبة، وقد أمدنا من معلوماته ومدوناته بكثيرٍ مما احتجنا له في التدوين والترتيب للترجمة التي بين يدينا.

وأما علاقته بسيدي الوالد فقد كانت على حال طيب ومتصل منذ أن تعارفا بحضرموت إبان مرحلة الطلب للحبيب عبدالرحمن، والذي كان يتردد على الجد أبي بكر، وكذلك الحال عند عودته إلى أحور حيث كان نـزول سيدي الجد أبي بكر عام ١٣٥٣ بمنـزله في حافة السادة .

ولما عاد سيدي الوالد إلى أحور سنة ١٣٦٢ نـزل أيضاً بمنـزله المبارك، وكان له نعم الصاحب والدليل والمعين في الدعوة، وكان مسجد الحبيب محسن أول المساجد التي شهدت نشاط العلم والدعوة بعد وصول سيدي الوالد إلى أحور، حيث حرص الحبيب عبدالرحمن على إقامة الدروس والروحات والجلسات العامة في ذلك المسجد، وكان يجتمع من الناس الراغبين في العلم والاستماع عدد لا بأس به، كما كان لهذا المسجد فضل الدعوة للنساء، فقد وافق السيد عبدالرحمن على أن ينادى على النساء ليجتمعن في المسجد ليلاً ويقوم سيدي الوالد بتذكيرهن ووعظهن، وصارت تلك سنةً حسنةً بقيت في هذا المسجد إلى عهدٍ قريبٍ من سفر سيدي الوالد من بلاد العوالق السفلى .

وكـان الحبيب عبدالرحمن أيضاً ملازماً لدروس سيدي الوالد التي كان يقيمها بعد استقراره بأحور وتزوجه، كالروحة بعد العصر ودروس « صحيحي البخاري ومسلم » والمجالس العامة والموالد وختوم شهر رمضان المعروفة بمساجد أحور، ودارت بينهما مكاتبات وأشعار متنوعةٌ نقتطف منها هذه النبذة التي نبدؤها بأبياتٍ

كتبها السيد عبدالرحمن بن أحمد الحامد إلى سيدي الوالد لما انقطع الحبيب عبدالرحمن عن دروس « صحيح البخاري » بسبب ألمٍ في أسنانه :

سلام على من له في النبي | علاقةٌ ويسعى يسعي الأبي
بجد وجد وقلبٍ شجي | ليتلو أحاديثَ طه النبي
هنيئاً لكم يا بني علوي | بآثار طه النبي اليثْربي
وبالسندِ المتصلْ للإمام | فصيته في الشرق والمغربِ
صحيح البخاري ومسندِهِ | فلله دره من عَيهبِ
وفيه أحاديثُ طه الرسولْ | منزهةً عن هوى الأكْذَبِ

ورد عليه سيدي الوالد بقوله :

إلى السيدِ الهاشمي الذكي | عبيدِ الرحيمِ أبوه
حبيبٍ شهيدٍ إلى جدهِ | وفخرِ الوجودِ سمي بالتقي
سلام عليكم سلام الوفيّ | سلام عليكم سلام الأبي
شفاك الإله بحق الأُلى | شفاك الإله بحق النبي
تلونا كما قُلْت يا سيداً | أحاديثَ خير الورى العربي
أحاديثَ تتلى شفاءَ القلوب | مِن الهَم والغم والعطبِ
وأنت شريك لنا في القِراةْ | بعذرٍ كبيرٍ فطِب واطْربِ
ولا تخش ضيماً ولا تخش لوم | ولا تخش فقراً بحق النبي

وهناك أيضاً قصائد أخرى لم نثبتها تجنباً للإطالة، وكفى بما ذكرناه نموذجاً ومثالاً على مدى الارتباط والاتصال الوثيق .

ومما لا ينبغي تجاوزه في حديثنا عن الحبيب عبدالرحمن بن أحمد الحامد اهتمامه بالآثار والعادات التي سنها الأسلاف كالحضرات المباركة، وكان معتنياً مع إخوانه بحضرة الثلاثاء في مسجد الحبيب مهدي بن محسن المعروف، وحفاظِه على الآثار التاريخية المخطوطة التي خـلفها الحبيب مهدي بن محسن، واعتنائه بمسجده اعتناءً يبين بره وحبه له وصدقه، وقد قام أخيراً بجهدٍ جهيدٍ لعمارة المسجد عمارةً جديدةً، فأظهره مسجداً واسعاً نظيفاً ومعموراً حساً ومعنى، وقد توفي الحبيب عبدالرحمن بن أحمد الحامد في أحور يوم الاثنين الرابع عشر من شهر صفر الخير عام ١٤١٤ .

وقد قضى الحبيب عبدالرحمن حياته كلها في خدمة الناس ومداواة مرضاهم والفتوى في مسائل الفقه والفرائض وغيرها، وكان آخر عهد اللقاء بينه وبين سيدي الوالد عام ١٣٩٢ عندما تأزمت الظروف وغادر بعدها سيدي الوالد أرض اليمن كلها إلى الحجاز حتى وفاته عام ١٤٠٢، وبقي لنا الاتصال بالحبيب عبدالرحمن وإخوانه وتكررت مكاتباتنا له من جدة، وكذلك زرناه مراراً في منـزله بأخور بعد عودتنا إلى الوطن ١٤١١ وما تلاها من الرحلات، وكان من غريب الصدف أن زرناه قبل وفاته بأيام أنا والأخ محمد وكان يقول لنا : « مرحباً بتريم وأهلها » وهو على فراش المرض، وأنشدت عنده وهو ممدد على الفراش قصيدة الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحداد : « يا اللّٰه اطلبك يا خير والي »، فكان يردد الأبيات ويبكي بكاءً شديداً حتى فرغت منها فرتب لنا الفاتحة وودعناه، وكان هذا آخر عهدنا به حيث توفي بعدها بأيام، وصادفت وفاته بدء مراسم زواجي بأحور على بنت العم

أحمد محمد صالح الحامد حيث كانت الوفاة يوم ١٤ صفر وكنت حينها في عدن ولم أتمكن من حضور الجنازة لكن أدركت الصلاة على قبره في اليوم الثاني الأربعاء ١٦ صفر وقدمت العزاء لأولاده وإخوانه، وكان الزواج يوم ١٧ صفر مساء الخميس إلا أننا لم نقم أي مظهر للأفراح المعتادة، وذكرني في هذه الحال بزواجي في جدة حيث كان سيدي الوالد في المستشفى وتم الزفاف قبيل وفاته بيوم واحد، وكان هو رحمه اللّه يحثني على الاستمرار في إجراءات الزواج حتى تمت وهو في الحياة.

وبموت الحبيب عبدالرحمن بن أحمد الحامد طُوي تاريخ حافلٌ كان يشع قبساً من النور ويربط الفروع بالأصول، رحمه اللّه رحمة الأبرار وبارك في ولده الوحيد علي بن عبدالرحمن وفي بقية أسرته وأهله وإخوانه وذويه، وفي يوم ٢١ صفر عام ١٤١٤ أُقيم ختم عام على روح الحبيب عبدالرحمن حضره جمع غفير من كل البلاد وقدم من المحفد وعدن وحبان والبيضاء جملةٌ من المعزين، وفي الختم تكلم عدد من طلبة العلم وأشادوا بالحبيب عبدالرحمن ومقامه كان منهم السيد حسين بن محمد الهدار والفقير إلى اللّه أبوبكر المشهور ووزعت على الناس نبذةٌ مختصرةٌ عن حياته رحمه اللّه.

[٦٨] الحبيب أحمد المعلم بن عبداللّه باهارون (صاحب أحور) (١)

ومنهم السيد المتواضع صاحب الأخلاق والإشفاق، والراغب في المبرات والأعمال الصالحات السيد أحمد المعلم بن عبداللّه باهارون المولود بمدينة أحور تحت رعاية والده الملقب بالمعلم لاشتغاله بتعليم الأطفال لكتاب اللّه تعالى ومبادئ القراءة والكتابة.

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص٤.

وقد اتصل هذا الحبيب بسيدي الوالد منذ حلوله بأحور، فكان من الملازمين له في المجالس والدروس والمساهمين بفعالية في إبراز الدعوة إلى اللّه بتشجيع الوالد وجمع النساء عنده في منـزله خصوصاً في رمضان ليذكرهن سيدي الوالد ويعلمهن مما علمه اللّه .

[٦٩] **الشيخ أحمد بن محمد بامزاحم (صاحب أحور)**

ومنهم الشيخ الناسك الصالح أحمد بن محمد بامزاحم، وهو من مواليد أحور ومن ذرية الشيخ أحمد بامزاحم بلجفار تلميذ الشيخ عبداللّه بن أبي بكر العيدروس، وكان محباً لسيدي الوالد وملازماً لمجالسه وروحته ومشجعا أولاده المباركين على الحضور لدى سيدي الوالد حتى حصل لهم نصيب حسن من الانتفاع والطلب، وتخرج من أولاده عدد اشتغلوا بالتدريس في ذات المدرسة التي أسسها سيدي الوالد بأحور.

[٧٠] الحبيب أبوبكر بن صادق الكاف[1]

ومنهم السيد الفاضل، والشريف العلوي العامل، سليل السادة الأفاضل، أبي بكر بن صادق الكاف المتعلق حقيقة بحب النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وحب الأسلاف، والمرتشف من خيرة السلاف، صافي السريرة وحسن السيرة، صاحب التواضع والجفن الدامع والصدر الجامع والكرم الهامع، والذي مد اللّه له في العمر مدة صلاحٍ وتقى وزهادةٍ وخير وبركة حتى رأى أحفاد أحفاده، وعرفناه في سالف السنين بلباسه الحضرمي الزاهي المكون من الفوطة والقميص والجبة والعمامة الألفية في مدينة تريم يتردد بين معاهدها ومعابدها ومساجدها ومدارسها، وزائراً لخيرة رجالها، وكان ذا صلةٍ وثيقةٍ بسيدي الوالد وراثةً للصلة الأولى التي ربطته بالجد أبي بكرٍ بن علوي المشهور حتى صار له مثل الظل الشاخص .

ولد رحمة اللّه عليه بمدينة تريم، وتربى في منـزل أخواله آل السري بعد وفاة والدته حتى صار عمره ١٦ سنة، ونال قسطه المطلوب من أسس القراءة وقواعد الكتابة والدين في كتاتيبها، وشب على حياةٍ مترفةٍ يظهر فيها أثر النعمة والمال، ولما بلغ مبلغ الرجال وتزود بما يلزمه من الأدب في الحط والترحال سافر للتجارة، وذهب إلى (جاوة) و (سنقفورة) بعد أن بقي في عدن مدةً من الزمن، ثم عاد خلال سنواتٍ قليلةٍ إلى حضرموت، و ا أكثر من الاتصال بالشيوخ المسلكين في عصره، وارتمى بكليته على مدارسهم ومجالسهم راغباً وراهباً، فلا غرو أن تراه ممتلئاً كل الامتلاء بالحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس، بل ويكاد أن ينقطع نفَسه من البكاء والتأثر إذا تحدث عنه واصفاً ومعرفاً، وكذلك حاله في وصفه وحديثه وذكرياته عن أئمة عصره وفحول مصره، كالإمام الحبيب عبداللّه بن عيدروس العيدروس،

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص٤.

والحبيب محمد بن حسن عيديد والجد أبي بكر بن علوي المشهور وغيرهم ممن كان له م اتصال ووصال، وله في الحبيب علوي بن
عبدالله بن شهاب الدين غاية الحب والود والتعلق .

ولما انتقل إلى الحجاز بعد تجربة تجارية في عدن صار لزيماً دائماً لسيدي الوالد رحمة الله عليهم جميعاً، فلا يكاد يمر اليوم والليلة إلا ويقرع جرس الباب جليسه الصالح وأنيسه الفالح، ولا تفوته كثير من صلوات الجماعة خلف سيدي الوالد، وتراه في مجلس الحديث النبوي بعد صلاة المغرب أو في درس الظهر أو العصر متأدباً مطئطئاً رأسه مستمداً وكأنما هو لا يزال في دور الطلب والاستفادة الأولية، وكذلك الحال أراه في مجالس سيدي الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف، حيث قد قرأ في مدرس الصباح عليه كلام الحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس بين الدمعة والاختناق والضحك والتأوه .

وحذا حذوه بتوجيهه وتربيته أولاده المباركون، وكان أكبرهم الشاب الوفي الصفي شيخ الذي اختطفته المنايا بين يدي أبويه فجأةً وهو على متن طائرةٍ مسافرةٍ من الرياض إلى جدة في سنة ١٤٠٠، حيث احترقت بمن فيها من الركاب، فنال بذلك الشهادة الـكـبـرى ورؤيت له المرائي المبشرة بمقامه عند الله ورسوله في الدار الآخرة، وقد تأثر الحبيب أبوبكر بن صادق تأثراً بالغاً ـذا الحادث، وكذلك تأثرت والدة المرحوم ولكنهما سلما الأمر لله، وأبقى الله لهما العوض والبركة في ولده المبارك محمد بن شيخ بن أبي بكر الكاف، وأما ولده الثاني فهو الأديب النجيب المتواضع وذو السكينة والوقار أحمد بن أبي بكر، والذي حمل على عاتقه مسؤوليات الأعمال الخاصة والعامة بعد أخيه مع التفاني في بر أمه وأبيه ومراعاة أسرة أخيه، ومع

كثرة أعماله فله شغف بمجالس العلم والخير، ومساهم في كثيرٍ من المبرات والخيرات .

وظل لزيم والِدِه قائماً به وببره حتى عاجلت المنايا والده في سنة ١٤٠٤ دون مرض أو إصابة، وحمل إلى المستشفى بالرياض حيث قضى نحبه هناك، وكان ولده أحمد في رحلةٍ إلىالخارج وأُخبر الخبر فعاد إلى الـحـجـاز ليشترك في مراسيم الدفن والعزاء، ونقل جثمانه إلى جدة ثم إلى مكة المكرمة حيث دفن بمقبرة المعلاة، وأقيم عليه درس لثلاثة أيام بمدرسة بن لادن في جدة، وفي الليلة الثالثة ألقى الفقير أبياتاً ركيكةً تعزيةً فيه وقياماً بحق اتصاله وعلاقته بنا جاء فيها :

من لي بِـعـاشِـقَـةٍ مـثْـوى	مِن كُل باقعةٍ شهمٍ وصنديدِ ؟
ومن يخبرني عن طلعةٍ رحلَت	أَلْفَت حتوف القضا في غير تحدِيدِ ؟
ينوءُ حملُ الليالي في كواهِلِها	وعبرةُ الشوق تهمي للمواجيدِ
وتعصِف الذكريات الغر إنْ وردت	بالقَلْبِ عن رفْقَةٍ شم أماجيدِ
ذاك المنيب أبوبكرِ ابن صادِقهم	بقيةٌ عمرت يا نِعم مِن سِيدِ
قد كان فينا أبا صدقٍ وتربيةٍ	وفُلْك أيامِهِ رست على الجُودِي
ألقى هموم الورى في برزخٍ حجبت	عنا خفاياه في الإبلاءِ والذودِ
رحماك ربـّـاه للمرحومِ تكْرِمةً	وحل أهلَه صبراً دائم الجُودِ

والقصيدة طويلةٌ وما ذكرناه منها كافٍ في هذا المقام، رحمهم اللّه رحمة الأبرار .

[٧١] الحبيب أحمد الولي ابن علي ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

ومنهم السيد المستور المغمور بالنور المسمى بالولي ـ وهو حقا ولي ـ صاحب المكاشفات والأسرار، الحبيب أحمد ابـن الـحبيب علي ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، الذي فتح الله له باب العطاء الوهبي بلا حساب، وأظهر له المخبآت فهو عنها يـنـبـئُ دون حجاب، بركةُ أهل الزمان الأخير، وبقيةٌ تذَكر الخَـلْـق بأقوامٍ لم تحجبهم الكثافات عما يـكِـنـه الضمير، نشأ وتربى تحت رعاية والديه، وقرأ القرآن وشب في بيئة صلاح وتقى، وكانت تظهر عليه علامات الصلاح منذ صغره، ولما كبر صار الجذب الإلهي يرد عليه فيحجبه عن الخلق، وانفرد عن الناس واعتزل، ولا يقابل أحداً إلا من كان له به أنس وفرح ومعرفةٌ قلبيةٌ، ومع ذلك فالخلق على بابه بالعشرات يتبركون ويطلبون دعاءه .

عرفه سيدي الوالد واتصل به خلال زياراته المتكررة إلى عينات، وحصل له الإلباس والإلقام والإجازة الخاصة والعامة، وبشره ببشارات حققها الله لسيدي الوالد خصوصا وأن سيدي الوالد قد ورد إليه الاتصال بآل الشيخ من جهتين :

الأولى الاتصال المألوف من الإجازة والإلباس وغيره من الحبيب أحمد وابن عمه شيخ ومن كـثيرٍ من أهل بيـت الشيخ أبي بكر المباركين .

وأما **الجهة الثانية** فعن طريق اتصاله في أحور بمنصب العوالق السفلى الجد أبي بكر بن عمر الحامد رحمه الله تعالى، وتوطدت هذه العلاقة والاتصال إلى الذرية حيث زرناه أكثر من مرة خلال مصاحبتنا لسيدي الوالد من تريم إلى عينات، ونلنا منه الإلقام والإجازة والإلباس، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وقد عاش الحبيب أحمد الولي فترةَ حياته الأخيرة شبه منعزل عن الناس سابحاً في أودية الأحوال والأذكار والأوراد، سائحاً في العوالم المعنوية حتى وافاه الأجل في سنة ١٤٠٥، وصـلـي عليه بالجبانة، وخرج في جنازته جمع غفير لم تشهد حضرموت مثله في عهدها القريب .

ومن غريب ما يذكره الثقات أنه لما قربت وفاته أخبر خادمه الأمين بقرب وفاته، وبشره بأنه سيكون لاحقاً له بوقتٍ قريبٍ، وكان الأمر كما ذكّر، حيث توفيّ الحبيب أحمد، وخلال ساعاتٍ معدوداتٍ مرض خادمه وتوفيّ في ذات اليوم، وكانت وفاته سنة ١٤٠٥ ودفن بمدينة عينات، رحمهم اللّه رحمة الأبرار، وأسكنهم جناتٍ تجري من تحتها الأ ار .

[٧٢] **الحبيب أحمد بن علي منصب آل الشيخ** أبي **بكر بن سا**لم (١)

ومنهم الحبيب البركة منصب آل الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم أحمد بن علي بن أحمد بن سالم الذي تولى سدة المنصبة بعد أبيه وهو في سن الشباب وظل قائماً ا طول حياته مع كمال الاستقامة والكرم وحسن الضيافة، وقد كان يساعده في باكورة شبابه عمه الحبيب شيخ بن أحمد بالوكالة، وكانا على غاية بالاهتمام بالمقام واحتياجاته . ولما كبر الحبيب أحمد وبلغ سن الرشد أخذ على عاتقه هم المقام، وبقي عمه ساعده الأيمن في كل أحواله . وقد التقى سيدي الوالد بالحبيب أحمد بن علي في عينات وتريم وفي الحجاز وتمت بينهما صلات الارتباط.

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص١٤ .

ومن أهم مناسبات توثيق هذه العرى اجتماع سيدي الوالد بالحبيب أحمد بعينات سنة ١٣٨٢ خلال زيارة الحبيب عمر بن أحمد بن شميط، فقد حصل في تلك الزيارة من الأنس والاطمئنان والإجازات والإلباس والإلقام ما لم يكن في مثلها، وذلك في منـزل المنصب وعمه الحبيب شيخ ومنـزل منصب آل الحامد ومنـزل السيد العلامة عبدالله بن أحمد الهدار .

وظلت هذه العلاقة مستمرةً إلى أن نلنا منها نصيباً وافراً باتصالنا وارتباطنا بالحبيب المنصب والتقائنا به عدة مراتٍ مع سيدي الوالد بعينات وكذا بجدة أثناء دخوله الحرمين الشريفين للحج والعمرة، وكان آخرها عام ١٤٠٩ بعد وفاة سيدي الوالد بسبع سنوات .

وفي شهر محرم من عام ١٤١٤ توفي الحبيب المنصب أحمد بن علي في عينات وعين في مقامه ولده حسن بن أحمد الذي قام بعد أبيه بالمقام المبارك على خير وجه .

[٧٣] الحبيب شيخ بن أحمد بن سالم ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

ومنهم الحبيب المعمر شيخ بن أحمد بن سالم ابن الشيخ أبي بكر الساعد الأيمن للمنصب المتقدم ذكره والقائم بوكالة المقام سنوات طويلة لإبان يؤ الحبيب أحمد لها، وكان ميلاد الحبيب شيخ بحوطة عينات سنة ١٣٢٠ تقريبا، ونشأ ا وأخذ عن جملة من علمائها وفضلائها، وكذلك أخذ عن جملة من شيوخ تريم وسيئون، وكان لسيدي الوالد علاقةٌ طيبةٌ وحميمةٌ بالحبيب شيخ منذ شبابه، وقد تكررت بينهما اللقاءات والاتصالات، وكان سيدي الوالد يكاتب الحبيب شيخ من أحور خصوصا فيما يتعلق بأحوال مقام الشيخ أبي بكر بن سالم الموجود بأحور، وفي إحدى السنين وصل الحبيب شيخ إلى أحور والتقى بكبار السادة آل الحامد وغيرهم، واطلع على

أحوال وأراضي المقام، كما التقى به سيدي الوالد في أرض الحجاز بعد النقلة من أرض اليمن .

وقد عانى الحبيب شيخ كثيراً من الأذى والظلم من السلطات، وسجن حوالي ثلاثة أعوام مع جملة من علماء ووجهاء حضرموت بعد الاستقلال، ثم أطلق سراحه وبقي بعينات مساعداً للمنصب وقائماً بوظائف المقام كعادته .

[٧٤] الحبيب أحمد بن عبدالله المحضار الملقب « بالكعيتي »

ومنهم السيد الشهيد العلامة أحمد بن عبدالله بن سالم بن عبدالله بن جعفر بن عمر المحضار الملقب بالكعيتي [(١)] قاضي حبان ونواحيها وعالمها، وأحد علماء أرض جنوب اليمن، ، ولد بحبان سنة ١٣٢٠ ونشأ محباً للعلم والعلماء ورحل لذلك الغرض إلى تريم، وطلب علومه الدينية في تريم الغنا بعد أن أخذ قواعد الكتابة والقراءة ببلاده، وتتلمذ في تريم على جل مشايخ العلم والمعرفة، وكان على رأسهم بلا نـزاع الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، ومن كان في عصره من البارزين حتى عام ١٣٤٠، ثم عاد إلى بلاده تولى التدريس والقضاء بسلطنة الواحدي، وأسهم في فض نـزاعات القبائل، وكان رجلاً حكيماً وحازماً في عمله لا تأخذه في الله لومة لائمٍ، ولاقى في أعماله بعض الصعوبات والعراقيل حتى قيام التغيير الاجتماعي والسياسي في البلاد، فزاد الأمر تعقيداً أو صعوبةً، خصوصاً لما كان غالب من بيده الحل والعقد ممن لا يرغبون في الإسلام ولا في أحكامه، فأوغروا صدور العامة عليه، ولفقوا عليه ما أنـزل الله بها من سلطان، وقتل شهيداً في أبشع وأقذر صورةٍ عرفها التاريخ المعاصر لأولي الأمر والنهي في البلاد، وكان استشهاده في شهر رجب سنة ١٣٩٢،

---

(١) يرتفع نسبه إلى الحبيب الإمام المحضار ابن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، ويلقب بالكعيتي .

وهو ذات الشهر الذي تعرضت فيه البلاد طولاً وعرضاً إلى حملاتٍ مشا ةٍ ضد العلماء والصلحاء وبعض رجال الحكم البائد ومن يواليهم .

وقد كان لسيدي الوالد بالسيد أحمد الكعيتي اتصالٌ قوي ومتين، ويعتبره من رجال اليمن الأفذاذ، وذاك منذ القديم، حيث إن للسيد أحمد الكعيتي اتصال بالجد علوي بن عبدالرحمن المشهور وتبادلا الزيارات في تريم وحبان، وصار سيدي الوالد بعد ذلك يحرص على زيارة الحبيب أحمد في بعض السنين خلال رحلاته للدعوة إلى اللّه تعالى، وأضافه في منـزله بحبان، وأهدى إليه بعض الكتب القيمة، ولا زال مكتوباً عليها إهداؤه بخط يده في مكتبة سيدي الوالد بأحور الميمونة .

ومما يؤسف له بيقينٍ ضياع وإهمالُ العطاءِ العلمي والقضائي والأدبي لهذا السيد العلامة، حيث لم يكتب عنه أحد شيئاً، ولم يوجد في ذريته أو من حوله من يحافظ ولو على اليسير من تراثه الضخم وأعماله الجليلة في وادي حبان ونواحيها، كما أن له مكتبةً عامرةً عدت عليها العوادي كما عدت على شخصيته الشريفة، ولا نقول إلا ما قاله الصابرون: « إنا للّه وإنا إليه راجعون »، رحمه اللّه رحمة الأبرار.

[٧٥] **الحبيب هارون بن عمر باهارون جمل الليل « صاحب أحور »**

ومنهم السيد الصالح المعمر في الطاعة والتقى هارون بن عمر باهارون جمل الليل، ولد بأحور و ا نشأ في بيـتٍ تقوى وصلاحٍ، ولما كبر وترعرع وتزود بأوليات القراءة والكتابة كثرت أسفاره ورحلاته في سبيل طلب الرزق والتجارة، وفتح اللّه عليه في أسبا ا بركةً ونماءً، فكانت له مبرات كثيرةٌ ومساعدات للفقراء وللإصلاح، وفي إحدى رحلاته توجه إلى حضرموت ومكث ا مدةً للزيارة، واتصل بشيوخ

ذلك العصر، ومن أجل من عرفهم وتلقى منهم الحبيب علي بن محمد الحبشي بسيئون، وقد صبغته هذه الزيارة صِبغةً علويةً سلفيةً زادته نوراً على نور .

ولما وفد سيدي الوالد إلى أحور كان الحبيب هارون كثيراً ما يجالسه ويلازم دروسه ومجالسه في بعض المساجد، وظل السيد هارون في أحور على غاية من الطاعة والأعمال الصالحة والمساهمة، وله كامل التعلق والارتباط بسيدي الوالد منذ وصوله إلى أحور، وكان يحمل على عاتقه هم عمارة مسجد أجداده المعروف اليوم بمسجد باهارون، فكان مواظباً على الصلوات فيه بين العشائين وبعد صلاة الصبح والمناسبات الشرعية المعروفة، ولما أعيد بناء مسجد السادة آل باهارون على نفقة السلكان ناصر بن عيدروس سنة ١٣٨٣ وسمي بالمسجد الجامع وصار جامعاً عاماً للبلاد وكان السيد هارون يصلي فيه صلواته كلها اختار سيدي الوالد عمارة ما بين العشائين فيه، فكانت تقام حلقات الفقه والتفسير والقرآن، وفي ليلة الجمعة من كل أسبوع يقرأ المولد الشريف، وكان سيدي الوالد الوالد يذهب بين الحين والآخر إلى منـزل الحبيب هارون لزيارته خـصـوصـاً في المناسبات والأعياد، ويستمع منه إلى عجيب أخبار رحلاته وأحواله، كما كان هو أيضاً يكرر زياراته في الأعياد وغيرها إلى سيدي الوالد بمنـزله إضافةً على حضوره مدارسه الخاصة والعامة، وبقي الحبيب هارون مواظباً على الدروس وا الس إلا إذا سافر أو أعجزه مرض أو عملٌ، حتى انتهت مظاهر العلم والنور بحدوث التغييرات في البلاد، فسافر من أحور قاصداً حج بيت الله الحرام سنة ١٣٨٩، ونـزل لدى ولده الأكبر بالرياض، وبعد أداء مناسك الحج من ذلك العام أوهنه المرض واختاره الله إلى جواره عن عمرٍ يناهز الثمانين عاماً ودفن بمدينة الرياض، وله أربعةٌ من الأولاد هم : عمر ـ وقد توفي سابقاً ـ ومحمد، وقد توفي سنة ١٤١٤ في حادث مفاجئ في طريق مدينة صنعاء، وأحمد، وهو في

الحجاز، وسعيد، وقد توفي بالسكتة القلبية بعدن في شهر ذي الحجة ١٤١٨ ودفن بأحور .

[٧٦] الحبيب عمر بن أحمد عيديد نـزيل مكة

ومنهم السيد الصالح سليم البال صافي الحال عمر بن أحمد بن سالم عيديد نـزيل مكة المكرمة، ولد بوادي عيديد إحدى ضواحي مدينة تريم عام ١٣٤٣، ووالدته بنت السيد علوي بن أحمد السقاف من آل الصافي . نشأ السيد عمر نشأةً صالحةً تحت رعاية والده، وأخذ عن جملةٍ من الشيوخ منهم الحبيب محمد بن حسن عيديد الذي زوجه ابنته وهي أم أولاده، وقد هيأ اللّه له الأخذ عنه والقراءة عليه ونال منه الإجازة في «إتحاف المستفيد في من أخذ عنهم الحبيب محمد بن حسن عيديد »[١]، كما أخذ عن الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري وعن الحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس والحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين، وقرأ عليه في الروحة ولازم مجالسه وقرأ عليه « إتحاف المستفيد » وقلبه ملآن بمحبة الحبيب علوي ودائماً ما يكثر من ذكره وذكر أحواله، كما أخذ عن الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار والحبيب محمد بن هادي السقاف والحبيب عمر بن عبداللّه الحبشي .

وله أخذ على سيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور وقد قرأ عليه في «المختصر الصغير » لبافضل، وبينهما صحبةٌ أكيدةٌ ومودةٌ وارتباطٌ من جهتين :

الأولى : أن كلاهما تزوج لدى الحبيب محمد بن حسن عيديد .

والثانية : أن السيد محمد بن أبي بكر المشهور المتوفى بسيلان تزوج أخت السيد عمر عيديد، واسمها فاطمة، ثم فارقها قبل سفره .

---

(١) ثبت حفيلٌ يقع في مجلدٍ ضخمٍ لا زال مخطوطاً ذكر فيه شيوخه الذين وصلوا إلى قرابة أربـع مئة شيخ رحمه اللّه .

وقد التقى السيد عمر بسيدي الوالد في مكة المكرمة بعد خروج سيدي الوالد إلى اليمن، وتبادلا الزيارات والمودة، ومن الجدير بالذكر أن السيد عمر كان مقيما بمكة من عام ١٣٧١، وقد عمل بالحرمين الشريفين كاتباً للعمال، وسكن في المدينة برباط أنس بن مالك، ثم عمل بمكة وكان يتردد على زيارة حضرموت في العطل الرسمية، وكان يواظب في مكة على حضور ا الس، ومنها مجالس الحبيب عطاس حبشي، والذي كان يحبه ويقدمه ويعجبه فيه سلامة خاطره، وقد تعرض السيد عمر لبعض الأمراض، ومنها السكري، وقد تضاعف الابتلاء حتى بترت إحدى ساقيه، فعاش مقعداً على كرسيه تفيض عليه أنوار السريرة وصفاء البصيرة .

وقد زرناه والتقينا به عدة مرات في مكة وجدة، وكان منها زيارته في منـزله في شهر جمادى الثانية ١٤١٨ ونلنا والحاضرين الإجازة والإلقام، ورتب لنا الفاتحة، وقرأت عليه مقدمة « إتحاف المستفيد »، وأجازنا فيه بإجازة المؤلف .

[٧٧] الحبيب عبدالله بن حسن بن محمد الجفري نـزيل مكة

ومنهم السيد عبدالله بن حسن بن محمد الجفري، ولد بمدينة يشبم، و ا نشأ وأخذ مبادئ التعليم، ثم رحل إلى لحج وأخذ ا نصيبا من العلم، وسافر بعد ذلك إلى تريم لطلب العلم، ودخل رباط تريم وأخذ على جملة من رجال العلم هناك كالحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، والحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين، والحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس، والحبيب محمد بن حسن عيديد وغيرهم .

عاد إلى بلاده واشتغل بنشر العلم حتى تولى منصب القضاء وظل فيه مدة من الزمن، رحل إلى الحجاز بعد التحولات الاجتماعية، واستقر ا حتى وفاته سنة ١٤١٦ بمكة، وكان كثير التردد على مجالس العلم والنفع العام والخاص وتربطه بسيدي الوالد علاقات وطيدة تتمثل في زيارة بعضهم البعض في كثير من المناسبات،

وبالجملة فالسادة آل الجفري على غاية من الصدق في الارتباط والعلاقة بسيدي الوالد في اليمن وفي الحجاز وفي غيرها كبيراً وصغيراً، وكانوا يترددون على منـزله ويستضيفونه في مناسبا م وينصتون إلى تنوجيهاته ويعملون بإشارته .

[٧٨] **الحبيب عبدالله بن علوي الجفري** « **صاحب يشبم** »

ومنهم السيد الناسك العلامة عبدالله بن علوي الجفري، ولد بمدينة يشبم وأعمل العوالق العليا سابقا، وقرأ ا القرآن وأوليات القراءة والكتابة، ورحل إلى لحج وأخذ ا نصيباً من العلم والفقه والتفسير وغيرها، وفي سنة ١٣٣٩ أرسله أهله إلى تريم، ودرس في رباط تريم ٨ سنوات، ثم عاد إلى لحج وتولى التدريس في جامعها، ثم عاد إلى يشبم وتزوج ا وبقي ناشرا للعلم والدعوة إلى الله، وله رحلات عديدة إلى الصومال وأطراف القارة الإفريقية لنشر الدعوة والأخذ ببعض الأسباب التجارية، ثم عاد إلى بلاده .

وفي سنة ١٣٧٧ تولى منصب الاستئناف العالي بمدينة لحج حتى سنة ١٣٨٦، فانتقل إلى الحجاز واستقر بجدة، ولازم مجالس العلم والدعوة إلى الله، وله علاقةٌ وطيدةٌ بسيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور، وخاصةً بعد وصولهما إلى أرض الحجاز، وكانت لهما زيارات متبادلة، ومجالس أخوية مباركة، ومنها بعض ا الس التي حضرناها في منـزل السيد عبدالله، وفيها قُرِئَت سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وعطر بالأناشيد الدينية .

وكانت وفاة السيد عبدالله بن علوي سنة ١٤٠٣ بعد وفاة سيدي الوالد بعام، ودفن في مقبرة المعلا في مكة المكرمة رحمه الله رحمة الأبرار .

[٧٩] الحبيب طاهر بن حسين بن أحمد الكاف[١]

ومنهم الحبيب الذي نفع اللّه به في الصومال الداعية إلى اللّه الزاهد الورع الحبيب طاهر بن حسين بن أحمد الكاف المولود في تريم سنة ١٣٣٤، ا نشأ وحفظ القرآن العظيم، وتربى بأمه وأخيه الأكبر وبجملة من مشايخ عصره كالحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس والحبيب محمد بن حسن عيديد والحبيب عبداللّه بن عمرالشاطري والحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين وغيرهم من شيوخ الوادي، وكان قريناً ومصاحباً لسيدي الوالد في كافة مواطن التعلم والتلقي بتريم، وله به كامل الصلة والعلاقة الأخوية، يقرآن القرآن معا، ويخرجان إلى مدارس تريم ومواقع التعليم، وكذلك الحال بعد أن كبرا واشتغلا بأمر الدعوة إلى اللّه، فقد وضعهما اللّه في مواطن نافعة لينفعوا الناس، فالسيد طاهر اختاره اللّه لأهل مقديشو بالصومال، والوالد رحمه اللّه في بلاد العوالق، ولم يلبثا حتى اجتمعا مرةً أخرى في بلاد الحجاز بعد تغير الأحوال واضطرا ا في الصومال وجنوب اليمن، وعاد لهما صافي المودة التي كانا يألفا ا من قبل، وكان الحبيب طاهر يسكن لدى ولده محمد مع بقية أولاده وأسرته مترددا على المدارس العلمية والمناسبات ومعتنيا بأوقاته في إعمار الطاعة، حتى فاجأته المنية في شهر شوال عام ١٤١٧، وهو يستعد للخروج إلى الدرس وانـزعج الكثير بخبر وفاته، وصلي عليه في منـزل السيد يحيى العيدروس بجدة، ثم نقل إلى مكة وصلي عليه في الحرم الشريف، ثم دفن في حوطة أهله بالمعلا، وأقيم عليه درس العزاء والتأبين بجدة في منـزل السيد يحيى العيدروس بجدة، وعبر الخطباء عن شعورهم بفقده وتكلموا عن بعض سيرته وأخلاقه، رحمه اللّه رحمة الأبرار .

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص٤.

[٨٠] **الحبيب علي بن حسن بن محمد الجفري « صاحب يشبم »**

ومنهم السيد العلامة علي بن حسن بن محمد الجفري (صاحب يشبم)، ولد في يشبم سنة ١٣٤٣ وأخذ ا بدايات القراءة والكتابة على خطيب الجامع الشيخ أحمد بن محمد بونجمة، ثم سافر في شبابه إلى لحج وأخذ ا على الشيخ الأديب عبداللّه هادي سبيت في المدرسة المحسنية، وكان ا جملة من المدرسين الذين استفاد منهم مختلف العلوم، ثم عاد إلى يشبم مع رجوع إخوانه عبداللّه حسن ومحمد حسن من تريم سنة ١٣٥٧ فتشوف للسفر إلى تريم فسافر سنة ١٣٥٩ ومعه جملة من السادة، منهم علوي بن حسن وعلوي بن علي ومحمد بن علوي آل الجفري، ومحمد بن عبداللّه علوي المتوفى بأوغندا، وكانت الرحلة في طريق عتق مع قبائل همام مروراً بقعوضة والقطن وشبام إلى سيئون، ومنها إلى تريم، ونـزلوا في الرباط، وبقي يطلب العلم حتى سنة ١٣٦٣، وأخذ في هذه الفترة عن جملة من رجال تريم كالحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري والحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين، والحبيب الحسن بن إسماعيل والحبيب حسين بن عبداللّه عيديد والحبيب عمر بن أحمد بن سميط والحبيب محمد بن سالم بن حفيظ ووالده الحبيب سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم والحبيب أبي بكر بن علوي المشهور والشيخ سالم بن سعيد بكير والحبيب أحمد بن عمر الشاطري والحبيب محمد بن أحمد الشاطري وغيرهم، ثم عاد إلى يشبم وفتح دروساً في جامعها مدةً من الزمن، ثم انتقل إلى لحج واشتغل بالقضاء في المحكمة الجزئية أكثر من عشر سنين حتى جاء عهد التحولات الاجتماعية، فرحل من لحج مع كافة عائلته بالطائرة إلى الحجاز وأقام بجدة ومكة ملازماً لدروس العلم التي تعقد ا ومجالس الذكر والتذكير، وتصدر للتدريس في بعض الحلقات ومنها مدرس السادة آل الجفري ودرس الشيخ محمد باشيخ، وحصل من تقريره الانتفاع، وفي جدة تعرض لبعض الأمراض الجسدية فصبر عليها وعالجها، ومنها مرض

السكري، وأما علاقته بسيدي الوالد فقديمة جداً في فترة الدراسة بحضرموت وكذلك بعد التقائهما في مكة، وكانا يسكنان معاً في الرباط وتجمع بينهما الأخوة الصادقة في اللّه والمحبة في رسوله والسلف الصالح والعشرة المحمودة في رحاب البيت الحرام، وقد تشرفنا بزيارة هذا السيد واستجازته وذلك أثناء زيارتنا له في ١٩ شوال ١٤١٧، فجزاه اللّه خيرا .

[٨١] الشيخ أحمد علي صالح شيخ الطريقة الأحمدية بعدن

ومن جملة الذين اتصل م واتصلوا به في مدينة عدن الشيخ الفاضل أحمد علي صالح شيخ الطريقة الأحمدية بمنطقة الشيخ عثمان، وقد تردد عليه سيدي الوالد وزاره في الزاوية المعروفة وحصلت بينهما ا الس الودية واللقاءات العامة والفردية، وكثيراً ما كان الشيخ أحمد يذكر للوالد تردد علماء حضرموت على الزاوية منذ القدم، فقد زارها الحبيب الجد أبوبكر بن علوي المشهور والحبيب علوي بن طاهر الحداد والحبيب عطاس الحبشي والحبيب إبراهيم بن عقيل، وذلك خلال ترددهم إلى عدن، كما زارها الحبيب العلامة عبدالرحمن بن عبيد اللّه السقاف والسيد علوي بن عبداللّه السقاف والحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف وغيرهم .

ولما انتقل سيدي الوالد إلى الحجاز كان الشيخ أحمد يزوره في منـزله بين الحين والآخر ويقضيان الأوقات الطويلة في تذاكر سير الصالحين، وتبادلا الإجازات والدعاء، ومن ذلك إجازة الشيخ أحمد للوالد في أوراد الإمام الكبير أحمد بن إدريس، وأجازه سيدي الوالد في أوراد السادة بني علوي .

وعلى طريق هذه الصلة والمودة هيأ اللّه لنا من بعد سيدي الوالد كامل الصلة والارتباط بالشيخ أحمد علي، وكان لنا معه اللقاءات وا الس العديدة في الزاوية وفي مسجد العيدروس بعدن وغيرها .

[٨٢] الحبيب صادق بن محمد العيدروس

ومنهم الحبيب الفاضل صادق بن محمد العيدروس صاحب عدن والقائم فيها بنشر العلم والتصدر للفتيا والقضاء، وكان له كامل الارتباط والمودة بسيدي الوالد، وقد زاره في أحور سنة ١٣٨٧ واستجازه وارتبط به، وكان سيدي الوالد يجله ويقدمه ويدعو له، وكان الحبيب صادق قد اشتغل بالتدريس في مدارس عدن مدةً طويلةً ثم تفرغ بعد ذلك للفتيا والعقود ونفع الناس والتصدر لخدمة الدعوة من خلال مسجد جده الإمام العيدروس بعدن، إذ هو خطيب الجامع المذكور منذ حلوله بعدن، وقد هيأ اللّه لنا إكمال هذا الارتباط والاتصال بالحبيب صادق والأخذ عنه من خلال حضور بعض مجالسه وقيامه بالتدريس برباط التربية الإسلامية بعدن وإلقاء بعض المحاضرات والمذاكرات النافعة .

[٨٣] الشيخ أحمد علي مهيوب

ومنهم الشيخ أحمد علي مهيوب إمام مسجد الشيخ عبداللّه العمودي بعدن، كان سيدي الوالد يتردد عليه في المسجد ويحضر بعض مجالسه، وكان الشيخ أحمد يقدم سيدي الوالد للصلاة والموعظة، ومن المعلوم أن الشيخ أحمد مهيوب طلب العلم في مكة على يد السيد علوي بن عباس المالكي وتخرج به، ثم عاد إلى عدن وتولى إمامة المسجد المذكور واشتغل بالقضاء في المحكمة الجزئية بعدن .

وله دروس قيمة في الحديث يلقيها بالمسجد المذكور يفد عليها الطلاب والمستمعون من كل مكان، ويقيم بمسجده كل عام احتفالا عاما لاختتام صحيح الإمام البخاري .

كما يشارك في إلقاء المحاضرات العلمية كل عام على طلاب العلم برباط التربية الإسلامية وذلك اثناء إقامة الدورات التعليمية، ويستفيد منه طلبة العلم خلال العام بحضور دروسه الحديثية في المنــزل والمسجد .

[٨٤] الحبيب عمر بن أحمد بن عبدالله المشهور « صاحب دمون »

ومنهم الفقيه القاضي العلامة الحبيب عمر بن أحمد بن عبدالله بن زين بن عمر بن عبدالله بن محمد بن أحمد المشهور بن محمد بن أحمد شهاب الدين إلخ النسب الشريف.

ولد بمدينة تريم في أجواء سنة ١٣٣٩، ونشأ ا تحت رعاية والــده الــعــلامــة أحمد بن عبدالله المشهور، وقرأ القرآن في علمة باغريب بالسحيل وحقق استظهاره وتجويده على الشيخ سعيد بن سعد بن نبهان، وبعد كل ذلك ألحقه والده بقبة الشيخ أبي مريم، و ا تم له تمكين الحفظ وتقويته، ومن ثم ألحقه والده برباط تريم في حدود سنة ١٣٥١ واندرج في سلك الآخذين عن الإمام عبدالله بن عمر الشاطري شيخ الرباط آنذاك،، فحفظ العديد من التون « كــصفوة الزبد » لابن رسلان و«لامية ابن مالك» و« ألفيته » و« سفينة النجا » للشيخ سالم بن سمير الحضرمي و« الرسالة الجامعة » للحبيب أحمد بن زين الحبشي في الفقه و« الرحبية » وغيرها، وقرأ المختصرات كــ« المختصر اللطيف » والكبير الذي هو « المقدمة الحضرمية » كلاهما لبافضل، ثم « متن أبي شجاع » وشرحه لابن قاسم، ثم « صفوة الزبد » تحقيقاً وتقريراً، ثم « عمدة السالك »

لابن النقيب ثم « فتح المعين » للمليباري، ثم « منهاج الطالبين » للنووي، وكانت هذه القراءات على عدد من مشايخ الحلقات بالرباط كالشيخ الفقيه أبي بكر الخطيب، والفقيه السيد زين العابدين الجنيد، والشيخ الفقيه سالم بن سعيد بكير . ولم يتوقف عن طلب العلم حتى بعد زواجه برغم الصعوبات التي واجهت حياته الخاصة مع بدء أزمة ا اعة بحضرموت .

وكان الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري يخصه بالرعاية والنظر والتوجيه متوسماً فيه النبوغ وحدة الذكاء، ولم يزل كذلك حتى وفاة الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري سنة ١٣٦١، وواصل بعد ذلك ترقيه في الأخذ والطلب حتى وفاة والده سنة ١٣٦٤، وهنا ثقل عليه حمل الواجب بعد أبيه واضطر إلى السفر نحو المكلا وعرض عليه العملُ في القضاء الشرعي فتردد عن القبول حتى أشار عليه السيد عبدالله بن علي ابن الشيخ أبي بكر والحبيب عبدالله بن محفوظ الحداد والشيخ سعيد علي بامخرمة بالعمل في سلك القضاء، وكذلك استشار والدته فأذنت له بذلك ليتسنى له البقاء بحضرموت قريبا منها، فتولى القضاء في عدة ولايات تابعة للسلطنة القعيطية، وعين إثر ذلك على المنطقة الشرقية التابعة للواء شبام، ومركزها وادي دمون بتريم، ثم إلى اللواء الغربي ومركزه حوره، ثم إلى شبام ودوعن، ولم يزل كذلك حتى قيام الثورة، وأثناء ذلك طُلب منه البقاء بمحكمة الاستئناف بالمكلا وسيئون فبقي عدة شهور حتى ضاق صدره من مخالفات الحكومة للشريعة وحمل العلم على تبريرها، فطلب إقالته عن العمل وتحقق له ذلك .

وفي سنة ١٣٩٩ توجه إلى الحرمين لأداء النسكين، وعاد بعد نيل الوطر إلى الوادي الأغر، وكانت حضرموت حينها تعيش حز ا على الإمام الحبيب محمد بن علوي بن

شهاب الدين، وقد كان يتصدر العديد من مجالس العلم بتريم ولكنها شغرت بعد وفاته، ومن بين تلك ا ـالس العلمية مجلس زاوية الشيخ علي بن أبي بكر السكران [1]، ولذلك طلب من المترجم القيام بالتدريس في الزاوية المعروفة فقَبِلَ بعد لأيٍ وترددٍ، وتصدر للتدريس بالزاوية منذ سنة ١٤٠٠ إلى يومنا هذا جزاه اللّٰه خيراً.

وللمترجم ارتباط كبير وقوي بآل المشهور بل هو منهم نسباً وأرومةً، إلا أن الارتباطات ازدادت من جوانبها الروحية حيث كان الحبيب عمر على اتصال وارتباط بالجد أبي بكر بن علوي، وكان له بواسطته الاتصال بأسانيد الجد علوي، وكان له كامل الصحبة بسيدي الوالد والعم عبدالقادر بن أبي بكر، وكان يتدارس القرآن مع سيدي الوالد في المنـزل والرباط وفي مسجد عاشق آخر الليل كما هو معتاد بمساجد تريم.

وقد من اللّٰه علينا بزيارة الحبيب عمر عدة مرات إلى منـزله في دمون، منها زيارة مع سيدي الوالد أيام حياته، ومنها زيارة برفقة العم عبدالقادر سنة ١٤١١، وحضرنا مدرسه الذي يتصدره بزاوية الشيخ علي، ورأيناه يبذل جهداً مباركاً في سبيل تذليل المسائل للطلبة . ورأينا له أيضاً نشاطاً ملحوظاً في التاريخ وكتابة بعض وقائعه خصوصاً فيما يتعلق بدمون وتريم، أمتع اللّٰه به في خير وعافية . آمين .

---

(١) زاويةٌ علميةٌ أسسها الإمام الشيخ علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف في القـرن التاسـع تقريباً وأوقف عليها بعض النخيل، وأقام ا دروساً علميةً متنوعةً أهمهـا الفقـه الشـافعي، وظلت هذه الزاوية معمورةً بالعلم من عصر الشيخ علي إلى اليوم، وقد تخرج منها عشـرات العلماء وتصدر للتدريس فيها جملة من مشايخ العلم وفقهائه بحضرموت منهم المترجم حبيبنـا عمر المشهور الذي يتصدر للتدريس ا أيامنا هذه جزاه اللّٰه خيراً .

[٨٥] السادة آل باهارون وآل بونمي وآل الحامد وبقيةٌ غيرهم

ومنهم عدد من السادة آل باهارون وآل بونمي المقيمين بأحور أمثال السيد علي بن محمد باهارون والسيد علوي بن عبدالله بونمي الملقب بوقرنين وأولاده ومن السادة آل الحامد السيد ناصر بن محمد آل الحامد والسيد علي بن مهدي الـحـامـد والسيد ناصر بن مهدي الحامد وأولادهم والسيد علي وناصر (١) أبناء السيد أحمد بن عيدروس الحامد، والسادة محسن (٢) وعلي وإخوا م أبناء السيد ناصر بن محمد الحامد، وغالب هؤلاء كان اتصالهم به للتبرك .

ومن انتفع به وارتبط بدعوته السادة آل الكرب وآل بن طويل وآل شهاب وأولادهم، وأخذ جملة منهم العلم بمدرسة أحور الميمونة .

[٨٦] المشايخ آل بامزاحم وآل العمودي وآل ذيبان وبقيةٌ غيرهم

ومنهم أعداد من المشايخ آل بامزاحم كالشيخ سالم بن محمد جنيد، وقد ترجمنا له في غير هذا الموقع وتناولنا جزءاً من حياته، والشيخ محمد عبدالله القرن وأولاده خصوصاً عمر القرن والذي كان شغوفاً بسيدي الوالد شغفاً منقطع النظير، والشيخ علي بن محمد جنيد وأولاده خصوصاً ولده المبارك عبدالله علي جنيد والذي نفع وانتفع بعد عودته من تريم وإقامته بأحور والمحفد وبينه وبين سيدي الوالد مكاتبات وقصائد وأشعار كثيرة كلها تحث على الاستمرار في الدعوة إلى الله ورسوله والصبر على العامة وبلائهم .

---

(١) توفي السيد ناصر بن أحمد بأحور سنة ١٤١١ .

(٢) توفي السيد محسن بن ناصر بجدة عام ١٤١١ .

والشيخ أحمد بن محمد جنيد بامزاحم وأولاده محمد ومزاحم وعلي، وكلهم اشتغلوا بالتدريس تحت إدارة وإشراف وتوجيه سيدي الوالد، وقد سافر والدهم إلى حضرموت ودوعن، وتلقى الإجازات والإلباسات والإلقام من شيوخ ذلك العصر كالحبيب عبدالله بن عمر الشاطري والحبيب عبدالله بن علوي بن شهاب والحبيب مصطفى المحضار .ومنهم أيضا الشيخ علي الملقب بالبسباس وإخوانه وأولاده، والشيخ لحمر بن جنيد وأولاده، والشيخ المنصب شيخ بن عبدالله وإخوانه وأولاده .

كما أخذ عنه وارتبط به جماعةٌ من مشايخ آل العمودي بأحور والمساني، وكذلك آل ذيبيان كالشيخ عبدالرحمن بن إسماعيل والأستاذ أحمد حسين ذيبيان وأولادهم، وآل عقبة كالحاج محمد أحمد عقبة والحاج أبوبكر عوض وإخوا م وأولادهم، والمشايخ آل بانافع، وكذلك المشايخ آل الخشعة وآل الكودي وآل بامرحول وآل الشقّاع في المحفد .

ومن المشايخ أيضا الشيخ محمد بن أحمد جنيد وأولاده والشيخ علي بن عبدالجبار وإخوانه والشيخ الصالح ابن جنيد وإخوانه، وجميع كبار المشايخ من آل بامزاحم الكائنين بأحور إلا أ م يتفاوتون في المواظبة والحضور الدائم في مجالس سيدي رحمه الله تعالى .

ومنهم عدد من المواطنين وأهل الحكم والدولة والقبائل والمزارعين والصيادين وأهل الحرف المختلفة، وكلهم يجدون في قلب سيدي الوالد مكاناً رحباً وميداناً فسيحاً .

وكان غالب من يلازم مجالسه على أيام إدراكنا عدد ممن ذكرناهم آنفاً وكذلك بعض المدرسين الصالحين كالأستاذ مهدي ناصر أبوبكر والأستاذ أحمد حسين ذيبان والحاج عبدالرحمن بن سالم ذيبان والحاج عبداللّه زين بانافع وعدد من الطلبة الذين يربطهم آباؤهم بمجالس سيدي الوالد ودروسه، فمنهم من قرأ عليه القراءات الخاصة ومنهم من درس في صفوف المدرسة الميمونة وتخرج منها ونفع وانتفع، وهم عدد غفير لا يمكن حصرهم ولا عدهم إلا أن الجدير بالذكر في هذا المضمار أولئك الذين سكنوا في منـزل سيدي الوالد من أهالي أحور ومن خارجها لا غرض لهم سوى طلب العلم والانتفاع، وهم عبداللّه حسين درامه وعلي ناصر محمد حسني ومحمد عبداللّه مهيتمي وسالم محمد باجمال من دثينة، ومن عدن سالم علي الصغير وعبداللّه عيدروس العيدروس، ومن أحور ونواحيها عبداللّه صالح سهل بامختار، وهو الوحيد في كافة من طلب العلم عنده حفظ القرآن العظيم عن ظهر قلب والتزم بالمصاحبة التامة والتفرغ التام، والعم محمد بن أبي بكر المشهور الغزالي،
وعبداللّه بن مهدي الشقاع من المحفد، وعبدالرحمن بن مهدي الحامد، وسالم بن عبداللّه الشقاع من حبان .

ومن المتأخرين في الالتحاق بهذا الموكب الشاب عبداللّه الشاطري بن الشيخ علي باعزب وأحمد عوض بن أبي بكر الشقاع وحامد بن أحمد بن صالح المحضار وعبدالقادر بن محمد ومحمد التريمي ومحمد بن عبدالقادر بن أبي بكر المشهور، ومن أحور سعيد محمد المستور ومن العرقين ناحية المحفد عبداللّه حسين جعبول، وسعيد عوض آل العدوني من حناذ .

وتفاوتت مدد طلبهم للعلم ما بين العامين إلى الخمسة أعوام، ومنهم من زاد على ذلك، والحقيقة التي لا غبار عليها أن الذين اتصلوا بسيدي الوالد واقتبسوا منه اقتبس منهم آلاف لا يحصون، ولن نستطيع أن نستقصيهم ونكتب أسماءهم ونورد

صور اتصالهم به ؛ ولكن نكتفي بما ورد مع شهود التقصير منا في كثيرٍ ممن كان ينبغي إثبا م، ونعتذر إلى اللّه وإليهم في تقصيرنا، واللّه لا يضيع أجر من أحسن عملا منا ومنهم بإذن اللّه تعالى .

آلُ المَشْهُورِ بينَ الإقَامَةِ والتـرَّحَالِ

كان سيدي المرحوم الوالد علي بن أبي بكر بن علوي المشهور شغوفاً بالرحلة من مكانٍ إلى آخر في سبيل نشر الدعوة إلى اللّه تعالى وتعليم الجهال، وقد ورِثَ هذا الشغف الهادف والحب المشروع من أبيه الداعية المصقع الجد أبي بكر بن علوي المشهور، والذي ورِثَ الرغبةَ والتوق أيضاً من أبيه الرحالة الأكبر، والنجم الأزهر، العمدة والمفخر، الجد الأعلى علوي بن عبدالرحمن المشهور، فهي سلسلةٌ متصلةٌ تدعو إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة أباً عن جد إلى سيدنا المهاجِرِ الأول في سلسلةِ السلالةِ النقيةِ الطاهرةِ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم .

ومن هذه الحظيرة المباركة نرى أن سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى قد جِبِلَ على الرحلة في سبيل الدعوة المحمدية، إذ لم يكد أن يبلغ مبلغ الشباب حتى هيأه والده ليشاركه مسؤولية القول والعمل والقدوة الحسنة في أكناف الوادي المبارك بديلاً عن رِفقةٍ كانوا يسِقُونه الاصطحاب للجد أبي بكر كبعض أولاده النجباء أو بعض محبيه المتعلقين الذين يرغبون في مصاحبته بين البادية والحضر . وقد ذكر لنا سيدي الوالد مراتٍ عديدةً من غرائب رحلاته مع والده ألواناً في طول وعرض الوادي المبارك، وكذلك فيما كانت تسمى بأرض القبلة[1] أو عبر المحيط إلى الهند وسيلان [2] .

---

(١) يطلق هذا الاسم على البلاد الخارجة عن حدود حضرموت من أرض الجنوب اليمني .

(٢) تعد جزيرة سيلان من بلاد الهند مقصداً هاماً ومركز دعوةٍ كبيرٍ بالنسبة لآل المشهور، إذ بدأ ذا الأمر الـجـد علوي بن عبدالرحمن، ونقل إليها الطريقة العلوية، ثم تلاه الجد أبـوبكر على نفس الوتيرة والاهتمام، ولذلك نرى أعمامنا أحمد ومحمد أبـنـاء الـجـد

ومن أهم تلك الرحلات رحلة أبي رحمه اللّٰه تعالى مع والده عام ١٣٥٣ إلى الهند وسيلان، حيث ذكر سيدي الوالد رحمه اللّٰه تعالى أ م غادروا مدينة تريم في شهر شعبان من عام ١٣٥٣ على حمارٍ قوي أُعد لمثل هذه الأحوال، ومروا ببعض المدائن الحضرمية كسيئون والقطن وشبام ثم وادي دوعن ينـزلون حيناً عند من يعرفونه من الأهالي والمواطنين، ويواصلون سيرهم حيناً آخر استجلاباً للتخفيف وسرعة الانتقال، ودأ م في حركتِهم تلك تـصـيـد الفرص الملائمة للبادية وأهل العمران في أوقات صلوا م واجتماعا م لتذكيرهم باللّٰه ورسوله واليوم الآخر، ومن وادي دوعن يستقبلهم شريطٌ طويلٌ من بلاد القبلة المتناثرة، حيث مروا بمدينة يبعث ثم حبان، وفيها مكث الجد أبوبكر عدة أيام يسعى للإصلاح بين السادة المحاضير وبين بعض التجار من آل الشبلي حول مسألة التعليم في البلاد، ولم يتمكن الجد أبوبكر أن يضيف إلى الأمر القائم شيئاً ؛ لتعصب آل الشبلي على موقفهم من تحديد الأشراف على التعليم من كافة النواحي لأنفسهم، وحصل خلاف شديد وتعصب قوي، حتى إن سيدي الوالد يروي لنا في آخر لقاءٍ كان بين سيدي الجد أبي بكر وبين عمر الشبلي ـ والذي كان رأس الحربة القائم في توسيع شقة الخلاف ـ أن الجد قال له فيما معناه : « هؤلاء السادة لا تخالفهم واقبل رأيهم ؛ لأن لهم جداً يغار عليهم »، فقال له عمر الشبلي ساخراً : يا بوبكر خلهم يبقلوا شعرهم في إيدي، كنايةً عن استهتاره م ومقامهم، فـتـأثـر الـجـد من قوله وعرك أنـفـه بـيـده وقال: « شفنا أُروح الدم يا عمر »[1]، فضحك عمر الشبلي وقال : هذا سحر ولاّ كهانة يا بوبكر، فقام الجد أبوبكر عن ا لمس غاضباً وغادر في يومه ذلك مدينة

أبي بكر يختارو ا وطناً لهم خلال الأزمات الاقتصادية التي مرت بحضـرموت خـلال وبعـد الحرب العالمية الثانية، وقد خلفوا فيها نسلاً وذريةً إلى اليوم .

(١) أي : إنني أشم رائحة الدم، باللهجة الدارجة .

حبان متجهاً إلى المحفد من بلاد العوالق السفلى كما كانت تسمى آنذاك، ولما كانوا ببعض الطريق جاءهم خبر مقتل عمر الشبلي على يد أحد أقاربه .

ولما علم أهل المحفد [١] بقدوم الجد أبي بكر إليهم خرجوا إليه واستقبلوه استقبالاً حافلاً، ونزل مع سيدي الوالد عند المنصب الفاضل العلامة الشيخ مهدي بن أبي بكر الشقاع [٢]، والذي كانت له معرفةٌ سابقةٌ بالجد أبي بكر عندما

---

(١) يتكون سكان المحفد من قلةٍ من السادة آل فدعق وآل حامد ومن المشايخ من آل الشقاع ومن القبائل المتناثرة على طول الأودية، ويجمعهم اسم قبائل آل سعد، كما يوجد عدد من المواطنين المشتغلين بالحرف والتجارة والصناعات اليدوية الخفيفة وبالزراعة .

والجدير بالذكر أن هذا التقسيم التقريبي لم يجمع كل البطون المتناثرة في هذه البلاد، إذ إن هناك عدداً من المشايخ الذين لا يوجد لدينا تفصيلٌ كاملٌ عن أصولهم كآل باخرش، ومنهم آل العزب بالمحفد، والأصل الذي انحدرت منه سلالة آل العزب من المحفد، وأما قبيلة آل العزب فيطلق عليهم آل باخريش، و ا إلى الآن أحفاد وأولاد وأقارب وأرحام،وكذلك آل باعزب في الرباط والحاق وآل لخجم في السواد وصندوق، وآل أبوبكر في الحاق وغيرهم .

(٢) هو الشيخ الناسك الداعي المصلح مهدي بن أبي بكر بن عوض باشقاع، وليد مدينة المحفد من أعمال بلاد العوالق السفلى سابقاً، كان وجوده عام ١٣١٦ من الهجرة تقريباً، وتربى وتعلم مبادئ القراءة والكتابة على نظر والده الشيخ المقدام أبي بكر بن عوض الشقاع المتلقي والآخذ على الحبيب مهدي بن محسن الحامد صاحب أحور ودفينها .

ولما كبر الشيخ مهدي وأدرك ووعى بعثه والده لطلب العلم بتريم في رباطها الشهير، وتحت علَمِها المنير الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، فسافر إليها عام ١٣٣١ هـ من الهجرة بصحبة جماعةٍ من الراغبين في الطلب ومنهم الشيخ أحمد بن عمر العزب صاحب بوقور، والشيخ عبدالرحمن الزبيدي من أهالي عدن ، وكان لهم في تلك الآونة شوق وتوق للتلقي على يد فحول المشايخ الذين شاءت لهم القدرة الربانية أن يتمتعوا برؤيتهم والأخذ عنهم أمثال الحبيب علي بن محمد الحبشي والحبيب أحمد بن حسن العطاس والحبيب مصطفى

المحضار والحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين والجد علوي بن عبدالرحمن المشهور والحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس وغيرهم من شيوخ ذلك العصر المزدهر .

ولما عاد من حضرموت اشتغل بالعلم والتعليم والتدريس والإصلاح بين الناس واعتنى بالحراثة اعتناءً كبيراً، وتزوج قبل وفاة والده وأنجب عدداً من الذكور والإناث، ولما توفي والده تولى مقام المنصبة والتصدر في وجاهة البلاد والإصلاح بين القبائل، فأحسن الوراثة وملأ أرجاء البلاد بالخير والوداد، وكانت له خير الأيادي في درء الفتن وإخماد أوار الحروب القبلية، وكان نصيره في الأمر وعضده القوي أخاه الصابر الزاهد الشيخ محمد بن أبي بكر الشقاع الملقب « لجلد » وكان منزلهم مفتوحاً للصادر والوارد والغادي والرائح، وفي أثناء قيامه بمهمات الإصلاح والتوفيق بين الخصوم عرضت عليه الحكومة المحلية منصب القضاء، فأبى أن يتولاه واكتفى بالعمل الحر دون وصايةٍ أو ضغوطٍ حكوميةٍ كما كان حال والده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة والإصلاح بين الناس، وكان رحمة الله عليه له ارتباطٌ وثيق بكثيرٍ من العلماء والأولياء في بلده وفي حضرموت وغيرها، بل كانت له مراسلات مع كثيرٍ من شيوخ عصره، ولما قدم سيدي الوالد واستقر بأحور لنشر العلم والدعوة إلى الله تمكنت بينهما الروابط وتحسنت العلائق، وتم الاتصال بينهما حساً ومعنى بالإلباس والإلقام والإجازات .

وأرسل الشيخ مهدي ولده المبارك عبدالله إلى أحور لينال نصيباً من العلم والمعرفة والتربية والرعاية، فأقام بأحور عامين بذرت في قلبه أسمى قواعد الآداب والدين مع نصيبٍ وافرٍ من علوم العربية والحساب والفقه والحديث والتفسير .

كما كان للشيخ مهدي دور عظيم في جذب كثيرٍ من العلماء والصلحاء لزيارة المحفد ونشر الدعوة إلى الله فيها وفيما حولها، وكان من أبرز من زار المنطقة السادة آل الشاطري، وهم مهدي وأبو بكر حيث ابتهجت م البلاد وسكنت بدعو م كثير من الفتن، وتم الصلح بين كثيرٍ من القبائل، كما زار المحفد بعد ذلك الحبيب أبي بكر العطاس بن عبدالله الحبشي وكان له أعظم الأثر والتأثير .

وعاش الشيخ مهدي حياةً مفعمةً بالاجتهاد والنشاط حتى سنة ١٣٧٣ هـ حيث نزل إلى عدن لزيارة أبنائه وأقاربه، فداهمته المنية بعدن وهو في كامل حواسه وحيويته،

كان يطلب العلم في رباط تريم، وكان له اتصالٌ قوي ومتين به وبولده علي، ويذكر سيدي الوالد أنه عند نـزولهم مدينة المحفد كثرت عليهم عروض القبائل لزيارة الجد إلى مواقع سكنهم وبدوهم حباً في بلوغ الدعوة حساً ومعنى إلى أهاليهم وشمول بركتها لديارهم، ونـزل الجد أبوبكر عند رغبتهم وأخذ مدةً من الزمن يتنقل بين البادية يجمعهم للصلاة ولسماع القرآن والموعظة والتذكير، ويخصص للنساء وقتاً وحيناً مناسباً حتى تأثر بدعوته العدد الكثير، وثاب إلى الطريق المستقيم الجم الغفير، وكان سيدي الوالد خلال ذلك يستمد من والده أصول الطريقة العملية في إبلاغ الدعوة إلى الأسماع وكيفية معالجة البدو وأرباب الطرق الهمجية، ولا زال أهل تلك البلاد يذكرون أيام تلك الزيارات المشهودة حتى اليوم .

ثم اتجه الركب الداعي عبر الأودية العامرة بالبدو مخلفاً مدينة المحفد بعد توديع الأهالي متجهاً عبر الجبال والأودية إلى أحور عاصمة العوالق السفلى، وكان يصحبهم في رحلتهم السيد العلامة عبدالرحمن بن أحمد الحامد الذي كان لزيماً ومرافقاً للجد أبي بكر منذ حلوله بمدينة المحفد، لما بينهما من سابق المعرفة والود والاتصال والتفاهم الكامل والتقارب الحسي والمعنوي الظاهر والباطن منذ أن كان يطلب العلم بتريم، وبلغ الركب المبارك إلى مدينة أحور في أواخر شهر شعبان من عام ١٣٥٣

ودفن في مقبرة القطيع، كما لحقه بعد سنوات أخاه الصالح الشيخ محمد بن أبي بكر الملقـب (لجلد)، وقد كان سنداً له ومساعداً في كل الأمور، وكان ذا شخصـية فـذة في الصـبر والدماثة الخلقية والكرم والجاه، وكانت وفاة الشيخ محمد سنة ١٤٠٤ هـ بعد مرض شديد أقعده وأضعف قواه، رحمه الله رحمة الأبرار .

ونـزلا ضيوفاً على مرافقهما وصاحبهما السيد العلامة عبدالرحمن بن أحمد الحامد وإخوانه الكرام [1] .

ولما انتشر خبر وصولهما إلى البلاد توافد لاستقبالهم أهل السلطان وأعيان البلاد من السادة آل باهارون وآل أبي نمي وآل الشيخ أبي بكر وغيرهم من بيوت السادة ومن بيوت المشايخ آل أبي مزاحم، وعقد الجد بمدينة أحور مذاكراتٍ ومواعظَ وروحاتٍ عصريةً وجلساتٍ علميةً انتعشت ا البلاد، وتناقل خبرها كل أهل الحل والبواد .

ولما عزما على الرحيل إلى عدن رافقهما الشيخ المحب الناصح سالم بن محمد جنيد بامزاحم حيث كان الجد أبوبكر يحبه ويألفه ويأنس إليه كثيراً لتواضعه وصدق

(١) سبق لنا الحديث عن نبذَةٍ وجيزةٍ من حياة السيد عبدالرحمن بن أحمد الحامد في قسم التـراجم للمتصلين بسيدي الوالد رحمه اللّه تعالى، وأما إخوانه فهم :

١- السيد محمد المصري الحامد، وهو سيد ذو حالٍ عظيمٍ وولايةٍ ظاهرةٍ، وقد توفي بـأحور ودفن ا وله عدد من الأولاد .

٢- السيد مهدي بن أحمد الحامد نـزيل المحفد من بلاد العوالق السفلى، وكان أيضاً علـى حالٍ عظيمٍ وكرمٍ وحسنِ معشرٍ وداعٍ إلى اللّه تعالى في أرض المحفد من خلال عنايته بمسـجد عبدالعزيز والخطبة فيه، ومنـزله مفتوح للأضياف وله عدد من الذرية المباركة، وقد تـوفي بمدينة المحفد ونقل جثمانه إلى أحور ودفن ا .

٣- السيد عبداللّه بن أحمد الحامد، وهو من أهل الذكر والتذكير، وقائم بإمامة جامع مدينة أحور منذ سنين عديدةٍ، وله ذريةٌ مباركةٌ بأحور والحجاز .

٤- أبوبكر بن أحمد الحامد، كان على جانبٍ من السكينة والصلاح والخمول، وقد تـوفي ودفن بأحور، وله ولد واحد فقط له ذريةٌ مباركةٌ .

تعلقه وخالص خدمته، ولما بلغا قرية « شقرة » من أراضي « الفضلي » ـ كما كانت تسمى ـ صادفا وجود سيارةٍ يملكها السيد [1] سالم بن عمر الجفري، فرحب بـهـمـا وأركبهما في سيارته إلى عدن، وعهدا بالمركوب إلى الشيخ سالم يأتي به خلفهما إلى بندر عدن، ويذكر سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى أ ما انتظرا وصول الحمار مع الشيخ سالم ثم بقيا بمدينة عدن أياماً، ثم عزما على السفر إلى اليمن وتركا الحمار برعاية الشيخ المذكور ليعيده إلى أحور، وسنفيض القول عن هذا الأمر في ترجمة الجد أبي بكر إن شاء اللّه تعالى، ومكث باليمن أياماً طويلةً جرت لهما خلالها أحداثٌ غريبةٌ وقصص عجيبةٌ ليس هذا موقعها، ثم سافرا بحراً إلى أرض الهند ثم إلى سيلان والتي كان سيدي الوالد يسميها « جنة الدنيا »، لما فيها من جمالٍ وجلالٍ وخضرةٍ وجو رائقٍ عليلٍ .

وعادا من رحلتهما الجميلة بعد أن مكثا أكثر من ثلاثين يوماً يتنقلون بين المدائن والقرى ينشرون الدين قولاً وعملاً، وكانت رحلة العودة بطريق البحر إلى مدينة عدن بعد أن كتبا رسالةً مسبقةً إلى أحور ليصل الشيخ سالم بن محمد جنيد بالمركوب إلى عدن .

ولما بلغا مدينة عدن وجدا الشيخ سالم في استقبالهما وبقيا بعدن أياماً قلائل ثم حملا حمارهما في مركب الرحلة البحرية إلى المكلا بعد أن ودعا محبهما الشيخ سالم ومن معه من المودعين، وغادرا المكلا على حمارهما إلى حضرموت الداخل عبر

---

(١) السيد سالم بن عمر الجفري أحد السادة آل الجفري بشقرة وأبـْـيـن، وكـان شـغوفاً بالمغامرات والرحلات، وكان هو أول من استعمل السيارة من المـدنيين في نـواحي أبـين وأحور، ونقل ا الركاب إلى عدن، وكان على جانبٍ كبيرٍ من المرح ولطف المعشر .

الطريق الوعر الطويل، حتى بلغا مدينة تريم الغنا، وما أن استقرا بـعـض الوقت واستراحا من وعثاء السفر حتى خطب الجد أبوبكر بنتاً من آل الزاهر لتكون زوجةً لولده علي، وتمت الاستعدادات لهذا الزواج بما يلزم من محتاجاتٍ تقتضيها عادة البلاد آنذاك .

ومما يذكره لنا سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى أن والده استدعاه ليلة زفافه وبين له الغرض الأسمى من هذا الزواج الموعود، وحدد له بعض الملاحظات التي كان الجد أبوبكر يرغب في فعلها خلال إجراءات الزواج، واستجاب الوالد لملاحظات والده دون أن يبدي اعتراضاً أو يظهر استنكافاً، إذ هو قد أسقط اختياره الذاتي وطواه ضمن اختيارات والده منذ أن أدرك نفسه معه .

ومن تلك الملاحظات التي وجهها الجد أبوبكر لولده العروس أن يلبسه في حفل زفافه عمامةً فضفاضةً من ضرب يده خلافاً للعادة الجارية في البلاد، حيث يعدون للعروس ليلة زفافه عمامةً مضروبةً بعنايةٍ فائقةٍ ومصفوفةً بإحكامٍ، يقوم بذلك صناع مهرةٌ عرفوا بذلك منذ القدم يتوارثو ا أباً عن جد إلى يومنا هذا، كما أمره أن يلبس قميصاً فضفاضاً وأن يضع على كتفه شالاً تنتهي أطرافه بعثاكيل كبيرة، ، كما أمره بحلق شعر رأسه كما تقتضي ذلك عادة أسلافنا الصوفية رحمهم اللّه تعالى عند تزويج أبنائهم، وعلمه دعاء الزفاف المأثور بعد صلاة ركعتي الزفاف، ودعا له بالتوفيق في تلك التجربة الأولى .

ويذكر سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى أنه دخل بيت الزوجية جديداً على تلك الحياة متفائلاً برضا والده عن سلوكه وامتثاله التطوعي، سائلاً من مولاه السداد وحسن التوفيق ليكون الزواج عوناً على طاعة اللّه والوالدين .

ومرت على هذا الزواج الميمون شهور عِدةٌ والحياة كما يصفها أبي تزهو وتروق له وتصفو مع أهله، مقسماً وقته بينها وبين مهمات البر بوالده وخالته وطلبه للعلم ومدارسة القرآن، ومما يذكره لنا سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى أنه بعد مرور عام تقريباً على الزواج طرأ خلاف بين خالته وزوجته واشتد ذلك حتى عكر الصفو وكثف الهموم، فاستشاره والده في الأمر بشأن فراق زوجته لقطع النـزاع، فرد عليه سيدي الوالد بما معناه : « أنت لن أجد بك بديلاً، أما زوجتي فسأجد غيرها كثيراً »، فاستبشر سيدي الجد أبوبكر من ولده البار وقَبَّلَه بين عينيه واغتبط بكلامه، ثم طلب منه إخفاء الأمر ريثما يتم الترتيب .

وفي أحد الأيام اللاحقة تجهز سيدي الوالد للسفر بعد أن أخبر زوجته برحلته إلى خارج حضرموت، ثم ودعها دون أن يخبرها بما بَيَّتَه من الأمر، وكتب لوالده ورقة الطلاق ورحل من تريم مصطحباً معه أخاه الأصغر علوي متجهين صوب بندر المكلا، ثم إلى عدن، ومنها غادرا بطريق البحر إلى أرض سيلان أرض الأنسام والأحلام، وكان ذلك عام ١٣٥٦، وهناك التقيا بأخويهما محمد وأحمد أبناء الجد أبي بكر اللذين استوطنا أرض سيلان منذ سنوات خلت .

وقد كتب لنا العم علوي بن أبي بكر المشهور رسالةً أشار فيها إلى هذه الرحلة المذكورة آنفاً فقال : سافرنا عام ١٣٥٦ إلى سيلان والتقينا بالأخوين محمد وأحمد وبقينا هناك نتنقل في جميع أنحاء كلمبو سيلان في جملة من القرى التي كان

الوالد ينشر ا الدعوة إلى اللّه، وهي : كالترا، وقالي، و ا مسجد أسسه الوالد أبوبكر وسماه مسجد المشهور، وماطرا، وهمنتونا، وبلقام، و ديك ولا، والعاصمة كلمبو، وبعد مضي تسعة أشهر أشار علينا الوالد بالرجعة إلى تريم، ورجعنا معاً .

ومما ذكره سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى أن رحلة العودة إلى عدن كانت في وضعٍ أمني خطيرٍ إذ كانت أشباح الحرب العالمية الثانية تجتاح العالم بأسره، وكانت البحار تعج بالسفن الحربية وبالألغام، وكانت السفائن والمراكب تسير في الظلام الدامس على اختلاف مهما ا وأغراضها، وبعد رحلةٍ مضنيةٍ ومخيفةٍ وصلوا إلى ميناء عدن، و ا مكثا أياماً قليلةً ثم إلى المكلا بطريق البحر، ومنها إلى تريم أرض القرار والاستقرار .

الزَّوْجَتَانِ الثانية والثّالِثَة

بعد أن استراح الركْب من عناء الرحلة ووعثاء السفر استجد في ذهنِ الجد أبي بكرٍ أمر تزويج الوالد، وتقَوى هذا الخاطر حتى صار ضرورةً ملحةً فاتح فيها الجد أبوبكر ولده مستشيراً ومشيراً، فأبدى الابن البار رغبته فيما يرغب فيه والده ورب نعمته، فخطب له الجد أبوبكر فتاةً صالحةً من منبتٍ صالحٍ وأرومةٍ علَويةٍ عريقة، خطب له عند الحبيب العلامة محمد بن حسن عيديد، وقوبل الخطيب بالترحاب والموافقة وحظي بالقرب من هذه الدوحة السامقة، وتمت الإجراءات اللازمة للزواج على خير ما يحِب ويليق، وزفت العروس الصالحة إلى زوجها لتمكث معه مدةً قصيرةً لا تتجاوز الأشهر الستة حيث مرضت مرضاً شديداً واختارها اللّه إلى جواره في ذلك المرض المدنف .

وقد ذكر سيدي الوالد أن سحابةً من الحزن العميق تغشته بعد ذلك الأمر المفاجئ، وتحرك خاطره للسفر من جديد، وما إن تمت مراسيم الدفن المعتادة حتى أسر الحبيب محمد بن حسن عيديد في أذن ولده المحزون خبراً هاماً، لقد أمره ألا يحرك شيئاً من أدوات وجهاز الزوجة المتوفية، بل عليه أن يترك كل شيءٍ في مكانه، وبرقت عليه بارقة أمل في نفس الحزين وامتثل الأمر وعدل عن السفر وسلم أمره للأقدار .

وما أن مضت ثمانية أيام على دفن الزوجة الأولى حتى بعث الحبيب محمد بن حسن عيديد رسولاً إلى الجد أبي بكر يطلبه ومعه ولده علي وطلب إحضار تجهيزات العقد المألوفة ببلاد تريم .

وقد أخبر سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى أن الحبيب محمد بن حسن عيديد دعا في ذلك اليوم المبارك الحبيب علوي بن عبد اللّه بن شهاب الدين ليحضر عقد الزواج، وشاء اللّه أن يتفق الركب المتجه في سيارةٍ خاصةٍ إلى عيديد بالحبيب علوي وهو في طريقه إلى الحفل المذكور ورغبوا في اصطحابه معهم، فلم يرض بذلك كعادته منذ أن عرف نفسه، فتركه الجمع وتحركوا بسيار م صوب وادي عيديد، ويذكر سيدي الوالد أ م قد وجـدوا الـحـبـيـب عـلـوي بن شهاب قد سبقهم إلى المنـزل معتمداً على قدميه رحمه اللّه تعالى رحمة الأبرار .

وخـطِـب سيدي الوالد في هذه المرة واختير اختياراً رغم معارضة بعض أهل الزوجة أمر التزويج لاعتقادهم بشؤم المنـزل الذي ماتت فيها شقيقتها الأولى، وتلك عادةٌ جاهليةٌ لا شك .

وزفت العروس الثانية إلى زوجها خلال أيامٍ معدودةٍ، وعاشت مع سيدي الوالد حياةً رائقةً وهنيةً مدةَ عامين أنجبت خلالها طفلين، سمي الأول بعبدالرحمن والثاني علَوية، وقد اختارهما اللّه إلى جواره في صغرهما، وغمر الوالد حزنٌ عميق على فراقهما كما غمر الأم وظهر ذلك الحزن على المحيا للعِيان، وشاهد ذلك الأثر على وجه سيدي الوالد الجد أبوبكر فقال له : « لا تحزن يا علي، عادك ستضجر من كثر م »، فدوت عبارة الجد أبي بكر في مسمع وقلب ولده دوياً غريباً وظهرت أمامه صورة الكثرة الكاثرة من الذرية، فاطمأن إلى وعد أبيه كما علم وقوع القدر المقدور أنه من عند اللّه .

وقد كتب أبي في مسودة الترجمة عند قراء ا عليه عند هذه العبارة ما مثاله : «وصار الأمر حقّاً وقُبِلَت الدعوة وبارك اللّه فيهم»، ويصف سيدي الوالد زوجته الثانية خديجة بأ ا كانت على جانبٍ كبيرٍ من الصلاح والأدب والتقوى، وبل كانت تشاركه قراءة القرآن والصلاة من الليل، والمطالعة في بعض كتب العبادات والتصوف [(١)]، وقد سمي سيدي الوالد بعد هذا الزواج بذي النورين لكونه أشبه بسيدنا عثمان بن عفان رضي اللّه عنه في تزوجه ببنتي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، وبقيت هذه الزوجة الصالحة مع سيدي الوالد مدة عامين كما أسلفنا القول، وفي باكورة العام الثالث أصيبت بمرض أقعدها الفراش زمناً طويلاً، وماتت بعد موت أبيها بشهرين تقريباً، بل كانت هي أول أهله لحوقاً به، ودفنت بجواره بمقبرة زنبل رحمهم اللّه تعالى .

وتعددت زيارة الوالد رحمه اللّه تعالى إلى ضرائح الأحباء الثلاثة، بل زرناها معه مراتٍ ومراتٍ، كان خلالها يقف خاشعاً مستعيداً ذكريات الماضي السعيد تالياً على تلك الأرواح الطاهرة ما تيسر من كتاب اللّه تعالى والفاتحة .

---

(١) ظلت ذكريات هذه الألفة المحمودة في ذهن سيدي الوالد مستمرةً ومتجددةً نراه يـذكرها في بعض أشعاره أو مروياته الخاصة للخاصة، ولا يفتر عن قراءة الفاتحة وذكر زوجاته فيها مـع ختم كتاب اللّه تعالى أو في بعض الموالد والمناسبات الخاصة .

داعِيَةُ الانْتِقالِ إلى أَرْضِ القِبْلَةِ

غمرت نفس الوالد رحمة اللّه عليه سحابة حزنٍ خفيةٍ تتغشاه بين الحين والآخر، وخاصةً كلما خلا إلى نفسه يتذكر شريط حياةٍ امتزج فيها الرضاب بالمَرارةِ والمَرارةُ بالرضابِ، ولم يشفِهِ من هموم الوحدة إلا ما نـزع إليه منذ الصبا من اشتغال بالعلم وتلاوة القرآن وغشيان مجالس الذكر والعلم .

وقد ذكر سيدي الوالد أنه كان يرى في كل ما يشاهده من الآثار المألوفة إحياءً لذكرى زوجته الوفية وحـيـا ا المُضِـية، فيتكرر به دفين ألمٍ وخفي كمدٍ، ولم يجد بداً من الرحلة إلى بلاد اللّه داعياً ومبشراً ونذيراً، لعل في ذلك عوضاً ومخرجاً مما يلم بالنفس والحواس، وأبدى الأمر لوالده واستشاره في الرحلة فرحب الأب بالفكرة راغباً في التخفيف عن ولده ومستجيباً لأمثل الحلول المناسبة والبديلة عن واقع الأمر المتلبد بغيوم الحزن والأسى، ولم يدر أن تلك الرحلة هي الجدار الأبدي الحائل بين لقائهما إلى يوم الدين .

وذهـب سـيـدي الوالد بعد ترتيب أمر سفره إلى قطب الدائرة العلوية وإمام الطريقة السـنـية الحبيب علوي بن شهاب الدين يستشيره ويستأذنه فيما رغب فيه من الرحلة للدعوة إلى اللّه تعالى، فأذن له الحبيب ودعا له وبشره ببشاراتٍ عظيمةٍ وودعه وداعاً أبوياً بعد ترتيب الفاتحة بقضاء الحوائج وصلاح الأمور .

وغادر سيدي الوالد مدينة الغنا في شهر رجب من عام ١٣٦٢ ويرافقه المحب كرامة سعيد محيفوظ والذي رغب والده أن يكون مصاحباً لسيدي الوالد بطريق البر

حتى مدينة عدن، ثم أوعز إليه أن يلحقه إلى بلاد الحجاز، وعبر الوالد مدينة سيئون زائراً للحبيب العلامة الشهير نسخة الأسلاف محمد بن هادي السقاف، وطلب منه الإذن في المقصد الأسنى والإجازة والإلباس، فتم له ذلك وأجازه وأوصاه بوصيةٍ عظيمةٍ نثبتها في فصل الوصايا والإجازات كاملةً إن شاء اللّه تعالى .

ومنها واصل رحلته البرية إلى شبام ثم إلى وادي دوعن واستقر أياماً في ضيافة الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار بالقويرة وألبسه وأجازه ودعا له وشجعه على رحلته الخيرة في سبيل نشر الدعوة إلى اللّه، ثم تنقل سيدي في الوادي المبارك من قريةٍ إلى قريةٍ ومن مدينةٍ إلى مدينةٍ مقتفياً أثر والده وجده في النـزول مبادرةً إلى بيت اللّه أينما وصل واعظاً ومذكراً، ولا يسأل على ذلك أجراً ولا جزاءً ولا شكوراً، ولما دخل مدينة حبان من أرض العوالق العليا ـ كما كانت تسمى ـ قصد عند بعض السادة المحاضير، ومنها انتقل إلى المحفد حيث نـزل ضيفاً على الشيخ مهدي بن أبي بكر الشقاع، و ا مكثا حوالي الأسبوع تقريباً ثم انحدرا مع إحدى القوافل المسافرة إلى أحور، ودليلهما العاقل ـ بمعنى شيخ القبيلة ـ عقيل بن محمد .

ومما يذكره لنا مرافقه الشاب المحب كرامة سعيد محيفوظ في هذا المقام أ ما عند خروجهما من مدينة المحفد ودعهم الأهالي وداعاً كبيراً، وكانت السحب آنذاك تتراكم على جوانب الأودية المحيطة، وما أن سلكا الطريق المألوف مع القافلة حتى ا مرت الأمطار غزيرةً، فشرع سيدي الوالد في قراءة راتب الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس وكرره عشر مرات تقريباً، وهو مجرب لدى أهل الذكر بمنع الأمطار ودفع الأخطار، وما إن فرغ سيدي الوالد من تلاوة العدد المذكور من الراتب المبارك حتى طلب من ركب القافلة النـزول بأحد الكهوف مع حـ ا ـول

الـظـلام، ولم تمض دقائق معدودات حتى انقشعت السحائب وزال ركامها، وأخذوا لهم قسطاً من الراحة ثم واصلوا السير في وادي « ضيقة » يستحثون ركا م الخطى خشية السيول التي تعقب الأمطار، ولم يكد الركب يرتفع عن الوادي بيسير من الوقت حتى تدفقت السيول تملأ الوادي من كل اتجاه، وكان من لطف اللّٰه عليهم أنْ مد لهم في عمر المسافة الزمنية حتى خرجوا من مضيق الوادي المهلك .

ودخلوا مدينة أحور في اليوم الخامس عشر من شهر شعبان [١] والسيول قد سبقتهم إلى السواقي والأودية، وكان الـنـاس في فرحٍ واستبشارٍ، فنـزل سيدي الوالد ضيفاً على السيد الفاضل عبدالرحمن بن أحمد الحامد عدة أيامٍ قام خلالها بنشر الدعوة إلى اللّٰه تعالى، ثم تحرك العزم على مواصلة السفر إلى عدن بطريق البر فأعدت العدة لذلك وخرج سيدي الوالد مع المحب كرامة بن سعيد محيفوظ إلى السوق بعد أن بلغهما خبر وصول سيارة مسافرة إلى عدن، فلما استأذنا سائق السيارة في مرافقته امتنع عن أخذهما وقال لهما : إن السلطان قد أمرنا أن لا نأخذكما معنا، فاندهش سيدي الوالد لذلك، واتجه مع صاحبه إلى منـزل السلطان عيدروس يستوضحان الأمر فقال لهما : إن البلاد في حاجةٍ ماسةٍ إلى العلم والتعليم والإفادة، وأبدى رغبته في إقامة سيدي الوالد بأحور لهذا الغرض السامي [٢]، فالماء إذا استقر في الأرض نفع

---

(١) كتب سيدي الوالد في مقدمة ديوانه : « وصلت إلى أحور في ١٥ شعبان ١٣٦٢ هـ وهنـا شاءت الأقدار أن يحصل الاستقرار ـذه الدار، فما كان إلا الخطاب من ملك البلاد السلطان عيدروس أن نؤسس ـا مدرسة » .

(٢) يذكر أن الشيخ أحمد بن أبي بكر الشقاع الثاوي ببلدة المحفد كان هو المشـير علـى السـلطان عيدروس في استبقاء سيدي الوالد بأحور حيث كتب للسلطان رسالة ـذا الصدد، وقـد كـان الشيخ المذكور على جانبٍ كبيرٍ من الحنكة والدهاء والإقدام والمغامرة، كما كان بشوشاً محبـاً

وأثمر وأبدع، وصـادفـت تلك الرغبة من سلطان البلاد مكاناً في نفس سيدي الوالد، وبقيت الإشارة من حيث تأتي البشارة، وطلب سيدي الوالد من السلطان مهلةً زمنيةً يستشير في أمر الإقامة والده بـحـضـرمـوت، وكتب لوالده مـسـتـشـيـراً ومستفسراً وأرسل الرسالة في ذات اليوم مع أحد المسافرين بالسيارة التي سبقت الإشارة إليها .

وجاء الجواب بعد أيامٍ بالموافقة على الإقامة ومشيراً إلى الحكمة الشعبية : إذا وجدت السيل في أسفل الوادي فلا تتقبل أعلاه، وكتب له أيضاً :

والحَق أنْ تمكُثَ حـيـثُ حـتـى يـكُـونَ اللّه عـنـه

و ذا التوجيه الأبوي بدأ سيدي الوالد يضع أسس المدرسة السلفية الدينية المتصلة نصاً وروحاً بالجذور التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، وا الَ سيلُ التلاميذِ الطالبين جـنـي العلمِ والقرآن على التوافُدِ لتسجيل أسمائهم [1]، حتى ذكر سيدي

للمزاح والدعابة، وقد اشتغل بالتجارة في أحور مع بعض أبناء عمومته فترةً من الزمن، وتـروى عنه بعض الحكايات والأخبار والقصائد والحكم والمداعبات شيئاً كثيراً إلا أ ا لم تثبـت، وقـد زاره سيدي الوالد ونحن معه سنة ١٣٨١ وهو على فراش المرض الذي أودى بحياته بعـد ذلـك بمدينة المحفد، وله ذرية مباركة منهم ولده الأكبر علي، وقد توفي سنة ١٤٠٥ .

(١) كان نواة هذه المدرسة الطلبة المهيئين بشيءٍ من معرفة آياتٍ من القرآن والـذين كـان لهـم شعاع ضئيلٌ في كتاتيب عرفتها البلاد، وقد ذكر بعض المعمرين أن أحور قبل وصول سيدي الوالد كان ا عدد من الكتاتيب :

١- معلامة السيد عبدالرحمن بن أحمد الحامد .

٢- معلامة السيد عبداللّه بن أحمد المعلم باهارون .

٣- معلامة إسماعيل ذيبيان .

الوالد أن عدد الطلبة المُـتْـبـتِـين في الليلة الأولى كان ثمانين طالباً، تم تسجيلهم في ساحة مسجد هاشم، ثم ارتفع عدد الطلبة مع مرور الأيام وانتشار خبر المدرسة الجديدة في القرى والبوادي .

وكان أول أمـر سـارع فيه معلم القرية الجديد هو الغراس الطيب الذي تحيا به القلوب وتروى به الجروب، الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إضافةً إلى القواعد الأولية في معرفة القراءة والكتابة، ومبادئ العبادات والحساب .

وقد قسم الوالد رحمه اللّه طلبة مدرسته إلى حلقاتٍ مختلفةٍ حسب مستوى المعرفة والإدراك، وكان جل تركيزه على نخبة التلاميذ الذين سبق لهم معرفةُ شيءٍ من مبادئ القراءة والكتابة ليكونوا عوامل مساعدةً له في تعليم وضبط أمور الطلبة الصغار، وقد ذكر أن بداية التعليم كانت بمسجد الحبيب مهدي بن محسن ثم انتقل إلى مسجد هاشم، ولم يقتصر أمر التعليم في هذه الفترة على الناشئة وحدهم وإنما كانت هناك مجالس ومدارس مختلفةٌ للكبار في مسجد الحبيب ومسجد هاشم وغيرها من المساجد التي كانت هدفاً لنشر الدعوة في هذا الإقليم .

٤- معلامة السيد علي بن أبي بكر العير من نسل الشيخ أبي بكر بن سالم .

وكانت مواد التدريس بدائيةً وبسيطةً تعتمد على ما يعرفه المعلم من قراءة كتاب اللّه تعالى، فيلقنهم القرآن تلقيناً ويعلمهم حروف الهجاء على ألواح من الخشب وأقلام من قصـب الـذرة وأشباهها ومداد من دخان السراج (السبلة) .

قال السيد عبدالرحمن بن مهدي الحامد وهو أحد الطلاب الدارسين في باكورة المرحلة كان التدريس في بيت الباشا بجوار بيت السيد عبدالله بن أحمد الحامد بحافة السادة، وفي ذلك المسكن سكن سيدي الوالد ومعه تلميذه كرامة سعيد محيفوظ، وكان من أوائل الطلاب في هذه المرحلة السيد مهدي أبوبكر الحامد والسيد محمد هارون بن عمر ومهدي ناصر أبوبكر وأحمد ناصر فريد، وهو أول من تعلم تجليد الكتب في المدرسة، وكان الحبيب علي يتودد إلى الطلاب ويباسطهم ويصنع لهم بعض قطع السكر، ويجعلها هدية لمن قِبلَ حلْق رأسِه .

هذا بالإضافة إلى شهوده مع البادية كثيراً من اجتماعا م وأفراحهم وأتراحهم ناشراً بينهم كلمة الحق العليا بألطف الوسائل وأحسنها .

ولم يكد العام الأول يمر على مقام سيدي الوالد في هذه البلاد حتى بدت العقول والفهوم تكتسي حلةً جديدةً، وهدى الله بالدعوة قلوباً عمياءَ وآذاناً صماء، ودخل الناس في دائرة العلم والعمل بالدين وإقامة الآداب والأخلاق بيقينٍ وثباتٍ عهداً جديداً قويت فيه شوكة الحق وخمدت فيه نيران الجهالة والضلال .

أَحْوَرُ مَدِينَةُ الغَرَائِبِ والعَجَائِبِ[١]

أحور عاصمةُ العوالق السفلى وكبرى مد ا، وقد سميت بالعوالق السفلى اشتقاقاً من نسبة حكامها الـقـائـمـيـن بالأمـر فيها خـلال وقبل دخول البلاد تحت نظام الحماية البريطانية من رعايا سلطنة العوالق العليا [٢]، ولا يعنينا من أمر التغير الإداري شيئاً في جمعنا هذا، والذي نحن بصدده أن سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى وصل إلى هذه البلاد إبان المرارة القاسية التي اجتاحت العالم من آثار الحرب العالمية الثانية [٣]، فوجد ا من العادات والتقاليد السيئة ما ينخر في بنيان الدين

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص٧ .

(٢) تتفق الأقوال المشهورة من ألسنة الثقات أن سلاطين البيت الحاكم بأحور استجلبوا من بـلاد العوالق العليا في حوادث قبلية ليس هنا مجال ذكرها، وقد كتبنا في ذلك « الطرف الأحور في تاريخ أحور » ـ والذي سيطبع بإذن اللّه في ثلاثة مجلدات ـ يحـوي تفاصـيل الأقـوال المذكورة ذا الشأن وما يتعلق به غيرها .

(٣) كانت آثار الموت والجوع والعري منتشرةً خلال تلك الحقبة الزمنية في طول وعرض ساحة الـبلاد كلها، حتى إن الناس اضطروا في كثيرٍ من البلاد الحضرمية إلى أكل الكلاب والحمير، ومما ذكـره سيدي الوالد عن ا اعة في تريم أن الرجل كان يرمي نفسه في قارعة الطريق وما به غـير الجـوع، فيغسل له « زير التمر المرزوم » ويسقى من مائه، فتدب فيه الحياة من جديد .

وفي مدينة أحور ونواحيها كان الناس آنذاك يعتمدون على السمك غذاءً رسميـاً في كـل الأوقات، وقد يأكلون التخ ويسمى عندهم العصار، وهو ما يبقى بعد عصـر السمسـم، فيقتاتون به الأيام الطويلة، وقد ذكر أن السلطات البريطانية كانت تمد المواطنين عن طريـق السلطان ببعض المؤن الغذائية التي تأتي ا الطائرات وتنـ ـزلها في مطـار الـبلاد بواسـطة المظلات، وكان ذلك جزءاً من سياسة الإعانة التي تقدمها الحكومة البريطانية لمحميا ا آنـذاك .

ويهدم في الأمة آثاره، فكان عليه أن يجرد النفْس والنفِيس في سبيل هداية الخلق إلى الصواب والجهر فيهم بكلمة الحق وعدالة القرآن وسماحة الإيمان وطهارة الإنسان في القلب والبدن واللسان، فكان ذلك دأبه وشغله الشاغل مستعيناً بمن ظهرت بشارات الخير على محياه من أهل البلاد ورجال الدولة .

ونتناول هنا ألواناً من تلك الظواهر السيئة التي كانت متفشيةً ومنتشرةً في أنحاء البلاد، وهي كون بعض المساجد مأوى للدواب، وبعض العادات والتقاليد السيئة، وهي : الأخذ بالثأر، والاعتقادات بالشياطين التي تشرب مياه السيول وتأكل الأسماك، والمس والخطرة، وعيد الشويللاه، والنياحة، والزار، وسنطيل في الأولى لغرض تعداد المساجد .

١ـ بعض المساجد مأوى للدواب

كان دخول سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى إلى بلاد العوالق السفلى إثر خمود حربٍ أهليةٍ كبرى أتت على كل شيءٍ في المدينة حتى بيوت اللّه تعالى .

وقد ذكر سيدي الوالد أنه اندهش اندهاشاً كبيراً لرؤية المساجد المهدمة الخربة تأوي إليها الدواب وسط البلاد وخارجها، وكان عليه أن يقوم بدعو الخاصة والعامة لاحترام هذه المشاعر وإعادة بنائها وعمار ا حساً ومعنى .

فقام سيدي الوالد بالاتصال بأولي الأمر وأهل الحل والعقد في البلاد لإعادة مظاهر الخير وعمارة مساجد الـبـلاد الخربة، فلبى الدعوة عدد من الناس الصالحين

وعمرت بعض هذه المساجد، وبقي البعض منها مهدماً، حتى يأت النفوس وعلمت حق اللّه في النفس والمال فاستأنف الكثير منهم الإصلاح لما أفسدته الحرب وتشييد ما دم .

وهنا نذكر نبذةً صالحةً عن بعض المساجد في البلاد مشيرين إلى ما كان منها معرضاً للدمار والخراب إتماماً للفائدة :

أ - **جامع حصن سالم بكدمة آل فريد**

وهو أحد المساجد القديمة في البلاد، ويقع بجوار دار الحكم القديمة للسلطان والمسماة بالمصنعة، وكانت المصنعة موقعاً لكل من يتولى الحكم من بيوت السلطنة الأربعة [1]، وقد ذكر المؤرخ السيد عبدالرحمن بن أحمد الحامد أن مؤسس هذا المسجد رجلٌ كان يطلق عليه اسم باضبحي، وكانت للمسجد أوقاف كبيرةٌ ذهبت وتلاشى معظمها وبقيت منها بقيةٌ تحت إشراف الحاج علي بن محمد هنبه إلى أن ذهبت الأموال والأراضي مع قيام قانون الإصلاح الزراعي، ولما مر على البلاد من إرهابٍ وخوفٍ وخرابٍ ومجاعاتٍ في الماضي بسبب الحروب الطاحنة، وقد ظل هذا المسجد المذكور إبان الحرب الطويلة هدفاً من الأهداف لقربه من رأس الفتنة وموقع

(١) كانت تتبادل سدة الحكم في البلاد أربعة بيوت هم :

١- بيت آل عبداللّه بن مهدي، ويسمون آل برهة، وكان منهم آخر سلاطين البلاد .

٢- آل أبوبكر بن مهدي، وكان منهم السلطان منصر بن علي الذي دخلت البلاد في عهده ضمن الحماية البريطانية .

٣- آل ناصر بن مهدي، وكان منهم السلطان بوبكر بن ناصر .

٤- آل ناصر بن علي، ولم يتول أحد منهم شوكة الحكم الرئيسة .

أوارها، ولذلك فقد تحول المسجد مراتٍ عديدةً ثكنةً عسكريةً للبدو الموالين والمقاتلين ولتوزيع السلاح والطعام وإدارة الغارات المفاجئة، كما يسدد الرماة من نوافذه وأبوابه بنادقهم إلى حيث يريدون الرمي والتصويب، ولم يعد أهل البلاد يشهدون به جمعةً ولا جماعةً، وحل محله في جمع الناس للصلاة مسجد الحبيب والذي سنتحدث عنه في السياق الآتي .

وظل هذا الجامع المهجور عهداً طويلاً وهو على هيئته المخيفة البشعة حتى بعد أن وضعت الحرب أوزارها .

ولما وصل سيدي الوالد إلى هذه البلاد دعا الأهالي إلى إعادة البناء والعمارة وخاصةً أولئك الذين كانوا يشرفون على أوقاف المسجد المذكور، ولبى الأمر عدد من المواطنين وبعض رجال السلطان، وأعادوا ترميم هذا الجامع لتعود فيه الصلاة على عاد ا السالفة دون صلاة الجمعة حيث انتقلت إلى غيره [1] .

---

(١) مما يؤسف له أن دائرة الإهمال دارت مرةً أخرى على هذا المسجد اليتـيم، حيـث هجـره المصلون وتلاشت أوقافه وأراضيه، وعاد للدواب مرةً أخرى، وذلك بعد أن عدت العوادي على أهل تلك المنطقة وعمهم صوت الإرهاب بعد التغيير الاجتماعي وتفضيل من بقي منـهم الصلاة في المساجد القريبة أو في البيوت، ولما هيأ اللّه الأسباب وخرج الوطن من دائرة الإلحاد هيأ اللّه لهذا المسجد من أعاد عمارته من جديد، وقد زرناه وأقمنا فيه عدة مجـالس علميـة، وفيه الآن حلقات للقرآن يقوم ا أهالي القرية .

ب - **مسجد الغريب** « **مولى الخداد** » [1]

مسجد صغير يقع على الجانب الشمالي الغربي من البلاد بناه الشيخ عبدالله علي مولى الخداد، وهو داعيةٌ إلى الله مصري الأصل جاء إلى أحور داعياً ومعلماً، وتوفي ا سنة ٩٠٠ .

وقد امتد الإهمال إلى هذا المسجد خلال الحرب وبعدها وأهمله المصلون لوقوعه خارج المدينة على مقبرةٍ كبيرة، وقد ذكر أنه كان في قديم الزمان مسجداً عليه أوقاف ورعايةٌ وجرايات وخدام، وكان بعض البادية يأتون إليه كل عامٍ لعقد زيارةٍ مشهودةٍ لصاحب المسجد.

وقد كان هذا المسجد النائي موقعاً لتجميع القتلى وغسلهم وتكفينهم خلال الحرب الكبرى، وأصبح بعد انتهائها كذلك لم يتغير في واقعه شيءٌ يذكر، وحتى بعد قدوم سيدي الوالد إلا أن بعض المحسنين وممن بقي من المشرفين على أوقافه قدموا لهذا المسجد بعض الفرش المحلية، ووضع بجواره زير يوضع فيه الماء لابن السبيل، ورممت أجزاءٌ منه ترميماً بسيطاً .

ولا زال هذا المسجد الصغير يمثل الصومعة المنفردة على تلك المقابر المتناثرة، لا يدخله أحد بقصد الصلاة إلا إذا كان ماراً في طريقه إلى الحقول أو قادماً منها إلى

---

(١) يشرف على أوقاف هذا المسجد أحمد بن علي لعرج من المواطنين القدامى في أحور، وقـد ذُكر أنه لا زال حتى اليوم قائماً بأمر هذا المسجد المنعزل، وخاصةً بإقامة الحضرة الأسـبوعية المتوارثة من قديم الزمان كل يوم أحد، وكذلك بإقامة طقوس الختم السـنوي المقـام في ١٩ من رمضان .

السوق أو جيء فيه بجنازة بدوي اعتاد أهله أن يدفنوا موتاهم في مقبرته الواسعة، فيصلى عليه فيه بعد أن يغسل ويكفن .

وقد أُطلق على المسجد « مولى الخداد » نسبةً إلى صاحبه الذي اختار عزلةً لا زالت مبنيةً بجوار المسجد سكناً له تشرف على أخدودٍ كبيرٍ كان هناك من آثار السيول المتلاحقة على تلك المنطقة [1] .

جـ - مسجد أحمد بن شيخ بن عقيل

مسجد ينسب لهذا السيد العلوي المذكور، ويرتفع نسبه إلى الشيخ أبي بكر بن سالم مولى عينات، ولربما يعود تاريخ المسجد إلى تاريخ هجرة السادة العلويين من تريم إلى أحور كما ورد ذلك في « شمس الظهيرة » : « إن من ذرية الحبيب علوي بن أحمد السكران المتوفى بزيلع سنة ٩١٧ ولدان هما جعفر بن جعفر وشيخ بن عبدالرحمن بأحور » .

وجاء في ص٣٥ : « أن الولد السابع من أولاد الشيخ عبداللّه السقاف المتوفى بتريم عام ٨٥٧ هو السيد علوي جد آل المكنون بأحور والغيل وسورت والشحر » .

وجاء أيضاً في « شمس الظهيرة » ص٣٦ : « إن من ذرية الإمام السيد عقيل بن سالم خمسة بنين منهم شيخان، عِقبه بالمكلا وعمان وأحور والهند » .

(١) كان يقام لهذا المسجد ختم سنوي كل عامٍ في ١٩ من شهر رمضان يحضره الوجهاء والسادة وغالب أهل البلاد حتى ضاعت أوقاف هذا المسجد، وأُهمل أمره وشأنه، فلم يعد أحد يقرأ فيه أو يصلي صلاة التراويح كما كان .

وتعددت في ثَبت الحبيب عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور المسمى بـ « شمس الظهيرة » وفي « خدمة العشيرة » وهو مختصره، وفي « المشرع الروي » وفي ثبت الأنساب المسمى بـ « الشجرة للسادة بني علوي » الإشارات لرحلات عددٍ من ذرية السادة إلى بلاد العوالق السفلى أحور، ولازال من عقبهم وذريتهم بيوت كثيرةٌ، ولعل هذا المسجد المنسوب لآل أحمد بن شيخ هو أثر من آثار موجات الهجرات الأولى، إذ ورد في « ملاحظات السيد المؤرخ عبدالرحمن بن أحمد الحامد » أن أحمد بن شيخ المذكور ينتسب لآل الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات .

وتجمِع الأقوال أن هذا المسجد الأثري القديم كان مندثراً قبل الحرب الكبرى وبعدها، ولم تمتد إلى صلاحِه يد أحدٍ، ويعود ذلك لا دامه وعدم صلاحيته وبعده عن موقع الأغلب من الناس، ولوجود مساجد أخرى أقرب منه في المسافة، كما أن السبب الأهم من ذلك ضياع أوقافه واندثار أصحابه قبل مئات السنين [١] .

وقد كان بالنسبة لنا ونحن في مرحلة الصبا موقع أرواحٍ ووحشةٍ، نحذر الدخول فيه، ونستطلع القبور التي ينِي عليها خلف جدار المسجد من مكانٍ بعيدٍ، إذ هي قبور تحيط ا جدر مبنيةٌ من كل الجهات، وأغـلـب الظن أ ا قبور السادة المذكورين آنفاً، والذين سكنوا هذه البلاد في تلك العصور الأولى .

---

(١) في تاريخ ٢١ رمضان من كل عام كان يحتفل بختم مسجد آل أحمد بن شيخ منذ قديم الزمان حتى اندثر المسجد فظل هذا اليوم شاغراً بين أيام الختوم المعروفة بأحور إلى اليوم .

د- مسجد الحبيب مهدي بن محسن الحامد [1]

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص٦، وقد ترجم للحبيبِ مهدي بن محسن بن أبي بكر بن علي بـن عبدالله بن سالم بن عمر الحامد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم وليد بلد أحور ودفينها، تـرجم له في « تاج الأعراس » الجزء الثاني (٢: ٥٧٦) بما مثاله :

الحبيب الآخذ بالعزائم، الزاهد العالم، والذي لم تأخذه في الله لومة لائم، قصد الحبيب صالح بن عبدالله العطاس إلى بلدة عمد، واعتكف بين يديه مدةً طويلةً على طلـب العلـم الشريف، حتى تضلع من كل فن منيف، وتحكم له ولبس منه، وكان الحبيب صـالـح يـعـده من أولاد روحه، وكان الحبيب مهدي قد تفقه على الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر بالمسيلة ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، وصـار يكاتب الحبيب صالح بمكاتبات كلها شوق وذوق، يطرب لها الحبيب صالح ويتعجب، وأخذ الحبيب مهدي عن علماء الحرمين واليمن ثم رجع إلى أحور ونشر ا الدعوة إلى الله وبنى ـا مسجده المعروف، وحصل به النفع العام، كما أنه جد واجتهـد في إصـلاح ذات الـبين، وكان له ميلٌ قلبي إلى الطاعة وقوة إرادة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وجاء في « شجرة السادة الأشراف بني علوي » التي جمعها ورتبها النسابة الفقيه العلامـة الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور ما مثاله :

مهدي بن محسن، كان سيداً فاضلاً جليلاً حفيلاً متواضعاً عالماً له جاه وحشمةٌ، طلب العلم بحضرموت ورجع وتوفي بأحور لثلاث عشرة مضت من شعبان سـنة ١٣١٥ هـ ـ، وكان له أتباع وتلامذةٌ ومريدون أفادوا واستفادوا، ومن بركاته وأنواره استزادوا، حتى بلغ الخير أحفاده فنهج بعضهم على سنن منهاجِه، وحملوا شعلة العلم وسراجه، كحفيده الســيد عبدالرحمن بن أحمد الحامد، وإخوانه مهدي ومحمد المصري وعبدالله ومهدي، ونـال مـن بركته بعض محبيه كآل النجار وآل باسودان وغيرهم.

وأما سبب سفره إلى حضرموت فكان لحديثٍ طريفٍ، وهو أنه خرج سيارةً على عـادة أهل البلاد مع إحدى القبائل لتأمينها في رحلتها من أحور إلى المحفد، فلما كـان في بعـض الطريق خرج عليه بعض البدو يرأسهم بدوي اسمه (يسلم الربح) فنهب القافلة بما فيهـا ولم

مسجد قديم جدد وأصلح مراتٍ عديدةً، وقد ذكر السيد عبدالرحمن بن أحمد الحامد أن المؤسس الفعلي لهذا الجامع هو خادم الشيخ أبي بكر بن سالم أحمد بن عبدالرحمن باجواس عام ٨٧٦، وقد هدمته الأمطار الغزيرة وأعاد بناءه وإصلاحه الحبيب مهدي بن محسن عام ١٢٤٢ [1]، حيث قَدِم إلى البلاد من الحجاز واليمن

يأبه بتهديد السيد ولا وعيده، فما كان من السيد مهدي بن محسن إلا العـزم علـى عـدم العودة إلى البلاد بعدما حصل له من الإهانة من ذلك البدوي، فتوجه إلى حضرموت ونـزل على الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر بالمسيلة وارتبط به ارتباطاً قويـاً، وحـط الحبيـب عبدالله نظره عليه،وملأه بالعلم والتقوى وأدب الأسلاف،فكان الحبيب مهدي بعـد ذلـك يرتب لذلك البدوي الفاتحة لما كان من فعله و به للسيد من الفائدة والخير حتى قال في ذلك:

جزى الله المَصائِب كُل خيرٍ　　　　أفادتنا علُوماً نافِعاتِ

ومما وجدته في « فوائد السيد سالم بن محمد السقاف » أن مِن جملةٍ من كتـب كـلام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر تلميذُه الحبيب مهدي بن محسن الحامـد، وقـد وجـدنا نسخةً منه لدى أولاده بأحور .

(١) لما قدم الحبيب مهدي من حضرموت إلى أحور بعث معه الحبيب محسن بن علوي السـقاف رسالةً هامةً إلى السادة آل الحامد بأحور ضمنها نصيحةً وتذكيراً، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يا أيها الذِين آمنوا استجيبوا للّهِ وللرسول إذا دعاكُم لِما يحيِيكُم } الآية، الحمد للّـه وهو حسبنا ونعم الوكيل، نسأله ونبتهل إليه أن يهدينا إلى سواء السبيل، وأن يأخـذ بأيـدينا نحوه، ويردنا إليه رداً جميلا، وأن يلحقنا بالأسلاف، مِن كُمل سادتنا الأشراف، الذين مضـوا على قدم الصدق إلى الرب الجليل، جِيلاً بعد جيل، وقَبِيلاً يتلوه قبيل، اتباعاً واقتداءً بجـدهم صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه بكرةً وأصيل .

والسلام ورحمة العزيز العلام، يهديان إلى السادة الكرام، سلالة السادة الأعلام، سـيدنا الشيخ محسن والشيخ حسين والشيخ ناصر بني سيدنا الشيخ أبي بكر بن علي الحامد وفقنا الله

وإياهم لفعل المكرمات والعمل للباقيات الصالحات، وجعل لنا ولهم واعظاً من قلوبنا يسـوقنا إليه، وتوفيقاً منه يهجم بنا عليه، إنه ولي ذلك، والمتفضل بما هنالك .

« اللهم اهدنا في من هديت، وعافنا في من عافيت، وتولنـا في مـن توليـت، آمـين » صدرت من وادي الأحقاف، ومستوطن السادة الأشراف، أسلافكم من أهل العلم والعفاف، والعدل والإنصاف، الذين لا لهم شغلٌ إلا مولاهم، ولا لهم مطمح ولا ملمح إلا في أخـراهم، أولئك الأبرار، والمتقون الأخيار، نفعنا اللّه وإياكم ببركا م، ورزقنا الاقتداء م في حركـا م وسكنا م، وجعلنا ممن شمله قوله : { أَلْحقْنا بِهِم ذُرياتِهم } لنكون من الفائزين، غداً عنـد رب العالمين . آمين، اللهم آمين .

وإن سألتم عن أخبار الجهة فهي صالحة وساكنة على حسب ما كان سـابقاً، والسـبل سائرة، والمدن عامرة، ونفحات اللّه منتظرة وعامرة، وعوائده جميلة، وعطاياه جزيلة .

هذا سادتي، والموجب لهذا التعريف، إلى جنابكم الشريف، وحماكم المنيف، لا زال محميا بعناية خفي الألطاف، أ ا حصلت المذاكرة مع ولدكم السعيد الطـالع، المتنسـك الطـائع، المهدي اسماً وحقيقة، وسلوكا وطريقة إن شاء اللّه تعالى، وذلك من جهتكم وجهة أرضـكم وزيارتكم ورؤيتكم، وقلنا له : لعله يقدر اللّه المسير إليكم لقصد ذلك، فوجدناه راغباً ومحبـاً لما هنالك، وحريصاً على التذكير والمذاكرة والنفع والانتفاع، اتيك الأمـاكن والبقـاع، لا سيما مع إخوانه من السادة الأمجاد، وغيره ممن أراد اللّه له الهداية والرشاد .

وحاصله أنا والحبايب حرضناه على الطلوع لقصد ذلك المقصد الصالح، لتتم به المصالح، تراه صدر إليكم، فنطلب من مولانا الذي بيده قلوبنا وقلوب الكل، ثم بعـده مـنكم بـأن تساعدوه وتعاونوه وتعاضدوه على نشر الدعوة إلى اللّه وإلى سبيل رضاه وتأخـذوا بيـده في ذلك، وتحثوا أولادكم وسائر أهل بلدكم على حضور مجالس التذكير والتعليم، ليحصل لكـم بذلك الفضل العظيم والقدر الفخيم، لأنكم الآن الأصل والرأس، كيف الآن وأنتم من خـير أمة أخرجت للناس، ومن البضعة الطيبة الأنفاسِ والغِراس، فباللّه عليكم أن تبذلوا جهدكم في ذلك الشان، وتقوموا معه بالجنان واللسان، وأبشروا بكل خـير وإحسـان، وبرفـع القَـدر والشان، عند الرحيم المنان، ولا يخفى علمكم ما مضى عليه من نشر العلم والدعوة إلى اللّـه

مع غاية الجد والاجتهاد، في طاعة البر الجواد، كمثل جـدكم أبي بكـر وأولاده وأحفـاده الأسياد، فما هممهم إلا اعتناق العلم والعبادة، مع كمال التحقيق والزهادة، مجانبين للرسـوم والعادات والزخارف المستحيلات، وهكذا من قبلهم ومن بعدهم من السادات، وأنتم فـيهم ومنهم إن شاء اللّه تعالى، ونرجو من اللّه وصول الولد مهدي إليكم أن تنتعش البلاد والعباد، وأن تكون منكم المساعدة على ذلك المراد، وقد أشار عليكم بذلك أجِلاّ إخوانكم العلويـة، فامتثلوا الإشارة، وأبشروا بكل بشارة، فهذه هي التجارة، { قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وبِرحمتِهِ فبـذلك فلْيفْرحوا هو خير مِما يجمعون }، و{لِمثل هذا فلْيعمل العـاملون}، {وفي ذلـك فلْيتنـافسِ المتنافسون}، وهذا منا صدق محبة وصدق نصيحة، ووفاء بحق القرابة القريبة التي بيننا وبيـنكم نسباً ومذهبا، فخذوها بقوة وأمروا أصحابكم وأولادكم ا تروا غِبها وجزاءهـا في الـدنيا والأخرى، عزاً وفخرا، ورِفعةً وقَدرا، وعدةً وذخرى .

وقد وصلنا إلى عند أصحابكم بعينات، وكذلك صدرنا بعض أولادنا إلى لحج وحريضـة لنشر العلم والدعوة والتعليم، وحصل التأثير والإذعان والاستماع، وهما الآن على خير كـبير من إقامة الصلوات والجماعات، وحضور ا الس والمدارس ونرجوا من اللّه أن يكـون لكـم أجزل الحظ والنصيب ببركة جدكم صلى اللّه عليه وسلم، وسيدنا الشيخ أبي بكر بن سـالم نفعنا اللّه ببركا م، وبلسن (بلسان) الولد مهدي كفاية، وعليه نظر من أفاضل الحبايب، فـإن حصل به النفع عندكم وإلا فيزوركم ويرجع ويحصل به النفع والانتفاع، وأسـأل اللّـه ألا يصلنا منه ومنكم إلا الخير السار، من نشر المبار، والمساعدة على ذلك الشـان لـيلا و ـار، والسلام .

ويسلمون عليكم الحبايب سيما سيدنا الحبيب الحسن بن صالح البحر، والأخ شـيخ بـن عمر، وسلموا لنا على الحبيب أحمد بن زين بن شهاب، والحبيب عقيل، والسادة آل الجفري، وكافة الحبايب الذين بأحور والمشايخ آل بلجفار وآل بانافع، والكتاب لكم ولهـم واحـد، وعلى الأموات الجميع .

تـم ذلـك ونـقـل كما وجد حرفا بحرف من سيدي الصفوة الصـفية بـاذلا للّـه ناصحا محسن بن علوي بن سقاف الساكن بحضرموت ببلدة سيئون منبـع العلـم والعـدل

ورتـب فيه الدروس ومجالس العلم والذكر والوعظ فأصبح جامعاً مرموقاً ومعهداً معروفاً يفد إليه الوافدون ويقصده القاصدون، وتحولت إقامة صلاة الجمعة إليه بعد أن شبت نار الفتنة الكبرى في البلاد وهدم الجامع الأول في **كدمة** آل فريد .

وظـل هـذا الـجـامـع علماً ومناراً حتى بعد وفاة الحبيب مهدي بن مـحـسـن حـيـث ضعفت حركة التعليم ، وأجدبت قرائح الطلبة بإجداب الواقع الأليم ؛ ولكن المسجد ظل معموراً بإقامة الجمعة والجماعة وظل كذلك حتى زيارة سيدي الجد أبي بكر إلى أحور عام ١٣٥٣، وكذلك بعد استقرار سيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور بهذه البلاد حيث كان نـزوله أولاً بهذا المسجد المبارك، وفيه أقيمت أول دروس العلم، وفيه أيضاً وضعت أسس المدرسة الأولى التي أشرف عليها سيدي الوالد رحمه الله تعالى .

وقد تولى سيدي الوالد فيه خطابة الجمعة عدة سنواتٍ خلفاً للسيد عبدالرحمن بن أحمد الحامد الذي تنازل لسيدي الوالد عن الخطابة اعترافاً بحق سيدي الوالد المتجرد للدعوة الإسلامية .

ولم يكد سيدي الوالد يخطب الناس فترةً وجيزةً حتى أخذ يدرب بعض تلاميذه على مهمة الخطابة يوم الجمعة في هذا الجامع الميمون، وقد تدرب على أعواد منبر هذا المسجد كل من السيد مهدي بن أبي بكر الحامد والتلميذ عبدالله بن صالح

والإنصاف، وقد صار ذلك منه وصيةً ونصيحة للسادة الأشراف آل الشيخ أبي بكـر، وهـم محسن وحسين وناصر وفقهم الله ووفقنا لوصيته ونصيحته . آمين .
نقل بشهر عاشوراء تاريخ سنة ١٣٦٧ بخط أحمد بن جنيد بلجفار .

السهل والفقير كاتب الترجمة وعدد من الطلاّب النا ين، كما كان يخطب بعد ذلك على أعواد هذا المنبر الأستاذ أبوبكر بن عبداللّه بن سميط .

ولقد كانت لدى سيدي الوالد هذه التدريبات جزءاً من التربية العملية التي ينهجها مع طلابه وأولاده، كما كان هذا المسجد مكاناً لاجتماع النسوة اللاتي يرغبن في الموعظة والتذكير في بعض الليالي المقررة لهذا الغرض وخاصة في بعض الأعياد الدينية وشهر رمضان المبارك .

وقد ذكر السيد عبدالرحمن بن أحمد الحامد أن سيدي الوالد في باكورة دخوله إلى أحور أقام دروساً خاصةً خلال شهر رمضان بعد صلاة العصر في مسجد الحبيب المذكور حتى جاءه الإذن من والده بالاستقرار في البلاد وتعليم الجهال ا .

هـ - مسجد الشيخ جمال الدين السقاف

مسجد قديم البنيان والتصميم بني على أكَمةٍ صغيرةٍ في وسط البلاد، بناه السيد العلامة محمد بن أبي بكرٍ جمال الدين من ذرية الإمام عبدالرحمن السقاف من مواليد الهند، يقال : إنه قدم إلى أحور معاصراً للحبيب عبد اللّه بن علوي الحداد بحضرموت ونـزل بمدينة أحور داعياً إلى اللّه تعالى خلال فترةٍ مزدهرةٍ بالعلم والطلب كانت قديماً ذه البلاد، ولها شواهدها وآثارها .

ولما حضرته الوفاة دفن قريباً من مسجده المذكور وبنيت عليه قبةٌ كبيرةٌ في مقبرةٍ قديمةٍ لا زالت معروفةً حتى اليوم باسمه، وقد جرفَت جزءاً كبيراً منها سيولُ المواسم

المتعاقبة على البلاد، وتعقَد لهذا الضريح زيارةٌ كل عامٍ في ختم المسجد ليلة السابع والعشرين من رمضان .

ومما يذكر عن هذا المسجد قديماً أن صاحبه ترك له أوقافاً كثيرةً يشرف عليها بعض المواطنين، ولا زال منهم من يتولى هذا المنصب حتى اليوم، وللبدو في هذا الولي اعتقاد كبير حتى إن الأغرب في هذا الأمر امتناعهم عن الحلف إلا عند رأس ذلك الولي في ضريحه، وكم كنا نشاهد بعض البادية يخرجون من دار المحكمة العرفية إلى تلك القبة ليؤدوا القَسم المذكور، وقد استنكر سيدي الوالد هذا الأمر وبـين لهم أن الحَلِف لا يكون إلا باللّه تعالى وحده ؛ ولكن آثار الجاهلية تطغى على شعائر الإسلام في نفوس البوادي عادةً حتى مع التذكير والموعظة .

وقد كان هذا المسجد المذكور بؤرة الانطلاق للحرب الكبرى التي شهد ا البلاد خلال السبعة الأعوام السوداء حيث شبت الفتنة على بعد أمتار قليلة من هذا المسجد، والتجأ عدد من المقاتلين والجرحى إليه، وأصبح بعدها هدفاً رئيساً خلال ذلك اليوم الأول للمعركة، وقد ذكرت الآثار القولية أن عدداً من المقاتلين أصيبوا في صحن المسجد وداخله .

وقد بادر سيدي الوالد بعد وصوله مباشرةً إلى الاهتمام بعمارة هذا المسجد واتخاذه معهداً للعلم ومدارسة القرآن فيما لحق من السنين، إذ عرفناه خلال باكورة حياتنا موقعاً للتعليم والمذاكرة بين العشائين وبعد صلاة الفـجـر، وقد اختاره سيدي الوالد بعد استقراره في جول مهدي موقعاً لصلاتي المغرب والعشاء ولصلاة

الصبح[1]، وكانت تعقد به حلقات الفقه والتفسير والقرآن بعد المغرب من كل ليلة ما عدا الـجـمـعـة، كما تعقد بعد صلاة الصبح حلقات أخرى للفقه والنحو ومدارسة الواجبات والتكليفات المناطة بالطلاب، ولما كان هذا المسجد في وسط البلاد الفسيحة فقد كان يزداد عدد المصلين فيه دائماً، وخاصةً من الجنود الذين كانوا يسكنون قريباً من هذا المسجد، ولربما اختار سيدي الوالد هذا المسجد لغرض نشر الدعوة بين الغرباء الذين يدخلون البلاد بعاداتٍ وأخلاقٍ تختلف عن العادات والأخلاق التي ينادي ا سيدي الوالد بين أهل البلاد، ولذلك كان يذهب إلى الجنود في معسكرهم في بعض الليالي يدعوهم إلى الهدى والخير ويجذ م إلى العبادة والصلاح .

وظل سيدي الوالد مواظباً على الاهتمام ذا المسجد حتى تقلصت حركة التعليم المطلق ودخلت البلاد ضمن حركة التعليم الحكومي، فعاد مسجد جول مهدي القريب من مسكنه يصلي به بعض الصلوات ويصلي غيرها في مسجد الجامع الجديد، وفي سنة ١٤٠٧ هدم مسجد الشيخ جمال الدين وأعيد بناؤه من جديد على نفقة بعض أهل الخير .

---

(١) كان من جملة من اعتنى ذا المسجد وإصلاح أمره الحاج صالح بن عبد الله العاقل حيث كان له يد عليا في الاعتناء به على مر السنين، وكان من المواظبين على الصلاة فيه مـع إخوانـه وأولاده، وكان سيدي الوالد في بداية الأمر قد رتب صندوقاً مالياً يشـرف عليـه الحـاج المذكور يدفع فيه كل من تخلف عن الصلاة مبلغاً مرسوماً كل يوم، ثم يصرف في مصـلحة المسجد ذاته، كما أن لهذا المسجد بعض الأوقاف يشرف عليها الحاج علي هنبه وأولاده منذ عهد قديم، وقد اضمحلت هذه الأوقاف بعد تنفيذ المسح الزراعي في البلاد .

و - مسجد هاشم

مسجد قديم التأسيس ينسب إلى الشيخ هاشم، ومؤسسه كما يخبرنا السيد المؤرخ عبدالرحمن بن أحمد الحامد هو السيد أبوبكر بن فدعق من ذرية الحبيب عبد اللّه باعلوي [1]، وكان المسجد يسمى مسجد النور، وهاشم الذي سمي المسجد بعد ذلك باسمه إنما هو أحد أئمة المحراب الذين اعتنوا بالمسجد وقاموا فيه، وقد حفظ لنا الزمان قبراً عليه بناءٌ بجوار المسجد من الجهة الشرقية يقال : إنه ضريح الشيخ هاشم المذكور، وقيل : إنه قبر صاحب المسجد السيد أبوبكر بن فدعق، وأما قبر الشيخ هاشم فهو بين القبور الأخرى المتناثرة أمام باب المسجد، كما تقع مقبرةٌ

(١) للحبيب عبد اللّه باعلوي علاقةٌ وطيدةٌ بهذه البلاد، إذ جاء في العديد من التراجم دخوله إلى أحور لطلب العلم والأخذ على الشيخ عمر ميمون بجربة الخماري بحصن بحران، ومن ذلك ما ورد في « المشرع الروي » ص٤٠٣ (الطبعة الثانية) ما نصه :

ثم ارتحل إلى اليمن، فدخل مدينة أحور وأخذ بها على الشيخ عمر ميمون، وهو - أي: الشيخ عمر - من تلامذة الشيخ أحمد ابن أبي الجعد، ثم ارتحل إلى مكة بقصد حج بيت اللّه الحرام، وأقام بها وبالمدينة قرابة ثمان سنين أو تسع، ثم خرج متجهاً إلى تريم، وعبر اليمن للأخذ والإلباس، ثم قصد مدينة أحور لزيارة شيخه الإمام عمر بن ميمون، فوجده قد مات وقد غسلوه وكفنوه، وكان الشيخ عمر لما احتضر طلب أصحابه منه أن يقدم عليهم واحداً منهم يكون خليفته من بعده، فقال لهم : « إذا مت فغسلوني وكفنوني وسيقدم عليكم عند ذلك شيخ صفته كذا وكذا، فهو الشيخ بعدي فقدموه للصلاة علي»، فلما قَدِم الحبيب عبد اللّه باعلوي على الصفة المذكورة أخبروه بوصية الشيخ فتقدم وصلى عليه، وألزموه الإقامةَ عندهم ليكون شيخاً عليهم فاعتذر عن ذلك، ثم رأى ولد الشيخ عمر أهلاً للمشيخة فحكمه وألبسه الخرقة الشريفة وأقامه شيخاً عليهم، وقال له : «أُشدد خواصرك فإني أمرت بتقديمك»، ثم ارتحل عنهم .

أخرى في الجهة الشمالية للمسجد جعلها أهل البلاد مدفناً لأموا م، وهي من أقدم المقابر في البلاد .

ويعتبر مسجد هاشم من أهم المساجد التي نالت اهتماماً كبيراً من جانب سيدي الوالد منذ قدومه إلى البلاد، وقد كان أيام دخوله إلى البلاد شبه مهجورٍ ولكن الوالد منذ أن فتح للطلاب باب التعليم جعل هذا المسجد نواة الاجتماع لذلك، وتجدد الإصلاح فيه مرةً بعد مرةٍ، وخاصةً بعد أن بنى السلطان بجواره المدرسة الأولى، فصار موقعاً ملائماً للدعوة والتعليم وإقامة الصلوات، ومما رتبه سيدي الوالد في هذا المسجد خلال فترته الأولى :

أ- إقامة حلقات تعليم القرآن والعربية كتابةً وقراءةً مستعيناً بالطلبة النابغين الذين سبق لبعضهم نيلُ قسطٍ من مبادئ التعليم في الكتاتيب .

ب- الإمـامـة بالناس في الصلوات الخمس ما عدا صلاة الجمعة حيث كانت تقام في مسجد الحبيب مهدي بن محسن، والذي يقع قريباً من موقع المسجد المذكور، وبعد سنواتٍ عديدةٍ انتقل مسكن سيدي الـوالـد مـن المـدرسـة الأولى إلى حـول مـهـدي، فاستخلف على المسجد الأستاذ أبوبكر بن عبد اللّه بن سميط [1]، والذي كان يصلي بالناس معظم الصلوات، وخاصةً بعد أن تزوج

---

(١) الأستاذ أبوبكر بن عبد اللّه بن سميط من مواليد تريم « حضرموت الداخل »، نشأ وترعـرع على رعاية أبيه وكان رابع إخوانه الذكور، تلقى تعليمه إلى المرحلة الثانوية أو مـا يعادلهـا بحضرموت وكان نابغاً وشديد الذكاء بمدرسة الأخوة والمعاونة إبان مراحله الأولى من التعلـيم وما تلاها، حتى ظهر علَماً في علوم عصره المقررة على الطلاب آنذاك .

سافر بعد تخرجه إلى عدن باحثاً عن عملٍ مناسبٍ، فساقته الأقدار إلى السـلطنة الفضـلية آنذاك « زنجبار أبين »، وعمل ا مدرساً لطلاب المرحلة الابتدائية، ثم انتقل إلى أحور عـام

وانتقل بعائلته إلى تلك المـدرسة، واكتفى سيدي الوالد بإمامة الناس لصلاة العصر فقط حيث يأتي إليه ليذهب بعد ذلك للمدرسة الميمونة التي بنيت خارج البلاد ليقيم روحته العصرية .

جـ - تخصيص ليلة الجمعة من كل أسبوع مولداً نبوياً يقام بعد صلاة العصر ويلقي فيه سيدي الوالد بعض التوجيه للمسلمين .

١٣٦٩ هـ، وسكن بادئ أمره مع طلبة العلم القاطنين بالطابق الأسفل من المسكن الجديـد الذي بناه سيدي الوالد، وخلال فترةٍ وجيزةٍ استقر به الحال في أحور وعمل مساعداً أميناً لسيدي الوالد في المدرسة الميمونة، وأفاد الطلاب بحسن أخلاقه ودقة نظامه وغزارة علمـه في مادة تعليمه، واقترح عليه أن يتزوج بأحور فوافق على الأمر وخطبت له البنت الصغرى مـن بنات الجد أبوبكر بن عمر الحامد منصب البلاد، وتزوجها وسكن ا في الطابق الأعلى مـن منـزل سيدي الوالد، حيث خصصت له غرفةٌ خاصةٌ حتى من اللّه عليه بالأولاد فاسـتأذن سيدي الوالد في شراء المدرسة الأولى التي بناها السلطان عيدروس والتي استغني عنها بعد بنـاء المـدرسـة الميـمـونـة الكبرى، فبيعت له وأقام ا مع عائلتـه وأولاده مشـاركاً في كل المدارس وا الس والندوات والمسابقات، وقريناً مهماً في كل النشاطات الـتي عرفتـها البلاد خلال تلك المرحلة .

وعـيـن خلال التحاق المدارس بحكومة الاتحاد مديراً للمدرسة الميمونة بينمـا عـيـ ـن سيدي الوالد مشرفاً عاماً للتعليم في السلطنة عام ١٣٧٩، واستمر على ذلك الحـال يـنظم شؤون المدرسة ويـسـاعـد أبي في مهمته الإشرافية حتى عام ١٣٨٠ تقريباً حيث رفع إلى وزارة التربية طلباً بحقوقه ورغبته بعدها في الاستقرار بحضـرموت مسـقط رأسـه وموطنـه الأصلي، وتم له الأمر حيث كان قد شيد بناءً خاصاً له في تريم بناه خـلال أعـوام إقامتـه بأحور، فكان عام ١٣٩٠ آخر العهد منه بأحور، وله من البنين أربعة، ومن الإناث ثـلاث .

د- تخصيص صلاة الظهر بالمسجد المذكور خلال فترةٍ زمنيةٍ تقارب العام كان يجمع فيها كافة طلبة المدرسة الميمونة للصلاة فيه ثم يقرر لهم شيئاً من منظومته الفقهية المسماة « هدية الأطفال » على مذهب الإمام الشافعي بعد أن يرتجزوا بأبياتٍ منها .

ولهذا المسجد ليلةٌ من كل عامٍ فيها ختم عام يجتمع فيه أهل البلاد ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، ويتلى فيه بعض الأناشيد المعتادة في شهر رمضان، ثم خطبة المعروف، ودعاء بر الوالدين، وتلحقه مذاكرات من بعض العلماء، ثم تتم الزيارة لضرائح الأولياء المدفونين بجوار المسجد، ولا زالت هذه القاعدة قائمةً حتى اليوم، ومما تجدر الإشارة إليه أن الجهة المعنية خلال هذه المدة بأمر هذا المسجد وترميمه وإصلاحه جماعةٌ من المواطنين يسمون « آل عقبه »، وخاصةً أكبرهم مقاماً الحاج محمد أحمد عقبه وأخوه أبوبكر عوض عقبه، واللذان لهما فضلٌ كبير في الاهتمام بالمسجد وإعادة بنائه وترميمه مراتٍ ومراتٍ، ويقوم الآن بالإمامة فيه أحد السادة من آل باهارون واسمه السيد عبد اللّه بن علي باهارون .

ز - **مسجد آل الشيخ أبي بكر بن سالم بجول مهدي**

من المساجد القديمة التي كانت شبه مندثرة بعد فترة الحرب المذكورة آنفاً، ومع كونه في موقعٍ لم يتأثر بالمنازعات والمعارك إلا أنه نال نصيباً من الإهمال وعدم العناية، بناه الحبيب مهدي بن علي بن عبد اللّه بعد خروجه من محلة السادة المسماة بـ « كدمة السادة » إثر نـزاعٍ حصل بينه وبين أبناء عمومته، فخرج إلى تلك المساحة الواسعة وبنى ا داراً ومسجداً وحفر بئراً وحدد لمنطقته حدوداً تسمى الحبط، وهي حدود أمنيةٌ للعدو والصديق، لا يحل لأحدٍ من القبائل المتنازعة ولا لسلطة البلاد ولا غيرهم من فئات ا تمع أن تعتدي فيه على أحد كائناً من كان حتى يقوم السادة المذكورون بالنظر في الأمر وإعادة المسلوب أو تحديد دية المقتول أو إرضاء أهله،

ولهذا النظام الأمني القائم على السلطة الروحية المطلقة أثر عظيم على مجرى الأحداث في البلاد، وسنتناول ذلك في موقع آخر .

وقد ذكر نقَلَةُ الأخبار أن المسجد المذكور والذي يطلق عليه مسجد « لصور » كان بادئ أمره معموراً بالسادة القاطنين بجواره، وكان البدو الموالون لهم يجلسون فيه وينامون ويصلون ويغسلون فيه موتاهم ويدفنون بجواره، إذ تنتشر حوله عدة مقابر ومن كافة الجهات، كما تلاحظ في الجهة الشمالية قبةٌ كبيرةٌ دفنت فيها جماعةٌ من شخصيات السادة، وخلفها حوش صغير فيه قبور عديدةٌ لجماعةٍ من سادة آل الحامد القاطنين بكدمة السادة، كما تقع في الجهة الغربية مقبرةٌ كبيرةٌ يتوسطها حوش دفنت به شخصيات أخرى من السادة، منهم الحبيب مهدي بن علي صاحب الحوطة، وبجوار الفقيه من الناحية الجنوبية الغربية حوش آخر فيه ضريح السيدة ية بنت بوبكر والتي ذكرنا مناقبها في « لوامع النور » .

ولهذا المسجد ختم عام ومشهود في السابع عشر من شهر رمضان حيث يجتمع أهل البلاد لقراءة الوترية وخطبة المعروف وبر الوالدين وسماع المواعظ والتذكير، ثم يخرجون لزيارة القبور في تلك الساحة الممتدة، ثم ينتقلون إلى منـزل المنصب [١] للسمر وشرب القهوة وأخذ أطراف الحديث، وتصادف هذه الليلة المباركة نـزول القرآن ووقعة بدرٍ الكبرى، وقد اعتاد أبي منذ حلوله بالبلاد أن يحتفل بقراءة أسماء شهداء أهل بدرٍ في تلك الليلة بعد إقامة الدرس المعتاد في المنـزل .

---

(١) هو السيد أبوبكر بن عمر الحامد، وهو المتولي أوقاف المسجد المذكور خلال مرحلة تنصيبه على البلاد حتى وفاته، وقد اضمحلت هذه الأوقاف المذكورة مع قيام قانون الإصلاح الزراعي في البلاد بعد قيام الثورة .

ومما هو جدير بالإشارة أن سيدي الوالد كان منذ حلوله بالجول يصلي بعض الصلوات في هذا المسجد المتداعي ولكنه مع ذلك لا يديم الصلوات فيه لبعده عن موقع المدرسة وعن سكن طلبة العلم وعن السوق الذي تكثر به حركة الناس من وارد وصادر .

وظل هذا المسجد على حالٍ من الإهمال والاندثار لا يعمر عمارةً ذات مدلولٍ سليمٍ إلا في شهر رمضان من كل عامٍ حيث يصلي فيه أبناء السادة المقيمين بجواره صلاة التراويح والوتر وبعض الصلوات الأخرى، وحتى عام ١٣٨٥ - ١٣٨٦ تبرع السيد الفاضل محسن بن فضل بن طويل العطاس ببناء هذا المسجد على قواعده الأولى بناءً حديثاً وجديداً حتى صار من أجمل وأحسن مساجد البلاد .

وقد اختار سيدي الوالد هذا المسجد آخر عهده بالتعليم في هذه البلاد فجعله معهداً أو مدرسةً لخاصته وأولاده ومعتزلاً ومعتكفاً لعبادته وقراءته ومراجعته، فكان لا يعتاده إلى غيره إلا في يوم الجمعة حيث يصلي في الجامع خطيباً وإماماً .

وظل هذا المسجد معموراً خلال فترة إقامة سيدي الوالد بأحور، وخلفه في الاهتمام به والاعتناء بعمارته والصلاة فيه الأخ الأكبر محمد بن علي المشهور، والذي أصبح هناك خليفة الدعوة والإمامة والخطابة منذ سفر سيدي الوالد إلى الأراضي المقدسة عام ١٣٩٢، وقد قام الأخ محمد بالتعاون مع أهل الخير على توسيع هذا المسجد للمرة الثالثة ليستوعب أعداد الناس المتزايدة .

ح ـ **مسجد آل باهارون** جمل **الليل**

يعد السادة آل باهارون من ذرية الشيخ العلامة محمد جمل الليل بن حسن المعلم بن أسد اللّه كما ثبت ذلك في « شمس الظهيرة » ص٦٤ بما نصه :

« وأما علي بن هارون باحسن فعقِبه آل باهارون بتريم [١] وبمرباط وبلاد البوقيس ودثينة والسواحل والغيضة وجاذب وأحور والهند وسماران وسربايه والمخا واليمن والخريبة ومقدشوه ..إلخ »، ولذلك ترى أن لهم في هذه البلاد تاريخ عريق اندثر معظمه وأُهملت جوانبه وكانت لهم خلال عصورٍ تاريخيةٍ قديمةٍ مدينةٌ خاصةٌ على مقربةٍ من ساحل البحر تسمى مدينة آل باهارون، ولا زالت آثارها قائمةً حتى اليوم، وقد اندثرت وأُهملت خلال الحروب المتتالية التي مرت بالبلاد ودفعت هؤلاء السادة إلى الهجرة من أحور إلى بلاد شتى من الأرض .

وعلى أي حال فالأمر واضح أن هذا المسجد القائم على طرف السوق الرئيس للبلاد تحيط به المقابر الكثيرة المنسوبة لآل باهارون مما يدل على ضخامة العدد المندثر من هذه الشجرة العريقة في البلاد .

وقد ظل المسجد المذكور معموراً بأصحابه حتى خلال فترة الحرب الطاحنة التي شهد ا البلاد، لم تصل إليه آثار الخراب ولا الدمار إلا من حيثُ ِقدم المبنى وبساطةُ بنائه، ولذلك فقد ظل على حال تركيبه السلفي حتى قامت سلطات الدولة دمه وتحويله إلى جامعٍ كبيرٍ وواسعٍ عام ١٣٨٣ [٢] .

---

(١) حذِف من هذا الموقع اسم أحد السلالات .

(٢) كتب سيدي الوالد عند الاحتفال بافتتاح المسجد الجديد قصيدةً شـعريةً قُرئـت في ذلـك الاحتفال قال فيها :

وقد انتقل سيدي الوالد من مسجد جمال الدين خلال ذلك العام ليصلي صلاتي المغرب والعشاء في هذا الجامع ويقيم به دروس الفقه والقرآن والتفسير، كما عرفت نفسي منذ افتتاح هذا الجامع خطيباً به وإماماً لصلاة الجمعة من كل أسبوع حتى انتقالي من البلاد مدرساً في البادية عام ١٣٨٧ .

ولم يعزف سيدي الوالد عن الصلاة في هذا المسجد إلا بعد أن قام التغيير السياسي في البلاد، وقد كان هذا المسجد المبارك موقعاً دائماً للحفلات الدينية السنوية كاختتام البخاري ويوم عرفة والعاشر من محرم والنصف من شعبان وعيد الميلاد النبوي وغيرها من المناسبات التي يجتمع لها الناس طلباً للتذكير والاستفادة، وذلك منذ إعادة بنائه جامعاً عاماً،حيث اتسع بناؤه وصار ملائماً للجموع الكبيرة .

ولهذا المسجد ختم عام واحتفالٌ في اليوم الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك يقوم فيه سيدي الوالد بتذكير الأمة ووعظهم بعد قراءة الأدعية والأناشيد المعتادة، ثم يخرجون لزيارة القبور المنتشرة على الجهة الجنوبية والشرقية من المسجد، ويقوم بالإمامة في هذا المسجد منذ تأسيسه مرةً أخرى السيد عـبـد اللّه بن أحمد الحامد الشقيق للسيد المؤرخ عبدالرحمن بن أحمد، والذي ذكرناه في مواطن متعددةٍ من هذه الترجمة .

هنيئاً ِلمن عظم هذِي الشعائِرِ شعائِرِ دِينِ اللّه ِنعم المَفَاخِرِ
هنيئاً ِلقَومٍ قَدموا ِلتجارةٍ ا الربـْـح يسمو في الألى والأواخِرِ

وقد أثبتناها كاملةً في « ديوانه » .

ولما سافر سيدي الوالد من هذه المدينة كان قد درب على الإمامة والخطابة الأخ الأكبر محمداً حيث يقوم الآن بدور الخطابة والإمامة ليوم الجمعة في هذا الجامع [1] .

وفي عام ١٤١٦ هيأ اللّه من أهل الخير من قام بتوسيع مسجد الجامع وإدخال القسم القديم فيه وإضافة أراض مجاورة له، وتم تنفيذ البناء خلال عام ١٤١٧، وتم افتتاحه ليلة النصف من شعبان ١٤١٨ في احتفال بهيج أقيم بتلك الليلة .

---

(١) كما يقوم بالأذان في هذا المسجد والاعتناء بشؤونه وتنظيفه أحد أبناء آل باهـارون، وهـو السيد سعيد بن أحمد حجلان باهارون، وهو من مجموعة بيوت آل باهارون المتبقية بأحور .

٢ـ العَادَاتُ والتَّقَالِيدُ السَّيِّـئَةُ

وصل سيدي الوالد إلى هذه البلاد و ا من العادات والتقاليد ما لا يكاد يحصى، فمنها عادات وتقاليد حسنةٌ ومفيدةٌ ومنها تقاليد وعادات مضرةٌ ومدمرةٌ، فقام رحمة اللّه عليه بالدعوة إلى الإصلاح والاستقامة والرجوع إلى دين اللّه الحنيف، وهنا نختار صوراً من هذه العادات والتقاليد التي عالجها وصارع كيا ا وقواعدها :

الأَخْذُ بالثَّـــأر

الأخذ بالثأر في القوانين القبلية معدود من أهم شروط بقائها وسيطر ا، وهو أيضا من أخطر التحديات الهمجية المدمرة للحياة بكافة ظواهرها ومظاهرها، وهو عادةٌ توارثها الأجيال عن الآباء عن الأجداد حتى صار جزءاً من تركيب ا تمع وأملاً مِن آمالِ رِجالِها، وقبيلة آل باكازم قبيلةٌ معروفةٌ في التاريخ بالتعطش للدماء والثأر ولها رصيد معروف في هذا المضمار ؛ إلاّ أن خطر هذه العادة القبيحة يزداد وينقص على حسب قوة السلطة الحاكمة في البلاد وعلى حسب علاقتها مع هذه القبائل، وإلى وقتٍ قريبٍ والمرء يتوجس الشر كلما أوغل في الصحراء أو تجاوز حدود المدينة بعيداً عن مدى تأثير الدولة والسلطان، وخاصةً أولئك الذين يضطرون للأسفار أو الخروج إلى أطراف البلاد لسقي الأرض أو جلب بعض المنافع الضرورية كالحطب والسمك والملح وغير ذلك . فالبدو الجهلاء الذين يحلو لهم العبث بالإنسان لا يتورعون في ارتكاب جريمة القتل إذا صادفوا مسكيناً ضعيفاً أو رجلاً منفرداً طمعوا فيما يملكه أو جماعةً من التجار أو حتى بائعي السمك أن يبطشوا م قتلاً أو تمثيلاً أو ضرباً ثم يأخذوا ما معهم من مالٍ ومتاعٍ، رد نـ زو قبيلةٍ لإثارة السلطان أو طمعاً

في عطائه وإثارة انتباهه، أو التحريش بين القبائل التي قد يكون المنهوب على أراضيها أو في حمايتها، أو لرد أرعن لثأرٍ قديمٍ أو جديدٍ لم يجدوا رده إلا بتهديد الآمنين وإثارة القلق في العزل من السلاح .

ولقد تعددت صور البطش الوحشي في ربوع البلاد وخارجها خلال فترات الحروب وما بعدها حتى غدا البدو يمثلون أقوى سلطةٍ إرهابيةٍ حتى في قعر بيوت الفقراء والمساكين وعامة أهل البلاد، ويزيد الطين بلةً المجاعات التي تفتك بالخلق فتدفعهم إلى أذية بعضهم البعض، وهذا ما يفسر نزول العشرات من قبائل «آل سعد» كل عام مع قرب المواسم الزراعية من المحفد إلى أحور، فيرتكبون في سبيل الوصول إلى الغذاء والحبوب كل ألوان الأذى والإرهاب والتهديد بقوة السلاح، ولم يسلم من هذا الآذى المباشر إلا من كان يملك أماناً خاصاً كسلطانٍ أو صاحب سلاحٍ أو من له اتصالٌ بالبدو سري أو علني، أو أن يكون من بيوت السادة التي لها حق السيارة والهيمنة على البادية، أو ممن هو ساكن في حوطتهم أو ممن كان له القدرة على حماية نفسه وأهله .

وقد وصل سيدي الوالد إلى البلاد والتناحر بين القبائل المتمردة والحاضرة وبين بيوت السلطان قائم، ثم خفت حدة التوتر بعد تدخل الحماية البريطانية بينهما وإدخال قوة عسكرية إنجليزية ومحلية لضبط الأحوال واستتباب الأمن الخاص والعام، ولزم على رجل الدعوة الإصلاحية ولسان الحكمة الدينية أن يساهم في إطفاء نار الفتنة المخفية تحت رماد الصدور، وأن يذكرهم بقيمة الإنسان في شريعة الرحمن، ولذلك فقد اتخذ سيدي الوالد من منبر المسجد مكاناً رئيساً للجهر بالدعوة وإشاعة الألفة بين

الناس وتعريفهم بأن المؤمنين إخوة في شريعة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم .

وكانت النفوس مهيأةً للقبول والأرواح مجبولةً على حب من أحسن القول وأخلص النية لرب الحول والطول، ولذلك فقد امتدت وسائط الدعوة من المسجد إلى الاحتفالات العامة والخاصة ومنها إلى البادية في أفراحهم وأتراحهم في كافة الأغوار والأنجاد المحيطة ـذه البلاد، ولم يكد سيدي الوالد يدعو الناس إلى الأمن والخـلـود إلى البناء والحب والتآلف حتى جاء الناس أفواجاً يطلبون من هذه اللسان الحكيمة أن تغشاهم، في مواقع قطرهم وسكناهم، وكان الأمر كذلك حيث أخذ الوالد رحمه الله تعالى يتنقل بين البادية والحضر، والقرية والعزبة، والقفر والاخضرار، على سيارة أحد المحبين أو على حمار يستأجره أو على قدمه التي ألفت الرحلة والانتقال في سبيل الدعوة إلى الله رب الجلال، وكان لهذه الدعوة الخالصة أثر كبير وفائدةٌ عظمى جنى الناس ثمارها خلال أعوامٍ قلائل وتلاشى خلالها بعون الله خطر الثأر الذي كان قاعدةً فأصبح بحمد الله استثناءً، والشذوذ ليس بقاعدةٍ .

الشياطين تشرب مياه السيول

يقع في الشمال الشرقي لمدينة أحور جبلٌ صغير يعتقد أهل هذه البلاد أن به جنيةً تشرب السيول، وكانوا يطلقون عليها « دهسا »، ويزعمون أن الجدب الذي تصاب به البلاد سببه غضب هذه الجنية التي تريد حقوقها التي أَلِفَتها من الناس .

لقد كان في هذه المدينة جماعةٌ من أهل الحل والعقد يعظمون هذه الجنية المزعومة ويحملون لها في كل عامٍ من الذبائح والأطعمة والأكسية ما لا يحصى، ويجعلون لهذه الظاهرة العجيبة موسماً يزفون فيه هديتهم كما تزف العروس إلى زوجها .

والأغرب من ذلك كله أن موعد هذا الحفل الكبير تسبقه إشارةٌ من تلك الجنية المزعومة بطائرٍ ليلي يصدر أصواتاً مزعجةً على شرفةٍ بارزةٍ من قبةٍ ولي معروفٍ هناك يدعى « جمالَ الدين »، فيأتي منصب دهسا كما كان يطلق عليه ذلك ويخبر السلطان بالأمر وينادي في السوق بأن دهسا تطالب بحقها، ثم يقوم هذا المنصب بجولة في السوق يأخذ من التجار وأصحاب الحوانيت من التمر والدهن والأموال ما يكفي لسد حـاجـة هـذا المظهر الغريب، وينطلقون في صباح أحد الأيام في موكبٍ رسمي كبيرٍ حتى ذلك الجبل المذكور، فيذبحون ذبائحهم ويرمون منها على الأحجار شيئاً يسيراً ويأكلون، وينشرون الأكسية على ذلك الجبل ويرمون عليه ما جمعوه من التمر والدهن وغير ذلك مما جمعوه لهذا الغرض الخرافي العجيب، ويتفاءلون بالسقيا عندما يشاهدون اتجاه الدماء بعد ذبح الذبائح ذات اليمين وذات الشمال، فإن اتجه الدم يميناً تفاءلوا بسقيا مناطق من البلاد تقع في تلك الناحية من الوادي، وإن اتجه الدم إلى الشمال تفاءلوا بسقيا الجهة الأخرى .

وكانت تلك عادةً سيئةً متأصلةً في نفوس البدو والحضر لزم على سيدي الوالد رحمه الله تعالى أن يحار ا ضمن العادات السيئة المنتشرة، ولذلك فقد شنع على أهل تلك البلاد عاد م وحار م محاربةً شديدةً، وبين خطرها على الناس والعقيدة الإسلامية .

ولما احتدم الأمر وظهرت آثار الاستجابة في الأمة الجاهلة غَضِب كثير ممن كانوا يرتزقون على حساب هذه العادة القبيحة، وحذروا أبي في دعوته من شر هذه الجنية

التي لا ترحم، فضحك سيدي الوالد وطمأنَ خـواطـرهـم بأن كل شيء هو من اللّه تعالى، وتلى قوله تعالى : { إنا جعلْنا الشياطِين أوِلياءَ لِلذِين لا يؤمِنونَ } (١) .

وأعلن سيدي الوالد صلاة الاستسقاء في البلاد، ودعا إليها السلطان ووجهاء البلاد، فخرج الجميع لصلاة الاستسقاء وصلى م وخطب فيهم كما هو المسنون والمشروع، ولم يكد ذلك اليوم ينقضي إلا وقد استجاب اللّه الدعاء وجاءت الأمطار والسيول، وذهبت تلكُم العادةُ السيئةُ واضمحلت تماماً .

---

(١) كانت بأحور أيضاً في الوجه الآخر عادات مستحسنةٌ لم يقف سيدي الوالد ضِد وجودهـا، كان منها احتفال الأطفال بعيد عشر ذي الحجة، ويسمو ا عشر موسى، ويخرجـون بعـد الغروب يدورون على البيوت يرتجزون : « عشر موسى، يا اللّه ترحم المسلمين، آمين يا اللّه آمين »، ويدعون بطول العمر والسلامة لكل فردٍ ذكرٍ من أفراد البيت الذي يقفون عنـده، ويتوجونَ هذا الأمر في يوم عرفة حيث يجتمعون في المساجد بعد أن يدورون علـى البيـوت سائلين التصدق في مثل قولهم :

« واعطونا عشا الكباره، عيده والا قشاره، ولا ذبحنا فاره، عنـد بيـت البحـاره » ، فيعطو م شيئاً من الدراهم يأخذون ا ما يناسبهم ويقتسمونه في المساجد .

كما كان أيضاً من لطيف عادا م ما يسمونه بيوم الكرعان، وهو يوم العاشر من محـرم، حيث يعتقد الأهالي أن كل مولودٍ في تلك الليلة لابد أن يؤخذ من منـزله إلى موقع ولادتـه ومسقط رأسه ويقولون : « الليلة كرعان، عبد النبي شبعان ».

وقد رأيت أن هذه العادة ذات فائدةٍ مهمةٍ، حيث يربطون بين حياة الطفل ومعرفة موقـع ولادته من جهة وبين أمه وأبيه وأسرته، إذ هو محتاج كل عامٍ أن يسمع منهم تفصيل ولادته وموقعها في هذه المناسبة، وقد أضاف سيدي الوالد في هذا اليوم على عاد م انتشار الصـدقة على الفقراء والأيتام والأرامل وإقامة الزيارات بين الأسر والعوائل .

شياطين البحر تأكل الأسماك

تقع مدينة أحور على مقربةٍ من ساحل البحر العربي، ويعتمد الأهالي على ما يسعفهم به الصيادون من العطاء الوهبي من أسماكٍ وحيتانٍ، والبحر قد يجدِب رغم عطائه ومائه وأرزاقه، والصيادون في كل زمانٍ ومكانٍ نهبةٌ وفَريسةٌ لمجاهيل المحيط وخرافات الأقوال، وكان لهم مركز هام في هذه البلاد يقع على ساحل البحر اسمه «البندر»، يجففون فيه الأسماك، وينشرون فيه الشباك، ويحفظون القوارب وأدوات الصيد المختلفة .

ولما كانت بيئةُ هؤلاء الفقراء المغامرين مسرحاً ملائماً لكل غريبٍ وعجيبٍ كغرابة أحوال البحر وعجائب مخلوقاته فقد استقر في نفوس الصيادين أن سبب امتناعِ البحرِ عن العطاء هو هيمنةُ الجان الذين يَجوبونَ البحار ويسكنون السواحل، وأن لهم ضريبةً سنويةً لابد أنْ ترمى في مياه البحر ليجود بوافر الأسماك .

ولذلك فقد نشأت لدى الصيادين عادةٌ سيئةٌ ؛ إذ كانوا يأخذون كل عامٍ شاةً سمينةً ويقْسِمونها من وسطها نصفين وهي حيةٌ، ثم يرمونها في البحر خلال موكبٍ رسمي ورقصةٍ بحريةٍ مخَصصةٍ، ومن جملة ما يرددون : « هذا لكم فيما سهنتوه » .

وما أنْ عِلم سيدي الوالد بذلك الأمرِ المَشِينِ والقاعدةِ الجاهليةِ المَهينةِ حتى هرع إلى مواقع الصيادين مراتٍ ومراتٍ يدعوهم إلى الاعتماد على الله وحده وترك هذه العادة القبيحة، وكان الله معيناً له في دعوته العادلة ؛ إذ لم تمض فترةٌ قصيرةٌ حتى طمس الله تلك العادة في النفوس وأبطل تأثيرها، وأبدلهم سيدي الوالد في

مكا ا تلاوة آيات اللّه وشيئاً من الأوراد والأذكار المأثورة والأدعية المتواترة عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم .

وشاء اللّه بعد ذلك للبحر أن يجود بالعطاء الوافر منذ ذلك الحين، وأن تندثر تلك العادة الجاهلية إلى غـيـر رجعة، وأصبح لأبي من أولئك الصيادين البسطاء عدد من المحبين والمتعلقين كآل المكلوس، وآل الهور، والشاعر الشعبي حسن خميس وأولاده، وكثير من أهالي البندر والمساني وما حولها من القرى .

الـمَـسُّ والخَطَرَة

يزعم أهل هذه البلاد العجيبة في عادا ا أن الجن تصيب الطفل المولود بمس إذا لم «يخطّر» عند ولادته بـ بيضةٍ ثم تكسر قريباً من مكان ولادته، وتصاب العروس بمس إذا لم تحطْ عند دخولها ببيضةٍ أو بيضتينِ تكسر في زوايا المنـزل، ويصاب المسافر القادم بمس إذا لم تسبق دخوله إلى بيته كسر عددٍ من البيض في مدخل منـزله وطريق مروره، وإذا أصيب طفلٌ بانتفاخاتٍ جلديةٍ كبيرةٍ من نوع الحساسية المفاجئة لزم كسر بيضةٍ أو بيضتينِ بعد إمرارها على كافة أنحاء جسده .

والخطرة كما تسمى في قاموس أهل البلاد هي كل إصابةٍ أو مس من قوة الأرواح الشريرة المحيطة بعالم الإنسان، ومعالجة هذه الإصابات له نساءٌ متخصصات من ذوات الخبرة والدهاء والملكات الفطرية ؛ إذ تأتي العجوز الخبيرة بالبيضة تمر ا على أجزاء المريض وهي تتمتم بكلماتٍ غريبةٍ عجيبةٍ، كقولها : « يا حواج، يا حواج،

هذا لكم فيما سهنتوه » وتتفل عدة تفلات وتنفث عدة نفثات على المريض ومن حول فراشه، وتقول في آخر المطاف : « طار الشر، طار » .

ولا تزال هذه العادة مستأصلةً في كثيرٍ من الناس حتى اليوم رغم ما بذل والدنا رحمه اللّه تعالى من جهدٍ جهيدٍ في امتصاصها وزوالها . حيث كان يؤكد لهم أن للشياطين أثراً في حياة الإنسان إذا لم يذكر اللّه وأن علاج هذه الإصابات لا يكون إلا بذكر اللّه تعالى والتحصن من الشيطان، وأن متابعة مثل هذه الأعمال تقوي أثر الشيطان في نفوس الناس، قال تعالى:{إنا جعلْنا الشياطين أولياءَ لِلذِين لا يؤمِنونَ} .

عِيدُ الشّوَيلِلآهْ « النصف مِن شَعبَان »

ومن عادات أهل هذه البلاد إقامة عيد النصف من شعبان، وفيه يخرج الشباب والشابات من كافة الأعمار والفئات الاجتماعية وهم يلبسون أزهى الملابس وأفخر الحلي يجوبون الطرقات ويدخلون المنازل وهم يرددون بنغماتٍ خاصةٍ أغنيةً معروفةً :

شوي لّله شوي لّله	شوي لّله يا لعمــودي
شوي لّله شوي للّه	ألا يا قبلة لا تــعــودي

وحيثما دخل أولئك يجب على أهل المنــزل إكرامهم بعد أن يتأملوا ثيا م وحليهم ووجوههم ويتفكرون في الملامح والسمات الجمالية في الفتيات، وما أن يأخذوا نصيبهم من الحلوى أو التمر أو غير ذلك مما يعتادون قسمته في مثل هذه المناسبة حتى ينتقلوا إلى منــزلٍ آخر، وهكذا منذ الصباح الباكر حتى قرب العصر، وقد يمتد البعض منهم في تجواله إلى الغروب، وفي الغالب أن جماعة الفتيات يرضخن

لقيادة امرأةٍ كبيرةٍ في السن تقوم بحمل القفف وأكياس الهدايا، وتكون في غالب الأحيان هي رئيسة الموسيقى الصوتية للأغنية الشعبية، وهي أيضاً معرفة الجماعة لدى أهل البيوت والمساكن التي يدخلو ا، ولكل جماعةٌ معرقَةٌ خاصةٌ وقائدةٌ معروفة .

والمتأمل لهذه العادة العجيبة يرى اهتماماً غير مألوفٍ ذه المناسبة لدى أهل المدينة، إذ هي عندهم أفضل من عيدي الفطر والأضحى، ولهم من أجلها إعداد واستعداد، وعادات مستمكنةٌ واعتداد، ومن هذه العادات المستمكنة أن كل بيتٍ دخلته عروس جديدةٌ خلال العام أو هدف به مولود جديد وجب على أهل هذا البيت إخراج « الشويللاه »، وبعضهم ينذر الصدقة كل عامٍ .

وقد كان سبب نشوء هذه العادة التي تحمل الداء والدواء أن مرضاً خطيراً ـ وأحسبه الجدري ـ قد اجتاح البلاد في إحدى السنين وأودى بالجماعات والأفراد، وذهب ضحيته المئات من الرجال والنساء والأطفال، ويقال إنه خلال تلك النكبة الخطيرة وفد إلى البلاد أحد سلالة الشيخ أحمد بن عيسى العمودي الولي الصالح المعروف بدوعن ونواحي حضرموت والمدفون بمدينة قيدون من ذلك الوادي المبارك، فلما رأى ما حل بالناس من البلاء والمحنة دعا الناس إلى الخروج مع الأطفال والنساء والفتيات إلى الخروج بالابتهال والدعاء بالفرج والتصدق على الصغار والمحتاجين لما في ذلك من رد للقضا وكشف البلاء، وقد وردت بذلك نصوص الحديث الصحيح[١]، وخاصةً فيما يتعلق ببركة تلك الليلة من شعبان المكرم، التي يقضى فيها كل أمر ويبرم .

---

(١) والأصل فيها قوله صلى الله عليه وآله وسلم جواباً على من سأله عن شعبان : « ذاك شـهر يغفل الناس فيه، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالين، فأحب ان يرفع عمـي وأنـا صائم »، وكذلك قوله فيما روي عن ابن عباس : « إن الله يقضي الأقضية كلها ليلة النصف

ولما نـزل سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى ذه البلاد وشاهد ذلك المظهر الغريب المريب والذي يختلط فيه الرجال والنساء والشباب ؛ أدرك الخطر الكامن وراء هذه العادة التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، فدعا علناً إلى إبطالها ومحاربتها، وذهب إلى أولي الأمر والنهي في شأن ذلك،فاستجيب له، وأُعلن منع هذا المظهر المعروف.

ولم يمر عام جديد على انقطاع تلك العادة حتى عاد الوباء القاتل يفتك بالناس ويلتهم الكبار والصغار، وتشاءم الناس بمنع عاد م المألوفة وهرعوا يتساءلون ويتوسطون في أمر إعاد ا، فوافق سيدي الوالد على إعاد ا بشرط اقتصارها على الصبيان من الذكور والإناث، فتم ذلك الأمر واستؤنفت العادة الجميلة إلى يومنا هذا مع شيءٍ من التهذيب والاحتشام .

وقد كان من قبيل البدعة الحسنة أن نقل سيدي الوالد لهذه البلاد بعض العادات البديلة عن ممارسا م الجاهلية، فمن ذلك إخراج جميع طلبة المدرسة جماعاتٍ جماعاتٍ للاستغاثة والاستسقاء بالدعاء وإنشاد الأراجيز الدينية وزيارة ضرائح الأولياء وقراءة الفاتحة في تلك المقابر التي تذكر الزائر بالآخرة، وتكون سبباً في الخشوع والإنابة والتوبة، وذلك عند قحط البلاد أو بمناسبة ختم بعض الطلاب لكتاب اللّه تعالى .

ومن ذلك أيضاً تشجيعه لتعليم المرأة وتخصيص أوقات لتذكيرها ودعو ا، وفتح صف تعليمي للبنات ضمن المدرسة الميمونة، وكان إذ ذاك أول بادرةٍ لتعليم المرأة في

من شعبان »، وقد أفردها العلماء بالتصنيف، وانظر في ذلك رسالتنا « دليل التائه الحيران فيما ورد عن ليلة النصف من شعبان » .

أنحاء البلاد، وقد ائتمن على هذه الصفوف النسائية بعض التلاميذ الأمناء، وقد وضع لهن منظومةً شعريةً حاويةً لآداب البنات وما يجب عليهن .

كما نقل إلى هذه البلاد كثيراً من عادات الأسلاف بمدينة تريم وخاصةً فيما يتعلق بأذكار الصلوات وترتيب الاجتماعات في المناسبات الدينية وأفضل العادات الموصلة إلى اللّه تعالى، كل ذلك حرصاً منه رحمه اللّه تعالى على إيجاد البدائل المشروعة مكان العادات القبيحة الجاهلية التي كانت تزخر ا البلاد، ولا زالت منها عادات نتناولها ضمن هذا الجمع المتواضع .

النّياحَة

ومن عادات أهل هذه البلاد حضراً وباديةً النياحة على الميت وإظهار الحزن بألوانٍ من عادات الجاهلية الأولى، ويزداد الأمر إقلاقاً وإزعاجاً عندما يكون الموت قتلاً في حادثةِ غدرٍ مـبـيـتٍ أو معركةٍ قـبـلـيـةٍ خاطفةٍ .

لـقـد تـمـكـنـت هذه العادة الهمجية في النسوة تمكناً جعل استئصالها من الأمور العصيبة على الداعية الجديد، ولذلك فإن سيدي الوالد منذ حلوله بأحور لم يأل جهداً في استخدام كافة الوسائل الممكنة لمحاربة هذا الأمر البشع، ومن أهم وسائله في ذلك :

١- جمع النسوة في بعض مساجد البلاد لتوعيتهن وتعليمهن وتخويفهن بآيات اللّه، وقد كان لنساء المدينة من هذه الموعظة نصيب كبير، وكان لهن ا أثر عظيم حيث كبحتِ الدعوةُ القرآنيةُ جِماح الجنون الذي ينتاب نساءَ المدينة خاصةً عند المُفاجآتِ

القَدرية، وخفضتِ الأصوات بعض الشيءِ مع أ ا لم تنقطع أصلاً، وإنما اجتنبت مظاهر الجاهليةِ من شق جيبٍ ولطمِ خدودٍ ودعاءٍ بدعوى الجاهلية، وأُسدِلَ على الموت هيبةُ القضاءِ والقَدرِ إيماناً به واستسلاماً .

أما نساء البادية فقد طغت عليهن عادات الجاهلية طغياناً مستديماً حتى إ ن لا يبالين بالنصح ولا يرتدعن عن ارتكابِ أبشعِ الأساليب والألفاظِ عند الحوادث، وكُن بين الحين والآخر يفِدنَ إلى المدينة أفواجاً يصرخن ويولْوِلْن ويزعِجن النوام في هجِيعِ الليل إذا مات أو قُتل أحد من البادية في وقتٍ من الأوقات .

٢- وقد كان سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى يخرج لمواجهتهن ومواجهة أولياء أمورهن ويذكرهن بصوتٍ جهوري ومرتفعٍ، وقد يصل به الانفعال في ذات اللّه إلى حمل العصا لتفريقهن عن القبر أو النعش الذي يحمل عليه القتيل الذي يطُفْن به ويختلطن بالرجال في منظرٍ بشِعٍ ومزرٍ ومخيفٍ، وقد شهدنا صنوفاً من تلك الأحداث المخيفة التي جرت بمدينة أحور وضواحيها خلالَ معارك قبليةٍ ذهب ضحيتها بعض البدو وأهل الحاضرة .

وشاع خبر الأدب المباشر الذي يتخذه الداعية الجديد في البلاد، فكانت النسوة يتفرقن عن القبر أو النعش بمجرد إشعارهن بقدومه أو ظهوره، وقد يجلسن في مكانٍ قريبٍ من موقع القبر يولْوِلْن بكلامٍ غير واضحٍ ولا مفهومٍ .

٣- واتخذ سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى في آخر عهده أسلوباً آخر وأجدى في محاربة هذه الظاهرة الشنيعة ؛ إذ كان لا يحضر الصلاة على ميتٍ ترافقه نائحةٌ أو تسير في جنازته أو تقوم على قبره، وكان لهذا القرار نجاح أبلغُ وأثر أقوى في نفوس

البادية؛ إذ يقوم أولياء الأمور بمنع النساء سلفاً من شهود الجنائز خشية ذلك الامتناع الذي يعدونه أمراً عظيماً .

الشّرح والألعَابُ الشّعبِيّةُ المُنكَرَة

عندما يكون دافع الدعوة مبدأً متكاملاً وسليماً ترى بالبديهة أن له صولةً على الظواهر السيئة وهيمنةً على الباطل، { إن الباطِلَ كان زهوقاً }، ولهذا فقد اشتد غضب سيدي الوالد رحمة الله عليه عند نـزوله في هذه البلاد لما شاهده في المدينة والقرى ومن فئات المجتمع المستقرة والظاعنة من عاداتٍ سيئةٍ في مناسبات الزواج والأعياد التي يرتكب فيها المحظور ويختلط الرجال بالنساء، وتستباح حرمة المرأة في الإسلام، والذي دعا المرأةَ والرجلَ إلى الحشمة في القول والفعل، { ولا يضرِبن بأرجلِهن ليعلَم ما يخفِين مِن زينتِهن } .

لقد كان من طبع البداوة في هذه البلاد إقامةُ ألعابهم الشعبية في أفراحهم علناً، وكانوا لا يتحرجون من مشاركة النساء في تلك الألعاب معتبرين الأمر مجرد تسليةٍ ولهوٍ مرغوبٍ، وكان الناس من كل حدبٍ وصوبٍ يجتمعون لهذه المحافل للاستمتاع برؤية النساء ولسماع المناظرات الشعرية بين الشعراء .

وقطع صوت الحق هذه الأفراح المشوبةَ بالخطيئة وشوش اتصالها الموبوء، فلا يقام عرس في قريةٍ أو بدوٍ واستطاع الوالد أن يصل إليهم إلا وتراه يهبط عليهم فجأةً يذكرهم بالله ويعتب عليهم جرأتهم على الفساد والاختلاط، ويدعوهم إلى التوبة والانخلاع عن هذه العادات الجاهلية، وكانوا لا يتجاسرون على مخالفته أو رفض ما

يقدمه لهم من موعظةٍ وتذكيرٍ، بل كانوا ينصتون خاشعين متأدبين ؛ ولكنهم في غالب الأحيان يعودون لما نهوا عنه بمجرد خروجه عن قريتهم أو مكان فرحهم، وقد يتجرد بعض ممن وعى النصيحة معتزلاً تائباً لا يشاركهم فيما هم فيه، و من أولئك كثير وكثير، وقد يأخذ سيدي الوالد ممن له شوكةٌ وأمر في إقامة الأفراح عهداً ووعداً قاطعاً بالانتهاء عن مثل هذا الاجتماع المَشين، فيكتفي مثل هؤلاء بإقامة ألعاب الرجال منفصلةً عن موقع النساء، ولكن هذا الإجراء كان لا يستساغ لدى غالبية الناس الذين اختلطت محبة الفساد في قلو م وطباعهم، فتراهم معرضين عن الاحتفالات مولين ظهورهم لأصحا ا .

وقد تقام هذه الألعاب المختلطة في وسط المدينة أو بعض أطرافها حيث تـخـيـم فـئـات الظاعنين الرحل من « الحجور » كما يسمونَ، وهم سلالات سوداء موقعهم الأساس « بلاد حِجرٍ » من محافظة حضرموت، ونسبتهم مشتقةٌ من اسم بلادهم كما يظهر، وهؤلاء كانوا يرتحلون كل عامٍ تقريباً يسيحون في الأرض بحثاً عن مصادر الرزق والمال . وكانت أحور قاعدةً مهمةً لاجتماعهم والتقائهم حتى صار الكثيرون منهم يفضلون السكنى ا على عين بلادهم الأصلية، ولهذا فهم على نصيبٍ وافرٍ من الألوان الشعبية لعباً وغناءً واختلاطاً، لا يردعهم رادع ولا يزجرهم زاجر، ولا تستقيم قناة ألعا م وأفراحهم إلا باشتراك نسائهم وبنا م حيث تكبر الدائرة ويفِد المتفرجون والمشاركون من كل حـدبٍ وصوبٍ .

وكم من مرةٍ في هزيع الليل الأوسط أو الأخير والطبولُ ممتزجةٌ بالأصوات تكاد تشق عنان السماء خرج أبي بعصاتِه وسراجه متجهاً إلى حيث يجتمعون ويلعبون، فكان لأهل الفرح سبق واستدراك في أغلب الأحيان حين ظهور خيال سيدي الوالد بسراجه وعصاته، فتراهم يتفرقون كا انين هرباً في كل اتجاه، أما إذا لم تسبق لهم

رؤيةٌ ولا انتباه فلربما نال منهم شيئاً بصوته وعصاته حتى يتفرقوا، ولم تنقطع هذه العادة الغريبة المتأصلة في عروق أولئك، وإنما هي بين القلة والكثرة والامتداد والانحسار، ولربما كان التأثير الفعلي قد أصاب الرجال أكثر منه في النساء اللواتي لا يشهدنَ موعظةً ولا تذكرةً، فتراهن يطالِبن أزواجهن وأولياء أمورهن في الأفراح بإعادة كَـرةِ اللعب المختلط، والرجالُ بين الإقدام والإحجام خشية الإنكار عليهم من لسان الحق الداعي بشريعة اللّه .

ولعل أفضل ما يذكر في مثل هذا الأمر هو بتر عادةٍ سيئةٍ كانت مستحكمةَ الأصُول في المدينة خلال الأفراح، كان ذلك هو عدم الاحتجاب من « الطبال » الذي يحكم الضرب على آلة الطبل في حفلات الحِناء والزواج للرجال والنساء، وكُن لا يرين بالدخول عليه بأساً ولا حرجاً ؛ ولكن صوت القرآن شنع على هذه العادة وحقّر شأن دعا ا ومن يرغب أو يشجع على فعلها، واتصل برجال الأمر والنهي في ذلك الشأن فأوعزوا إلى إحدى الإماء أن تتدرب على الطبل وبقية الآلات الشعبية وتدرب عدداً من النساء والإماء، وانقطع بعد ذلك اتصال الرجل الطـبال بعالم النساء إلى اليوم .

الزّار

انتشر أمر الزار في كثيرٍ من بلاد اليمن وحضرموت نتيجةً لتفشي أسباب التخلف والجهل والبدائية، ولذلك كان هذا الداء الوبيل من أفتك الأدواء التي بذل سيدي الوالد جهداً بالغاً في محاربتها، لقد كان الاطمئنان منعدم الوجود لمن كان قريباً

مسكنه من مسكن المصاب بذلك الداء من الرجال أو النساء، وغالب الإصابات تتغشى النسوةَ وحدهن لأ ن أهلٌ لمثل ذلك .

وما أن يحلّ عفريت الزار بامرأةٍ أو فـتـاةٍ حتى لزم الداعي والوالي لها أن يحضر زبانية الجن وشيوخ دعو م، وتسرع الأقدام إلى حيث أَلِفَت في هذه المناسبة ومثلها، وتزين المرأةُ المصابةُ وتعطر وتبخر ويغنى عند رأسها وتضرب الطبول وتزغرد النسوة كأن الأمر غدا حفلَ عرسٍ يج، كل ذلك والمرأة الـمـصـابـة في حالةٍ شبه الإغماء مع انسجامٍ إيقاعي بأصوات الطبول والمزامير الصاخبة التي تكاد أن تصم الآذان .

ولا يقف الأمر عـنـد هذا الحد من العبث والهذيان، وإنما تبدأ قائمة تلبية المطالب التي يعشقها عفريت الزار، ويلزم صاحب الأمر أن يحضر كل مطلوبٍ ومرغوبٍ مهما كلّف الأمر .

وحمل سيدي الوالد سوط الغضب والهيبة عليهم في هذه العادة المحطمة للمال والحال والعيال، وصاح م سراً وعلناً، ودعاهم إلى تلاوة القرآن في بيو م وطرقهم وسرهم وعلانيتهم والتحصن بالأذكار والأوراد حتى يزول أثر الشياطين وهيمنتهم في أبناء الإسلام والدعوة القرآنية . وحق القول عليهم بما ظلموا، إذ تقلصت هذه البدعة المشينة تدريجياً حتى أصبحت خلال أعوامٍ معدوداتٍ مما يعاب على صاحبه الأمر به والادعاءُ بوجوده، أو التعلق بآثاره أو إظهاره، ولم نكد نعرف أنفسنا نحن في هذه البلاد إلا وخرافة الزار قد أصبحت أثراً بعد عينٍ .

واضطُر كثير ممن يدعون الإصابة بهذا المرض الوهمي أن يتجهوا إلى الأعمال اليدوية والحرف والرعي والانشغال بصنوف الأعمال التي تعود بالفائدة عليهم وعلى أبنائهم، ولربما ضاق صدر أحدهم وتبرم وشعر ببوادر القلق والتدمير، فتراه يهرع إلى حيث يقيم سيدي الوالد يطلب الدعاء وتلاوة الآيات البينات التي فيها الشفاء والرحمة للناس دون أن ينتظر من أحدٍ من الناس جزاءً ولا شكوراً، وقد عرفْنا في هذه البلاد أفراداً من الرجال والنساء كانوا في عِداد المرضى بالزار أصبحوا بعد ذلك ضمن قائمة الأصحاء نتيجةً لانمحاق المظهر الشيطاني المشين .

لقد كانت للشيطان في هذه البلاد صولةٌ وجولةٌ، أنفذ فيها وعد اللّه الغرور الذي أوعده لمن كان من حزب إبليس في قوله تعالى : { قال اذْهب فَمن تبِعك مِنهم فإِن جهنم جزاؤكُم جزاءً موفُوراً، واستفْزِز منِ استطَعت مِنهم بِصوتِك وأجلِب علَيهم بِخيلِك ورجِلِك وشارِكْهم في الأموالِ والأولادِ وعِدهم وما يعِدهم الشيطَانُ إِلا غُروراً } « صدق اللّه العظيم » [الإسراء:٦٣-٦٤] .

ولقد كانت إقامة سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى في ربوع هذه البلاد جهاداً مع النفس والعادات ومحاربةً للبدع والخرافات وقدوةً حسنةً ومثالاً في الأعمال الصالحات، منذ حلوله بها حتى يوم انتقاله إلى خارجها بعد أن قَلَبتِ الأرض ظَهر المِجن لأبنائها الصالحين، واستعاد الشيطان كَرةَ الجَلْبِ بالخيل والرجِل على يد أعوانه وأباليسه الذين ملكوا السلاح والمال والجاه، وسخروا نعم اللّه في محاربة دينه ورجاله ودعوته، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم .

مَنْعُ المِيرَاثِ عَنِ المَرْأَةِ

اعتاد القبائل المتحاربون أن لا يرضخوا لأمر الشريعة السماوية في شأن توريث النساء، ويرون ذلك أمراً مستحيلاً وغير ممكنٍ أبداً .

وجاء سيدي الوالد إلى بلاد العوالق السفلى وقد استحكمت هذه العادة في القبائل ووصلت إلى المدينة، وبلغ م التعصب على هذه العادة السيئة أن يرفضوا كتابة الوصية الشرعية بالصفة المعهودة عند أهل العلم في تقسيم الميراث، بل يتخذون لهم وصيةً جاهليةً يحرمون فيها النساء من حقوقهن.

وشنع سيدي الوالد على هذه الظاهرة في المساجد وا الس وفي كافة المواقع التي يزورها والمناسبات، وامتعض كثير من البداوة من هذه المطالَبِةِ المخالِفَةِ لعقولهم الجاهليةِ، وأخذوا يبحثون لهم عن مخارج وحيلٍ ترفع عنهم طائلة الحرج أمام المعلم والداعي لهم، فأخذ بعضهم صفة النذر من النساء فيما لهن من حق شرعي مقابل مالٍ معينٍ وحين يكون بإكراهٍ و ديدٍ، فيأخذ هذه الصيغة المكتوبة حجةً له على رضا المرأة بالتصرف بمالها الشرعي .

واستجاب البعض الآخر من البادية وهرعوا إلى معلمهم وداعيهم يطلبون منه توجيههم في شأن القسمة الشرعية التي يرضاها اللّٰه ورسوله، فكان سيدي الوالد يحيلهم على طلبة العلم كي يقسموا لهم التركة ويدلو م على القسمة الشرعية .

ولا زال في نواحي المحفد وأحور وأوديتهما من القبائل من لا يورث النساء إلى اليوم، بل إن بعضهم على جانبٍ من الصلاح والتقوى ولكن التوريث للنساء يراه أمراً مستحيلاً ومستقبحاً، وهناك من مات وهو مصِر على عدم توريث بناته ومانع لحقهن الشرعي والعياذ باللّٰه .

تَأجِيلُ عُقُودِ الزَّوَاجِ ومُباشَرَةِ الزَّوْجَةِ سِفاحاً

ظلت هذه الظاهرة الجاهلية طاغيةً في المجتمع القبلي لبلاد العوالق السفلى (أرض باكازم)، وجاء سيدي الوالد وهذه الظاهرة الخطيرة تمارس علناً ودون رادعٍ ولا وازعٍ، وحصل منها نماذج في حياة بعض الحكام والسلاطين، وتتلخص في صورتين جاهليتين:

الأولى: خطف النساء المزوجات والدخول عليهن، وقد جرى في عدد من بيوت القبائل والدول.

الثانية: إقامة الزواج وتأجيل العقد إلى وقتٍ لاحقٍ تحت أسباب واهية.

ومـن ذلـك جهل البعض بضرورة تقديم العقد قبل الدخول، وقد روى السيد عبدالرحمن بن مهدي الحامد صورةً من هذه الصور جرت لعدد من البداوة في نواحي أحور.

فقد زوج في إحدى السنين عشرةً من أبناء القبائل خارج المدينة، وبعد تمام الزواج نـزلوا إلى أحور ضيوفاً على أحد المشايخ وطلبوا منه أن يأخذهم إلى سيدي الوالد للعقد، فسألهم: عقد من ؟ قالوا: عقد لأولادنا العشرة، قال : ألم يتزوجوا ؟ قالوا: بلى، وجئنا الآن بعد الزواج نريد العقد، فأخبرهم أن هذا لا يجوز ويعتبر هذا الفعل مخالفاً للدين .

فذهب م إلى سيدي الوالد وأخبره الخبر على انفرادٍ، وقال : إن هؤلاء بداوة وقعوا في هذا الحرج وإذا عنفناهم سيذهبون من غير عقد، ولن يرتدعوا والأفضل أن تبحث لهم عن مخرجٍ من هذه الورطة، فاستشاط الوالد غضباً وقال له: أي مخرجٍ من هذا السفاح والحرام الواضح؟ فقال له: إذا نحن قلنا لهم هكذا سيذهبوا ويعرضوا ولن ينفع معهم وعظٌ ولا شريعة، ولا معنا لهم إلا مخرج شرعي، فاستشار الوالد بعض طلبة العلم

في المسألة، فقالوا: إذا اعتبرنا هؤلاء جاهليين لم تصل إليهم دعوة الإسلام بمعناها الصحيح نجدد لهم دينهم وعقدهم . فطلب الوالد منهم الإتيان بإذنٍ وتوكيلٍ من البنات المتزوجات للعقد وشاهدين، وطلب منهم التوبة والاستغفار وعقد لهم من جديد.

وفي حادثة أخرى جرت في ناحية المحفد من أرض باكازم كان سيدي الوالد في ضيافة أحد وجهاء المشايخ فأخبروه أثناء الضيافة عن رجل بدوي يوجد في المجلس تزوج امرأةً منذ عشر سنين، وله منها جملة من الأولاد من غير عقدٍ شرعي، فغضب سيدي الوالد وقام ليسأل عن الرجل فجيء به فعنفه ووعظه وشدد النكر عليه، فقال البدوي بما معناه : الغلط عند والد البنت، ما رضي يعقد لي، عاد عـنـدي لـه طـمـع ـ أي : جزء من الـمـهـر ـ فأخذت زوجتي وما وفيت له بالمهر فمنع عني العقد، فصاح سيدي الوالد على القاضي والحاكم اللذين كانا في المجلس وقال لهما : يحصل هذا في بلادكم ولا تخافون أن يغضب اللّه علينا !

وأمرهم سيدي الوالد بإرسال جنودٍ لوالد البنت فوراً، فذهبوا وجاؤوا به بعد ساعاتٍ، ووصل إلى المجلس ورأى زوج ابنته فتهدد وتوعد، فقال له سيدي الوالد : ترضى لبنتك أن يأخذها رجل من غير عقد ؟ قال : واللّه ما عقدت له حتى يكمل الطمع لي عنده، فقام سيدي الوالد بعصاه نحو الرجل، فأخذ الرجل سلاحه فقام الناس فأمسكوه، وبدأت معالجة القضية من الحاكم الحاج حنتوش والقاضي الشيخ سالم محمد جنيد ومعهما الضابط السياسي، فجمعا له من البنادق والرصاص ما ما يوفي بما بقي على الزوج وسلموه للأب، وجاؤوا به مع الزوج وأمرهم الوالد بالتوبة فتابوا وعاهدوه على الرجوع إلى اللّه والاهتمام بالدين والصلاة، ثم عقد الشيخ سالم للرجل عقداً شرعياً، وقال له الوالد : أولادك كلهم سفاح، لا يرثونك ولا ترثهم، فكان

البدوي يضحك وينظر لسيدي الوالد باستغرابٍ ويقول : عيالي قدهم عشرة، وين وديهم ؟ معاد معنا إلا الحاصل .

ولما صلى سيدي الوالد بالناس صلاة المغرب في المسجد قام وتكلم واشتد غضبه وبكاؤه من عموم الجهالات بين البداوة حتى بلغ م الجهل إلى ارتكاب المخالفات الشرعية علناً دون رادع، ثم دعا لهم بالهداية . وهذه من الصور القبيحة في حياة البداوة .

أعوانُ الحَقِّ وأنصَارُ المِلّة

ما أن بدأ صوت الحق يجلْجِلُ في المدينة وضواحيها حتى أَنستِ قلوب إلى الدعوة القرآنية وآزر ا ونصر ا حباً وشوقاً في الدخول ضمن الحديث النبوي : «لأن يهدي اللّه بك رجلاً واحداً خير لك من حمرِ النعمِ » .

ولذلك فقد تعددت شخصيات المساندةِ الخَـيرةِ للسان الدعوة وتباينت مساعد ا حسب الاختصاصات والمواقع الاجتماعية المختلفة، فمن أولئك المساندين على الحق الصادعين به :

١- السلطان عيدروس بن علي بن عبداللّه بن مهدي

سلطان البلاد وصاحب الكلمة، وقد كان له فضل الجلوس الدائم والاستقرار الآمن لسيدي الوالد رحمه اللّه تعالى عند مروره ذه البلاد عام ١٣٦٢ من الهجرة، حيث قدم له الفكرة وشدد عليه في النـزول ذه البلاد معلماً وداعياً للّه ولرسوله، وقد ذكر سيدي الوالد أن السلطان عيدروس فعل كل ما في وسعه لمساعدة العلم والدين وانتشارهما، سواءٌ من حيث المساهمة المادية في إنشاء المدرسة الأولى والثانية ودفع الأجور الملائمة للمعلمين وترغيب الأهالي في إدراج أبنائهم ضمن طلبة المدرسة الجديدة .

كما لا ينسى موقفَه الإيجابي مع سيدي الوالد في ترسيخ جذور العادات السلفية ومحاربة الفساد ومظاهر الجاهلية في البلاد، وكانت له عنايةٌ خاصةٌ بأولاده وأهل بيته

من حيث تحريضهم على التعليم ومزاحمة الطلبة على الاستفادة والإفادة، وتذكر عنه مباسطات وممازحات تدل على صفاء سريرته وحسن نيته وصدق علاقته مع سيدي الوالد وأعوانه من التجار والمواطنين وطلبة العلم [1]، وقد توفي عام ١٣٦٨ رحمه اللّه تعالى .

٢- الحاكم عبداللّه عيدروس

وهو الشخصية الفذة في البلاد بعد السلطان، وكان بمثابة السلطة التنفيذية والذراع الأيمن للدولة، وقد كان على جانبٍ من الحذاقة والدهاء والسياسة، كما كان محباً للخير وأهل الخير، ولذلك كان لا ينفك عن مساعدة سيدي الوالد في شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وتحققت به أمور هامةٌ وجديرةٌ بالإثبات، ومنها:

أ- السماح للوالد والتشجيع له في غشيان أفراح البادية والحضر للدعوة والتذكير.

ب- إمضاء الرأي الذي قدمه الوالد بشأن إغلاق الحوانيت والأماكن العامة في أوقات الصلاة، فصار الأمر سارياً وقام الحاكم بذاته في المرور على الأسواق للتأكد من سريان مفعول الأمر، وقد ظل هذا التقليد سارياً مدةً طويلةً بل كان يغرم المخالف شيئاً من المال أوالسجن مدة ثلاثة أيام .

جـ - تيسير أمر المواصلات والرحلات في سبيل الدعوة إلى اللّه، وقد كان على هذا الطريق من بعد هؤلاء الرجال أبناؤهم الذين آلت لهم السلطة فيما بعد .

---

(١) تناولنا الحديث عنه بالتفصيل في جمع آخر عن عادات البلاد وبعض أحوالها والـذي سمينـاه بـ «الطرف الأحور في تاريخ أحور» .

د- الموافقة من قبل السلطان والحاكم وأعوا م على إعلان إقامة حد الجلد عند ثبوت فعل الزنا من أحد المواطنين خلال قضاء الشيخ محمد بن أحمد العزب لأحور، وقد تم الجلد بعد صلاة الجمعة في ساحة المسجد الجامع (١) .

هـ- مرافقة سيدي الوالد في بعض رحلاته القريبة وخاصةً تلك التي تكون خلال أفراح البادية ويختلط فيها الرجال والنساء .

٣- **السيد أبوبكر بن عمر الحامد** « **منصب البلاد** »

هو السيد العلَم المُحنك الجد أبوبكر بن عمر بن أبي بكر بن ناصر بن أبي بكر بن علي بن عبدالله « مـولى نـصـاب » (٢)، تولى سـدة المنصبة بعد عمه السيد مهدي بن أبي بكر بن ناصر، وتميز عن أسلافه من آل الشيخ أبي بكر بذكائه وكرمه وحسن معشره ولطفه وقدرته النافذة على التأثير المعنوي في قبائل البلاد، وقد أصيب خلال مرحلةٍ من عمره بفقد أداة الإبصار ؛ ولكن الله عوضه بالذكاء الخارق والاستبصار النادر فكان لا يضع يده على يد أحدٍ إلا عرفه غالباً أو حتى بمجرد سماع صوته من بعيدٍ ولو كان مع غيره من الأصوات، وله باع طويلٌ ويد واسعةٌ في تخفيف التوتر القائم في البلاد بين القبائل والسلطات، وامتصاص العداء الذي يطول بين بيوت السلطة الحاكمة بتأثيره البالغ على الطرفين، كما كانت له اليد الطولى في تأمين القوافل الذاهبة والآيبة على طريق أحور والمحفد، وقد يدفع لمن سلِب ماله أو تجارته عوضاً عنها إذا كان ذلك السلب قد جرى في إطار سلطته ومواقع تأمينه، وقد

---

(١) كان هذا العدل القائم في إقامة الحد ناتجاً عن تأثير الدين في سلطة الدولة القائم إضـافةً إلى أن المتهم بالزنا كان شخصيةً غير مرموقة في ا تمع، وقد تكرر ضغط القضاء على الدولة مـرة أخرى حين ثبوت الجريمة من أحد سلالات الدولة، فأحجم السلطان وأتباعه عن إقامة الحد، وحصلت بسبب ذلك جفوة بين سيدي الوالد والسلطان استمرت إلى وفاته .

(٢) انظر الصورة في الملحق ص٥، والنسب المثبت هنا هو الصحيح خلافاً لما في بعض المشجرات .

يكتفي بإرسال مسبحته مع أحد أفراد القافلة ليعرضوها على البدو الذين قد يحلو لهم قطع الطريق وسلب المارة، فتكون لهم مانعاً وللقافلة حصناً حصيناً .

ولذلك كثر المتعلقون بجنابه، الواردون على داره، الصادرون بأمره، فكان له بذلك مسكن خاص بالزوار والبدو والمارة من كل الفئات والطبقات والأجناس، ويسمونه « المَقْدم »، وتصرف عليه الأموال الطائلة والمصروفات الكبيرة، وقد كان لهذا السيد الفاضل دور لا يستهان به في تمكين سيدي الوالد من إبلاغ دعوته إلى كل الأصقاع والبقاع القريبة والبعيدة، وكان من الشخصيات المتحركة في شأن نصر الحق والدعوة القرآنية، وقد تزوج سيدي الوالد عند هذا السيد المقدام بعد نـزوله بمدينة أحور بمدة عامين تقريباً، وكان الاختيار موفقاً وسديداً ؛ إذ تأكد بعد ذلك استقرار سيدي الوالد بتلك البلاد وحلوله ا .

وكان لا ينفك هذا المنصب المفضال عن حضور مجالس العلم واجتماعات الخير والدعوة وتشجيع أهل البلاد لحضورها والاستفادة مما يذكر فيها، بل كان له شغف عجيب لسماع قصص وأخبار الأسلاف وكراما م وأحوالهم وأشعارهم، وله نصيب وافر من حزو م وأورادهم لا ينفك عن ملازمتها كل صباحٍ بصوتٍ جهوري يسمعه المارة بجوار منـزله، وله فواتح طويلة كل يومٍ يجمع فيها أسماء الأسلاف والأخلاف وغالب السادة الأشراف .

وقد عرفناه بعد أن بلغنا حد الإدراك ملازماً الس سيدي الوالد في بعض المساجد والمدارس، فمنها مجلسه بعد المغرب في مسجد جمال الدين، ومجلسه للمولد في مسجد الشيخ هاشم كل خميسٍ بعد صلاة العصر، ومجلسه بعد صلاة الفجر في

مسجد الجول، وكثيرٍ من ا الس العامة والخاصة التي كان رحمه اللّه يحرص كل الحرص على حضورها والاستفادة منها حتى توفاه اللّه عام ١٣٧٠ بعد مرض طويلٍ أ لك جسده وروحه مدةً تزيد على العامين تقريباً .

٤- **السيد محسن بن فضل بن طويل « العطاس »**

سيد جليلٌ وأب مرب على مستوى فخيمٍ من جلالةِ القدرِ والاِتزان وحنكةِ التجارِبِ وممارسة الحياة، وله هِمةٌ قويةٌ وقدرةٌ في تجاوزِ الصعابِ عجيبةٌ، كان عنصراً من عناصر النهضة الأدبية والعلمية والاجتماعية في هذا البلد رغم أن غالب حياته الأولى كان قضاها في أبين يتيماً يكافح الحياة ويكدح لإقامة أولياتِ وجوده، ثم عاد إلى مدينة أحور مسقط رأسه وموقع أساسه واشتغل بالتجارة والحراثة، وكانت له فيها مكانةٌ واعتبار، ومعالجةٌ واصطبار .

وكان عضداً قوياً لسيدي الوالد منذ حلوله في البلاد، بل كان واسطة خيرٍ في كثيرٍ من المشاريع الخيرة، والمبادرات النيرة، التي أحيت البلاد، وحتى بعد انتقاله إلى عدن وتوطنه ا ظلّ مراعياً ونصيراً لبلاده ومسقط رأسه .

وقد أشار سيدي الوالد لمكانة هذا السيد الجليل في أبياتٍ شعريةٍ شرح فيها معاناته واصطباره لإقامة أسباب الخير في هذه البلاد، وما واجهه ا من صعوباتٍ ومحنٍ في سبيل نشر الدعوة والإصلاح، وفيها يعدد المشاريع التي قام بإشاد ا بادئ الأمر ثم ما واجهه في إتمامها من عقبات، وفيها يقول :

وانظُر لِمشروعٍ جرى بــيــتٍ ســيــبــنى بالحَجر

كم مِحنةٍ مِن أجلِهِ وكم تـلـقـيـنـا ضرر
وانظُرْ لِشِركَةْ نقْلِنا ولمحسِنٍ ذاك الأبـر [1]
قد قام في الأمرِ الذي يحيِي البلاد حـيـا المَطَر
دستور خيرٍ جاهِز كيف اضمحل وما ظَهر ؟
وكذاكَ مشروع مضى مِنه الإِضاءَةُ كالقَمر
قَد حطموه بسرعةٍ وتـشـتت كُل الفِكَر
ماذا سأُحصِي بعد ما قد خاب ظَنّي وانحسر ؟

وقد وجـدت في مـذكـرة سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى للعام **١٣٦٣** من الهجرة بعد نـزوله بأحور بعام واحد، تفصيلاً لبعض المعاملات المادية التي كان السيد
محسن بن فضل بن طويل يقوم بتسهيلها لسيدي الوالد وبعض المدرسين وكيلاً عن السلطان عيدروس بن علي العولقي .

وجملة القول : إن السيد المذكور كان على جانب كبير من النشاط الوقّاد والتأثير القوي في سبيل مصلحة البلاد ونشر الدعوة والخير، ولازالت في مكتبة المدرسة الميمونة بأحور كتب كثيرةٌ تحمل اسمه وتاريخ إهدائها لمكتبة النادي الثقافي والاجتماعي الذي كان هو أحد مؤسسيه ومحركيه خلال تلك الحقبة الزمنية المباركة .

ومن تلك الشخصياتِ المؤثرةِ والمُعينةِ لسيدي الوالد في إبلاغ الدعوة وإصلاح الأمور :

(١) محسن بن فضل بن طويل هو المشار إليه في هذا البيت والذي يليه .

٥- السيد هارون بن عمر باهارون

٦- والسيد عبدالرحمن بن أحمد الحامد [(١)]
٧- والسيد أبوبكر بن عبداللّه بن سميط
٨- والشيخ محمد بن أحمد العزب [(٢)]
٩- والشيخ سالم بن محمد جنيد بامزاحم

وعدد كبير من أهل البلاد المناصرين للحق الداعين إليه بقولهم وفعلهم والراغبين في انتشار العلم والدين، وسلوك السلف الصالحين، منهم من كان مقيماً في أحور ذا ا، ومنهم من كان خارجها في بعض القرى والمدن لا يتسع ا ال لذكرهم .

(١) هـو الـسـيـد العلامة عبدالرحمن بن أحمد الحامد، من مواليد مدينة أحور ومن أحفـاد الحبيب مهدي بن محسن الآنف ذكره، تعلم هذا السيد في أحور ثم سـافر إلى حضـرموت وتلقى دروس الفقه والعربية وغيرها من علوم عصره بمدارس رباط تريم وعـرف شخصـيات العلم القائم آنذاك، وعاد إلى أحور معلماً وفقيهاً، ولأنه كان يميل إلى الخمول والتستر، فلم يظهر داعيةً بين الخلق واكتفى بإمامة الناس في مسجد مهدي بن محسن وإقامة شعائر الصـلاة والموالد وغير ذلك مما يقام في البلاد .

(٢) ستأتي ترجمته في الحاشية عند الكلام عن مساجلات سيدي الوالد وأشعاره.

وَفَاةُ الجَدِّ أَبي بَكْرِ بنِ عَلَوِيٍّ المَشْهُورِ

مع تمام الحول للسنة الأولى التي نـزل بها سيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور ببلاد العوالق السفلى كان والده بحضرموت يزداد اشتياقاً لرؤية الابن البار، وخاصةً أن مسافة الزمن قد طالت بينهما كطول مسافة الطريق، ويسمع الجد أبوبكر من المسافرين أخبار ابنه المبارك في إرساء القواعد الإسلامية الصحيحة في نفوس أهل تلك البلاد، فازداد اشتياقاً وتوقاً للّقاء . وهكذا كتب لابنه الميمون رسالةً خاصةً يخبره فيها بشوقه إلى رؤيته وأنه يرتب العزم على السفر إليه، ويطلب منه إرسال مركوبٍ ملائمٍ يستعين به على قطع مسافة الطريق .

وما أن بلغت رسالة الجد أبي بكر إلى سيدي الوالد حتى أخذ يبحث عن المركوب الملائم بواسطة الشيخ المـحـب المتفاني سالم بن محمد بن جنيد بامزاحم، ولما وجد البغية المنشودة جهز ما أمكنه من تجهيزات الرحلة، وكلّف صاحبه الملازم له منذ دخوله إلى البلاد كرامة سعيد محيفوظ أن يجتهد في السفر حتى يبلغ حضرموت لذلك المركوب الجميل ذي اللون الرمادي، وأخبره أن يبقى لزيماً للجد أبي بكر حتى يعود معه إلى أحور .

وغادر البلاد مركوب الأمل القوي متجهاً على طريق القوافل يطوي الفيافي والقفار خلال أيامٍ ثمانية، حتى بلغ به إلى تريم، ووصل إلى « بلعشر » محلة القرار والاستقرار، وكان يوماً مشهوداً بلغ السرور مبلغه في نفس الأب المشتاق ودار به دورات وتأمل فيه متعجباً ومتحبباً ورآه للرحلة مـعِـينـاً .

ولم يمر على وصول المركوب سوى أيامٍ قليلةٍ حتى كان الجد أبوبكر قد أعد العدة وأحصى المدة، واستعد للسفر نحو أرض القبلة، وقبل أن يصلي صلاة الاستخارة رأى أن يذهب أولاً لاستشارة شيخ القوم وسيد الدائرة العلوية هناك، تاج الوادي، وسيد النادي، الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين لطلب الفاتحة بتسهيل الطريق .

وبعد أن أخذ كل من الجد أبوبكر والحبيب علوي قسطاً من الحديث النافع عن الأهل والأسلاف وأحوالهم ومقاما م عرض الجد أبوبكر فكرته في السفر على الحبيب المكاشف وطلب منه الفاتحة، فكان الجواب من الحبيب شهاب الدين صمتاً مطبقاً ثم انتقالاً مفاجئاً إلى موضوعٍ آخر اسـ تـ رسـ ل فيه الحبيب علوي بن شهاب الدين خشيةَ الكلام فيما استشِير فيه ؛ ولكن الحبيب أبوبكر رحمه الله كرر السؤال مرةً أخرى ولكنه لم يجد جواباً، وفي المرة الأخيرة أظهر اهتماماً أكبر واستوفز [(١)] وطلب من الحبيب أن يرتب فاتحة السفر المرتقب، فقال له الحبيب علوي لما رآه مصراً على الأمر ولم يفهم من إشارته شيئاً : «يا بوبكر ما شي رخصة،المنية قربت»، أو قال : « العويزة قربت »، ووقع كشف الغيب المأذون فيه لخليفة القوم على مسمع الجد أبي بكر وقعاً لا يوصف بقلمٍ، ولا يعبر عنه بأسلوبٍ أو كَلِمٍ، وتغير الأمر وبدأ القلق يجتاح المحيا الصالح الذي أخذ يتكلف الصبر ويواري الأثر الخطير، واستودع الجد شيخه المكاشف ورجلاه لا تكادان أن تحملاه من فرط الهول، وخرج ينظر في ظلمةِ الأجلِ دنو الوعد الذي لا خلْف فيه، وزحام المنية يكاد أن يشق الصدر ويفجر الدماغ .

---

(١) أي جلس جِلسةَ من يأ للقيام ولّما يقُم .

ولزم منذ ذلك الحين فراشه ـليعاد، وكتب وصيته الشرعية المسنونة، واستدعى المرسول من لدن ولده الملتاع، وأخبره أن يعود من حيث أتى وأن يخبر الابن بأن السلف لم يرخصوا في السفر ولم يبين شيئاً من الأمر أكثر مما قيل، وسلمه رسالةً مستعجلةً تحمل التحية والتسليم .

ورجع المحب كرامة سعيد محيفوظ أدراجه على طريق دوعن ثم إلى حجر ومنها اصطحب قافلةً كانت تابعةً لمنصب « عرقة » الشيخ أحمد باداس إلى عرقة، ومنها توجه إلى بلاد العوالق السفلى « أحور »، ولم تطل حياة الجد أبي بكر بعد ذلك الوعد أكثر من ثلاثة أيام [(١)] تقريباً، حيث أدركته المنية مستسلماً على فراشه، وأسلم الروح إلى بارئها يوم ٢٦ من شهر شعبان من عام ١٣٦٣ من الهجرة عن عمرٍ يناهز الخمسة والستين عاماً، رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جناتٍ تجري من تحتها الأ ار، ودفن في قبر جده أبي بكر بن محمد المشهور المدفون فوق جده الأعلى محمد بن أحمد المشهور [(٢)] .

---

(١) جاء هذا التقدير بين وعد الحبيب علوي بن شهاب ووفاة الجد علوي في رسالةٍ وردت مـن العم علوي بن أبي بكر المشهور قال فيها : قال له الحبيب علوي : معاد يصلح تسافر، وركع الاستخارة قبل العصر وبعدها استخار ودعانا للحضور عنده، وأوصـى بـالتراحم ونشـر الدعوة والتآخي .

(٢) جرت العادة في تريم أن يدفن الميت في قبر أحد أسلافه الماضين بشرط أن يمر على ذلك القـبر أكثر من ٤٠ عاماً، ولهذا فإن مسألة الاهتمام بتعاقب الأموات على القبر الواحد مسألةٌ مهمةٌ يعرف ا تاريخ وفاة الأفراد . فالجد أبوبكر دفن في قبر جده الأعلى محمد بن أحمد المشـهور، كما دفن العم علوي بن أبي بكر المشهور في قبر والده الجد أبي بكر بـن علـوي المشـهور، وأخيراً دفن العم عبدالقادر جيلاني المشهور في قبر الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور .

مركوب الدُّنْيا أصبحَ مَرْكُوب الآخِرَة

كانت وفاة الجد أبي بكر بن علوي المشهور أيام عسرٍ وفاقةٍ، فا اعة قد أتت على كل شيءٍ تقريباً، ولم يعد الأحياءُ يجدون ما يقتاتون فضلاً عن تجهيز الأموات، وصعب الأمر على من حضر من أهله وأولاده، وكان إذ ذاك من أولاده بتريم الأعمام : عبدالقادر، وعلوي، ومحمد الغزالي وكان صغيراً، وأشكل عليهم أمر التجهيز في تلك الظروف القاسية، ولم يفرج الأمر غير المركوب الذي أرسله سيدي الوالد من أحور لوالده، فاقترح بعضهم بيعه أو رهنه على أحد الأثرياء، وتم بيعه على السيد الثري محضار الكاف بما يقوم بأمر التجهيز والدفن ولواحقهما .

وانقضى الأمر وأصبح جسد الحبيب المشتاق إلى ابنه خبراً يذكر وسفراً يطوى وينشر على ألسنة الأحياء، وكان من فضل الكريم أن كشف للحبيب علوي بن شهاب الدين عن موعد الوفاة القريب وإلا لفاجأته المنية في الطريق راحلاً إلى بلاد العوالق السفلى .

وما أنْ تمتِ المراسيم المألوفةُ في تريم ـ والتي لا يوجد لها مثيلٌ في العالم أجمع على الأموات [1] ـ حتى حملَ الحبيب علوي بن شهاب الدين هم الأمرِ وكتب إلى

---

(١) تعد الترتيبات السلَفِيةُ العلَوِيةُ في تريمٍ نادرةَ الحدوثِ في كافة البلاد سوى بعضِ البلادِ التي نقلت هذه الترتيباتِ عن أساسها بحضرموت، فإذا مات الميت يعلنون عن موته في الطرقات والحارات ويستأجرون رجالاً وظيفتهم الخاصة إعلان الموت في البلاد، وليس في ذلك أي كراهة بل هو مستحسن كما حققه الإمام النووي في « ا موع » .

كما يقومون خلال ذلك بفتح قراءة القرآن على روحه منذ تلك اللحظة حيث يجتمع الرجال، وكذلك الحال عند النساء حيث يقمن بالتسبيح والتهليل والتحميد وقراءة القرآن

سيدي الوالد رسالة تعزيةٍ خاصةٍ تحمل البشارات والإشارات والدعوات التي تنـزل على القلب برداً وسلاماً، وكتب له عن المركوب الذي بعثه لوالده يقول :

« مركوب الدنيا صار مركوب الآخرة » [1]، وكان للرسالة أثر عظيم في نفس سيدي الوالد امتصت من نفسه وروحه قدراً كبيراً من هم الخبر الذي قطع أمل الانتظار للقادم المرتقب .

والذكر ويهدى إلى روحه، وما أن يفْرغَ الغاسلونَ من غسله وتكفينه حتى تقام عليه الصلاةُ بمن حضر في المنـزل، وذاك خشيةَ أن يخرج منه شيءٌ بعد ذلك خلال حمله . وبعد ذلك يحمله الرجال على نعشٍ فُرِش عليه ثوب كُتبت عليه ألفاظ الجلالة، وهم يقرؤون ذكراً خاصاً وترتيلاً مهيباً من التسابيح والتحاميد حتى يبلغون به مسجد « الجَبانة » بين صفين طويلين من المشيعين الذين ينالون من حمل النعش نصيباً، إذ لا تكاد ترى النعش خلال الطريق إلا عربةً تمشي من يدٍ إلى يدٍ ومن كتفٍ إلى كتفٍ رغبةً منهم في أجر التشييع، حتى يبلغون المصلى، وكذلك الحال بعد الصلاة حتى المثوى الأخير .

وهناك يفتتح المشيعون القراءة في كتاب الله تعالى ثم يختمون ويتلون الفاتحة على روح الميت، ويقوم الأطفال بقراءة الفاتحة بصوتٍ جهوري واحدٍ، وتنصب بجوار القبر خيمةٌ للقارئ الذي يقرأ القرآن على روح الميت ثلاثة أيامٍ، كما ورد عن الصحابة، وانظر في ذلك « تحقيق الآمال فيما ينفع الميت من الأعمال » للعلامة السيد محمد بن علوي المالكي .

(١) أخبرني السيد الفاضل صالح بن أحمد الكاف عن حادثة بيع المركوب على السيد محضار الكاف بما مثاله :

جاء السيد علوي بن أبي بكر المشهور ليلة توفي والده ودق الباب بمنتصف الليل وطلب محادثة السيد محضار، فقالوا : إنه نائم، فقال : لابد من الكلام معه، فجاءه فأخبره بوفاة الوالد وقال له : هذا الحمار معي ونريد كذا وكذا، فقال : خذه إلى عيديد عند (عمرة) ـ أحد موظفي السيد محضار ـ ودعه يثمنه ثم خذ ما تريد، فأخذه إليه وأعطاه كل ما يريد، وبعد فترة أخرى توفيت والدته، فجاء السيد علوي إلى السيد محضار وأخبره فقال : خذ لك ما تريد على الحساب، فأخذ مؤنة التجهيز .

وقد ذكر لنا بعض المعاصرين لتلك الحادثة ما شوهد على محيا الوالد من آثار الحزن والحيرة مع بعض الانطواء، رغم ما كان يظهره من جلَدٍ وتحملٍ وصبرٍ على البلوى، وخاصةً خلال مراسيم الدرس الذي أقامه بأحور على روح والده وحضره الخاص والعام .

وبعد مدة وصل السيد علوي شيء من النقود فجاء إلى مكتب السيد محضار وقـال لهـم : افتحوا الحساب فإن كان علي شيء فسأسدده، ففتحوا الحساب ولم يجدوا عليه شيئاً وقال له المحاسب : بل لك سبعة روبيات، فاندهش السيد علوي كثيراً، وأكد له المحاسب ذلك، فأخذ المبلغ وانصرف وهو متعجب من تصرف السيد محضار الكاف الذي لم يظهر للسيد علـوي رغبته في تغطية مصاريف التجهيز من عنده ولم يأخذ شيئاً من قيمة الحمار .

الزوجة الرَّابِعَة في حَيَاة سَيِّدِي الوَالِد

كانت لوفاة الجد أبي بكر بن علوي المشهور آثار عميقةٌ في كل من أحور وحضرموت، بدت آثارها على الأهل والأولاد وكافة الأسرة المكلومة الحزينة، وقد روي أن سيدي الوالد خلال تلك الفترة العصيبة ظهرت عليه بوادر القلق الممتزج بالصبر والاتزان حتى خشي أهالي البلاد وأعيانهم من تحركِ خواطر الرحلة في نفسِ سيدي الوالد إلى حضرموت، وقَطْعِ مِعِينِ الإفادة وثمراتِ العلمِ التي طَعِموا جناها اللذيذَ كباراً وصغاراً ذكوراً وإناثاً، فاجتمع بعض أصحابه وخاصته من أهل تلك البلاد يتشاورون في الأمر ويتبادلون الرأي، واتفقوا في آخر الأمر على أن الوسيلة المثلى في ارتباط سيدي الوالد بهذه الأرض المحتاجة إليه احتياجها للغيث لا يمكن إلا بالزواج، وتهامستِ الألْسن الخَبَر، وكُلف البعض منهم مفاتحته في الأمر الجديد .

وكان موقف سيدي الوالد إيجابياً في ذلك الأمر غير أنه اشترط حسن الاختيار ومناسبةَ المكان الذي سيكون فيه الإِلْف الجديد، وكان منتظراً إشارة الموافقة على ذلك الأمر من عالم الأرواح برؤيا يراها في منامه أو طيفٍ من أطياف السباتِ يشجعه على مرامه، وكان ذلك الأمر كائناً حيث أخبرنا رحمه اللّه تعالى أنه رأى والده في المنام يأذن له بالتزوج ويؤنبه على التأخير .

وهكذا ظل الاختيار بين المد والجزر فترةً زمنيةً والوسطاء من أهل الحل والعقد يقلبون البيوت بحثاً عن المناسبة والمطابقة حتى وقع الاختيار على منصب البلاد وسيد الجماعة هناك السيد أبي بكر بن عمر الحامد، وأن يخطب لسيدي الوالد من إحدى بناته، وبدأ الحوار الصامت في الأخذ والعطاء بشأن هذا الأمر الهَام حتى استبانت بشائر الموافقة ولزم التنفيذ .

شجرَة طَيبة أصلُهَا ثَابِتُ وفَرْعُها في السَّمَاء

خطب سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى زوجته الرابعة [١] في جو من البهجة والسرور، إذ كان أهل البلاد يرغبون في كل ما يساعد على استقراره وبقائه في البلاد، واستأذن سيدي الوالد سماحة سلطان البلاد في تشييد مسكنٍ ملائمٍ له ولزوجته الجديدة على بناء المدرسة [٢]، فأذن له وبدأ العمل على قدمٍ وساقٍ خلال عدة أسابيع، حتى أصبح المبنى جاهزاً وملائماً، وقد قسمه سيدي الوالد ليكون سكناً خاصاً ومدرسةً ومكاناً لسكنى بعض المريدين والطلبة الذين ليس لهم مأوى .

وتمت إجراءات الزواج الميمون بعد ذلك، وزفت العروس في منـزل والدها بادئ ذي بدءٍ رغبةً في تخفيف أثـر الأسـاطـير الفاعلةِ فعلَ السحرِ في نفوس أهل البلاد عن ذلك المبنى الذي أقيمت عليه المدرسة المذكورة آنفاً، إذ كـان أهـل البلاد يعتقدون أن هذه المدرسة قد بنيت على مقبرةٍ لليهود كانت هناك منذ قديم الزمان، وأن الأرواح والأشباح تظهر في ذلك المنـزل بين الحين والآخر، وقد ذكر لي بعض المُعمرين أن المدرسةَ ذاتها قبلَ إصلاحها للتعليم كانت منـزلاً لجماعةٍ من المشايخ المقيمين في البلاد، ويطلق عليهم « آلُ إسرائيل »، ولازال منهم أفراد قلائلٌ يعيشون في هذه البلاد، كما ذكر أيضاً أن حقيقة الأساطير التي تدور حول هذا المبنى تكمن

---

(١) الرابعة من حيث ترتيـبها بين أخوا ا، والرابعة أيضاً من حيث ترتيـب عـدد الزوجـات لسيدي الوالد رحمه اللّه تعالى، حيث سبق له التزوج بنسوةٍ ثلاثٍ مر ذكـرهن في السـياق الآنفِ من الترجمة .

(٢) أسست هذه المدرسة عام ١٣٦٢ هـ الموافق ١٩٤٢ م تحت رعاية السلطان عيـدروس بـن علي حاكم البلاد ورئيسها .

في سببٍ عجيبٍ وغريبٍ، وهو أن مجنوناً من تلك الجماعة المذكورة كان محبوساً في ذلك المنـزل عدة سنين وكان يطلّ على الناس من نافذةٍ صغيرةٍ في المبنى، فيملأ القلوب بالخوف والرعب صوتاً وصورةً .

وظلّ أثر هذا الخوف في الأجيال اللاحقة رغم موت ذلك ا نون واندثار ذلك المنـزل، ولهذا السبب فقد عانى سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى معاناةً شديدةً في إقناع إِلْفِهِ بالسكنى ذا المنـزل المخيف على حد اعتقادهم بادئ الأمر، ثم استبان بالدليل أن الخوف من المنـزل المذكور لدى الزوجة الجديدة وهم لا علاقة له بحقيقة الأمر، ولذلك فقد رضِيت بالسكنى فيه بعد فترةٍ وجيزةٍ من الزواج الميمون .

ومرت الأيام تلو الأيام والحياة تصفو وتزهو، والوالد مهتم كل الاهتمام برسالته الخالدة العظيمة، وبدأت خلال العام الأول من هذا الزواج الميمون آثار الحمل تستبين، وبدأ القلق والخوف والهلع يستعيد مكانه في نفس الزوجة ويضرب أطنابه في الفؤاد ليصبح مرضاً حقيقياً اضطُر بسببه سيدي الوالد أن ينقلها إلى منـزل والدها وأهلها للمعالجة والاستجمام .

وبقيت هناك فترةً ليست بالقصيرة كان خلالها سيدي الوالد يوزع وقته بين مدرسته وطلبته وأهله، وبين عمارة المساجد في بعض الأوقات المرتبة، وقد أُصيب سيدي الوالد إبان هذه الفترة بمرض « الفتق » كما كان يسمى آنذاك، وسافر إلى عدن وعولج في مستشفى « المكاوي » فترة شهرٍ ونصف الشهر كان خلالها يستقبل عدداً من الخواص والمحبين والمتعلقين ممن كانوا في عدن ونواحيها، وأُجريت له عمليةٌ جراحيةٌ عاد بعدها إلى أحور متماثلاً للشفاء .

ورزق سيدي الوالد مع تمام الحول مولوداً ذكراً في الثالث والعشرين من جماد الآخرة عام ١٣٦٥ من الهجرة أسماه محمداً تـيـمـناً وتبركاً بالرسول الأعظم صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، وقد أُشير عليه في ذلك اليوم أن يذبح فديةً للجن تحصيناً للمولود كما هي عادة البلاد عند هدوف المواليد، إذ قيل : إ م يأخذون شيئاً من لحم الذبيحة ويضيفون إليه أمعاءها ويخلطونه بمشيمة الجنين [١] ثم يدفن في حفرةٍ عميقةٍ بجوار المنـزل ؛ ولكن سيدي الوالد امتنع عن فعل ذلك، واكتفى بتحنيكه والقراءة عليه والأذان في أذنه اليمنى وإقامة الصلاة في اليسرى كما ورد في السنة وكما جرت بذلك عادة الأسلاف رحمهم اللّه تعالى ؛ ولكن الحاشية الجاهلة كررت الطلب في الذبح خشية أن يصاب المولود بمس شيطاني، فرد عليهم سيدي الوالد بقوله تعالى : { قُلْ لَن يصِيبنا إِلاّ ما كَتب اللّه لنا هو مولانا وعلى اللّهِ فَلْيتوكل المُؤمِنونَ }، وغمرتِ الفرحةُ والبهجةُ قلب الأبِ المرتقب صدق الوعد السالف من أبيه بكثرة الأولاد، وسجد شكراً للّه تعالى على نعمته ومنه وأفضاله [٢].

---

(١) المشيمة هي الغلاف البطني الرقيق الذي يحيط بالمولود عند خروجه من بطن أمـه إضـافةً إلى الأوساخ والدماء التي تخرج عقيب الولادة .

(٢) نشأ الأخ محمد تحت كنف سيدنا الوالد وقرأ عليه القرآن ومبادئ العلوم، ودخـل المدرسـة الميمونة وتخرج منها ليلتحق بالمتوسطة في أبين، ومنها التحق بدار تـدريب المعلمـين بعـدن (خور مكسر)، وبعد أن تخرج عاد إلى أحور وباشر عمله مدرساً عام ١٣٨١، وتنقل في عدة مناطق مباشراً وظيفة التدريس ومنها قرى أحور والمحفد، وفي عام ١٣٨٣ تزوج الأخ محمـد بتريم لدى السادة آل بن حفيظ وعاد بزوجته إلى أحور وأنجبت له من الذرية أحد عشـر مـا بين ذكر وأنثى.

وخلال هذه الفترة الزمنية أُشير على سيدي الوالد ببناء مسكنٍ له في المحلة التي يقع فيها منـزل عمه والمعروفة بـ « جول مهدي »، فأخذ الوالد خلال ذلك العام يعد العدة لذلك الأمر .

وفي السادس من شهر رجب من عام ١٣٦٦ هدف المولود الثاني لسيدي الوالد رحمه اللّه تعالى، وهو كاتب الترجمة [1]، وقد أُسميت بـ « أبي بكر العدِني » صاحبِ عدن، لِما له على الأسرة المشهورية من جلائل الأفضال والإنعام والتعلق الصادق في

(١) نشأت وأخذت كل معارفي وعلومي على سيدي الوالد رحمه اللّه، وحفظت عليـه القـرآن بأحور وكنت الثاني في حفظه لأن الحافظ الأول كان الأخ عبداللّه صالح السـهل، وقـرأت على سيدي الوالد العديد من المتون في الفقه والنحو والصرف والحديث والتفسـير والسـيرة والتصوف وغيرها من العلوم، وكنت ـ وللّه الحمد ـ لزيمه في الحضـر والسـفر والحـط والترحال، بل وفي منـزله كنت أكثر إخواني التصاقاً به وخدمةً لـه، وخاصـةً في القـراءة والدروس والإنشاد ومدارسة القرآن، ولم يتيسر لي ما تيسر لبعض الإخوان مـن الدراسـة في مدارس العصر ؛ ولكن بعد أن جاء عهد الثورة وكنت حينها مدرساً في مدرسة أحور تحـت رعاية سيدي الوالد ألزمتني وزارة التربية بالشهادة العلمية، وكنت قد تزوجت عـام ١٣٨٧ وهيأ اللّه لي الاستقرار والذرية حتى توفيت هذه الزوجة بعدن، ولم أجد بداً من خوض غمـار الدراسة منتسباً، فانتسبت للإعدادية ونجحت ا ومنها إلى الثانوية انتساباً، وحينها سـافر أبي إلى الحجاز في تلك الظروف الحرجة، وأكملت دراستي منتسباً إلى الجامعة ودخلتها بعـد أن نقلت عملي وعائلتي إلى عدن، وفي عدن واصلت الدراسة حتى أكملـت الجامعـة بمرحلـة الدبلوم، وفي أثناء الاختبارات النهائية داهمني القضاء يوماً بوفاة زوجـتي فجـأة وأكملـت الامتحان في ظروفٍ نفسيةٍ شديدةٍ وأشير علي بإرسال أولادي إلى الحجاز ليعيشوا مع جدهم وأخوالهم، فأرسلتهم إلى الحجاز .

وقد أفْردت لسير حياتي مؤلفاً خاصاً سميته « فَيض الذكريات » في جزئين جمعت فيه وقائع الحياة حتى سفري إلى الحجاز والتقائي بسيدي الوالد.

جنابه من كافة الأجداد والآباء، وقد ذكر سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى أنه خلال تلك الليلة التي كانت فيها سيدتي الوالدة تعاني من آلام الطلق والوضع أُخبِر بسجن الشيخ القاضي محمد بن أحمد العزب من قبل السلطان عيدروس، فخرج سيدي الوالد مغيثاً وشافعاً في صديقه الحميم وصاحبه القديم، حيث استجيب له في إطلاقه بشرط مغادرته البلاد وعزله عن القضاء، ولم يعد سيدي الوالد إلى المنـزل بعد انقضاء شطرٍ من الليل إلا وقد تمّ كل شيء، والفرحة تملأ الوجوه والقلوب بالقادم الجديد[1].

وانقضت الأيام وسيدي الوالد يعد العدة للمنـزل الجديد ويرتب أمر إكماله وإعداده لتنتقل إليه الأسرة الجديدة الناشئة، وتم ذلك الأمل المعلق خلال عام ١٣٦٨ من الهجرة حيث انتقل سيدي الوالد مع كافة أسرته الصغيرة إلى المأوى الهادئ الجديد، وكان منـزلاً مباركاً وسكناً مرغوباً وخاصةً أنه قريب من مسكن الجد أبي بكر بن عمر الحامد .

وقد كان أول مولودٍ هدف ذا المنـزل هي الأخت « قمر » رحمها اللّه تعالى، والتي عاشت تسعة أعوامٍ بعد ذلك ثم توفيت إثْر مرضٍ ألَمّ ا، وقد وفد إلى أحور في اية هذا العام الحبيب البركة أبوبكر بن عبداللّه الحبشي الملقب « عطاس »، وصادف حلول سيدي الوالد بمنـزله الجديد، فكتب أبياتاً شعريةً مؤرخاً ا إشادةً هذا المبنى المبارك فقال :

بـيـت الصفا والنور   والأنـْـس والحـُـبـور

---

(١) ومما يجدر ذكره خلال هذا العام قَتلُ السلطان عيدروس بن علي بن مهدي العـولقي وهـو ذاهب على حصانٍ إلى قرية حنّاذ، ويقال : إن قاتله كان من إحدى القبائل التي تسـمى «آل عنبور»، وهم قبائل موصوفون بالشدة والبأس .

مثْوى السعاداتِ ومأ	وى الشرح للصدور
ـبِلُطْفِهِ حِساً ومعـ	ـنى فاق كُل الدور
كان أساسه على	تقْوى مِن الغفُور
عامِره نجلُ أبي	بكْرِ الفَتى المَشهور
دام مقَر العلْما	ءِ السادةِ البدور
ومِن جمِيعِ السوءِ محـ	ـفُوظاً مدى العصور
ترعاه عين اللّهِ في الـ	آصال والبكُور
تارِيخُه : « مبارك	بـيـت علِي المَشهور »
٢٦٣	٤١٢ ١١٠ ٥٨٢ = ١٣٦٧

وفي رمضان سنة ١٣٦٩ ولد الأخ « علوي »، والذي لقبه سيدي الوالد «أباصالح» [1]، وكتب سيدي الوالد في مذكرة ذلك العام ما مثاله :

« الحمد للّه، ولما كان يوم الأحد في ١٢ رمضان المعظّم فقد من اللّه علينا بمولودٍ جديدٍ وسميته « علوي المشهور » بجدِهِ، جعله اللّه حافظاً لكتابه العزيز باراً بوالديه

---

(١) نشأ الأخ علوي مثل إخوانه تحت رعاية سيدي الوالد ونال نصيباً من العلم والمعرفة وتـدرج في دراسته من بدايتها ودخل المتوسطة بأحور بعد أن قضى قبلها عامين في تـريم يـدرس في الرباط، ثم تدرج في التعليم إلى الثانوية ومنها تخرج ليباشر بعض الأعمال الوظيفيـة بعـدن، ومنها العمل في إدارة المياه، ونال منحةً تعليميةً في الهندسة إلى الصين العامة، ومكث بالصـين خمس سنوات ثم عاد إلى عدن واشتغل مهندساً في مصنع الغزل والنسـيج، وتـزوج بعـدن وأنجب عدداً من الأطفال وظل في وظيفته حتى زال عهد الدولة الشيوعية واتحدت اليمن فنقل إلى صنعاء واشتغل في أعمال عديدة منها إدارة مصنع الأدوية وغيرها، ولا زال يباشر وظائفـه العملية إلى اليوم.

داعياً إلى اللّه، وجعل ما في سلفه العلويين فيه من العلم والأحوال والأسرار آمين، وأطال عمره في عافيةٍ وجميع إخوانه وأبويه يا رب العالمين [1] » .

---

(١) في هذا العام وصل إلى أحور الأستاذ أبوبكر بن عبداللّه بن سميط وعمل مدرساً بأحور، وقدم أيضاً إلى أحور زائراً السيد العلامة عبدالقادر الروش قادماً مع جماعةٍ من طلبة العلم من حضرموت، وذلك خلال عام ١٣٦٣ من الهجرة، وهي السنة الأولى التي نزل فيها سيدي الوالد بأحور .

وفي هذه الفترة وصل إلى أحور أيضا العم محمد الغزالي بن أبي بكر المشهور بمعية العم علوي بن أبي بكر المشهور، وقد وصف العم محمد الغزالي هذه الرحلة بما مثاله :

طلب الأخ المرحوم علي بن أبي بكر المشهور من الأخ علوي أن يرسلني من تريم إلى أحور ليكون تعليمي على نظره وتحت رعايته، فرحلت مع الأخ علوي رحمه اللّه من تريم على سيارة إلى المكلا ومن المكلا أخذنا سفينة بحرية إلى بير علي، ومرضت في هذه الرحلة مرضا شديدا، وواصلنا الرحلة عبر البر حتى اشتد بنا العطش وأرهقنا غاية الإرهاق في طلب الماء ولم نجده حتى يئسنا من الحياة، فظهر لنا رجلٌ فجأةً وسألناه عن الماء فدلنا على طريقه ولما رآني مريضاً ومنهكاً أعطاني من ماءٍ معه وودعنا، وبمجرد التفاتنا عنه ضاع في الصحراء ولم نره وكأن الأرض ابتلعته .

وبعد سفر طويل لا أتذكر تفاصيله لبعد العهد وللمرض الذي ألم بي في الطريق وصلنا إلى أحور فاستقبلنا الأخ علي وفرح بوصولنا كثيراً، ومكث الأخ علوي بأحور حوالي أسبوع ثم عاد إلى حضرموت وبقيت أنا بأحور مدة سنتين تعلمت فيها واستفدت من التعليم، ووصل في هذه الأثناء السيد أبوبكر بن عبداللّه بن سميط إلى أحور .

وخلال السنتين قرأت القرآن وبعض المتون وحضرت دروس الأخ علي في المسجد والمنزل والمدرسة ولكن لم أستقر نفسياً بأحور بل كنت في غاية من القلق والخوف وخاصة من إزعاج النساء النائحات على الجنائز بأصوات عالية، وكانت المقبرة قريبة من بيت الأخ علي. كما ازداد شوقي إلى أهلي بتريم فطلبت رخصة من الأخ علي فأوعدني أن يأخذني معه إلى تريم في العطلة، فذهبنا من أحور ومعنا الأخ عبداللّه صالح السهل بطريق البر حتى المحفد ثم

وفي شهر شعبان من عام ١٣٧٠ من الهجرة رزق اللّه سيدي الوالد بمولودٍ أسماه «عمر المحضار» [1]، وقد كتب عن ولادته ما مثاله :

حبان وعبرنا حوطة الفقيه علي ثم يبعث ومنها إلى دوعن، ودخلنا القويرة عند الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار، ثم توجهنا إلى شبام والحوطة ثم إلى سيئون ومنها إلى تريم، ومكث الأخ علي بتريم مدة وجيزة، ثم عاد إلى أحور واعتذرت له عن السفر من تريم .

ومكثت عند الأهل وأكملت دراستي بأربع سنوات تقريباً، ثم شجعني الأهل على الخروج لطلب المعيشة فعزمت مع الأخ علوي إلى الكويت ولكن عند وصولنا إلى عدن غير الأخ علوي رأيه وأدخلني عملا في عدن عند أحد التجار، فاشتغلت عنده حوالي أربع سنوات .

وفي هذه الأثناء تعرفت على بعض الأصدقاء والذين حسنوا لي السفر إلى بريطانيا وكانت الظروف ميسرة آنذاك لأن عدن كانت مستعمرة بريطانية، فسافرت إلى بريطانيا على أساس البقاء سنة واحدة ولكن تيسرت ظروف عمل طيبة فجلست حوالي ثلاث وعشرين سنة وبعدها هيأ اللّه الأسباب في الانتقال إلى الحجاز والالتقاء بالأخ علي وأولاده فرغبني في الاستقرار بجدة والعمل ا فرغبت وتوطنت بجدة، وبعد عدة سنوات تزوجت بجدة والحمد للّه حصل الاستقرار منذ ذلك الحين .

(١) نشأ الأخ محضار تحت رعاية والده ونال نصيباً من الرعاية، وقرأ القرآن وتعلم قسطاً وافراً من العلوم في مدارس الوالد وحلقات المسجد، كما التحق بالتعليم المدرسي حتى المتوسطة، وتخرج منها وباشر بعد ذلك التدريس بأحور وتزوج وأنجب، وكان يميل إلى الهندسة وإصلاح الأجهزة والأعمال الزراعية، وله رغبةٌ جامحةٌ في ذلك حتى استفاد من مهنته وطموحه.

ولما انتقل سيدي الوالد إلى الحجاز يأ للأخ محضار السفر للحج والعمرة مراتٍ منها ما كان خلال حياة سيدي الوالد، ورزقه اللّه بولده علي أثناء آخر حياة سيدي الوالد كما سيأتي في الترجمة عند الحديث عن أجل سيدي الوالد ووفاته.

ولما عاد إلى الوطن بقي يباشر عمله في التدريس ولكنه عاد إلى الحجاز مرة أخرى وعمل ا حوالي سنتين، وخلال الحج عام ١٤١٠ تعرض الأخ محضار إلى حادثة النفق المعروفة في يوم العيد (نفق المعيصم) حيث كان هو والحاج سعيد بن لشعب العولقي رحمه اللّه وناصر

« الحمد للّه، ولمّا كان في ٢٩ شعبان سنة ١٣٧٠ ليلة الأحد الساعة العاشرة «إفرنجي» فقد من اللّه علي بمولودٍ، وسميته بسيدنا الشيخ عمر المحضار جعله اللّه باراً بوالديه حافظاً لكتاب اللّه وقرة عينٍ، وأطال عمره في عافيةٍ ورزقنا وإياه رزقاً واسعاً وفتح عليه في العلوم النافعة، آمين » .

وفي عام ١٣٧١ من الهجرة المباركة ولد لسيدي الوالد مولود سماه « عبداللّه الغريب » نسبةً لولي اشتهر في أحور باسم الغريب ويقع في الجهة الشمالية للمدينة، وله مقام كبير وكرامات مشهورةٌ يذكرها أهل البلاد، وقد كتب سيدي الوالد في مذكرته عن ولادة الأخ عبداللّه ما مثاله :

« في ٢٢ يوم الجمعة ذي الحجة سنة ١٣٧١ وهب اللّه لي بفضله مولوداً وسميته بأفضل الأسماء «عبداللّه بن علي المشهور »، جعل اللّه ما في آبائه العبادلة كلهم فيه، وجعله اللّه باراً بوالديه حافظاً لكتاب اللّه عاملاً داعياً إلى اللّه طويل العمر في عافية » [1].

عبداللّه النجار وولده رحمهم اللّه جميعا وأيضا الولد زين ومهدي محمد الحامد وأبوبكر عمر الحامد وعلي جنبا قطن كانوا معا في تلك الحادثة، وقد هيأ اللّه لهم السلامة ما عدا الحاج سعيد وناصر النجار وولده فقد عاجله الأجل ذلك اليوم رحمهم اللّه، ومكث الإخوان والأولاد المذكورون في المستشفى مدداً متفاوتةً حتى تمت عافيتهم.

وعاد بعدها الأخ محضار وعائلته إلى أحور واستمر في عمله التربوي ثم خفف عنه التدريس إلى عمل إداري، ولا زال يباشره بأحور إلى اليوم كما يقوم بمساعدة الأخ محمد في خطبة الجمعة والصلاة بالناس في مسجد الجول خلال أيام الأسبوع.

(١) نشأ الأخ عبداللّه الغريب مثل إخوانه تحت رعاية سيدي الوالد وكان ذا طبعٍ هادئٍ منذ صباه، وتدرج في مراحل التعليم حتى تخرج من الثانوية سنة في مدينة الشعب في عدن، وباشر بعد ذلك التدريس بأحور في الثانوية ثم ترقى وصار مديراً للمدرسة الثانوية، وكانت له دربةٌ

وفي عام ١٣٧٣ هـ ـدف مـ ـولـ ـود جديد أسماه سيدي الوالد « محمد المهدي »، وقد توفي صغيراً في مهده، وكتب في المذكرة يوم تسميته ما مثاله :

« في ٧ ربيع الثاني سنة ١٣٧٣ من اللّه علي بمولودٍ جديدٍ وسميته « محمد المهدي » تفاؤلاً بأن اللّه يهديه ويجعله قرة عينٍ ويصلحه ويجعله باراً بوالديه »، وقد عرفت هذا المولود في مهده يمتاز بشق صغيرٍ في شفته العليا، وقد توفي في يومٍ شديد الريح .

وفي شهر رجب من عام ١٣٧٥ هدف المولود المسمى « أحمد الهادي » وكتب سيدي الوالد في مذكرته عن ولادته ما نصه :

« الحمد للّه، ولمّا كان في ٩ رجب ١٣٧٥ من اللّه لنا بمولودٍ، وسميناه « أحمد » بالمصطفى صلى اللّه عليه وآلِهِ وسلم، جعله اللّه من أولاد السلامة والعافية، وجعله قرة عينٍ داعياً إلى اللّه حافظاً لكتاب اللّه، وأطال عمره » [1].

طيبةٌ بالأعمال الإدارية التعليمية.

تزوج الأخ عبداللّه بتريم وأنجب عدداً من الأطفال ونقل زوجته إلى أحور وظل متفانيـ ـاً في عمله، وسافر إلى الحجاز للحج والعمرة والزيارات، ومكث سنةً كاملةً بجدة ثم عاد إلى أحور وباشر عمله، وله زيارات متعددةٌ إلى تريم يأخذ فيها أسرته ويمكث الشهور الطوال ثم يعـ ـود إلى أحور.

(١) نشأ الأخ أحمد بأحور تحت رعاية سيدي الوالد وخاصةً بداية حياته وسافر مع سيدي الوالـ ـد في رحلاتٍ متعددةٍ إلى حضرموت وحبان وغيرها، وكان سيدي الوالد يزمع تركه برباط تريم لطلب العلم ولكن صادف في ذلك العام ١٣٩٢ قيام التغيرات الاجتماعيـ ـة، ولـ ـذلك عـ ـاد سيدي الوالد من تريم ومعه الأخ أحمد إلى أحور ورحل الوالد إلى الحجاز ريثما التحـ ـق الأخ أحمد بالثانوية في زنجبار أبين، وبعد أن أكملها حاول السفر إلى الحجاز لمسـ ـاعدة الوالـ ـد في حياته العملية ولكنه أخفق مراتٍ حتى يأ له ذلك برخصةٍ رسميةٍ ومكث خمسة عشر يوماً في جدة، وذلك لما ذهب مرافقاً لسيدتي الوالدة ثم عاد إلى عدن .

وفي شهر صفر من عام ١٣٧٨ ولد الأخ « شهاب الدين » وهو أصغر الذكور في أبناء سيدي الوالد، وكتب سيدي الوالد في مذكرته عن ذلك ما مثاله :

« الحمد للّه، ولمّا كان ليلة الخميس، صفر سنة ١٣٧٨ فقد من اللّه علينا بمولودٍ وسميناه « شهاب الدين » جعله اللّه من أهل السلامة، وفتح عليه في العلوم فتوح العارفين وأطال عمره في خيرٍ وعافيةٍ »[1].

وخلال عمله في عدن يأت له منحةٌ علميةٌ إلى ألمانيا فذهب للدراسة هناك ومكث سـنةً واحدةً ثم عاد إلى عدن، ومنها يأت له الرحلة بطريق البر هروباً إلى البيضاء في ظروفٍ صعبةٍ وخطرةٍ، ومنها رحل إلى الحديدة ثم إلى نجران ودخل بعد ذلك إلى جدة ليكون أول من يصل إلى سيدي الوالد من أولاده، وباشر الأخ أحمد في جدة أعمالاً عديدةً كان آخرها عملـه في شركة سيارات، وفي عام ١٤٠٢ كان الأخ أحمد مرافقاً لسيدي الوالد في رحلته للعـلاج في بريطانيا وعاد معه إلى جدة، ولما توفي سيدي الوالد كان الأخ أحمد مهتمـاً كـل الاهتمـام بالأسرة واحتياجا ا مع بقية الإخوة ولا زال كذلك إلى اليوم.

(١) نشأ الأخ شهاب الدين جزءاً من باكورة حياته تحت رعاية سيدي الوالد بأحور، وتـدرج في طلب العلم على يده، ثم التحق بالمدارس التعليمية حتى أكمل بصِغرٍ مراحل الثانوية والمعهـد الفني بعدن، وخلال هذه المرحلة رحل هروباً من عدن مع جماعةٍ من المسافرين عبر الصـحراء إلى حدود شمال اليمن، وكان برفقته كل من الأخ مهدي محمد الحامد والأخ عبداللّه صـالح السهل، وقد قّدر اللّه عليهم في هذه الرحلة أن يتم القبض عليهم بعد الاشتباه م، وسـجنوا في تعز ثم في المخا ثم في الحديدة حوالي عشرين يوماً ثم أُخرجوا بضمانةٍ علـيهم مـع بعـض المعروفين لدى سيدي الوالد من آل الشقّاع .

وواصلوا رحلتهم من الحديدة بعد مكث وقتٍ طويلٍ ا إلى نجران ومكـث الأخ شـهاب الدين بنجران قرابة العام ثم دخل جدة، وباشر بجدة أعمالاً عديدةً بإذن سيدي الوالـد حـتى توفي سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى، وكان الأخ شهاب الدين ملازماً لـه في مرضـه الأخـير ومرافقاً له في المستشفى، وبعد وفاة سيدي الوالد تأثر الأخ شهاب الدين بعض الوقت من أثر الصدمة ثم عادت له صحته وباشر أعماله .

ثم من اللّه بعدوف عددٍ من الإناث، وقد كن أملاً وأمنيةً لسيدي الوالد والوالدة، ففي غرة رمضان عام ١٣٨٣ ولدت فاطمة الزهراء [1]، وكتب سيدي الوالد بهذه المناسبة على مذكرته ما مثاله :

« الحمد للّه، ولمّا كان أول يومٍ من شهر رمضان ١٣٨٣ فقد من اللّه علينا ببنتٍ سميتها « فاطمة الـزهـراء »، جعلها اللّه من بنات السلامة الصالحات القانتات الحافظات لكتاب اللّه تعالى الداعيات إلى اللّه، وجعل سر فاطمة البتول فيها بإذن اللّه » [2].

سافر إلى اليمن ومكث في البيضاء يطلب العلم سنةً كاملةً وعاد إلى الحجاز وتزوج بـها ثم رغب في سكنى المدينة المنورة فسكنها مجاوراً، ولما هيأ اللّه فتح الأسباب للعود إلى الوطن كان الأخ شهاب الدين من أول المبادرين للعود إلى الوطن لزيارة الأهل والإخوان هناك . وصـار يتـردد على المدينة المنورة ويمكث بها غالب السنة ويرجع إلى الوطن أيام العطل الصيفية والفصلية .

(١) وقد نشأت تحت رعاية سيدي الوالد وتعلمت القراءة والكتابة ومبادئ الفقه واللغة ثم سافرت خلال سفر الأسرة إلى الحجاز، واستفادت خلال هذه الفترة من القراءة على سـيدي الوالـد حتى تزوجت على السيد مهدي بن محمد الحامد عام ١٤٠٢ وأنجبت له ذريةً مباركةً، وقـد عادت مع زوجها إلى الوطن وأقامت معه هناك، ولها دور مبارك في نشر الدعوة إلى اللّه بـين النساء بأحور.

(٢) وفي هذا العام وصل إلى أحور في ذي القَعدة العلامة الداعي إلى اللّه تعالى الحبيب علوي بـن عمر العيدروس، ومكث أياماً يدعو إلى اللّه في المساجد والمعابد، وقد ألقى سـيدي الوالـد قصيدةً شعريةً بمناسبة قدومه .

وقد سبقه بعامٍ واحدٍ الشيخ العلامة الفقيه فضل بن محمد بافضل، حيـث زار أحـور في ١٣٨٢/٨/٢٠ من الهجرة واحتفل به احتفالاً كبيراً وشهد في البلاد عدة اجتماعاتٍ وألقيـت الخطب والقصائد، وألقى سيدي الوالد في مناسبة وصوله قصيدةً قال في مطلعها :

أيا فَضلُ ذا الإِفْضال والعِلْمِ والحِجى ألاَ ألْف أهلاً ما حويْـت على الرتب

وفي عام ١٣٩٠ ولدت « عائشة » الصديقة، وقد اختارها اللّه إلى جواره وهي رضيعةٌ إثر مرضٍ ألمّ بها، ثم كانت آخر المواليد في شجرة الأبناء هي الأخت «مريم» والتي ولدت في ٢٩ شوال عام ١٣٧٩ من الهجرة [(١)].

أيا فَضلُ أعطَاكَ الإِلَهِ بِفَضلِهِ حفِظْتَ كتاباً دافِع الشر والعطَب

لَقَد جِئْتَ مِن أرضٍ بها العِلْم ناشِئٌ كزرعٍ بها ينشا على خِيرةِ الترب

« تريم » حوت للعِلْمِ والفَضل والهُدى وسِيرةِ أسلافٍ، فيا فوز من أحب

تريم حوت كُل المَفاخِرِ وازدهت بأوتادٍ اقطابٍ لَهم نصِبت قُبب

وهي قصيدةٌ طويلةٌ سنثبتها في « ديوانه » إن شاء اللّه تعالى، وأما القصيدة التي ألقاهـا في مناسبة قدوم الحبيب عمر بن علوي العيدروس فهذا مطلعها :

إلى العيدروسِ جارِنا وحبيبنا هو العلَوي المفضال ذي العِلْمِ والغِنى

علَيك سلام اللّهِ جِـئْـت لِأحورٍ دعـوت إلى الرشـدِ فأحـيـيـت ـت

علَيك سلام اللّهِ شرفْت بلْدةً بها الجَهلُ فَاشٍ صار خِلك في عنا

يذكرهم في كُـل وقْتٍ مناسِبٍ عسى يهتدوا والرب يعفُو لِمن جنا

ولكنني في غايةِ الخوفِ سيدي بأَنْ تقْرب الآجالُ والموت هاهنا

وهي قصيدةٌ طويلةٌ سنثبتها في « ديوانه » إن شاء اللّه تعالى .

(١) نشأت بأحور تحت رعاية سيدي الوالد وملاحظته ونالت نصيبا حسنا من العنايـة والتعلـيم وزادت فرصة استفادتها بعد انتقالها مع الأسرة إلى الحجاز، فقد كان سيدي الوالـد يدرسـها مع الأخت فاطمة، فاستفادت العديد من العلوم الدينية والعربية النافعة والنشاط الاجتمـاعي في بيئة النساء.

تزوجت الأخت مريم سنة ١٤٠٥ على السيد شهاب أحمد الحامد بجدة ثم سـافرت معـه ومع الأسرة جميعها إلى الوطن، ولها الآن بأحور دور حسن في نشر الدعوة والعناية بـالتعليم النسائي والنشاط الاجتماعي بين النساء، ولها ذريةٌ مباركةٌ .

شَجَرَةُ سيدي الوالدِ عليّ بنِ أبي بكرٍ المشهور وأبناؤه وأبناؤهم

محمد صلى الله عليه وسلم
علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء

الإمام الحسين - علي زين العابدين - محمد الباقر - جعفر الصادق - علي العريضي -محمد- عيسى - أحمد المهاجر - عبيداللّه - علوي - علي خالع قسم- محمد صاحب مرباط - علي - محمد الفقيه المقدم - علوي - علي - محمد مولى الدويلة - عبدالرحمن السقاف - أبوبكر السكران - علي - عبدالرحمن - أحمد شهاب الدين الأكبر - عبدالرحمن - أحمد شهاب الدين الأصغر-محمد- أحمد-محمد المشهور-علوي-محمد - أبوبكر - عبدالرحمن - علوي - أبوبكر - علي « سيدي الوالد »

محمد	أبوبكر	علوي	محضار	عبداللّه	أحمد	شهاب الدين
علي عبدالقادر أحمد عبداللّه	سقاف زين محمد علي عبدالقادر	محمد حمزة	علي	علي طه أحمد أبي بكر	علي حسين محمد	علي محمد علوي

وقد بذل سيدي الوالد أقصى جهده في إحسان تربيتنا وإكمال معرفتنا بربنا وديننا، ولم يمت حتى بلغَ الرسالةَ وأدى الأمانة وبصرنا بكل ما يليق وينبغي أن يعلمه ويتعلمه مريد الآخرة والدنيا، وكم من مرةٍ نراه قد جمعنا في بحر الأسبوع يتحدث معنا بالموعظة والتوجيه اللطيف والأدب النبوي الكريم، ويذكر لنا من تجربته وبره لوالديه ما لا يمكن أن يصدر إلا عن إنسانٍ موفقٍ رمى الاختيار وملَك زِمام النفسِ فقادها إلى الخير طوعاً وكرهاً، وكان أسلوبه الأمثل في التربية « العلم في الصغر كالنقش في الحجر »، وكان يتمثل بقول الشاعر :

أدب بـنـيـك إنْ أردت صلاحه   لا خير في ولَدٍ إذا لم تضربِ

أوما ترى الأقْلام عند قصامها   إن لم تقَط رؤوسها لم تكْـتـبِ ؟

والأمر المحير لكثير من الناس أنه كيف استطاع سيدي الوالد يئةَ الظروفِ السلَفيةِ في بيئةٍ كل ما فيها ومن فيها علاقتهم بأدب الأسلاف مجردةٌ عن التطبيق ؛ ولكن سيدي الوالد كانت رؤيته التربوية تنبثق من قوله صلى اللّه عليه وآلِه وسلم : « كل مولودٍ يولَد على الفطرة، فأبواه يهودانِه أو ينصرانِه أو يمجسانِه » فلم يلتفت إلى تربية معلمٍ ولا أسرةٍ ولا مجتمعٍ وإنما صب جام همهِ على إفراغ ما يريد في قوالب وقلوب أبنائه مع اعتبارٍ للفروق الفردية والعمرية .

وقد شهدت له رحمه اللّه موقفاً من هذه المواقف عندما تخرجت من السنة الرابعة للمدرسة الابتدائية ولم يضعني والدي ضمن طلبة المرشحين للدراسة في أبين زنجبار للمرحلة المتوسطة، فكان من أحد المفتشين التربويين سؤالٌ لي عن ذلك، فأخبرته برغبة أبي، فنال بلسانه من قرار أبي وذهب إليه يلومه على تضييع مستقبلي وتركي متأخراً عن ركب رفاقي وزملائي المسافرين، فقال سيدي الوالد للمفتش : « هذا

ولدي أو ولدكم ؟ » فرد عليه : « ولدك » فقال : « أنا أعلم بمصلحته » فسكت المفتش سكوت المتعجب وأمرني أن أنصرف .

ثم دعاني الوالد مرةً أخرى وقال لي بما معناه : « إذا صرت يا ولدي على ما أريده منك ستحصل على حالٍ وعلمٍ أفضل مما يحصلون عليه وستفوقهم بإذن اللّٰه »، فدمعت عيني حينها وقَبِلْت ما يريد [1] .

---

(١) وقد تحقق قول سيدي الوالد وسمعته يقول لي يوماً وأنا أقرأ عليه من « جة المحافل » للإمـام العامري في مدينة جدة : « البركة معك كلها، شفها جاءتك مسرجة ملْجمة وقيـل لـك : اركب » .

الوَقتُ كالسَّيْفِ إنْ لم تَقْطَعْهُ قَطَعَك

إذا عرف المرء قيمة الشيء أسرع وجد في طلبه، بل وأفنى كل لذائذه في سبيل الحصول على ذلك الشيء المأمول، والوقت في الحقيقة مسافةٌ تخفي جوهر العمر وتطوي سر وجود الخلق بغشاءٍ وهمي يصبح راناً كثيفاً على أولي التسويف والتمادي في الغفلات، بينما هو لدى أهل اليقظة سن محدود يشرق في نفوسهم فيستضيؤون به لكشف ظلمات الذات والمسافات .

ولقد كان سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى ممن عرف قيمة المثل الآنف، فامتلك مقبض السيف وصار يقطع به مسافة الملل وعوارض التثبيط ويفتح به مدائن المعرفة ويشيد به صروح القرآن، حتى عرفناه فاتحاً وقائداً مجاهداً ومثلاً يحتذى به وأسوةً يقتدى بفعاله ومقاله، ولم يبلغ ذلك الشأو الساحق والمكان العالي إلا باتباعه منهاجاً قويماً استفرغ فيه كل جزئيات الأوقات والمسافات .

وهنا يطيب لنا أن نستعرض طرفاً من تلك العمارة الروحية للأوقات المباركة .

مَرْحَلَةُ الطَّلَب[١]

كان وقت سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى خلال باكورة عمره موزعاً بين حفظ كتاب اللّه تعالى ودراسته مع معلمه بقبة الشيخ أبي مريم ومع والده وبعض أقرانه خلال سويعات لقائهم، ويقتطع من الوقت جزءاً لخدمة والده أو زيارة والدته التي انفصلت عن والده

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص٥ .

خلال مرحلة صباه، وكان له من الوقت ما يطلب به مبادئ الفقه والنحو لدى بعض المعلمين وطلبة العلم وخاصةً مع بعض أصدقائه الذين يأنس إليهم ويألفهم [١] .

وفي غمرة هذا الانشغال الدائم لم ينس رحمه اللّه تعالى أن يجتهد في العمل بالآداب والأخلاق النبوية والسنن المأثورة مما حول علمه ومعرفته إلى تربيةٍ عمليةٍ كونت له في ذاته وجوارحه بناءً متكاملاً واستقامةً صحيحةً في ظاهره وباطنه .

وكان فضل ذلك ـ كما يقول سيدي الوالد ـ يعود إلى مراعاة واهتمام والده في حسن تربيته ومراعاة سلوكه، فما من وقتٍ يمر من ليلٍ أو نهارٍ إلا وهو يوجهه لقراءة قرآنٍ أو مدارسة علمٍ أو مطالعة كتابٍ أو مراجعة مسألةٍ أو تسجيل فوائد، حتى صح أن نقول في بركة وقته المعمور ما قاله الحبيب علي بن محمد الحبشي [٢] :

ـ بركة العمر لي عمرك مضى وانت طايع ـ

---

(١) مما يرويه سيدي الوالد أنه كان يقضي بعض الوقت مع أنداده في السن كالحبيب محمد بن علوي بن شهاب الدين، والسيد طاهر بن حسين الكاف والذي كان يدارسه القرآن في عزلته برباط تريم، وكان لهم ورد من القرآن يقرؤونه في التربة حيث كانا يذهبان لزيارة القبور وقراءة القرآن هناك، وقد حدث لهم في إحدى الليالي حادثٌ مفزع انقطعوا بعده عن الزيارة ليلاً إلى المقابر، وسنذكره في الفصل الآتي.

ومن أقرانه وأنداده في الطلب في هذه المرحلة الشيخ العلامة كرامة سهيل والذي كان لزيماً لسيدي الوالد في طريق الذهاب والإياب إلى قبة تحفيظ القرآن ولزيمه أيضاً في زيارات سيدي الوالد لوالدته الحبابة « علوية بنت محمد بن هارون »، وقد ذكر لي أن أهله وأصحابه أطلقوا عليه « صاحب علي » لكثرة ما يتلازمان في تلك المرحلة المبكرة .

(٢) وهو رحمه اللّه تعالى من الأئمة الأعلام الذين نفع اللّه بهم الأمة في عصره، وله مؤلفات عديدة ودواوين شعريةٌ، وقد طبع منها الوصايا ومولد السيرة وبعض دواوينه، ترجمت له العديد من كتب التراجم الأخيرة ومنها ترجمةٌ حافلةٌ للسيد طه بن حسن السقاف، وقد توفي الإمام علي الحبشي عام ١٣٣٣ رضي اللّه تعالى عنه .

مَرْحَلَةُ الاِعْتِمادِ على النَّفْس

من ضرورات المبادئ التربوية الصحيحة أن تحقق استجابةً ذاتيةً لدى المريد بحيث يصبح الأدب والسلوك المقتبس من مصادره النيرة أمراً مستوعباً ومترجماً في مظاهر اهتمام القلب وحركات الجوارح وخاصةً عند إطلاق القيد ورفع الحواجز الأبوية عن الابن في حالة التمام وبروز الدلائل على أن المريد أهلٌ لتحمل المسؤولية وكفؤ لها .

وقد كانت نوازع سيدي الوالد ودوافعه القويمة أهلاً لتلك المسؤولية بلا أدنى شك ولا ريبٍ، إذ إن الانصراف إلى إقامة الآداب والبر وأعمال الخير وحب العلم ومجالسة أهل الفضل والسر والارتباط م في مـرحـلـتـه المبكرة من العمر هي خير دليلٍ وأوفى شاهدٍ على صدق المنهج وقوة الاتجاه الفطري وتفرد الشخصية .

ولذلك فإن أول إشارةٍ صدرت من الأب المعلم لولده البار في مرحلة التجريب والتدريب تلك الإشارة التي تلت موافقة الوالد رحمه اللّه على طلاق الزوجة الأولى وترتيب سفره إلى الهند مع أخيه علوي خلافاً لما يعتاده من اصطحاب والده ومربيه وموجه سلوكه في حطه وترحاله .

ولذلك فقد روى سيدي الـوالـد أن أول مشكلةٍ واجهها عند رحلته تلك هي الهندام السلفي واللباس العلوي، إذ نصحه بعض أهل التجربة أن يغير اللباس ويلبس ما يعتاده الناس في البلاد التي يسافر إليها ؛ ولكنه لم يأنس لذلك وبقي محافظاً على الجبة والعمامة والقميص وغيرها من ألبسة السادة العلويين في حطهم وترحالهم .

وقد حق له أن يفخر بلباس أسلافه في كل بلاد ينـزل ا مع أن غيره كان يشمئز وينفر من ذلك مجاراةً لعادات البلاد التي يحل ا، وقد ذكر سيدي الوالد أنه كان في مدينة سنغافورة متفرداً في لباسه وهندامه وسلوكه حتى إن النساء في الأزقة والشوارع كن يـتـنـبـهن لوجوده ويتجنبن الالتصاق به مع شدة الزحام تقديراً واحتراماً لذلك اللباس، وكان يقول في ذلك : « يكفيني من ذلك كله أن لباس سلَفي منعني من الاختلاط وباعدني عن الفساد والإفساد » .

والأمر المستخلص من مثل هذه التجربة النادرة : أن مرحلة التدريب والتجريب التي يطْلَق فيها الشاب بلا حسيبٍ ولا رقيبٍ هي أهم مراحل العمر على الإطلاق، وخاصةً لمن ينشؤون في بيئاتٍ محافظةٍ ملتزمةٍ بالآداب الإسلامية نصاً وروحاً، فالإطلاق في مثل هذه الحال هو تسليم العقل إلى النوازع والدفعات والرغبات التي تؤدي لدى الكثيرين من الناس إلى السقوط في أوحال ا تمعات أو حتى الميل إلى شيءٍ من اللذائذ والشهوات التي كانت عليه محظورةً في إطار التربية الأولى .

وقد يحصل من ذلك الإطلاق سمو على النفس وارتقاءٌ على الشهوات، فيبلغ إلى مرتبة الحصانة التي تسمى عند سلفنا بالعناية، وهي لدى المختارين من اللّه ا ذوبين إليه لونٌ من ألوان العصمة، وهذا ما وفق اللّه له سيدي الوالد رحمه اللّه في باكورة هذه المرحلة الحرجة، فكانت أول اللبنات الهامة في حمل عبء الدعوة الإسلامية ونشرها بالقول والعمل (١) .

---

(١) سأل أحدهم سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى عن شروط الداعي إلى اللّه تعالى ؟ فقال له : «كن مسلماً كما ينبغي، فتلك دعوة الإسلام بعينها » اهـ بمعناه .

القرآنُ العَظِيمُ وعَلاقَةُ سِيِّدِي الوَالِدِ بِـهِ تَرْبِيَةً وسُلُوكا

لقد كان سيدي الوالد مع هذا المَعين الذي لا ينضب خير ملازمٍ وجليسٍ وأنيسٍ ورفيقٍ ومصاحبٍ، وقد أخذه بقوةٍ منذ نعومة الأظفاره تحت رعاية أبيه ومعلميه ومؤدبيه، ولذلك فقد كان الاستعداد الفطري والعناية الربانية يترافقان لتهيئة النفس الجديرة بحفظ كتاب اللّه تعالى أن تجيده كل الإجادة .

فكان منذ باكورة عمره لاهجاً بالقرآن مكرراً له مردداً لآياته مع نفسه ومع بعض أقرانه، وقد كان من أجلهم في هذا المضمار صديقه القديم، والصاحب اللزيم، له في رباط تريم، السيد طاهر بن حسين الكاف، والذي كان حافظاً مجيد الاستظهار متين القاعدة قوي الاستدراك، وكانت تجمعه بأبي علاقةٌ روحيةٌ عميقةٌ حتى إ ا أثمرت قوةً نفسيةً متحِدةً في تعاو ما على الخير والبر، فكانا يخرجان كل ليلةٍ مع نصف الليل إلى مقبرة تريم، حيث يجلسان أمام قبر الإمام الأفخم الفقيه المقدم ليتدارسا كتاب اللّه في ذلك المكان استظهاراً .

وقد روى لي سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى أن حادثاً غريباً حصل لهما في إحدى الليالي فكان سبباً في انقطاعهما عن المقبرة، وذلك أ ما سمعا في تلك الليلة صوت ميتٍ يعذب في قبره والذي جعلهما يجزمان بذلك الأمر أن الصوت الذي سمعاه كان صوتاً مرعباً لا يؤلف ولا يطاق سماعه حتى إن قلو ما كادت أن تنخلع من شدة الخوف، مع أن سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى يذكر أن صاحبه كان أكثر احتمالاً وقوةً حتى إنه بعد أنْ هـ دأ الصوت أراد أن يضع حجراً على القبر الذي صدر منه الصوت، وقد سمعت سيدي الوالد في مذاكراته ومواعظه يصور للناس صوت الميت

الذي يعذب في قبره كما سمعه في تلك الليلة، وهي عبارة عن آهاتٍ متقطعةٍ تبعث في النفس الرعب والخوف .

ويذكر سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى أن ذلك الأمر الحادث لهما في تلك الليلة كان تأديباً لهما على مخالفتهما نـصـح الأسلاف الذين لا يستحسنون دخول مقابر حضرموت ليلاً، وكان ذلك آخر العهد منهما بفعل ذلك .

ومما يذكر في مجال اهتمام سيدي الوالد بالقرآن وآدابه أن والده الجد أبابكر كان يأمره باستصحاب « تفسير الجلالين » معه في كل حال، وقد قرأه على والده في تريم وخارجها مراتٍ ومراتٍ، وقرأ في هذا المجال عدداً آخر من التفاسير المشهورة، وكان غرض ذلك أن يترافق في الإحساس نص الآية مع المعنى المراد منها وأسباب النـزول، ولذلك نجد الوالد رحمه اللّه تعالى كثيراً ما يسرد لنا خلال قراءته معاني الآيات وأسرار غوامضها وأسباب النـزول بأوجهٍ مختلفةٍ تبين مدى أثر التكرار لتلك المسائل منذ صباه .

كما كان دأبه التلاوةَ المستمرةَ لكتاب اللّه تعالى، فلا تراه في كل فرصةٍ سانحةٍ إلا وهو يتلو القرآن بتدبرٍ وتفكرٍ إما لنفسه أو مع من يتخذه معيناً له في ذلك الأمر، وقد كان رفيقه في هذه الرحلة بعد خروجه من حـضـرمـوت عام ١٣٦٢ المحب «كرامة سعيد محيفوظ» والذي كان يحفظ شطراً من القرآن من حضرموت، ثم استكمل البقية في مدينة أحور .

وقد ذكر لي كرامة سعيد المذكور آنفاً أن رحلتهما من تريم إلى أرض القبلة كانت نوراً وهاجاً وفيضاً قرآنياً مستمراً حيث لا ينفكّان عن مدارسة القرآن بين الفينة والأخرى لا يشغلهما شاغلٌ ولا يمنعهما عن المدارسة مانع، حتى عندما ينـزلان في المدن والقرى يكون لسيدي الوالد مع محبه وقت خاص للمدارسة والمراجعة، وكذلك الحال بعد حلولهما بمدينة أحور، وقد ذكر لي كرامة سعيد محيفوظ أن سيدي الوالد كان ينفرد بالقراءة من صلاة آخر الليل وحده خلال إقامتهما معاً في منـزلٍ صغيرٍ خصص لهما، وقد حفظ المحب كرامة نص « الورد الكبير » للإمام الحداد رحمه اللّه تعالى سماعاً من كثرة ترداد سيدي الوالد له بعد فراغه من صلاة آخر الليل .

وقد كان من أهم الأمور التي اعتنى ا سيدي الوالد عند حلوله بمدينة أحور يئة حافظٍ لكتاب اللّه تعالى يعينه على المدارسة والمذاكرة، فكان أول من وقع عليه سهم الاختيار الشاب « عبداللّه صالح السهل » والذي فرغه أبوه الحاج صالح تـفـريـغـاً كاملاً وربطه بسيدي الوالد ربطاً مستمراً لينال إمداد الصحبة وفائدة الاستمرارية، فأخذ سيدي الوالد على تحفيظه لكتاب اللّه تعالى وتلقينه طرق الإنشاد الحضرمي والسماع الصوفي المألوف عند السادة العلويين بحضرموت، فكان له في ذلك من الإتقان نصيب، وكان لزيماً دائماً ومساعداً مخلصاً لسيدي الوالد في حطه وترحاله .

وما أن تزوج سيدي الوالد بأحور ورزقه اللّه بالأولاد محمد وأبي بكر حتى هيأ الأخير كاتب الترجمة لحفظ كتاب اللّه تعالى واهتم بالأمر ذاتياً، فكان يحدد آيات الحفظ ويستمع بعد ذلك لي فيها، بل كان رحمه اللّه تعالى يبذل من أجل الترغيب في

الاستظهار شيئاً من الهدايا واللعب والحلوى وغير ذلك من المرغبات المناسبة للعمر، وتمّ استظهار كتاب اللّه تعالى خلال أعوامٍ قليلةٍ لازمت خلالها سيدي الوالد في كل مكان تقريباً أُدارسه القرآن في المصحف بعد أن أتلو نصيـبـي من الحفظ المقرر علي حتى تزوجت عام ١٣٨٧ حيث عينت مدرساً في بعض القرى النائية لأتدرب على القيام بالخطابة والإمامة وتقرير مبادئ العلوم الشرعية وأتعود إدارة أموري الخاصة والعامة معتمداً على ما رسخ في الذهن من المعارف والعلوم والتوجيهات الأبوية الحنونة .

وقد كانت فترة ارتباطي بسيدي الوالد رحمه اللّه تعالى قبل وبعد الزواج تبين بوضوح مدى الاهتمام البالغ مـنـه لعلوم القرآن وتلاوته، وقد عرفناه قوي الحجة سريع الاستشهاد بكتاب اللّه في مواعظه ومذاكراته الدينية، وقلما عرفنا واعظاً مثله في قدرته الذهنية على استحضار العدد المعدود من الآيات القرآنية في الموضوع الواحد.

كما كان رحمه اللّه تعالى محباً للقراءات ا ـودة الحسنة سواءً من القراء الذين يتفق ـم في رحلاته أو الذين يستمع إليهم من المذياع أو من أشرطة التسجيل، ولذلك فقد كان يحثني على تقليدهم ويقدمني في افتتاح المحافل والاجتماعات الدينية لأقرأ القرآن بشيءٍ من التجويد وتحسين الصوت، وقد جمعني في إحدى السنين بأحد القراء ا ـيدين الذين يسجلون لإذاعة عدن خلال تلك الحقبة الزمنية، واسمه الشيخ أحمد حيدر، وكان يسكن في مسجد العيدروس بعدن، وحدد له سيدي الوالد أوقاتاً من النهار لتدريبي على القراءة ا ـودة .

وكان سيدي الوالد شغوفاً بقراءة الشيخ « الحصري » والشيخ « الخياط »، وكان كثيراً ما يقلّدهما في بعض أوقات قراءته بالمنـزل، وكانت له قراءةٌ على نغمة الترتيل الحضرمية لا ينفك عن القراءة بها في صلاته بالناس أو في تنفله من آخر الليل، ويقول : إنه أخذها عن والده، وهو أخذها عن الجد علوي رحمه اللّه تعالى، كما كان يحفظ ترتيلاً آخر سمعته يقول عنه أن والده أخبره أن الحبيب أحمد بن حسن العطاس رأى النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم يقرأ به (١) .

وقد كان توزيع الوقت هو المكسب الأغلى عند سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى، وكان النصيب الأوفى والأعظم منه للقرآن العظيم، وهذا موجز مختصر لتوزيع الوقت الذي كنت أشاطره إياه في قراءة القرآن حطاً وترحالاً :

يقوم سيدي الوالد من آخر الليل بمقدار الساعتين وزيادة يصلي صلاة الوتر والتهجد بجزءٍ من كتاب اللّه تعالى مع التدبر والتأمل والخشوع، وكان يوقظني معه لأعتاد هذه الميزة العظيمة التي توارثها الأولياء وعمل بها الأصفياء وواظب على فعلها الأتقياء، فكنت أستمع إليه حيناً وأقرأ نصيبـي من الجزء حيناً آخر عندما يركع ويسجد، وقد يسمح لي بالنوم بعد فراغنا من الحزب المحدد من القرآن ليواصل هو الأذكار والأحزاب والأدعية التي يألفها كالورد الكبير للإمام الحداد وغيره من الأدعية والصلوات .

---

(١) يذكر سيدي الوالد أنه كانت بين الجد أبي بكر والحبيب أحمد بن حسـن العطـاس علاقـةٌ وطيدةٌ، وقد جرت بينهما حكايات ونوادر سنذكر منها طَرفاً في ترجمتنا للجد أبي بكـر إن شاء اللّه .

ونعود لمدارسة القرآن بعد الفراغ من قراءات الفقه والنحو التي يشترك فيها بعض طلبة العلم وإخوتي بأجمعهم بعد صلاة الصبح وبعد قراءة الورد اللطيف حتى الإشراق، ثم نعود لمواصلة القراءة بعد عودتنا إلى المنـزل خلال يئة طعام الإفطار حتى يحين موعد الذهاب إلى المدرسة، وبعد الإفطار ألازمه السير إلى المدرسة مع مدارسة القرآن مسافة الطريق حتى نصل با ا فأدخل إلى صفي حتى يحين موعد الفسحة الفاصلة بين الحصص المدرسية، فأستأنف معه القراءة إن لم يكن مشغولاً بضيوفٍ أو عملٍ خاص بالمدرسة، ولابد خلالها أن أنفرد بمراجعة حزبي الخاص من كتاب اللّه تعالى، ونعود لمثل ذلك عند عودتنا بعد صلاة الظهر إلى المنـزل وبعد تناول طعام الغداء حتى يغلبه النوم، وكذلك بعد المغرب حتى قرب صلاة العشاء حيث يتصدر للتدريس في الفقه والتفسير، وتستأنف المدارسة بعد تناول طعام العشاء حتى وقت النوم [(١)] .

وفي هذه الأوقات مجتمعةً على مدار اليوم والليلة نكون خلال الأسبوع قد ختمنا ختمةً كاملةً، وترتفع في شهر رمضان المبارك إلى ختمةٍ في كل ثلاثة أيامٍ، وقد يذهب سيدي الوالد في بعض الأيام لزيارة بعض المدارس الريفية فنشتغل طول طريق الذهاب والإياب بتلاوة القرآن العظيم، وفي أيام الجمع والعطل الرسمية قد نذهب إلى مزرعةٍ صغيرةٍ تشرب بماء السيول كان سيدي الوالد قد اشتراها في الجهة الشمالية من المدينة والقرآنُ لزيمنا في مسيرنا حتى تلك المزرعة وخلال وجودنا فيها، حيث يختار سيدي الوالد رحمه اللّه لنا مكاناً ملائماً لجلوسنا حيث لا تبلغنا أصوات بقية الإخوة الذين ينتشرون في الحقل يلهون ويلعبون، وخلال طريق عودتنا إلى المنـزل يتكرر

---

(١) تتخلل هذه الأوقات المذكورة أوقات لمدارسة النحو والفقه في منـزلنا مع مجموع الإخوة .

الاهتمام بالمدارسة حتى نبلغ المنـزل دون انقطاعٍ أو اشتغالٍ بشيءٍ آخر إلا إذا تسرب الملل لي وشعر سيدي الوالد بذلك، فيعالج الأمر بإثارة سؤالٍ عن آيةٍ من الآيات أو يذكر لي قصةً طريفةً أو خبراً عجيباً أو توجيهاً أبوياً حنوناً .

وإذا كنا في رحلةٍ من الرحلات التي نركب فيها السيارات قد يطلب مني أن أشدو بقصيدةٍ من قصائد الأسلاف ليتجدد النشاط ويزول الملل، وكان هذا الترتيب المذكور هو دأبه في كل حينٍ حطّاً وترحالاً، وقد سبقني إلى شيء من هذا الالتزام الصعب الأخ عبدالله بن صالح السهل الذي أشرت آنفاً بحصوله على نصيبٍ وافرٍ من الملازمة والمشاركة والمصاحبة والمساعدة قبل وجودي وخلال سِنِين طفولتي، وقد كنت أُسمع حفظي من كتاب الله تعالى خلال بدء مرحلتي في مكابدة القرآن على يديه وعلى مسامع بعض أقرانه من طلبة العلم الذين يسكنون الطابق الأدنى من منـزل سيدي الوالد آنذاك .

و لسيدي الوالد رحمه الله تعالى في حفظ القرآن طريقةٌ مأثورةٌ عن سلفه الصالح كتكرار الآية أو المقرأ الواحد أربعين مرةً ثم الانتقال إلى الذي يليه، وكان ينصحني وينصح كل راغبٍ في حفظ كتابٍ أن يتبع هذه الوسيلة المساعدة على ترسيخ الحفظ في الذاكرة .

كما كان من قواعد حفظه للقرآن إغماض العينين وتصور السطور في الذهن والخيال، لذلك نجده ينهانا عن تغيير المصحف الذي نستظهر منه القرآن خشية ارتباك الذهن في مواقع الآيات من الصفحات المختلفة في الطباعة .

وأول ما يثلج صدر والدي رحمه اللّه تعالى أن يجدني قد استظهرت نصيبـي من حفظ القرآن جيداً، وله في غمرة ذلك الإثلاج دعاءٌ ودموع وإمداد وفيض لا يكتب على مثل هذه السطور، وكان حيثما نـزل يفرح بمن يجده حافظاً لكتاب اللّه ويرتبط به ويتخذه له رفيقاً يشاطره استذكار القرآن، ولذلك فقد اطمأنت نفسه خلال مرحلة وصوله إلى أرض الحجاز بحصوله على من يشجعه على تلك المهمة العظيمة ويساعده فيها، لقد وجد في مدينة الرسول صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم رجلاً صالحاً من أرض بخارى اسمه الشيخ محمد طاهر البخاري اتخذه صديقاً في اللّه يعينه على طاعة اللّه ورضاه، وكذلك الحال في أرض جدة بعد استقراره في إمامة مسجد رمضان بالشرفية حيث كان يتبادل ا يء والذهاب مع قريبه وأخيه السيد المبارك محمد بن أحمد بن هارون بن شهاب الدين والذي يقوم بالإمامة في مسجد «بن لادن» في حارة العمارية بجدة، وكانا يلتقيان صباح كل يومٍ يتدارسان القرآن، وكان على كل واحدٍ منهما أن يأتيَ بطعام الإفطار يوماً، وكان يشاركهما في غالب الأحيان الشيخ العلامة كرامة سهيل، وقد يأخذ دوره في استضافتهما بمسجده الواقع في حي الكندرة ويسمى « مسجد باتياه » .

وبعد أن من اللّه على سيدي الوالد بوصول عائلته من حضرموت واستقراره الدائم في مسجد رمضان قيض اللّه له شاباً صالحاً حافظاً لكتاب اللّه تعالى يطلق عليه «مصباح الشريف» وهو سيد من بلاد السودان ظلّ يعين سيدي الوالد في مدارسة القرآن غالب الأوقات، ولحقه بفترةٍ زمنيةٍ وجيزةٍ الأخ عبداللّه صالح السهل بامختار والذي كان قد حفظ القرآن على والدي بمدينة أحور وقد سبقت الإشارة إليه في السياق، وكان وصوله دافعاً قوياً للمدارسة والمراجعة، وكان يقوم في بعض الأحايين بالنيابة في إمامة الصلاة عند مرض سيدي الوالد أو غيابه .

وفي الفترة الأخيرة من حياة سيدي الوالد هيأ اللّه الأسباب للفقير كاتب الترجمة أن يعيد الكرة في الاستذكار والمدارسة خلال الاتصال بسيدي الوالد في أوقات فراغه، وكان لا ينفك رحمه اللّه تعالى من التوجيه لي بالاهتمام البالغ بالقرآن مكرراً لي أحاديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في ذلك، ومنها: « من حفظَ القُرآنَ ثُم نسِيه لو قُسِم ذَنبه على أهل الدنيا لَكفاهم »، وقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم : «استذْكِروا القرآنَ، فإنه أشد تفَصياً مِن صدورِ الرجالِ مِن النعمِ في عقُلِها» وقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم : « تعاهدوا هذا القُرآنَ، فوالذي نفْس محمدٍ بيدِهِ لَهو أشد تفَلتاً مِن صدورِ الرجالِ مِن الإبِلِ في عقُلِها » . اللهم اجعلنا من أهل القرآن، واشرح به صدورنا ونور به عيوننا، يا اللّه .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الباب الذي لا تنغلق جوانبه ولا تنفد خيراته أن سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى حفظ القرآن بقراءة أبي عمرو ابن العلاء، وهي القراءة الوحيدة التي يقرأ ا أهل تريم، فتراهم في مساجدهم ومدارسهم يتناولون المصاحف المخطوطة التي تكتب على هذه القراءة التي جاء ا السادة العلويون منذ قدومهم إلى هذه الأرض المباركة، وقد يردون بصوتٍ واحدٍ على من سمعوه يقرأ قراءةً مخالفةً لقراء م .

والأمر الذي لا زال سؤالاً في الذهن : اختيار أهل تريم قراءةَ أبي عمرو ابن العلاء برواية الدوري بينما اختار سيئون قراءة الإمام نافع برواية قالون مع تقارب المسافات

وتمازج الفروع والأصول في المدينتين [1]، وقد رأيت سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى في كل مرة يسافر فيها إلى تريم يذهب في بعض الليالي للاشتراك في تلاوة كتاب اللّه حفظا في مسجد الإمام عبدالرحمن السقّاف، وهو المسجد الوحيد الذي يقرأ فيه حزب القرآن استظهاراً دون مصحفٍ يتداول، وقد رأيت الحفّاظ يجلسون في مساحةٍ صغيرةٍ من سقف المسجد بجوارهم مصباح خافت الضوء لا تكاد تتبين من خفوته ملامح الحفاظ وهم يتحركون ذات اليمين وذات الشمال خلال متابعتهم للقراءة .

ولذلك فقد رسخت قاعدة هذه القراءة على لسان سيدي الوالد، فكان كثيراً ما يقرأ ا حتى وهو في غير تريم مما يثير بعض المستمعين الذين اعتادوا قراءة الإمام حفص، وهي الرسم المطبوع المتداول في كل مكان، وفي أحد السنين الأولى من باكورة اهتمامي بالقرآن وحفظه أملى علي سيدي الوالد بعض الاختلافات اللفظية بين القراءتين : أبي عمرو وحفص، فسجلتها على مصحفي، كما كانت غالب مصاحف سيدي الوالد تجمع بين القراءتين حيث يقوم بكتابة قراءة أبي عمرو على هامش الصفحات .

---

(١) وقد ألّف العلامة الحبيب هادي بن حسن السقاف المتوفى عام ١٣٢٩ رسالة في رواية قـالون سماها « الجوهر المكنون » طبعت بتحقيق حفيده الحبيب حسين بن محمد بن هادي بن حسـن السقاف، وللعلامة المتفنن النحوي الفقيه الشيخ محمد بن محمد باكثير المتـوفى عـام ١٣٥٥ منظومةٌ في آيات الإضافة على قراءة نافع لا زالت مخطوطةً .

مَعَارِفُهُ الأُخْرَى وعُلُومُهُ ومَجَالِسُهُ العِلْمِيَّة

تلقى سيدي الوالد رحمه اللّٰه مبادئ علم الفقه والنحو والتفسير على يد والده ومعلمه الأول الجد أبي بكر رحمه اللّٰه تعالى، وزاد من ذلك الفيض المبارك متفرغاً له في رباط تريم تحت رعاية شيخه العلامة الجهبذ الحبيب عبداللّٰه بن عمر الشاطري، وعزلةٍ صغيرةٍ كان يأوي عليها مستصحباً كتبه وأوراقه ومصاحفه بنى مجموع معرفته التي كان يأوي ا من مختلف المدارس وا الس والروحات واللقاءات، ولذلك اعتنى به شيخه الحبيب عبداللّٰه بن عمر الشاطري وحط نظره عليه ووجهه إلى التصدر والتدريس في باكورة عمره وطلبه العلمي، فكان يقرر بعض المتون الفقهية لبعض حلقات الطلبة المبتدئين في رباط تريم المذكور .

وإلى جانب ذلك كان له في الرباط وخارجه قراءات مختلفةٌ من كتب التصوف والتفسير والحديث عند والده بمنـزله الكائن بجوار جامع عمر المحضار، وفي جلسة الروحة بمسجد سرور عند الحبيب الأواب علوي بن عبداللّٰه بن شهاب، وفي قبة آل ـين شيخ عند الحبيب ذي النور الساري عبدالباري بن شيخ العيدروس وغيرها من ا الس التي كانت تعقد في مدينة تريم آنذاك .

وقد أثْرت وأثمرت هذه الإمدادات الظاهرة والباطنة من الأشياخ الأجلاء في صدر وقلب سيدي الوالد رحمه اللّٰه تعالى، واهتزت وربت وأنبتت من كل زوجٍ بهيجٍ، وبدت عليه جليةً واضحة في طلاقة اللسان بالدعوة المحمدية منذ التجربة الأولى، وقد ازدادت ثراءً وخصوبةً وعطاءً بعد انتقاله من تريم إلى بلاد العوالق السفلى حيث تعددت مجالات الدعوة

إلى اللّه تعالى في مناحيها العلمية والأدبية والاجتماعية وأحيا اللّه به قلوباً عمياء وآذاناً صماء، وأنقذ به من الجهالة أمماً كانت على شفا جرفٍ هارٍ .

وهنا يطيب لنا أن نثْبِت طرفاً من تلك النشاطات المختلفة التي قام ا سيدي الوالد منذ حلوله في بلاد العوالق السفلى عام ١٣٦٣ من الهجرة المباركة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام :

أ- النَّشَاطُ الدِّينيُّ والدَّعْوَةُ إلى اللّهِ ورَسُولِهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّم

تجمع الأقوال والآراء كافةً أن دخول سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى إلى بلاد العوالق السفلى واستقراره ا يعد عهداً فريداً من نوعه في سائر البلاد ا اورة، وأثراً له عظيم النتائج في تغيير مجرى الأحوال والعادات كافةً، إذ كان دخول سيدي الوالد في شهر شعبان من عام ١٣٦٢، وغرضه الأسمى وجهاده الأوحد نشر الدعوة إلى اللّه تعالى بالقول والفعل، وكانت البلاد خلال هذا العهد تعيش حالةً سيئةً من بقايا سيادة التناحر القبلي والنـزاع على السلطة بين أبناء البيوت الحاكمة وآثار ذلك بينةٌ كما أسلفنا على ملامح الناس وعلى ما بقي من آثار الحرب كإهمال المساجد حتى سكنتها الكلاب والحمير، و دم بعض المنازل وردم الآبار وجدب الأطيان، وشمول ظاهرة النهب والسلب في الطرقات إضافة إلى الغارات القبلية على بعضهم البعض .

وكل هذه العادات والقيم هي أخطر ما يواجهها الداعي إلى الله إذ هي صور متشا ة للأخلاق الجاهلية والمفاهيم الهمجية تنقل الأمة عن دينهم الصحيح إلى صور وثنية متنوعة .

وبدأ سيدي الوالد في نشاطه الديني من حيث وجد المدخل السليم لهذا الغرض العظيم من بيوت الله تعالى حيث يجتمع الناس للصلوات المكتوبة كل يوم، فكان مسجد الحبيب مهدي بن محسن ومسجد النور المسمى بمسجد هاشم مركزاً للدعوة إلى الله بادئ الأمر، وقد ذكر لنا السيد عبدالرحمن بن أحمد الحامد أن سيدي الوالد خلال أيام شهر رمضان المبارك كان يعقد روحةً بعد صلاة العصر في مسجد الحبيب مهدي بن محسن، وهي أول نواةٍ تعليميةٍ عامةٍ للطلاب الراغبين بأحور، إذ لحقها بمدةٍ وجيزةٍ تسجيل الطلاّب وتعليمهم بمسجد هاشم .

وكان ينتقل خلال الأسبوع بين القرى والبادية خارج المدينة، ويحضهم بالموعظة الحسنة ويدعوهم إلى الرجوع والتوبة وحسن الاستقامة، ولم ينس المرأة الجاهلة في هذه البلاد فكانت له مع النساء مذاكرات ومواعظُ في كل مناسبة وفرصة، فقل أن يجتمعن في زواجٍ أو عزاءٍ إلا واستأذن من أهل ذلك الأمر ليتحدث معهن في أمر دينهن، وقد امتدت هذه العادة المفيدة إلى وقتٍ قريبٍ حيث كان يخصص لهن لقاءً في مسجد الحبيب مهدي بن محسن الحامد في بعض المناسبات، وجلسةً سنويةً معهودةً في ليلة السابع والعشرين من رمضان بعد ختم مسجد جمال الدين بمنـزل أحد السادة الأفاضل المشجعين للدعوة إلى الله [1]، وكثيراً ما كان ينتهز المناسبات

(١) هو الحبيب أحمد بن عبدالله المعلم باهارون، وهوسيد فاضلٌ ومحب للصلاح، وقـد عرفـه سيدي الوالد منذ حلوله ـذه البلاد، وقد كان والده السيد عبدالله باهارون مدرساً للأطفال

من أفراح وأعياد يجتمع فيها الرجال والنساء لتأدية ألعا م الشعبية، فيوقفهم عن ذلك ويذكّرهم باللّه تعالى .

ولما استقر به الحال في البلاد أكثر من التجوال والتطواف بين القرى ا اورة، وقد يرحل إلى بعض البلدان كالمحفد ونواحيها وحوطة وحبان ودثينة وما جاورها من القرى، فيجد آذاناً صاغيةً وقبولاً حسناً للتذكير والموعظة، وتاب على يده أفراد كثيرون من أهل المدن والبادية [1] .

وكان له مع طلبته ومريديه جلسات ولقاءات يذكرهم بالدين ومهامه كما يعلمهم شروط الدعوة إلى اللّه ويمر م عليها، فـيـرسل بعض الطلبة إلى القرى يصلون بالبادية خلال شهر رمضان ويخطبون الجمعة في المساجد، وكان له في نشاطه الديني أعوانٌ من أهل السلطان ووجهاء البلاد يسهلون له مهمة التنقل ويمهدون السبل لجمع الرجال أو النساء للموعظة والتعليم .

قبل ذلك، وكانت له مدرسةٌ مبنيةٌ من أعواد الشجر يعلم فيها، ولذلك أُطلق عليـه لقـب المعلم .

(١) في إحدى جولات سيدي الوالد وتنقلاته في سبيل الدعوة إلى اللّه سمع عن وجود حفلة زواج لدى بعض البادية يجتمع فيها الرجال والنساء، فذهب إليهم ووعظهم ودعـاهم إلى إقامـة أفراح الرجال منفصلةً عن النساء فاستجاب له البعض وعاهده صاحب الحفل المُقام علـى أن لا يجمع النساءَ بالرجال وأن لا يحضر معهم لو فعلوا، فلما كان بعد شهور قلائـل نقـض العهد وذهب في إحدى حفلات البادية يلعب معهم فأصابته رصاصةٌ تلـك الليلـة أطـارت إصبعاً من أصابعه، فجدد التوبة وحسن فعله بعد ذلك .

وكان سيدي الوالد مقسماً وقته بين المهمات المختلفة التي تعود بالنفع على المسلمين إضافةً إلى مهماته الخاصة واعتناءاته الذاتية، فقد رتب سيدي الوالد رحمه اللّه في مجال الدعوة الدينية ما يلي :

ب- الدُّرُوسُ والمَجَالِسُ الخَاصَّة

شرع سيدي الوالد منذ حلوله بأرض العوالق السفلى على إرساء وإحياء الجلسات الدينية التي تشبه الجلسات المقامة بحضرموت، فكانت له روحةٌ بعد صلاة العصر بدأها في مسجد مهدي بن محسن، ثم نقلها إلى مسجد النور « مسجد هاشم » ، ونقلها بعد ذلك إلى المدرسة الأولى التي تمّ بناؤها في البلاد، ولما انتقلت الهيئة التعليمية إلى المدرسة الميمونة نقل الروحة إلى تلك المدرسة حيث أدركناها في سننا المبكر، وهي تقام على الدكة البحرية [1] من المدرسة ويحضرها عدد لا بأس به من أهل الصلاح والتقى، ويقرأ في كافة الجلسات عدد من الكتب السلفية المباركة وكتب الحديث والتفسير وغيرها من الكتب وا لمدات المتوفرة في مكتبة المدرسة آنذاك وفي حوزة بعض القراء .

وكانت لقراءة « صحيح البخاري » جلسات خاصةٌ خلال ثلاثة أشهرٍ من السنة تتوقف معها قراءات الكتب الأخرى حيث يفتتح في شهر رجب الحرام ويتم الاختتام

---

(١) مرتفع بني من اللِّين وطُلي بالإسمنت والنورة أشار سيدي الوالد على العمـال أثنـاء بنـائهم للمدرسة الميمونة بإقامته ليكون مـوقـعـاً لإقامة حفلات العام النهائيـة، ومسـرحاً لمـا يقدمه الطلاب في المدرسة، ومجلساً في بقية الليالي لمدارسة العلم النافع .

في آخر شهر رمضان المبارك خلال حفلٍ بهيجٍ وجمعٍ يحضره الأعيان والعامة من الناس في مسجدٍ من المساجد الكبيرة بأحور وتلقى القصائد وتنشد الأشعار .

ومن الجلسات الخاصة التي كان يقيمها حلقة الفقه الشافعي وتفسير القرآن، وكان الوقت الملائم لهذا النصيب الأوفر من العلم بعد صلاة المغرب من كل ليلةٍ ما عدا ليلة الجمعة حيث يستعاض عنه بقراءة السيرة العطرة لمولد الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم وكان ترتيب الوقت مصاحباً لهذه السويعة المباركة التي أثرت وأثْرت خلال الأعوام المتتالية .

فلقد كانت عادته رحمه اللّه تعالى أن يقيم حلقة القرآن العظيم مدارسةً بين الطلبة بعد الفراغ من صلاة النافلة حتى إذا فرغ أحد القراء من جزءٍ كاملٍ من القرآن شرع في تقرير شيءٍ من التفسير الموجز، وكان يبتدئ بـ « تفسير الجلالين » ثم « الصاوي » و« الخازن » و« الكشاف »، وقد كُررت قراءة الجلالين في هذه الجلسة مراتٍ ومراتٍ، ثم يقرأ أحد الطلبة في شيءٍ من كتب الفقه الشافعي، ويقوم سيدي الوالد بالشرح والتقرير، وكانت « سفينة النجا » هي المقرر الأول للطلاب المبتدئين، ثم « متن أبي شجاع »، ثم « المختصر اللطيف »، ثم «الياقوت النفيس» و« بشرى الكريم » و« فتح المعين »، وقد لا تقرأ هذه الكتب مرتبةً كما ذكرنا ولكن الغالب في مجرى النقاش والتقرير أن تكون هذه الكتب هي المدار الدائم .

ومن خصوصياته رحمه اللّه تعالى في هذا المضمار تمثيل الدرس المقرر بالحركات الفعلية والتمثيل الأتم وخاصةً فيما يتعلق بالوضوء والتيمم والصلاة، فيختار من بين

تلاميذه من يقوم بتصوير الأفعال والأقوال التي تتكون منها العبادة مع الملاحظة والتدقيق، ولربما قام بذاته مصوراً بعض الأفعال المذكورة لإتمام الفائدة .

وكان كثير الاهتمام بالربط بين العلم والعمل، فتراه خلال درس الفقه عن السواك مثلاً يسأل التلاميذ عن أسوكتهم، وقد يوقف الدرس عن الاستمرار إذا لم يكن الطلاّب قد أحضروا أسوكتهم، كما كان يسأل طلبته وأولاده في بعض الليالي عن سورة القراءة في الصلاة التي صلاها بالناس حتى يستبين حضور الحاضر وانشغال اللاهي، وقد يعاقب البعض بالقيام خلال الدرس إذا هو قصر في حفظ واجبٍ أو أخلّ بدرسٍ من الدروس المقررة استظهاراً .

وكانت الدروس هذه تقام بادئ ذي بدءٍ بمسجد الحبيب مهدي بن محسن ثم نقلت إلى مسجد النور المسمى بمسجد هاشم، ثم نقلت إلى مسجد الشيخ جمال الدين، وقد أدركنا هذه الدروس وهي تقام ذا المسجد، وقد كان يحضرها عدد كبير من أهالي البلاد، ثم بعد مرور سنواتٍ عديدةٍ نقلها إلى مسجد الجامع الذي شـيـد على أنقاض مسجد آل باهارون عام ١٣٨٣ والذي كان سيدي الوالد يؤم فيه الناس لصلاتي المغرب والعشاء، وقد فطنت إلى نفسي في هذا الجامع الكبير وأنا أدرس حلقة الفقه الشافعي للمبتدئين في إحدى زوايا المسجد تحت توجيه سيدي الوالد عليه رحمة اللّه .

وفي آخر الأمر من هذه الحركة الفقهية المباركة نقلت إلى مسجد الجول الكائن بجوار منـزل سيدي الوالد، وذلك بعد أن طغت حركة التعليم الحكومي على البلاد وصار الطلاّب منصرفين إلى مواد المنهاج الجديد فاقتصرت تلك الحلقات الفقهية

والقرآنية على أولاده ومحبيه وعددٍ يسيرٍ من الناس، وقد كان لنا في هذا المسجد المبارك مدد وإمداد ورقي واستمداد، وكان لنا بمثابة المعهد العام للتلقي والترقي تحت رعاية وتوجيه الأب الصبور .

كما كانت لسيدي الوالد في مجال نشاطاته الدينية الخاصة حلقات للفقه والتفسير في أوقاتٍ أخرى [١] لبعض خواص تلاميذه، وخاصةً ما كان يخصصه للوافدين إلى البلاد من خارجها، وكان بعضهم يسكن الطابق الأدنى في منـزل سيدي الوالد، فكان لقربه منهم يضع لهم مساء كل ليلة أسس المراجعة العلمية، ويتركهم يتناقشون ويتباحثون، وقد كان هذا خلال مرحلة الازدهار العلمي والأدبي بالبلاد، وقبل اندراج المناهج المحلية ضمن المناهج القادمة من عدن [٢] .

---

(١) كان له أيضاً درس في الفقه والنحو بعد صلاة الفجر من كل يومٍ ما عدا يوم الجمعة، حيث يخصص لقراءة « البردة » وإعراب بعض أبيا ا .

(٢) هذا نص منقولٌ عن الأصل المحفوظ لدينا، وفيه صورةٌ من صور السياسة التربويـة القائمـة على تعديل المنهاج الديني بالمدارس التي كان يشرف عليها سيدي الوالد، وانظر صورته موثقة بالملحق ص٨ :

إدارة المعتمد البريطاني

محمية عدن الغربية رقم : س/ ٣ / ١٨ / ١٢

عدن ٩ أبريل ١٩٥٥ م الموافق ١٥ شعبان ١٣٧٤ هـ

حضرة المحترم السلطان / شيخ أحمد بن علي وصي سلطنة العوالق السفلى

بعد التحية، شاهدت الآن تقريراً وضعه المستر جوردن ضابط معارف المحميـات بمناسـبة زيارته لمدرسة أحور، لقد اندهش المستر جوردن جداً بنظافة وسلوك التلاميذ وبالعمل المتقن

كما كان له في هذا المضمار اعتناءٌ خاص بتدريب الطلاّب على قراءة الأوراد والأذكار السلفية المأثورة في أوقا ا المشهورة كقراءة الورد اللطيف للإمام الحداد بعد صلاة الفجر وقبل القراءة المعتادة في الفقه والنحو، وقراءة الراتب الشهير للإمام الحداد أيضاً بعد الفراغ من درس الفقه والتفسير بين العشائين، وقد كان يعيد للطلبة قراءة الورد اللطيف صباحاً عندما يجتمعون في فناء وجناح المدرسة الميمونة قبل دخولهم إلى صفوف الـمـدرسـة، وكان يتولى تلقين الورد أحد المدرسين أو الطلبة النابغين وهم يرددون بعده بصوتٍ جهوري واحدٍ .

وأيضاً بطريقة التعليم التي تسير عليها المدرسة والتي يعتبرها المستر جـوردن صـالحةً للغايـة، أرجوكم أن تبلغوا نـئتي إلى صديقي رئيس المعلمين السيد علي المشهور .

لقد أشار المستر جوردن أنه عند وجود مقاعد لتلاميذ أحور في المدرسة المتوسطة في زنجبار ومنها إلى عدن في هذه الحالة فالمنهج الدراسي الذي يتبعه الطلبة الآن يجب أن يـتغير قلـيلاً، سأبحث هذا الموضوع مع المستر جوردن وأيضاً سأستشير مساعده المستشار للمنطقة الجنوبية الشـرقية المستر أحمد حسن مظفّر، ومتى انتهيت من هذا العمل سأتصل بكم مرةً أخرى، ودمتم .

كندي

المستشار والمعتمد البريطاني بالنيابة

والجدير بالإشارة هنا إلى أن الوصي المذكور هنا هو أول وصي عـين بتوجيـه الحكومـة البريطانية على إدارة شئون السلطنة والتي كان سلطا ا لا زال صغيراً، وظل قائمـاً بأعمـال الوصاية حتى جرح ببندقية أحد البدو القناصة الذين اشتبك معهم في معركةٍ فجائيـةٍ علـى مجرى الماء العام في البلاد خلال أحد المواسم التي تدفقت فيها السيول على الـبلاد، فكـان ذلك الجرح سبب وفاته بأحد المستشفيات العسكرية بعدن، وعينت السـلطات البريطانيـة خلَفاً له في منصب الوصاية « النائب الأول أبوبكر أحمد بن علي » وهو من بيوت السلطنة في البلاد، وظلّ يقوم ذا المنصب إلى جانب النائب الثاني علي عيدروس بـن علـي وأخيـه السلطان ناصر بن عيدروس سلطان البلاد الشرعي حتى قيام التغيير السياسي في البلاد .

جـ ـ الدُّرُوسُ والمجَالِسُ العَامَّة

تمتاز هذه ا الس العامة بتفردها عن ا الس الخاصة بشمول موضوعها ووحدة محتواها المقروء على الناس، ومنها مجالس قراءة باكورة « صحيح الإمام البخاري » واختتامه من كل عام، وهي مناسبتان متقاربتان فيما بين شهر رجب وأواخر رمضان أو شعبان، حيث يجتمع الناس بدعوةٍ رسميةٍ في أحد الأماكن التالية : المدرسة الميمونة أو ساحة نادي الاتحاد والتعاون أو في أحد المساجد الكبيرة في البلاد، وفي هذا الحفل البهيج تنشد الأشعار وتلقى الخطب والقصائد، وكان لسيدي الوالد من هذه المناسبة العطرة نصيب شعري وافر اقتبسنا مه هذه الأبيات التي ألقيت في الـ ٢١ من شهر شعبان من عام ١٣٨٢ :

سمِعنا أحادِيثَ النبي محمدِ ... علَيهِ صلاةُ اللّهِ في كُلِ لَحظَةِ
فِنعم البخارِي الإِمام نـ ـزاهةً ... تحرى الصحِيح في المَقال بِحِكْمةِ
فإِسناده حاز الكَمالَ بِأَسرِهِ ... رِجالٌ ثِقاةٌ صححوه ـ ـمةِ
أحادِيثُه تتلى لنا بِتكَرر ... نعم ولنا التكرار يشفِي لِعِلةِ
فكَرر أحاديثَ الرسول لِتشتفِي ... قُلُوباً وأجساداً حوت لِكُدورةِ
تخيلْ رسولَ اللّهِ عِند تِلاوةِ ... تجِد روحه تعلُو على كُل بقْعةِ
فإنا قرأْنا للحديثِ توسلاً ... بأَنْ يرفَع اللّه العذاب بِجملَةِ
مِن القَحطِ والحُمى وفُحشٍ مناكِرٍ ... وكالظلْمِ والجَورِ الشنِيع وفِتنةِ
وأَنْ يصلِح اللّه الجَمِيع بِمنِه ... ويكْتب للإسلامِ تحقِيق منيةِ

وصلْحاً وأمناً والتآلُف رحمةً   تعم جمِيع القُطْرِ مع كُل بلْدةِ

وسنثبت بقية الأبيات في « مجموع ديوانه » رحمه اللّه تعالى رحمة الأبرار .

كما كان من تلك ا الس العامة جلسة قراءة السيرة العطرة علىصاحبها أفضل الصلاة والسلام، وهي جلسةٌ تعقد كل ليلة جمعةٍ مرتين، الجلسة الأولى بعد صلاة العصر بمسجد النور ويحضرها العدد الكبير من الناس، والأخرى بعد صلاة المغرب في عددٍ من المساجد القائمة في البلاد، وقد تنقل سيدي الوالد خلال مرحلة إقامته في مساجد عديدة، إذ كان بادئ أمره يقيمها في مسجد جمال الدين، ثم نقلها بعد عدة أعوامٍ إلى مسجد الجامع الجديد ثم نقلها إلى مسجد الجول، وكانت له في كل جلسةٍ من هذه الجلسات مذاكرةٌ دينيةٌ يدعو فيها الحاضرين إلى اللّه تعالى ويبصرهم بأمور الدين والدنيا، وقد صنف سيدي الوالد لهذه ا الس المباركة تصنيفاتٍ عديدةً تحمل قصة الميلاد النبوي للذات المحمدية، منها ما هو منثور ومنها ما كتبه بأسلوب النظم الحميني، وكنا نقرأ ا في تلك ا الس المعهودة، وقد كان قبل تصنيفها يقرأ للناس قصة المولد التي صنفها الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور التي مطلعها :

ابـتـدائـي بِالحَمدِ للّهِ شكْرا   موفِياً فَضلَه الذي لَيس يحصر

ثُم إِني اسـتـعـنـت رب البرايا   في نِظامِي لمَـولـدِ المُصطَفَى

ولا زالت الموالد في بلاد العوالق السفلى تقام في مسجد الجول ذا المولد الشريف أو بأحد الموالد التي كتبها سيدي الوالد .

ومن تلك ا الس العامة حفلات المناسبات الدينية التي تعد في هذه البلاد حدثاً دينياً هاماً له رونق ولذكراه في نفوس الناس إعزاز، كالثاني عشر من شهر ربيع الأول

والاحتفال فيه بذكرى ميلاد الرسول صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، والسابع والعشرين من شهر رجب والاحتفال فيه بذكرى الإسراء والمعراج، والأول من محرم والاحتفال فيه بذكرى الهجرة النبوية، والعاشر من شهر محرم والاحتفال فيه بيوم عاشوراء، والخامس عشر من شعبان والاحتفال فيه بقراءة الدعاء بنية الحفظ والفرج والاستغناء عن الناس ويوم التاسع من ذي الحجة وقراءة دعاء يوم عرفة .

وكل تلك المناسبات الدينية تشهد إعداداً محكماً ويحضرها العدد الجم من الخلق المتعطشة إلى سماع الموعظة والتذكير، وهناك مناسبات عامةٌ أخرى يبث فيها سيدي الوالد الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة سنذكرها في غير هذا المقام المختصر بإذن اللّه تعالى.

د ـ النّشَاطُ التّعْلِيمِيُّ والأدَبِيُّ والاِجْتِماعِيّ

لقد سبقت الإشارة إلى النشاط التعليمي الذي كانت تشهده البلاد منذ دخول سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى إليها، والجدير في هذا المقام بالذكر هو الاتساع الشامل للتعليم في البلاد وخارجها، واستغلال كافة الظروف والأسباب لنشره ومده بين الحضر والبادية على الخصوص والعموم مستعيناً في ذلك بمن ظهرت عليه بوادر الاستعداد من الطلبة والمريدين (١) .

فقام رحمه اللّه مع عددٍ من المدرسين ورجال السلطة بفتح مدارس أخرى في القرى ا اورة للمدينة لتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة واللغة، كما فتح للأميين في عاصمة

(١) خلال برامج دمج التعليم الأهلي بالحكومي سافر سيدي الوالد مع بعض المدرسـين لتلقـي دوراتٍ تربويةٍ في مدينة لحج، وعين عدداً من الطلبة في مراكز التدريب بعدن للغرض ذاته .

البلاد صفوفاً خاصةً بغرض التعليم والاستفادة، وتخرج من هذه الصفوف التي كانت تحت رعاية نادي الاتحاد والتعاون عدد من الطلبة الكبار، كما لم ينس الفتاة الجاهلة من نصيب التعليم ففتح لهن صفوف القراءة والكتابة في المدرسة الميمونة ذا ا، وباشر التعليم لهن بعض الطلبة النجباء [١] إذ كن في سن يسمح بمثل ذلك، ثم فتح لهن عند الكثرة والاتساع صفوفاً بمنـزله الكائن بجول مهدي وجعل التدريس في الصفوف لأحد أولاده المباركين .

ولمّا ازداد العدد وكثر الإقبال على التعليم عـيـن بعض الطالبات النجيبات مدرساتٍ في تلك الصفوف حتى بنتِ الحكومةُ المحلية المدرسة الخاصة بتعليم البنات، واستجلبت لهن من المدرسات المتعلمات من تطمئن إليهن النفس ويناسبن عادات البلاد وتقاليدها [٢]، واستمر الحال كذلك حتى بدت عوامل التغير الاجتماعي والتربوي عام ١٣٨٧، فأُدخل على التعليم النسائي مدرساتٍ ذات صبغةٍ عصريةٍ، ولـم يـأت عـام ١٣٨٩ وما يليه من الأعوام حتى صارت مدرسة الفتيات تدرس ذات المواد التي يدرسها الأولاد .

---

(١) كان ممن باشر التعليم في صفوف البنات الطالب عبدالله بن صالح السهل ومزاحم بن أحمـد مزاحم وأبوبكر المشهور كاتب الترجمة .

(٢) عينت في هذه الفترة زوجةُ كاتب الترجمة المرحومة خديجة بنت محسن فضل مديرةً ومدرسـةً للمدرسة الابتدائية في البلاد حتى عام ١٣٩٠ حيث استقالت عن العمل نتيجةً لأسبابٍ تتعلـق بتربية الأطفال، ولإعلان الدولة قانون الاختلاط في المدارس بين الفتى والفتاة، ممـا أصـبح عائقاً في أداء الواجب التربوي لمن نشأ محافظاً على الآداب الإسلامية الصحيحة .

أما عن النشاط الأدبي فكان ينقسم إلى قسمين : قسم يتحرك في إطار التعليم والمدرسة، وقسم يظهر وينمو في صفوف النادي والنشاط الاجتماعي الموسمي في المناسبات التي يقيمها سيدي الوالد بالتعاون مع الجهات المختصة .

فكان نشاط المدرسة مرتبطاً بالمنهاج خلال أيام الدراسة الرسمية، ويتوزع فيه الأدب شعراً ونثراً وخطابةً وتمثيلاً لبعض المسرحيات الهادفة خلال الدروس اليومية أو خلال العطل الفصلية بحسب المقررات القائمة والمنهاج المنفّذ، وقد صب المنهاج الأدبي على تنمية المدارك الأدبية من حفظٍ واستظهارٍ للأشعار العربية والنصوص القرآنية والنبوية وحِكَم وأمثال العرب إضافةً إلى تعويدهم على تلحين القطع الشعرية بألحانٍ مدرسيةٍ مناسبةٍ، وكان أستاذ هذه المواهب كل من الأستاذ أبي بكر بن عبدالله بن سميط والأستاذ أحمد بن حسين ذيـيـبان .

وأما التمثيل ومعالجة القضايا التربوية والأدبية والاجتماعية فقد يضع النصوص المعبرة لذلك سيدي الوالد، وقد ينيب المدرسين المذكورين آنفاً مع الأستاذ مهدي بن ناصر أبي بكر [(١)]، وهو من أجود المدرسين خبرةً ودرايةً بوضع النصوص التمثيلية وتنفيذها .

---

(١) الأستاذ مهدي بن ناصر أبي بكر أحد المدرسين البارزين في توسيع دائـرة النشـاط العلمـي والأدبي والثقافي في السلطنة عموماً، وكان له دور بارز وقوي في المسـرح كتابـةً وتمثـيلاً وإخراجاً إضافةً إلى حسن أدائه لواجبه التربوي والتعليمي، وقد تولّى إدارة بعـض المـدارس الابتدائية في كل من أحور والمحفد، وأسس مع جملةٍ من أقرانه نادي الشعب الثقافي الرياضـي بأحور، والذي كان يساهم في إبراز النشاط المسرحي والرياضي والثقافي في البلاد إلى جانب نادي الشباب الرياضي الذي أُسس بعده بسنوات، وقد توقف نشاط هـذه الأنديـة بعـد

وغالب الحال أن تظهر هذه النشاطات الأدبية في بحر الأسبوع خلال يوم الخميس أو في حفلات الامتحانات والاختبارات النهائية، وقد عرفنا في مدرستنا الميمونة برنامجاً أدبياً علمياً كانت تقدمه لجنةٌ من الطلبة والمدرسين يسمونه الندوة الأدبية، وتعرض فيه بعض الأسئلة الذكية والمواضيع الحية المثيرة كل يوم خميسٍ من الأسبوع .

وأما النشاط الاجتماعي فا ال الأوسع والأرحب في تنفيذه كان مبنى نادي الاتحاد والتعاون، وهو النادي الذي ساهم سيدي الوالد مع كبار شخصيات البلاد في إقامته وجمع أعضائه ووضع دستوره ومادته، وكانت له ثمرةٌ عظيمةٌ في مجالاتٍ شتى منها :

١- إظهار الشعائر الدينية في الأعياد والمناسبات وعقد الاحتفالات لذلك .
٢- تشجيع الأدب والأدباء بإظهارهم وما يقدمونه من نتاجٍ أدبي في مناسباته .
٣- إصلاح ذات البين وتثقيف الأعضاء تثقيفاً دينياً .
٤- المساهمة في محو أمية العدد الكبير من الراغبين في التعليم .
٥- تشييد مكتبةٍ ثقافيةٍ حاويةٍ يستعير منها أعضاء النادي وغيرهم .
٦- مساعدة الفقراء والمساكين مادياً وبناء مسكن للغرباء .

وقد تبرع بغالب هذه الكتب السيد محسن بن فضل، وظلّ هذا النادي يزخر بالعطاء حتى ظهرت في البلاد نوادٍ أخرى بنيت لغرضٍ تأدية أدوارٍ رياضيةٍ وفنيةٍ، وأظهرت لوناً من ألوان المسرح الهادف والمسرح الفكاهي، وكان بينها تنافس شديد بني على غير قاعدةٍ صالحةٍ، فكان من ذلك التأثير على حركة ونشاط النادي الأول في بعض مجالاته حتى أذن اللّه له بالصمت التام وحول مبنى النادي برغبة من بقي من

استقلال البلاد .

أعضائه إلى صف مدرسي يساهم في تخفيف الضغط على المدرسة الابتدائية، وفي ١٨ شوال من عام ١٣٨٩ وافق الأعضاء المتبقون على حل النادي وإيقاف كافة مهماته .

هـ ـ التَّلامِيذُ والمُرِيدُون

لا يتسع المجال بأي حال أن نذكر التلاميذ والمريدين الذين تتلمذوا على سيدي الوالد وأخذوا عنه أو تلقوا منه لكثرتهم واختلاف مواطنهم ؛ ولكن الأمر الممكن من ذلك كله إعطاء لمحةٍ عن الخطوط الرئيسة في شأن الارتباطات ومواقعها وأهم ما يمكن ذكره من النماذج المتفردة في رحلة الأخذ والعطاء، إذ نرى تلامذته ومريديه يمتد وجودهم من حضرموت إلى أحور والمحفد وعدن ودثينة والعوالق العليا ولحج وإلى الحجاز .

وقد كان أول عهده بالتصدر كما أسلفنا في رباط تريم المشهور، وكان له طلبةٌ يستفيدون من دروسه الفقهية وكانت له أيضاً دروس في العربية والقرآن للمبتدئين من الذكور والإناث بمنـزل والده في تريم [1]، ثم كان له تلامذةٌ ومريدون بمدرسة آل الكاف المشهورة بتريم قبل انتقاله إلى أرض العوالق السفلى .

وأما بعد انتقاله إلى بلاد العوالق السفلى فقد اتسعت دائرة الطلبة والمريدين وقَدِم إليه الطلبة من جميع القرى والبادية ومن البلدان المجاورة كالمحفد وحبان ودثينة وعدم

---

(١) ومن هؤلاء السيد محمد الغزالي العيدروس والسيد مشهور بن سقاف الكاف، وأخيه حسن بن سقاف والسيد هاشم بن شيخ باعبود .

والحوطة وغيرها، وكان له في هذه البلاد من المتعلقين والمحبين عدد كثير يبسطون أيديهم طالبين الدعاء، ولهم في كرم المولى غاية الأمل والرجاء .

والأمر الذي تجتمع عليه القلوب من حيث قَدِمت وجاءت سر الجاذبية الروحية التي تطرأ على نفس المريد والمحب والصديق والمستمد، وحتى الزائر الغريب الذي يرى سيدي خلال موعظته وتوجيهه في المسجد أو في أي مكانٍ آخر تنطبع في قلبه صورةٌ حيةٌ للموعظة وقائلها، وتحتفظ نفوس أهله ومحبيه وجيرانه وخاصته ومريديه بصورٍ وذكرياتٍ تبلور الصدق والإخلاص وبساطة الحياة وقوة الإيمان وحسن التصرف، وحيثما حل المتعرف على مكامن الاستفادة ا نية من مجالس سيدي الوالد سيجد طلبة العلم من حضرموت أو من أحور أو من دثينة أو من عدن أو من المحفد وحبان أو من أي موقعٍ آخر يلهجون بحمد اللّه وشكره على أنْ ربطـ ـهم بمعرفة سيدي الوالد، وجعلهم تلاميذ تحت توجيهه ورعايته، وحتى بعد وصوله إلى أرض الحجاز قيض اللّه له من بين الكثرة الكاثرة والبحور البشرية الزاخرة من يتتلمذ على يديه ويتعلق بجنابه آخذاً ومستفيداً من ذلك العطاء الغزير، وقد ذكرناهم في الجزء الثاني من «الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور» .

و ـ رَحَلاتُهُ في سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إلى اللّٰهِ تَعَالى

لسيدي الوالد رحمه اللّٰه شغف كبير بالرحلة في سبيل الدعوة إلى اللّٰه تعالى من بلادٍ إلى بلادٍ، ومن حاضرٍ إلى بادٍ، ومن نادٍ إلى وادٍ، إلى محل وعزبةٍ وجبلٍ وساحلٍ، حيثما كان من الأرض الواسعة عملاً بحديث رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآلِهِ وسلم لسيدنا علي بن أبي طالبٍ : « لأنْ يهدي اللّٰه بك رجلاً واحداً خير لك مِن حمرِ النعمِ » .

ومن هذا المنطلق الديني العظيم كان سيدي الوالد محباً للرحلة مستسهلاً صعوبتها، متحملاً وعثاءها ومشقتها، وكانت هذه الرغبة منحدرةً من رغبة أبيه وجده عن سلسلة الدعاة المهتدين، من الأجداد العلويين، متصلاً إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآلِهِ وسلم، ومن أهم الرحلات التي تعنينا في هذا المضمار رحلته مع والده الجد أبي بكر عام ١٣٥٣ من الهجرة من تريم إلى سيئون وشبام ودوعن مروراً على الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار، حيث فرح بهما وألبسهما وأجازهما ولقّنهما وألقمهما، وغادراه إلى زيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي في قيدون، ومن وادي دوعن صعدا إلى عقبة يبعث، ثم إلى حبان عند السادة المحاضير، ثم إلى المحفد، واستقبلهم أهلُها استقبالاً حسناً ومكثا بها أياماً يتنقلان بين القبائل، ثم نـزلا إلى أحور ومعهما الحبيب عبدالرحمن بن أحمد الحامد، وفي أحور حصل لهما استقبالٌ واحترام وحصلت مذاكرات، وجهر بأحسن الكلمات والعبارات، ومنها بعد أيامٍ إلى شقرة وعدن ثم إلى اليمن والهند .

وكانت هذه أول رحلةٍ ربطت سيدي الوالد ببلاد العوالق السفلى أحور، حيث عرف السلطانَ وعدداً من وجهاء البلاد آنذاك، أمثالَ السيد علوي بن عبدالله باهارون بونمي، والسيد هارون بن عمر باهارون تلميذ الحبيب علي بن محمد الحبشي، والسيد علي بن هارون باهارون، والسيد الجد أبي بكر بن عمر الحامد، والسيد أحمد بن حسين بن عيدروس الحامد، وغيرهم من المشايخ والأعيان .

والذي يعنينا في هذا المضمار أن نشير إلى باعث الرغبة منذ الصبا لدى سيدي الوالد في سبيل نشر الدعوة والرحلة من أجلها، ولذلك نجد أن الرحلة الثانية من حيث الأهمية هي الرحلة التي ودع فيها والده إلى الأبد عام ١٣٦٢ من الهجرة، والتي قطع فيها ذات الطريق الأولى التي قطعها مع والده عام ١٣٣٥ حتى استقر في مدينة أحور بناءً على رغبة الأهالي والدولة وتلبيةً لتوجيه والده له بالمكث فيها، وقد شهد الوالد بعد ذلك رحلاتٍ داخليةً بين العاصمة وما يليها من القرى وبين العاصمة وما يجاورها من البلاد القريبة والبعيدة، ونذكر منها طرفاً صالحاً :

الرحلة الأولى من أحور إلى حضرموت عام ١٣٦٧ من الهجرة تقريباً

مرت على سيدي الوالد بأرض العوالق السفلى عدة سنين حقق خلالها أموراً هامةً وعظيمةً، واستجدت كذلك في محيطه ومحيط غيره أمور ذات أثرٍ كبيرٍ، فهو قد جمع قلوب أهل البلاد على الاستماع لنصيحة والتوجيه، وكون لهم شعلةً يستضيئون ا في ظلمة الحياة الملتهبة، وفتح المدرسة وأحيا مدارس العلم وارتفعت أصوات الحق على أصوات الباطل .

ثم هو قد أكملَ الشأنَ بتزوجِهِ ورؤيته لأول نِتاجِ الحياةِ الزوجية، وبنى مسكناً ملائماً، و يأت له أسباب ماديةٌ واجتماعيةٌ حسنةٌ، وهيأ من تلاميذه ومعاونيه من يسانده ويقوم نائباً عنه إذا عن له السفر والذهاب، ولذلك فقد تحركت نفسه لزيارة مسقط رأسه تريم، وخاصةً أنه غادرها ووالده على قيد الحياة ولم يكد يدور العام حتى طوقت الأقدار اسم أبيه ضمن القبور والأجداث، فهو أكثر اشتياقاً لرؤية أهله وإخوته ومنـزل أبيه ولرؤية أشياخه الذين يستمد منهم ويستقي .

فرتب أمر الرحلة الأولى من أحور ومعه أخوه الأصغر محمد الغزالي والذي قدم إلى أحور بعد وفاة أبيه لطلب العلم وتنشئته تحت عناية أخيه الأكبر، كما صاحبه في رحلته أيضاً تلميذه الجديد الذي هيأه لمثل هذه الأحوال عبداللّه بن صالح السهل بامختار، وكان في وداع سيدي الوالد أعيان البلاد ودولتهم ينشدون الأناشيد ويطلقون العيارات النارية حتى بلغوا إلى قرب ولي معروفٍ يدعى عبداللّه الغريب، فرجع المودعون وانطلقت قافلة الرحلة عبر الصحراء متجهةً إلى المحفد حيث استقبله أهلها استقبالاً حافلاً واتجهوا بضيفهم إلى مسجد الشيخ عبدالعزيز وصلّى ركعتي الضحى .

ثم نـزلوا بمنـزل الشيخ مهدي بن أبي بكر الشـقاع منصب البلاد، وبـقـي بـهـذه المديـنـة ثلاثة أيامٍ بين الوعظ والتذكير والتوجيه والتبصير، ثم اتجه الركب إلى حبان عن طريق « الهدا » و« الخبر »، واستقبله السادة المحاضير استقبالاً حسناً ومكث ببلدهم ثلاثة أيامٍ بغرض نشر الدعوة إلى اللّه، ومن هذه المدينة ذات الطابع الأثري انتقل إلى حوطة الفقيه علي، وقد ذكر لي مرافقه الشاب عبدالله بن صالح السهل أن استقبال أهل الحوطة لسيدي الوالد كان استقبالاً لا يقارن بغيره

لكثرة محبتهم للدعوة ورغبتهم فيها، واستبشارهم بالوالد كاستبشارهم بالغيث، حتى إنهم أقاموا احتفالاً كبيراً عند الدخول إلى البلاد خطب فيه العلماء والفضلاء وتكلم فيه سيدي الوالد رحمه الله محيياً وشاكراً ما قاموا به من أجل العلم والدعوة إلى اللّه، ومكث ببلادهم ثمانية أيامٍ، ثم غادرهم مع بعض القوافل إلى يبعث، ثم انحدرا إلى الوادي الكبير ولم يتم لهم الاستقرار إلا في بعض المدن كمدينة المشايخ آل العمودي المسماة «بضة»، وعند الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار بالقويرة، واستضافهم أياماً ثلاثةً يتبادلون الأحاديث الودية ويوجهون الأمة إلى ما فيه سعادة الدارين .

ثم ارتحل الركب إلى شبام والقطن مروراً حتى مدينة سيئون « الطويلة »، وتم النزول عند الحبيب العلاّمة عبدالرحمن بن عبيد اللّه السقّاف، واشترى من سيدي الوالد المركوب الذي قدم به من أحور بشرط حمله إلى تريم على سيارته الخاصة .

وبلغا مدينة تريم الغنا متجهين بادئ ذي بدءٍ إلى التربة وزيارة ضريح والده بعد ضرائح السادة الأولياء، وهمعت العين بالدموع وسيلُ ذكريات البر بالأب يتوارد على الذهن وهو يقرأ الفاتحة على روحه، وسبقه إلى المنزل من يخبرهم الخبر وهو العم محمد الغزالي الذي كان لسيدي الوالد مرافقاً من أحور، وخرج الأهل والإخوان يستقبلون القادم المنتظر، وحصل البكاء والشكاء والتعزية بين الوالد وإخوته عبدالقادر وعلوي وفاطمة وخديجة وعبودة .

ثم بعد أداء مسنون التعزية اتجه سيدي الوالد إلى منزل الحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين خليفة السلف المأذون، وشيخه الحنون، والذي أنذر والده

بحلول المنون، ففرح به فرحاً شديداً وبشره ودعا له بـدعـواتٍ مباركاتٍ، وبقي سيدي الوالد يزور الأرحام والأصحاب، ويحضر مجالس العلم ومحافل الأحباب، ويستأنس بزيارة آثار السادة الأنجاب، حتى أزف الوقت وحان وقت العودة .

وقد ذكر مرافقه الأخ عبدالله بن صالح السهل أن المواصلات خلال تلك الفترة كانت صعبةً جداً، وأن سيدي الـوالـد عَلِم بوجود سيارةٍ تابعةٍ لمكافحة الجراد دخلت حضرموت وستعود إلى عدن عن طريق الصحراء، فذهبا إلى صاحب السيارة يطلبان مرافقته فلم يأذن إلا لفرد واحدٍ فقط، فرحل سيدي الوالد وترك رفيقه السهل في تريم، وبعد يومين تحرك في سيارة إلى المكلاّ ومنها إلى أحور عن طريق رضوم وعرقة، واتجه سيدي الوالد مع سيارة الجراد حتى بلغ مدينة عدن، وبعد أن قضى بعض أعماله رجع إلى أحور عن طريق شقرة، وفيها التقى بتلميذه عبدالله بن صالح السهل والذي لم يستقر بأحور لعدم وجود سيدي الوالد ا وأراد اللحاق به إلى عدن، فاتفقا في منتصف الطريق بمدينة شقرة عند آل باعباد حسن وأبي بكر، فرجعا إلى أحور في سيارةٍ كبيرةٍ لشخصٍ يدعى « باشادي » واستقْبِلَ الوالد في أرض إقامته ودعوته استقبالاً يليق به وبقدومه، وعادت المياه إلى مجاريها .

الرحلة الثانية من أحور إلى دثينة عام ١٣٦٩ من الهجرة تقريباً

ذكر الأخ عبدالله بن صالح السهل أن ارتباط سيدي الوالد بأهل دثينة كان منشؤه زيارةً قام بها إلى أحور الشيخ حسين بن درامه [1]، وعرض على سيدي الوالد زيارة بلاده دثينة في مستقبل الزمان، فلما جاء وقت العطلة الصيفية السنوية جهز سيدي الوالد رحلته إلى بلاد دثينة، وأخذ معه عبدالله بن صالح السهل والولد الأكبر من الأولاد الأخ محمد بن علي المشهور وعمره إذ ذاك يقارب السابعة، وكان مريضاً بمرضٍ يسمى السغل، وهي لحمةٌ في الحلق تقطع خلال ذلك العهد بوسائل بدائية .

فاتجه سيدي الوالد إلى شقرة ثم إلى دثينة عن طريق « العرقوب »، وتم النـزول في «مودية» عند الشيخ حسين بن درامه، وانكبَّـتِ الأمة من كل مكانٍ على سيدي الوالد يتعرفون ويستمدون، وخاصةً أن اسمه وخبره قد بلغ إلى كل مسمعٍ وحِس بواسطة طلبة العلم الذين نـزلوا أضيافاً عليه في أحور، ومكث بينهم نصف شهر تقريباً يتنقل بين قراهم ومدنهم ومساجدهم مذكراً ومعلماً ومرشداً، ثم انتقلوا إلى لودر « أرض العواذل » ومكث بها يومين يدعو إلى الله تعالى [2]، ثم عاد إلى عدن ومنها إلى أحور .

---

(١) كانت رحلة الشيخ حسين بن درامه إلى أحور سنة ١٣٦٧ من الهجرة تمهيداً لإرسـال عـددٍ من الطلبة من دثينة إلى أحور ليطلبون العلم على نظر سيدي الوالد، فلـم يمـر الشـهر أو الشهران حتى قدم إلى أحور عدد من طلبة العلم كان من بينهم عبدالله بن حسين بن درامـه نجلُ الشيخ المذكور، وهو من أول من قدم هذه البلاد، وكذلك علي بن ناصر بـن محمـد حسني وعبدالله بن محمد مهيثمي .

(٢) والتقى فيها بالمشايخ آل باهرمز وفي مقدمتهم الشيخ العلامة محمد باهرمز الذي كـان إمامـاً وخطيباً لجامع لودر آنذاك .

الرحلة الثالثة من أحور إلى تريم حضرموت عن طريق المكلا في شوال سنة ١٣٧٥

لم يمكث سيدي الوالد بأحور أكثر من سنتين على رحلته إلى دثينة حتى جهز نفسه في أيام العطلة الصيفية واصطحب معه المرافق الدائم عبدالله بن صالح السهل والشيخ عمر القرن بامزاحم والمحب فرج مبارك باعيسى، وكانت باكورة الرحلة توقيتاً بعد الظهر، وكان يودعه في تلك اللحظات عدد كبير من أهل البلاد وأعيا ا حتى خارج العمران حيث واصل الركب سيرهم إلى « حصن بلعيد » وبه أخذوا قسطاً من الراحة حتى بعد صلاة الفجر، وواصلوا رحلتهم إلى عرقة، ونزلوا على المنصب الشيخ أحمد باداس [1] صباح اليوم التالي، ومكثوا ا يومين اجتمع خلالها الأهالي من الصيادين والعمال والمزارعين مراتٍ خلال أوقات الصلوات يستمعون للموعظة .

ثم واصلوا رحلتهم براً إلى « حورة »، ومنها إلى « الحامية » ثم إلى « رضوم » مدينة المشايخ آل بامعبد حيث نزلوا عند الشيخ محمد بامعبد منصب البلاد [2]، ومكثوا ا ثلاثة أيامٍ كان معظمها في نواحي البلاد لنشر الدعوة وتعليم الجهال .

---

(١) كان هذا الشيخ محباً ومتعلقاً بسيدي الوالد تعلقاً كبيراً، وهو من صالحي تلك البلاد ووجهائها قولاً وفعلاً، وله جاه كبير ومحبةٌ في نفوس الأهالي وله أيادٍ في الخير لا تنكر، وقد كان بعض أولاده ممن دخلوا إلى أحور لطلب العلم في المدرسة الميمونة لدى سيدي الوالد رحمه الله تعالى .

(٢) كان منصب رضوم رحمه الله تعالى من المتعلقين بسيدي الوالد، وقد أرسل أحد أولاده في بداية حلول سيدي الوالد في أحور ونال حظاً من العلم في مدارس ومجالس سيدي الوالد ثم عاد إلى بلاده .

وعنها انتقلوا عن طريق الساحل إلى يمين بامعبد ثم جلعه ثم بالحاف، ومنها إلى «بير علي» حيث نـزلوا على ضيافة السلطان « علوي بن طالب » سلطان البلاد، حيث كانت له علاقةٌ وطيدةٌ بسيدي الوالد منذ القدم، فأكرم وفاد م وأحسن ضيافتهم خلال ذلك اليوم الذي استقروا به في تلك البلاد الواقعة على فم البحر، وكان غالب أهلها من الصيادين، ودعاهم سيدي الوالد إلى الاجتماع في مسجد البلاد وذكّرهم بالله تعالى وشنف أسماعهم بالموعظة الحسنة، وفي اليوم التالي توجهوا إلى ميفع عبر طريقٍ صحراوي واسع الأطراف مترامي الأكناف تنتهي بسلاسل من الجبال والأودية المتعرجة، وكان من حظّهم وجود سيارةٍ حكوميةٍ حملتهم إلى ميفع، ومنها إلى المكلاّ، حيث نـزلوا عند أحد أحد المحبين للجد علوي والجد أبي بكر وهم عائلة « آل بحول » والذين كان الجد علوي والجد أبو بكر ينـزلان عادةً على ضيافتهم، و ا مكثوا قرابة ثلاثة أيامٍ كان خلالها سيدي الوالد ينتهز فرصة الصلاة في مسجد الروضة الواقع على البحر فيعظ الناس ويذكرهم بالله، ثم اتجهوا إلى حضرموت بسيارة نقلٍ كبيرةٍ إلى تريم .

وفي طريق العودة من تريم أيضاً مروا إلى المكلاّ ومنها إلى بير علي على متن سيارةٍ صغيرة، وانقطعوا في هذا الميناء عن وجود السيارات، فجهز لهم السلطان علوي بن طالب قارباً بحرياً كبيراً يحملهم إلى « بالحاف » وواصلوا رحلتهم براً إلى رضوم، وتم نـزولهم يومين عند آل بامعبد، ومنها براً على الأقدام إلى عرقة حيث نـزلوا يوماً واحداً على المنصب « باداس » الذي سبق ذكره، ومنها قدم الشيخ أحمد باداس لسيدي الوالد مركوباً يحمله إلى أحور، فرحلوا إلى « حصن بلعيد » ولم يمكثوا طويلاً بل واصلوا صباح اليوم التالي طريقهم إلى أحور .

ويصف الأخ عبدالله بن صالح أن رحلتهم من حصن بلعيد إلى أحور كان ا بعض الصعوبة من حيث فراغ الماء واشتداد حر الهجير، وكان سيدي الوالد راكباً على الحمار ويسير خلفه التلميذ الملازم، ولما اشتد م التعب والإرهاق أخرج سيدي الوالد « زمزميةً » صغيرةً ا ماءٌ، وأمر المرافق الشاب أن يحملها على كتفه وينطلق عبر الصحراء الممتدة إلى أن يبلغ مدينة أحور، وعدل سيدي الوالد بحماره عن الطريق مستظلاً بشجرةٍ وارفة الظلال .

ويخبرني الأخ عبدالله بن صالح أنه حمل الماء واتجه مسرعاً إلى المدينة حيث كانت تتراءى له خلال ذلك الوقت من الظهيرة كالسراب خلف الأفق، وكلما أرهقه المسير أخذ بعض الراحة يدفعه السرور والفرح بقربه من المدينة، وكان سيدي الوالد قد حثّ السير خلفه على حماره بعد أخذه قسطاً من الراحة، ولم يكد المرسول الشاب يشرف على البلاد من بين الآكام الصغيرة حتى رآه بعض الناس يلوح عبر الطريق فانتشر الخبر في البلاد انتشار الضوء اللامع، وخرجت الأمة كالسيل من كل اتجاه يستقبلون ضيفهم وأستاذهم وشيخ دعو م الحكيمة حيث زف إلى منـزله زفاف العروس بين الأهازيج والأناشيد وكلمات الترحيب الصادقة .

الرحلة الرابعة إلى تريم عبر المكلاّ مع بعض أولاده في ذي الحجة سنة ١٣٧٨

في عام ١٣٧٨ تقريباً عزم سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى على الرحلة من أحور إلى تريم خلال أيام العطلة الصيفية ورغب أن يصطحب معه ولديه، وهما الابن الأكبر «محمد»، واللاحق له في العمر « أبوبكر » كاتب الترجمة، وأعد العدةَ لذلك الأمر واستخلف على الصلاة والمسجد من يعتمده من نجباء تلاميذه ولحق به في رحلته هذه بعض المريدين والمتعلقين، وهم التلميذ عبداللّه بن صالح السهل والشيخ أبوحامد من

آل بامزاحم، وكان السفر على متن سيارةٍ كبيرةٍ متجهةٍ إلى رضوم، وكان عدد من المواطنين في وداع سيدي الوالد رحمه الله تعالى، وكان الركب المسافر مجتمعاً على ظهر السيارة، وما أن انطلقت بنا السيارة إلى خارج المدينة حتى أمرني سيدي الوالد بمتابعته في سرد كتاب الله تعالى، وكنت حينها قد حفظت جزءاً كبيراً من القرآن العظيم، ولما بلغنا ساحل البحر ونـزلت السيارة على الشاطئ تقطع الطريق بين المد والجزر كان يعتريني الخوف والذعر من حركة المد حتى إنني كنت أتشـبـثُ بالحواجز الحديدية المثبتة في ظهر السيارة محاولاً صرف السيارة عن جهة البحر الهائج المائج.

وبلغنا مدينة عرقة ولم نستقر ا سوى يومٍ واحدٍ كان لنا فيه شرف المعرفة ذه البلاد الساحلية التي يشتغل جل سكّا ا بصيد الأسماك، وقد كان نـزولنا عند منصب البلاد « الشيخ أحمد بن عبدالله باداس »[1] وأكرم الضيافة والوفادة وانطلقنا إلى رضوم في اليوم التالي وبلغنا مدينة رضوم ليلاً وتمّ نـزولنا بمنـزل منصب البلاد من آل بامعبد، وفي الصباح خرجنا مع بعض الأولاد للتعرف على معالم المدينة ومآثرها وعيو ا المعدنية الساخنة، ولم نلبث ذه المدينة سوى ثلاثة أيام كان سيدي الوالد خلالها مرتباً كافة الأوقات بين الوعظ والإرشاد العام وبين القراءات الخاصة وبين مدارسة القرآن وأقساط متفاوتة من الراحة والاستجمام .

وأثناء ذلك الانسجام الذي ألفناه في هذه المدينة الوارفة الظلال والنخيل عزم سيدي الوالد على التوغل في المنطقة بـغـرض الدعوة إلى الله، فكان أول انطلاقنا إلى مدينة « ميفعة » العاصمة الثانية لسلطنة الواحدي آنذاك، وكان نـزول سيدي

---

(١) توفي الشيخ أحمد باداس في عام ١٤١٧ بمدينة عرقة وهيأ الله لنا حضور الختم عليه في عرقـة مع جملة من أعيان أحور شاركوا آل باداس في مصا م .

الوالد ا لدى أحد الأصدقاء القدماء وهو الشيخ عبدالغفور اليافعي، وكان إذ ذاك يقوم بإدارة بعض شؤون البلاد من قبل الحكومة، ونـزل سيدي الوالد في ضيافته ثمانية أيامٍ كاملةً، كنت أعدها أنا وأخي محمد في ذلك العمر من أجمل فترات الرحلة على الإطلاق، إذ تمّ في هذه البلاد بيننا وبين أعضاء عائلته انسجام عجيب وحصلنا على قسطٍ وافرٍ من الحرية التي لم نألفها في نظام الرحلة، فكنا نقضي وقتاً طويلاً في اللعب خارج المنـزل وترتيباً للغذاء واللباس والنوم لم نعهده عند أحدٍ من المستقبلين .

وتمّ التشاور بين سيدي الوالد وبين مستضيفه الكريم على زيارة عاصمة السلطنة الواحدية « عزان » والنـزول ضيفاً على سلطان البلاد، وتم العزم على ذلك حيث غادرنا ميفعة إلى مدينة عزان عصراً وأمكننا مقابلة السلطان حيث نـزل يرحب بسيدي الوالد ورفيقه عبدالغفور، ومكثنا في ضيافته يومين قضاهما سيدي الوالد في تذكير الناس ووعظهم وإرشادهم وحل مشكلا م الدينية .

ثم غادرنا مدينة عزان في سيارةٍ خاصةٍ بالسلطان إلى بير علي بعد أن ودعنا الشيخ عبدالغفور والسلطان وحاشيتهم، وفي مدينة بير علي ابتهجنا بجلال البحر الذي ترسو على ساحله المدينة الصغيرة، وكنا لا ننفك عن الجلوس جوار النوافذ المطلة على البحر، فيصِلُ إلينا الرذاذُ مبلغاً أزكى التحياتِ من حيث تتكسر الأمواج وتذوب .

ومنها سافرنا بالسيارة إلى ميفع ومكثنا يوماً واحداً، ومن هذه البلاد الصغيرة الجميلة ركبنا سيارةً حكوميةً صغيرةً فيها بعض الأجانب الإنجليز كان سيدي الوالد مولياً ظهره لهم خلال الرحلة بطولها مشغولاً عنهم بتلاوة القرآن ومدارسته حتى بلغنا

مدينة المكلاّ ونـزلنا عند آل بحول الذين سبق ذكرهم في سياق الرحلة السالفة، وكان دخولنا إلى هذه المدينة العريقة يعد أمراً كبيراً بالنسبة لإدراكاتنا في ذلك السن، حيث كان سيدي الوالد يصطحبنا إلى كافة الأماكن والمدارس والمنازل التي يعهد فيها بعض الأصحاب القدماء، فزرنا صديقاً قديماً يسمى الشيخ « محجوب » أو «محبوب» وعدداً من العلماء والأولياء الأحياء والأموات، وزرنا ضريح شيخه الوليّ العارف باللّه الحبيب أحمد بن محسن الهدار، ومسجد الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور الذي بناه في هذه المدينة إبان عودته من رحلته إلى السواحل وحصوله على بعض المساعدات المادية، فاشترى أخشاباً ومؤونةً للبناء من تلك البلاد وأرسلها إلى المكلاّ بطريق البحر ثم مكث في المكلا أياماً يرتب بناء المسجد الذي سماه «مسجد مشهور»، وقد وقعت على الوثيقة الأصلية لبناء المسجد وسنثبتها في ترجمة الجد علوي، وفي مدينة المكلاّ الجميلة قضينا أياماً ثمانيةً مرت غالبها في زيارات الأصحاب ومساجد المدينة المترامية الأطراف حيث كان سيدي الوالد يعقِب كل صلاةٍ في هذه المساجد بكلمةٍ وعظيةٍ يرشد فيها الخلق ويذكرهم باللّه .

ومن المكلاّ غادرنا منـزل آل بحول في سيارةٍ كبيرةٍ أقلّتنا عبر طريقٍ طويلٍ وجبالٍ شاهقةٍ مضنيةٍ حتى مدينة تريم، ومما أذكره من رعونات الصبا أن صاحب السيارة عندما بلغ جوار منـزل الجد أبي بكر، وعندما طالَبنا بالنـزول لم أوافق على النـزول اعتقاداً مني أن منـزلنا ليس ذلك الذي أشاهده أمامي، ولم أصدق ذلك إلا عندما أقنعني الأخ محمد والعم جيلاني والعم علوي بأنه منـزلنا منذ عهد الجد علوي رحمه اللّه تعالى، وكان أبي حينها قد نـزل إلى زيارة التربة قبل دخوله إلى المدينة، وقضى سيدي الوالد في رحلته هذه قرابة الشهرين حرص خلالها على أن يعرفنا مآثر الأسلاف وعادا م، وأن يزور بنا منازلهم ومساجدهم، ويحضرنا معه إلى

معاهدهم ومدارسهم، بل وبلغ به الحرص على اتباع سنتهم أن جعلنا نلبس اللباس الخاص بالسلف الصالح مع صغر سننا لنألف ذلك ونتعود عليه، ولا يفوته مجلس علمٍ أو مجمع خيرٍ بل كان مسارعاً بنا إلى هناك معلماً لنا ومرشداً لعقولنا وموجهاً لمسلكنا على ج طريقٍ صالحٍ كان قد نهجه وسار على هداه .

والأمر المدهش في حياة سيدي الوالد خلال تلك الرحلة نشاطُه الدؤوب وحركته الهادفة، فلا يمر عليه وقت إلا وهو يقدم للّه قُربةً من القُربِ، إما زيارةَ أخٍ في اللّه أو زيارةَ مأثرٍ من المآثر أو مجلسِ علمٍ ودينٍ أو قراءةَ قرآنٍ أو هو يدخل السرور على أولاده وأرحامه .

ولما انقضى الموعد المحدد لبقائنا في تريم حزمنا أمتعتنا للرحيل بين دموع العمات والأهل والأقارب، وغادرنا أرض الأسلاف ونحن نحمل أفضل الذكريات، وأزكى الأخلاق والانطباعات .

وفي رحلة العودة كان كل شيءٍ على ما يرام سوى أن المسافة بين ميفع وبير علي أبقت في نفوسنا انطباعاً غريباً ؛ لما حصل لنا خلال الرحلة من مفاجآتٍ، إذ إننا بمجرد وصولنا إلى « ميفع حجر » لم نجد خلال الأيام الثلاثة سيارةً تقِلنا إلى بير علي، فما كان من سيدي الوالد إلا أن استأجر جملين مع الدليل الذي يملكهما على أن يبلّغنا مدينة بير علي ؛ ولكن الدليل كان رجلاً أحمقاً وصاحب أخلاقٍ سيئةٍ، إذ كان خلال الطريق لا يلتفت إلى توجيه سيدي الوالد ولا يستجيب لندائه وقت الصلاة بل قد حمل جماله ومشى ن ونحن نصلي المغرب في سفح أحد الجبال .

وكم اغتاظ أبي من ذلك الجمال الأحمق ولكنه كظم غيظه وصبر، ولمّا كنا نقطع المسافة في جنح الليل غفل ذلك الجمال وجاوز الموقع المقرر للطلوع من الساحل حتى إذا مر الوقت كثيراً فَطِن إلى غلطته وخرج بنا دون تمييزٍ أو تحديدٍ لموقع حركته وضرب بنا في البرية على غير هدى حتى آخر الليل .

ولمّا أدرك سيدي الوالد سر ارتباكه أمر بالنـزول وأخذ قسطٍ من الراحة حتى الصباح، فقَيلَ على مضضٍ وذهب لينام حتى الصباح، ولم يوافق على الانتقال بعد الإشراق إلا عند الضحى، وأخذ بنا في طريق السير الصحيح حتى حان وقت الظهيرة واشتد الحر، فطلبنا الماء الذي كان على متن الجمال فإذا هو قد تغير ريحاً ولوناً وطعماً لكثرة حركة الجمال به، إذ كان الماء موضوعاً في صفيحتين من صفائح « الجاز » وكأنّ الحركة الدائبة مزجت بين آثار الجاز والماء الملوث المأخوذ من بعض ترع ميفع، حيث استحال أبيض اللون يشبه الحليب الرائب .

وأدركنا الخطر، إذ ليس في المنطقة المترامية مكانٌ يعرف بالماء، وكان سيدي الوالد معتاداً في أن يخصص لنفسه ماءً في « زمزميته » الصغيرة لاستخدامها حال الاستنجاء والوضوء، فعدنا إليها جميعاً لنشرب ولكن شرب الركب من هذه الزمزمية الصغيرة سيعدم ما فيها مباشرةً، ولذلك فقد سمح سيدي الوالد لكل فردٍ أن يشرب شيئاً يسيراً فقط، ثم أمر الأخ عبدالله صالح السهل أن ينطلق بأقصى سرعته إلى بير علي ليأتي لنا بالنجدة والماء، وكانت مدينة بير علي بعيدةً جداً لا نكاد نرى منها إلا خيطاً رفيعاً يحمله السراب ويخفيه .

وعدل بنا سيدي الوالد عن الطريق ولم تكن في الأرض تلك حجرة ولا شجرة نستظل تحتها، فأخذ سيدي الوالد عمامته وأظلني مع أخي وأمرنا بالنوم جوار أحد الجمال، وهو كذلك مع الإكثار من القراءة والذكر، واشتدت وطأة الحر كما اشتدت حاجتنا للماء وبدت أوهام الخوف تعزو النفوس الصغيرة بينما كان سيدي الوالد يخفي قَلَقَه بقراءةٍ أو حركةٍ بين الجمال هنا وهناك وكأنما هو يتأمل الأفق، ولما انكسر ضوء الشمس وبرد الجو قام ذلك البدوي الأحمق وطلب منا متابعة السير، فأركبنا سيدي الوالد على أحد الجمال معه، وغطّى رؤوسنا بعمامته البيضاء الخفيفة، وسرنا بعض الساعة حتى بدت لنا المدينة الساحلية بيضاء في الأفق البعيد، وما هي إلاّ فترةٌ وجيزةٌ والعصر يمضي منه بعض الوقت حتى بدا في تلك الصحراء عدد من الرجال القادمين، فكانوا بعد أن تـبـيـنـاهم عبيداً أربعةً أرسلهم سلطان البلاد بالماء في القرب، فكانت فرحةً لا توصف وكدنا أنْ نشرب القِرب كلها من كثرة الظمأ ؛ ولكن العبيد كانوا أولي خبرةٍ في مثل هذه الأحوال، فلم يسمحوا لنا بالشرب أولاً وإنما أفاضوا الماء على أجسادنا حتى بردت، ثم ناولونا قليلاً من الماء لنبل بِهِ الريق، حتى إذا ما مضى بعض الوقت ودبت فينا الحياة شربنا من الماء بقصدٍ ومقدارٍ .

وأصر العبيد الأشداء على حملنا أنا وأخي محمد على عواتقهما حتى دخلنا المدينة الساحلية قرب غروب الشمس، فاستقبل السلطان سيدي الوالد وفرح به فرحاً شديداً، وكان أول طعامٍ قُدم لنا في تلك الأمسية شيءٌ من الموز، وكم كان عهدنا بهذا الثمر الطيب بعيداً، فنحن لم نره منذ مدةٍ طويلةٍ حتى في أحور سوى مرةٍ أو مرتين، وقد كان ألذ طعامٍ وأهنأ غذاءٍ جاء على فاقةٍ بنا وحاجةٍ ماسةٍ، وعلم

سلطان البلاد بالأذى الذي بلغنا من صاحب الجمال، واسمه « باعوم » فأمر بسجنه ذلك المساء ؛ ولكن سيدي الوالد سامحه وطلب من السلطان العفو عنه، فأُطلق .

وفي هـذه المدينة العجيبة مكثنا بضعة أيامٍ على أمل الحصول على سيارةٍ تقلّنا إلى رضوم ولكن دون جدوى، فما كان من السلطان علوي إلاّ وجهز لنا قارباً بحرياً كبيراً يحملنا إلى بالحاف، وأتذكر حينها أننا خرجنا من حصن السلطان بالسرج إلى حيث جهز البحارة ذلك « السنبوك » كما يسمونه، وقد رتبوا فيه الأدوات الخاصة بنا وهيأوا فيه مكاناً مفروشاً لي ولأخي الأكبر في مقدمة القارب .

وانطلق القارب العجيب بعد صلاة العشاء عرض البحر والبحارة يجدفون با اديف الكبيرة ويغنون بأصواتٍ غريبةٍ وعجيبةٍ، وأبي كان من بين الجميع يتلو بعض أوراده المعتادة، ولم نكد نسير مدةً يسيرةً على سطح البحر حتى دب النوم إلى أعيننا، فلم نسمع شيئاً إلا عندما كانت سمكةٌ طفيليةٌ تقفز على أجسادنا، والصيادون يجرون خلفها للقبض عليها ولكنها عادت إلى البحر من جديد، ولربما كانت تؤدي فروض زيارةٍ كُتبت عليها .

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي رسا بنا القارب الميمون على ساحل الميناء المعروف ببالحاف، حيث نـزلنا في ضيافة بعض المواطنين، وقد ذكر سيدي الوالد أن البحارة في ظلام الليل اكتشفوا أن بالقارب شِقّاً صغيراً يتسرب منه الماء إلى الداخل، وأ م خصصوا بعض أصحا م لنـزف الماء المتراكم طيلة فترة الرحلة، كما ذكر لنا أن البحارة أخذوا قسطاً من الراحة بعد أن جنحوا بالقارب إلى « حصن

العزاب »، وهو جبلٌ قديم به آثار قديمةٌ، وله تاريخ شبه مجهولٍ اليوم، ويقال : إنه كان ميناءً عظيماً لتصدير الحبوب .

وفي مدينة بالحاف لم يطل المقام سوى يومٍ واحدٍ حيث أسعفنا الحظ بوصول سيارةٍ حكوميةٍ تنقل الماء العذب لأهل هذا الميناء الذي تنعدم فيه المياه العذبة، و ا اتجهنا إلى مدينة رضوم ضيوفاً على دار آل بامعبد، وتكررت المشكلة ذا ا وهي انقطاع المواصلات منها إلى أحور، وبدرت لسيدي الوالد فكرةٌ وجيهةٌ، إذ كتب برقيةً مستعجلةً عن طريق مركز الأمن هناك إلى أحور ليبعث لنا سلطان البلاد سيارةً خاصةً إلى أحور، وحملت البرقية إلى ميفعة، وفي اليوم التالي بعد أن حلّ المساء وصلت سيارة السلطان ناصر عيدروس الخاصة مع عدد من الجنود لمرافقتنا إلى أحور، فودع سيدي الوالد مضيفه الشهم، وغادرنا مدينة رضوم إلى عرقة ثم إلى أحور، حيث بلغناها قبل ظهر ذلك اليوم، وكان الاستقبال حاراً .

الرحلة الخامسة إلى تريم عبر وادي دوعن مع بعض أهالي أحور

في عام ١٣٧٦ تقريباً عزم سيدي الوالد على زيارة حضرموت مع عددٍ من المواطنين أهل أحور، وجهز الأمير عبداللّه الكندي من قادة البلاد سيارته الخاصة لهذه الرحلة المباركة، حيث رغب في زيارة تريم والتبرك بمعرفة آثارها ومشاعرها، وتكون أعضاء الرحلة من : الوالد علي بن أبي بكر المشهور والأستاذ أبوبكر بن عبداللّه بن سميط، والحاج عبداللّه بن علي الكندي، والسيد أحمد بن عبداللّه باهارون «عرمان»، والمواطن جابر دحمان، ومحمد صالح الروضي وسائق السيارة صالح مبارك الوعد وأبوبكر بن علي المشهور « كاتب الترجمة » والشيخ أبوبكر عمر العمودي وصالح بن عوض

مبسطي ومحمد سعيد الشرجب وفرج مبارك الشحاري [1] ومهدي جابر دحمان وأبوبكر أحمد مطحين .

وكانت رحلةً شيقةً وجميلةً لم تتوزع أيامها القليلة بين المدن والقرى كما هو عادة سيدي الوالد في رحلاته المستمرة، وإنما طُويت المسافات من موقعٍ إلى موقعٍ لوجود السيارة الخاصة بالرحلة، وكان بدء الاتجاه في هذه الرحلة على طريق حصن بلعيد وعرقة، ولم تشرق شمس اليوم التالي إلا وقد بلغنا مدينة الـمـكـلاّ، وكان النـزول فيها على صديقٍ قديمٍ لسيدي الوالد كان يعرف الجد أبابكر، واسمه الشيخ محفوظ، وكانت المكلا خلال تلك الفترة في أشد أيام الصيف، ولم يتم المكث ا سوى يومين على مضضٍ وكَلَفٍ أُكملت خلالها بعض الإجراءات الجمركية للسيارة، وفي اليوم الثالث تم السفر على الطريق القبلي المؤدي إلى وادي دوعن، إذ كانوا يزمعون زيارة وادي دوعن وما فيه من أولياء وصلحاء أحياءً وأمواتاً، وكانت الطريق شديدة الوعورة في بعض أجزائها، وخاصةً بعد أن أوغلنا في الطريق بعد غروب الشمس، إذ فوجئنا بطريقٍ جبليةٍ متعرجةٍ تشرف على شواهق ومنحدراتٍ خطيرةٍ كنا خلالها نشعر ببعض القلق المنبعث من جهل ا موعة بطبيعة الطريق .

وما أن قطعنا في ذلك البهيم شوطاً حتى بلغنا إلى أعلى نقطةٍ جبليةٍ في تلك المرتفعات الشاهقة، وانتهينا إلى مركزٍ حكومي تابعٍ للسلطنة القعيطية في قريةٍ تسمى « مولى مطر » حيث كانت البرودة على أشدها .

---

(١) فرج مبارك الترىمي، هذا اسمه الصحيح إلا أن أهالي أحور يطلقون « الشحاري » على كـل حضرمي جاء من تلك الجهة.

وتم الأمر على البقاء بتلك القرية حتى الفجر حيث إن البرد كان قارساً، وتعاون جنود المركز الحكومي في إعطائنا غرفةً صغيرةً للراحة والنوم، وأفتى سيدي الوالد للركب المسافر بجواز التيمم مع وجود الماء لشدة البرودة، وصلينا ا العشاء ثم أخذنا مضاجعنا إلى الفجر، وبعد الصلاة وتناول ما تيسر من الطعام واصل الركب رحلته على طريق العقبة الكأداء المسماة بـ« عقبة الجَحي »، وهي أخطر عقبةٍ في جهة حضرموت كلها، ولم نبلغ رأس العقبة الانحدارية إلا مع زوال الشمس من وقت الظهيرة، فشاهدنا الوادي الكبير يمتد على مسافة الأفق وتتراءى أشجار النخيل كأ ا خطوطٌ خضراء دقيقةٌ والبيوت السكنية تتناثر في الأنحاء على شكل مربعاتٍ صغيرةٍ، ولقد كان المنظر مدهشاً للغاية حتى إن بعض الركاب لم يوافقوا على النـزول راكبين وإنما فضلوا السير على الأقدام، وخلال ساعةٍ إلا قليلاً دبت عجلات السيارة على تراب الوادي مخلفةً وراءها وهم العقبة الكبيرة الكأداء، وبقية الركب المشاة على الأقدام .

وأخذ المسافرون المنبهرون ذا المنظر المدهش ينتظرون البقية من الركاب والذين كانوا يسيرون سير السلحفاة في ملتويات العقبة حتى بلغوا تربة الوادي بعد أكثر من ساعة ونصفٍ تقريباً، ثم واصل الركب الرحلة حتى مدينة « قيدون » مدينة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، حيث بلغوا إليها بعد صلاة العصر ونـزلوا ضيوفاً على الـمـنـصـب، وقاموا بالزيارة للمسجد والضريح، وجلسوا بعض الوقت بمنـزل منصب البلاد، ثم اتجهوا إلى بضة ونـزلوا لدى منصب البلاد، ويسمى السلطان حسين، وفي ضيافته مكثوا حتى الصباح، ولما ارتفعت الشمس اتجهوا صوب الطريق المؤدي إلى شبام، ولم ينالوا خلال رحلتهم الطويلة أي قسطٍ من

الراحة سوى استظلالٍ بسيطٍ في مسافة الوادي تحت هيكل السيارة الصغيرة، وذلك بعد أن تعرضت السيارة إلى الوقوع في حفرةٍ خطيرةٍ نجا منها الركب بسلامٍ .

ثم اتجهوا إلى القطن فسيئون حيث نـزلوا على أحد المواطنين الذين يؤجرون بيوتهم على من يرغب من المسافرين، واسمه الشيخ باسلوم، وهو شخصيةٌ مرحةٌ مضحكةٌ يدخل على ضيوفه السرور والبهجة بأخلاقه وخفة روحه ودمه، ومكثوا في منـزله ثلاثة أيام تمت خلالها زيارة المآثر والمشاعر، ودخلوا على الحبيب محمد بن هادي السقاف وغيره من الظاهرين في ذلك الزمن للتبرك والفاتحة .

ثم رحلوا إلى مدينة تريم ودخلوها قبيل صلاة المغرب حيث اتجه بهم سيدي الوالد إلى زيارة التربة، ومنها إلى منـزل الحبيب علوي بن شهاب الدين حيث رتب الفاتحة ودعا للجماعة ببلوغ السول والمأمول، وأوعدوه بتكرار الزيارة مرةً أخرى حيث تم ذلك بعد يومين من الاستقرار في تريم الغناء .

ونقلهم سيدي الوالد بعد زيارة الحبيب علوي إلى منـزله الكائن في « بلعشر » بجوار جامع عمر المحضار، وألقوا عصا التسيار فرحين بالوصول، وزيارة السلف الفحول، وأخبرهم سيدي الوالد أن الحبيب علوي بن شهاب الدين يكره شارب التنباك ويقول بأنه يعرفه ولو كان في ألف نفر، وطالبهم بالتوبة من تلك الشجرة الخبيثة، فتابوا منها وألقوا بعلب الدخان، وكان أول ما فاجأهم به الحبيب علوي يوم زيارتهم الثانية أن قال لهم عند دخولهم عليه : « التوبة مقبولة » وكررها عدة مراتٍ، فذُهلوا مما سمعوا، وتمّ الاستئناس بعد ذلك بالجلسة مع الحبيب وولده المبارك محمد، وأنشد الفقير شيئاً من كلام السلف .

ثم سأل سيدي الوالد الحبيب علوي عن قوله : « أنا أعرف الذي يشرب التنباك ولو كان في ألف نفر »، فقال الحبيب : « نعم، أعرفه ؛ لأن وجهه أعوج في الدنيا قبل الآخرة » ومعنى ذلك : أن الأعمال تتشكل في ظاهر الصور المرئية للقلوب السليمة والبصائر الشفافة .

وفي اليوم الثاني دعاهم الحبيب علوي إلى طعام الغداء على مائدته المباركة، وتم الإلقام للجميع وحصلت السكينة، وذكر سيدي الوالد للحبيب علوي قول الحبيب عبدالله الحداد : « إن بركتنا في طَعامِنا »، وانصرفوا من الجلسة المباركة مجبورين فَرِحِين .

وخلال ما بقي من أيام الأسبوع قضاها سيدي الوالد مع أضيافه في زيارة المشاهد والمآثر السلفية كالتربة والمساجد المشهورة كجامع عمر المحضار وباعلوي والسقاف ومسجد سرور وزاوية الشيخ علي، وزار م الحاوي ومقام الحبيب عبدالله بن علوي الحداد، ثم ذهب م يوماً آخر إلى مدينة عينات لزيارة الشيخ أبي بكر بن سالم وأولاده وأهل تربته وبلاده، فلاقوا من أهل البلاد والمنصب خير الاستقبال والتوديع .

وما أن مرت أيام الأسبوع حتى تحرك عزم الجماعة على العود إلى بلادهم، وأخطروا سيدي الوالد بذلك، ولما لم يجد من ذلك بداً رأى أن يحزم أمتعته معهم للسفر إلى أحور وودع الإخوان والأهل، وزار إمامه وشيخه الحبيب علوي بن شهاب الدين واستمنحه الدعاء والبركات هو ومن معه من الركب الذي جاء بقصد ونية .

وغادروا مدينة تريم الغناء إلى سيئون ثم اتجهوا إلى المكلاّ بالطريق الأخرى والتي تمر على عقبة المَعِدِي، وهي أقل خطراً من تلك العقبة المؤدية إلى وادي دوعن، وكان

سيدي الوالد يعرفهم على المعالم والمآثر حيثما مروا ونـزلوا حتى وصلوا إلى أحور الميمونة بعد رحلةٍ استمرت خمسة عشر يوماً ذهاباً وإياباً، وكانت هذه الرحلة أقصر رحلةٍ سافرنا فيها إلى حضرموت .

الرحلة السادسة إلى تريم عن طريق المكلا وتزويج الأخ محمد سنة ١٣٨٠ ذي الحجة

في عطلة الصيف من عام ١٣٨٠ من الهجرة تحرك عزم سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى إلى الديار الحضرمية ولم يصطحب معه سوى الأخ الأكبر محمد والفقير كاتب الترجمة والأخ علوي، وقد كان سفرنا عبر الطريق الساحل إلى المكلاّ [1]، ومنها إلى سيئون ثم إلى تريم الغنا، ولم ينقص سيدي الوالد شيئاً مما اعتاده في مثل هذه الزيارات الموسمية، غير أنه قد عقد العزم على استكمال حلقة الدين للأخ الأكبر محمد وتزويجه بمدينة الأسلاف رغبةً منه في ربطنا ببلاد أهلنا وأسلافنا الأماجد، وهذه من عين الأمور التي كان سيدي الوالد يجتهد في تحقيقها .

إذ كان مقامه في بلاد البادية من أرض العوالق السفلى يتسم بالقلق وعدم الارتياح الكلي، ويبدو ذلك واضحاً في قصائده التي سنأتي على شيء منها في هذه الرحلة، وقد كان الدليل المشير في أمر التزويج المذكور للأخ محمد هو الحبيب العلامة محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، حـيـث أشـار عـلـى سيدي الوالد أن يخطب فتاة من أقاربه من بنات الحبيب عبداللّه بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم[2] .

---

(١) نـزلنا في مدينة المكلاّ بمسجد صغير به أحد السادة من آل العيدروس واسمه السيد جعفر .

(٢) توفي هذا الحبيب عام ١٤٠٤ من الهجرة بمدينة تريم ودفن ا .

وتمت الموافقة من الجهتين على أمر الزواج وأقام سيدي الوالد عقد الخطبة والزواج في روحة الـحـبـيـب علوي بن شهاب الدين بمسجد سرور بالنويدرة، وحضر الحبيب علوي بن شهاب الدين وبقية السادة الأشراف في يوم المولد الكبير الذي أقيم بمناسبة الزفاف المبارك، وقد لبس الأخ محمد لباس أهلنا وأسلافنا ليلة زفافه كما هي عادة المتمسكين بعادات السلف، والمكون من القميص والجبة والعمامة البيضاء والشال .

وقد سبقت لنا خلال هذه الرحلة مع سيدي الوالد زيارات مهمةٌ إلى كل من عينات وسيئون بعد زيارة تريم وتربة الأسلاف ا، حيث كان سيدي الوالد يشكو خلال هذه الرحلة من ألم شديد في ركبته اليسرى منعه المسير إلا متكئاً على عصاه، فلما كان سيدي الوالد على نية زيارة السلف في تربتهم الشهيرة أعد قصيدةً خاصةً لقراء ا عند ضريح الشيخ عمر المحضار نقتطف منها هذه الأبيات [1] :

إلى سيدي المحضار أُعلِي فإني محسوب له في القَرابةِ
ألا إنني قد جِئْت مِن أرض أحورٍ بلادٍ حوت كُل البلا والجَفاوةِ
ألا إنني قد جِئْت أسعى إليكُم بأولادِي المَوجود مِنهم ثَلاثَةِ
ولي أملٌ فيكُم فجد لِفَقِيركُم بأنْ تنقِذُوه مِن عذابٍ ومِحنةِ

إلى أن يقول :

ألا سيدي أرجوكُم لا تخـيـبـوا لِمن قد أتاكُم سائلاً للعطِيةِ
ومحسوبكُم يخشى الوفاةَ بأحورٍ ويصبِح أولادِي بأرض البداوةِ

(١) أُلقيت في ٢٧ صفر سنة ١٣٨٠ ، ويرى القارئ فيها روح البنوة، التي تفيض لـدى مقـام الأبوة، أمام مواقع الذكريات، ومفاض العـبـرات، ومواطن استعادة التقديرات .

فسيرتهم حقّاً تضيع عليهم ويصبح كُل منهم في جهالَةِ
عَياثاً عَياثاً سيدي قبلَ أنْ يكُن حقيقاً جلوسي في البلادِ البعِيدةِ

وفي ذات الفترة من هذه الرحلة المباركة قمنا بزيارة إلى مدينة عينات وكانت الآلام تزداد في ركبة سيدي الوالد حتى إنه كان يحتاج إلى من يعينه في الصعود إلى السيارة والنـزول منها، والغريب في زيارة عينات أن سيدي الوالد أعد قصيدةً لقراءتها أمام ضريح الشيخ أبي بكر بن سالم حدد فيها ما يختلج في صدره من أمورٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ، وقرأها في ذلك اليوم قائماً مستنداً بضريح الشيخ أبي بكر بن سالم، وحصلت له خلالها رعدةٌ شديدةٌ وتأثر بالغٌ، وما خرجنا إلا وهو يخطو على قدميه كأنما نشِطَ من عِقالٍ وكأنما لم يكن به شيءٌ [1]، وهذه بعض تلك الأبيات المباركة:

قَصدنا إلى عِينات نرجو زيارةً لِسيدِنا ابنِ سالِمِ الغوثِ جملَةِ
أبي الحامدِ المَشهورِ ثُم حسينهم وإخوانِهم يا رب فاصلِح سريرتيْ
لقد كان فَخراً للوجودِ بلا مِرا وقَهراً لِنفْسٍ والجهادِ لِشهوةِ
وإعراضه عن هذِهِ الدارِ جملَةً وخالَف لِلأهواءِ في كُل خطْرةِ
عِبادته ـ حدثْ عنِ الجِد للعلا ـ صلاةٌ له في ليلَةٍ ألْف ركْعةِ

إلى أن قال :

أتيت إِلَيكُم مِن بِلادٍ بعِيدةٍ وقَد جِئْتكُم بِالصدقِ أرجو كَرامتي

---

(١) كانت هذه الكرامة شاهد عِيانٍ وصورةً وبياناً لنا على حقيقة استجابة الدعاء من الإله المعبود، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب .

فعقْلي حيرانٌ وقلبي مدله　　وأشكُو سواداً في الفُؤادِ وظُلْمةِ
تخلفْت عن أهلِي وحسنِ فعالِهم　　وصِرت أنا المَحروم مِن كُل حضرةِ
سكـ‍نـ‍ت بوادي أحورٍ فِيهِ مِحنةٌ　　وباديةٌ والجَهلُ أعظَم فِتنةِ
وليس بقَصدِي أنْ أكُونَ ملازماً　　ا بل ذَهـ‍بـ‍ت للقِيامِ بدعوةِ
وإرشادِ جهالٍ　ا ومدارسٍ　　لتعلِيمِنا فيها بأصل الديانـ‍ةِ
أخاف بأنْ تأتي هناك مـ‍نـ‍يـ‍تي　　ويـ‍صـ‍بـ‍ح　أولادِي　بأرضٍ
فسير　م حقّاً تضِيع عليهم　　وأطْباعهم تمسِي طِباع الدناءَةِ

إلى أن قال :

فهلْ نظْرةٌ مِنكُم فتحيِي قُلَيبه　　وتشفِي له مِن كُل داءٍ وعِلةِ
وتصلِح أولادِي ليقْفُوا طَرِيقَكُم　　فأنتم لنا الآباءُ مِن أصل دوحةِ
عليكُم سلام اللّهِ بعد محمدٍ　　وصلى عليهِ الرب في كُل لَحظَةِ
مع الآل والأصحابِ ما قالَ قائِلٌ :　　« صلاةٌ وتسلِيم وأزكى تحِيةِ »

وقد كان ذلك اليوم من أيام زيارتنا يوماً مشهوداً،　ظهرت فيه الإشارةُ بينةً للعين، وعدنا إلى تريم وقد قرت بالزيارة العين،　وقد كانت لـ‍سـ‍يـ‍دي الوالد في تلك الرحلة زيارة لمدينة سيئون،　زرنا خلالها قبة الإمام علي بن محمد بن حسين الحبشي، وكان سيدي الوالد قد أعد أبياتاً　ذه المناسبة قال فيها :

قَصدنا إلى سيئونَ نرجو زِيارةً　　لسيدِنا المِفْضال بحرِ الحَقِيقَةِ
عِلي ومحـ‍بوبٍ لَدى سيدِ الورى　　يراه عِياناً حاضِراً كُل لَحظَةِ

هو الحَبشِي كنـزنا وملاذُنا فحدثْ عنِ البحرِ ولا تخش زلةِ
وقرت بِهِ عين النبي محمدٍ لهذا تراه دائماً في بِشارةِ
عطاءٍ وإمدادٍ وذَوقٍ تـفـهـمٍ لِما حازتِ الأسلاف في كُل رتبةِ
علومٍ كأمثال الجِبال تلاطَمت وأعمالُه حازت لِكُل فَضِيلَةِ [1]

إلى أن قال :

أنا ضيفُكُم محسوبكُم جِئْت زائراً فقولوا : « قَبِلْنا » عجلُوا بِبشارةِ
وهـنوا على إبنٍ لَكُم وسمِيكُم فقد جاء يجرِي مِن بِلادٍ بعيدةِ
ومقْصوده أنْ يصلِح اللّه قَلْبه ويجعلُه يدعو لِرب الخَلِيقَةِ
ويقْبلَ مِنه النصح في كُل محفَلٍ وينشرِح الصدر بنورٍ وحِكْمةِ
وينظُر طه المُصطفَى سيد الورى ويلقاه حقّاً في منامٍ ويقْظَةِ
عليهِ صلاةُ اللّهِ ثُم سلامه مع الآل والأصحابِ ثُم القَرابةِ

وقد عزم سيدي الوالد على الرحلة عائداً إلى بلاد العوالق السفلى بعد انقضاء شهر وزيادة في مواطن الأسلاف ومنازل السادة الأشراف، ورافقه في رحلة العودة كاتب الترجمة دون بقية الإخوان، والذين مكثوا بحضرموت، أما الأخ محمد فقد مكث بشأن ترتيب أمر سفره مع عائلته الجديدة، وأما الأخ علوي فقد وضعه سيدي الوالد في رباط تريم لطلب العلم [2] تحت إشراف العلامة الحبيب حسن بن عبداللّه الشاطري والذي كان مشرفاً آنذاك على رباط تريم .

---

(١) ويذكر سيدي الوالد أنه رأى الحبيب علي بن محمد الحبشي في منامه مقَدماً له لسانه، فمصها سيدي الوالد، وعبرها بانطلاق اللسان في الدعوة إلى اللّه تعالى .

(٢) لم يمكث الأخ علوي بتريم أكثر من عامين تقريباً ثم عاد إلى أحور واشتغل بالتدريس .

الرحلة السابعة إلى تريم مع كافة أفراد العائلة [١]

لم يكن صيف عام ١٣٨٢ يطلّ كعادته على ربوع المدينة حتى كان سيدي الوالد قد رتب أمر السفر إلى حضرموت بمعية الأسرة الأحورية بغرض الزيارة والتعرف على مآثر السلف الصالح والارتباط بالأرض السلفية حساً ومعنى، وكان من عوامل تسهيل الرحلة المباركة وصول الشيخ أحمد بن عبداللّه باداس إلى أحور والذي كان يزمع الزيارة إلى حضرموت برفقة سيدي الوالد، وكان قد اشترى سيارةً جديدةً تلائم الكثرة المسافرة، فاتفقا على أن يقوم الشيخ بتأجير سيارته الجديدة لسيدي الوالد حتى مدينة تريم لتكون رحلة واحدة لا ترحلَ فيها، ويكون هو مرافقاً ولزيماً لسيدي الوالد .

ولما أزف موعد الرحلة جيء بالسيارة ورتب فيها أمر الرحلة الطويلة والتي كانت بالنسبة لنا أمراً جديداً من أساسه، ورتب الركاب الذين بلغوا في العدد اثني عشر راكباً بما فيهم سائق السيارة وصاحبها، واتجهت السيارة منطلقة على طريق المشرق إلى قرية حصن بلعيد، ثم « عرقة » بلاد المنصب المذكور، ومكثنا في ضيافته يومين، ثم واصلنا معه الرحلة إلى رضوم فالمكلا عبر الطريق المألوف .

وكان سيدي الوالد قد رتب أمر الاستفادة من الوقت خلال الرحلة بوضعي معه في مقدمة السيارة أدارسه القرآن غالباً ونخفف وطأة النوم أو الضجر حيناً بشيءٍ من نشيدِ الأسلاف، ولا غير هذه القاعدة حتى بلغنا حضرموت الداخل، وقد لاقى

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص٦ .

الشيخ مالك السيارة صعوبةً بالغةً في التفاهم مع الجهات الجمركية في مدينة المكلاّ حيث طلبوا ضريبةً مضاعفةً على السيارة مما اضطره أن يمكث ا أكثر من خمسة أيام تحت المتابعة كنا خلالها نازلين لدى السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم، وهم حسين وهادي ومحمد، وكانوا من كبار التجار في حضرموت ولهم مساهمات كبيرةٌ في أعمال الخير ونشر الدعوة إلى اللّه تعالى .

وقد كان من جملة أعمالهم الخيرة تبرعهم ببعض المرتبات المالية لبعض العلماء الناشرين للدين في البوادي والقرى وتزويدهم بسيارة جديدة لغرض التنقل ا في الوادي، كما أن لهم أيادٍ مباركةٌ في فتح عدد من المدارس الأهلية بوادي دوعن والإنفاق على المدرسين ا .

وقد مكثنا لديهم مدة المتابعة الرسمية لإجراءات الجمارك على السيارة وهي خمسة أيام تقريباً، ثم غادرناهم بطريق عقبة المعدي إلى حضرموت الداخل، وما أن بلغنا مدينة تريم الغنا حتى أوقف سيدي الوالد السيارة ونـزل مع الشيخ المنصب لزيارة التربة بينما اتجهنا نحن إلى المنـزل، وكان استقبالاً مشهوداً ومحموداً أطلقت النساء فيه الزغاريد من كل جانبٍ وحصل الابتهاج بالضيوف القادمين من أرض القبلة كما كان يطلق علينا هناك، وتحققت لسيدي الوالد دعوة الجد أبي بكر حينما دعا له بكثرة الذرية لما رآه كئيباً بوفاة طفليه مع زواجه الثالث قبل انتقاله إلى أرض العوالق السفلى .

وقد اهتم سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى خلال الأيام الثلاثة الأولى بأخذنا مجتمعين في ذات السيارة التي جئنا بـهـا إلى كـل مـن تـربـة الـسـلـف رضي

اللّه عنهم وأرضاهم وإلى منـزل الحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين [1]، ثم زيارة مدينة عينات وقبر الشيخ أبي بكر بن سالم، وقد صادف ذلك اليوم وجود الحبيب

عمر بن أحمد بن سميط في عينات فزرنا بمعيته ثم دخلنا على منصب الشيخ

أبي بكر بن سالم ومدت المائدة للضيوف وحصل فيها الإلقام من يد الحبيب عمر بن أحمد بن سميط ثم حصل الإلباس والإجازة المباركة، وألقى سيدي الوالد على مسامع الحاضرين قصيدة أنشأها في الثناء على الحبيب عمر بن أحمد بن سميط مطلعها :

سلامي على المفضال مِن آل هاشمٍ ... سلامي على من حل في أرضِ غُربةِ

وهي مثبتة في ديوانه .

وبعد الأيام الثلاثة الأولى غادر المنصب الشيخ أحمد بن عبداللّه باداس مدينة تريم عائداً إلى بلاده بعد توديع سيدي الوالد .

ومكثنا في تريم قرابة الشهر وزيادة حيث تمّ لنا التعرف على الأقارب والأرحام من قريبٍ أو من بعيدٍ، وتبودلت الزيارات واللقاءات، فزرنا عيديد ومولى العرض والمسيلة وسيئون ودمون وغيرها من البلاد ذات المآثر السلفية، وكان لنا في كل موقعٍ أثر وذكرى .

---

(١) ألقى سيدي الوالد في حضرة الحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين قصيدةً شعريةً أعدها لتلك المناسبة وقد تأثر خلالها تأثراً بالغاً، ولما فرغ منها دعا له الحبيـب علـوي بـدعواتٍ مباركاتٍ ورتب الفاتحة على نية قضاء الحاجات المَنوية في صدور طالبيهـا، وزاره في ذلـك اليوم كل الأهل والإخوان وصافحوه وطلبوا منه الدعاء .

ولما أزف وقت الرحيل ساد المنـزل والأعمام والعمات جو كئيب لا يوصف، وغادرنا مدينة تريم إلى مدينة سيئون ثم إلى المكلاّ في سيارةٍ صغيرةٍ استأجرها سيدي الوالد لهذا الغرض، ولم نتأخر في المكلا سوى يومين حيث أخذنا سيارةً خاصةً أخرى إلى أحور .

الرحلة الثامنة قبل الأخيرة إلى تريم عام ١٣٨٦

تجهز سيدي الوالد خلال عطلة هذا العام المبارك وشاءت الأقدار العجيبة أن يئَ له ولرفْقَتِهِ سيارةً لأحد المواطنين بالمكلا عبرت إلى مدينة أحور و ا جماعةٌ من أصدقاء سيدي الوالد يودون زيارته، فكان وصولهم عاملاً هاماً في استعجال الرحلة إلى حضرموت، وكان يرافقه في هذه المرة كل من كاتب الترجمة والأخ علوي والأخ عـمـر المحـضـار ومحمد بن أبي بكر بن سميط والشيخ عمر القرن بامزاحم والأستاذ أحمد بن حسين ذيبيان .

وقد كان موعد السفر بعد صلاة المغرب حيث قطعت السيارة طريقها في ظلام الليل الدامس متجهةً إلى الساحل عن طريق حصن بلعيد، ولم تكد السيارة تقف على طول مسافة الطريق إلى المكلا إلا ساعةً أو ساعتين لأداء صلاة العشاء والصبح وتناول بعض الغذاء في موقعين من الطريق، وقد عانى السائق صعوبة خلال المسافة بين بير علي وميفع، إذ كان البحر في حالة المد والموج يكاد يعصف بالسيارة الغارقة بين الرمل والماء ؛ ولكن تعاونَ الرفقة ساعد كثيراً على تجاوز المناطق الضيقة من الساحل الرملي الكبير، ولم تكد الشمس تشرف على الضحى حتى كنا قد أشرفنا على مدينة المكلاّ الجميلة ومنها إلى تريم، وقد وجدنا العم عبدالقادر الجيلاني في مزرعته الصغيرة

خارج مدينة تريم وركب معنا في السيارة إلى داخل المدينة حيث اتجهنا إلى التربة، بينما ذهب بعض الإخوة بالأدوات على السيارة إلى المنـزل .

وخلال هذه الرحلة المباركة قام سيدي الوالد بكافة الزيارات المألوفة للمآثر والمواطن السلفية والمدارس وا الس والروحات، كما زرنا الحبيب علوي بن شهاب الدين في منـزله بعد أن احتجب عن الخروج وصمت عن الكلام، وقد أدخلنا عليه ولده محمد وصافحناه واحداً بعد الآخر حتى انتهى إلى الأخ محضار فقبض على يده كثيراً حتى خلصها منه ولده محمد، وجلسنا بجواره صامتين، ثم طلب منه ولده أن يرتب الفاتحة، فرتب بدايتها ثم أكملها ولده المبارك .

ولم نمكث في هذه الزيارة سوى عشرين يوماً فقط ثم اتجهنا إلى سيئون بغرض الاستعداد للسفر عن طريق دوعن، وفي مدينة سيئون مكثنا يوماً واحداً ثم توجهنا مع بعض السيارات المسافرة إلى عتق عن طريق الربع الخالي، ومرت بنا مدينة القطن فشبام، ثم خرجت بنا إلى قعوضة وغيرها من القرى القائمة على حافة الربع الخالي، وقد شاءت الأقدار لنا في تلك الرحلة أن نفقد معالم الطريق الصحيح في وسط الصحراء الكبرى حتى بدا القلق على الجميع واضحاً، وكان المسير خلالها على غير هدى حتى أوقعتنا الصدفة على قريةٍ صغيرةٍ مجهولةٍ لا يعرفها دليل الرحلة، وكانت على ما يبدو مهجورةً، ووقفنا بجانب بئرٍ غُطيت بعض جوانبها بثيابٍ ورقاعٍ سوداء، وكانت آثار الدمار باديةً على تلك القرية المتداعية .

وعادت السيارة من جديد على أثرها السابق رغبةً في العود إلى حيث بدأنا السير خطأً، وبعد سيرٍ سريعٍ بالسيارة في الصحراء ظهر للدليل علامةٌ استدل ا على

اتجاهنا، فوجه السائق إلى الجهة المقصودة، وسارت السيارة بعد ذلك سيراً متواصلاً على الطريق الصحيح حتى وقعنا في أثناء الطريق على عصابةٍ بدوٍ من قُطّاع الطريق أوقفوا السيارة ووجهوا أسلحتهم، وبدأوا يتكلمون كلاماً يفيد أن السيارة وما فيها غنيمةٌ من الغنائم ويشتمون الحكومة ويظنون أن السيارة تابعةٌ لها، وشرع سيدي الوالد يرفع صوته بقراءة القرآن وبعض الأوراد بانفعالٍ شديدٍ، فنـزل البدو يتشاورون فيما بينهم بجوار السيارة وتلاحق حولهم جماعةٌ آخرون كانوا يختبئون في الظلام وتحلقوا كأ م يريدون أن يقرروا أمراً معيناً، وخلال انشغالهم بالمحاورة انتهز السائق الفرصة وانطلق بالسيارة مسرعاً أقصى سرعةٍ بعيداً عنهم ونجونا من ذلك المأزق بأعجوبة .

ثم عدنا مرةً أخرى للبحث عن الطريق وكان لدليل السيارة فضل الأسبقية في التعرف على عين الطريق بعد أن لمح في أفق الرؤية جبلاً ممتداً يستدل به المسافرون، فوجه السائق مرة أخرى إلى الطريق الصحيح، وشاهدنا منذ ذلك الحين أشعة السيارات التي تخترق الرمال في طريقها إلى حضرموت، لا يقف أحد لأحدٍ وإنما الجميع يصارعون تلك الرمال العنيفة في كل اتجاه، بل لا يلتقي أحد بأحدٍ إلا فيما شذّ وندر، إذ إن الوقوف في تلك الرمال يهدد بالخطر الجسيم، ولربما دفع الواقف ضريبة كبيرة من الجهد والتعب إذا غاصت عجلات السيارة في كثبان الرمال، وطالت رحلتنا الليلية نحو مركز عساكر والذي بلغناه مع بزوغ الفجر الأول وقد بلغ بنا السهر والتعب أقصاه، فدخلنا تلك المنطقة العسكرية وأخذنا بعض الراحة حتى بعد الإشراق حيث واصلنا المسير عبر الصحراء نحو مدينة عتق، وهي المدينة الكبيرة الرابضة على أطراف الصحراء الفسيحة، وقد ذكر لنا بعض القاطنين في مركز عساكر أن هذه الصحاري كثيرة التعرض للسطو والنهب من بعض البدو المحترفين

للسطو والسلب، ولذلك فقد اضطرت الحكومة القعيطية وحكومة العوالق العليا وضع سياراتٍ عسكريةٍ سريعةٍ للنجدة والمطاردة ولتأمين طريق المسافرين ؛ ولكن المسافة الشاسعة بين البلدين لا تساعد القوات البرية على تغطية المساحة كلها لا من حيث الزمان ولا المكان .

وكان بلوغنا إلى مدينة عتق قبل الظهر من اليوم الرابع عشر من ربيع الآخر عام ١٣٨٦ حيث أمر سيدي الوالد صاحب السيارة أن ينـزلنا قريباً من مسكن بعض أصحابه من آل باجمال، وتم نـزولنا عليهم أضيافاً حتى حانت صلاة الظهر، فنـزل سيدي الوالد إلى مسجد عتق ليصلي م إماماً، ثم تحدث معهم في شأن التقوى وما أوجبه اللّٰه على المسلم من الطاعة، وعدنا إلى منـزل آل باجمال لتناول طعام الغداء .

ثم عزم سيدي الوالد على زيارة السادة آل الحداد في مدينة نصاب، وذهب بعض أولاد صاحب المنـزل لإحضار سيارةٍ لذلك الغرض، فركبنا إلى نصاب وتركنا كافة المتاع بمنـزل آل باجمال وبلغنا مدينة نصاب بعد العصر، وكان الجو لطيفاً والسحب تغمر الأجواء على طول الطريق مع نـزول رذاذ المطر بين الحين والآخر، وتوجهت بنا السيارة إلى منـزل السادة آل الحداد، وما أن علموا بوصول سيدي الوالد حتى هرعوا لاستقباله جميعاً وعلى رأسهم الحبيب العلامة أحمد بن صالح الحداد داعية البلاد وبركتها وأولاده وأبناء عمومته، وكانت ترتيبهم في مثل تلك الساعة القراءة في بعض كتب الحديث وتراجم الأسلاف في منـزلهم المبارك، فدخلنا إلى دائر م وحضرنا تلك الروحة المشهودة وأنشد الفقير بعض النشائد السلفية .

ولما حان موعد صلاة المغرب خرجنا مع الحبيب إلى المسجد حيث صلى م سيدي الوالد صلاة المغرب ثم تكلم فيهم بكلمةٍ جليلةٍ حاويةٍ وشاملةٍ تطّرق فيها للآداب والأخلاق والمأمورات والمنهيات، وكان الناس منصتين مبتهجين بما يسمعون حتى حان العشاء، وعدنا إلى بيت الحبيب بعد صلاة العشاء وقضينا ليلةً طيبةً تم فيها التعرف على السادة الأجلاء ومن يليهم، وأعد الحبيب عشاءً دسماً دعا فيه غالب الوجهاء وأهل العلم والحل والعقد في البلاد، وفي صباح اليوم التالي قضينا يوماً سعيداً في زيارة الأولياء والصالحين ثم في استقبال الضيوف .

وقد زرنا في ذلك اليوم ضريح الحبيب الولي العلامة علي بن عبداللّه الشهير بمولى نصاب وضريح الولي القطب صالح بن عبداللّه الحداد، ولما حل المساء كان الحبيب قد أمر بدعوة أهل البلاد ومن يليها لحضور المولد العظيم الذي سيقام في المسجد، وحضرنا ذلك المولد البهيج وتحدث فيه الحبيب أحمد بن صالح كما تحدث سيدي الوالد إلى الناس، وكان العشاء والسمر عند أحد السادة آل الحداد .

وفي الصباح استأذن سيدي الوالد الحبيب في السفر إلى عتق لتأهب إلى من هناك في الطريق إلى أحور، فأبى حبيبنا أحمد بن صالح رحمة اللّه عليه وقال لسيدي الوالد: «ماشي رخصة ولا إذن في السفر ولا تعود الحديث في هذا الأمر على الإطلاق»، ولما رأى سيدي الوالد شدة الحبيب في عدم الإذن بالسفر طلب منه الإذن للإخوان، وهم محضار وعلوي ومحمد بن أبي بكر بن سميط، فأذن لهم في السفر، فجهزنا لهم أسباب الرحلة إلى عتق ورافقتهم إلى هناك لإعادة متاعي ومتاع سيدي الوالد، وودعتهم بعد أن وجدوا سيارةً متجهةً إلى الصعيد، وعدت أدراجي إلى نصاب ومعي الأخ محسن بن عبداللّه الحامد، والذي ساهم بدورٍ كبيرٍ في تسهيل رحلتهم، وكان يعمل موظفاً

في مكتب المستشار السياسي في مدينة نصاب، وهو من أبناء أحور [1] ومن تلامذة سيدي الوالد رحمه الله تعالى .

ولما عدنا إلى مدينة نصاب كان الحبيب أحمد بن صالح الحداد قد أزمع على أن يجعل من وجود سيدي الوالد دعوةً تصل إلى كل مكانٍ وتتوزع في كل الأصقاع القريبة والبعيدة، فرتب لنا خلال وجودنا في نصاب عدداً من المدارس والمحافل، ثم تم السفر إلى قرى عديدة لنشر الدعوة إلى الله، فكنا في عبدان يوم ١٦ ربيع الآخر ١٣٨٦، وفي حطيب بتاريخ ١٩ ربيع الآخر، وفي خورة بتاريخ ٢٢ ربيع الآخر، وفي مرخة بتاريخ ٩ جماد الأول، إضافةً إلى مناطق أخرى قام سيدي الوالد بزيارتها ونشر الدعوة فيها ومعه بعض أعمام الحبيب أحمد بن صالح الحداد وفي كل منطقة ننـزلها كنا نرى من الكرم والحفاوة ولطافة الاستقبال ما لا يوصف بقلم ولا يعبر عنه بعبارة .

وقد كنا خلال زيارتنا إلى مدينة مرخة حادثٌ طريف، حيث وجدنا أهالي مرخة من السادة المحاضير في حربٍ قبليةٍ مستعِرةٍ مستخدمين أنواع السلاح بغرض القتل والتخويف والإرهاب فيما بينهم، وقد قام أحد زعماء الفريقين بزيارة سيدي الوالد صباح أحد الأيام وكلمه سيدي الوالد في خطر الحرب وما تجره من دمار وويلات وآثام، فقال ذلك السيد : « نحن المحاضير أحسن منكم يا سادة العلم »، فرد عليه سيدي الوالد : « نعم أنتم أحسن منا في الشيطنة »، وقد حاول سيدي الوالد أن يتدخل بين الفريقين ولكن للظروف المحيطة بالزيارة وما بلَغه مِن تعقِيدِ التوسطِ ـ لكون الفرق المتناحرة تمتد جذور فتنتها إلى جهاتٍ أخرى ـ اكتفى سيدي الوالد

(١) يعود نسبه إلى جده الحبيب الداعي إلى الله العلامة مهدي بن محسن الحامد تلميذ ومريد الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، وقد سبق الحديث عنه .

بزيارة القرية الأخرى المقابلة لقرية السادة الذين نـزلنا عندهم، وجمعهم سيدي الوالد بعد صلاة المغرب وذكّرهم باللّه ودعاهم إلى الخلود عن الأذى والحرب إلى التعمير والأخوة، وبعد المغرب التقى ببعض زعمائهم وكلّمهم في شأن الصلح وترك الحرب، فلم يوافق الأمر هواهم وبدت منهم جفوةٌ قَبلِيةٌ تنم عن مدى ما بين الفريقين من الأحقاد والضغائن، فتركهم سيدي الوالد وغادر البلاد عائداً إلى نصاب بعد أن بلّغ ما يجب عليه من إبلاغ بالتي هي أحسن .

وفي مدينة نصاب قضى سيدي الوالد ما أمكن له أن يقضي متنقلاً بين مساجد المدينة واعظاً ومذكراً ومرشداً حتى الثامن عشر من شهر جماد الأول عام ١٣٨٦ حيث حصل الإذن من الحبيب أحمد بن صالح الحداد في السفر إلى البلاد، وقد حصل لنا في ذلك اليوم الإجازة والإلباس والمشابكة والمصافحة وتلقين الذكر كما هي عادة السلف الصالح رضي اللّه عنهم، وخـرج أهـل الـبـلاد مودعين لنا وقد اصطحبنا الشيخ صالح بن محمد بن أحمد باخبيرة، والذي كان لزيماً للحبيب أحمد بن صالح منذ مدةٍ طويلةٍ، وعاد المودعون من الوادي بعد أن ابتهل الجمع إلى اللّه تعالى بالسقيا لأهل البلاد .

وغادرنا مدينة نصاب بالسيارة إلى مدينة الصعيد، وكان برفقتنا أيضا الشيخ محمد بن عبداللّه باهرمز، وفي الصعيد نـزلنا عند بعض المشايخ من آل بانافع، وحصل النفع والانتفاع حيث ذكر سيدي الوالد أهل البلاد في مسجدهم الكبير عدة مراتٍ، ولبى الدعوات التي قدمت له من قبل السلطان محمد بن فريد وبعض حاشيته، وزارهم في بيو م، كما لبى دعوةً قُدمت له من الأمير فضل بن عبداللّه العولقي،

والذي كان له قصر منفرد على جبلٍ صغيرٍ يشرف على وادي الصعيد، واستأنسنا كثيراً في منـزله لحسن أخلاقه ولطف معشره .

وفي الرابع والعشرين من شهر جماد الأول عام ١٣٨٦ توجهنا إلى يشبم مدينة السادة آل الجفري والسادة آل العمودي من آل الحامد ابن الشيخ أبي بكر والمشايخ آل بانافع، وهي بلد الشيخ الكبير عبيد بن عبدالملك بانافع [(١)]، وبلد الشيخ القطب عبيد بن عبدالملك بانافع، حيث تم القدوم مباشرة إلى مسجد الشيخ وصلى فيه سيدي الوالد ركعتين، ثم زار ضريح الشيخ عبيد، وانتقل بعد ذلك إلى بعض منازل المواطنين متنقلاً بينهم خلال يومين متتاليين، حيث زار المشايخ من آل بانافع والسادة آل الجفري والسيد الفاضل محمد بن صالح العمودي وعدد آخر من القبائل وألقى عدداً من المواعظ والمذاكرات في مساجد البلاد، ثم اتجهنا إلى المحفد في اليوم السادس والعشرين من جماد الأول، ونـزلنا عند الشيخ مهدي بن أبي بكر الشقّاع وإخوانه، ومكثنا ا أياماً ثم توجهنا إلى أحور في الثالث من شهر جماد الآخر عام ١٣٨٦، وحططنا الرحال بعد أطول رحلةٍ عرفناها خلال السنين الأخيرة مع سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى .

رحلات أخرى في سبيل الدعوة إلى اللّه

لسيدي الوالد رحلات أخرى في سبيل نشر الدعوة إلى اللّه تعالى، منها رحلته إلى بلاد المحفد ونواحيها في عطلة الصيف من عام ١٣٨٣، وقد كان غرضه الأسمى إلى هذه البلاد هو نشر الدعوة بين الحضر والبادية، حيث اصطحب معه في هذه الرحلة

---

(١) قد ترجمنا للشيخ عبيد بن عبدالملك ترجمةً مستقلةً سميناها « الغيث الهامع »، لا زالت مخطوطـةً ستظهر في حينها .

المباركة كلاً من الشيخ سالم بن محمد جنيد بامزاحم [1] وولديه محمد وأبي بكر وتلميذيه أحمد بن علوي الحداد وكذلك عبدالله بن محمد العزب، وكانت رحلةً مشهودةً استمرت أكثر من شهر ونصف [2] زرنا خلالها مدن المحفد جميعها تقريباً، وقام سيدي الوالد بدور كبيرٍ في دعوة الجهال من الرجال والنساء، وكان من أهم تذكير النسوة ما وقع في مدينة المحفد حيث اجتمع في الوادي نسوة البلاد بعد صلاة المغرب، وخرج سيدي الوالد من المسجد الجامع وخرجت معه لأفتتح المذاكرة بشيءٍ من كتاب الله تعالى، ثم وعظهن وذكرهن وعظاً بالغاً ومؤثراً .

وأما القرى التي زارها سيدي الوالد في رحلته هذه فكانت مدينة المحفد[3] والجانح والعرقين وسعادة والموسطة والخور ولباخة، وكلها تمتد على ممر مائي واحد يدعى وادي حمراء، كما عاد بعد ذلك إلى المحفد واتجه شمالاً وغرباً في كورة المانع والحاق والسواد وصندوق والرباط والشغيب، ثم عاد مرةً أخرى إلى المحفد وجلس ا أسبوعاً ينشر الموعظة والتذكير ويرغّب الأمة في هدي البشير النذير، وقد سهل الله له حركة الـتـنـقـل والرحلة بوجود نائب المنطقة الحاج الصالح حنتوش بن علي، وهو

---

(١) هو شيخ فاضلٌ من سلالات الشيخ أحمد بن محمد بلجفار تلميـذ الإمـام عبداللّـه بـن أبي بكـر العـيـدروس، طـلـب العلم في رباط تريم وانتفع بالحبيب عبدالله بن عمر الشـاطري ووالـده الحبيب عمر بن أحمد الشاطري، وفي هذه الفترة اتصل بالجد أبي بكر بن علوي المشـهور، ومكـث بتريم ثلاث سنوات تقريباً ثم عاد إلى أحور وتصدر للفتيا وعقود الأنكحة وقضـايا الإرث، واشـتهر باسم الشيخ سالم العالم، واعتنى بالخطابة في مسجد جامع الحصن طيلة حياته، واشـتغل بالتـدريس للفقه الشافعي وظل كذلك حتى عهد التحولات الاجتماعية للبلاد فاستغني عنه، وبقـي في منـ ـزله مشاركاً لأهل العلم في البلاد مجالسهم ودروسهم حتى وافتهم المنية .

(٢) جمعها الشيخ سالم بن محمد باجنيد في مجموع صغير باللهجة الدارجة ضمنه تفاصيل الرحلـة كلها، ولا زال مخطوطا .

(٣) انظر الصورة في الملحق ص٧ .

من بيوت السلطة الحاكمة بأحور، وكذلك كان أحد المستشارين السياسيين واسمه عبدالقادر شائع، إذ كانا يقدمان العون والمساعدة بالسيارات التي تنقل موكب الدعوة من مكان إلى آخر، كما قاما باستقبال سيدي الوالد عند دخوله إلى المحفد استقبالا يجاً يدلّ على مدى محبتهم للعلم والخير، وقاما بجمع الجنود والموظفين في أقـسـامـهـم الإدارية والعسكرية لسماع الموعظة من لسان سيدي الوالد في الليالي الأولى التي قدم فيها إلى المحفد .

وعاد سيدي الوالد إلى أحور بعد أن قام بافتتاح المدرسة الأولى في تلك البلاد وعين ا بعض المدرسين من أهالي أحور الذين درسوا وتعلموا تحت رعاية سيدي الوالد بأحور، كما قام بتعيين بعض أهل العلم الذين كانوا في المحفد يؤدون رسالة العلم والدين، ومنهم الحبيب مهدي بن أحمد الحامد [1] وولده عبدالرحمن والشيخ عبدالرحمن بن أحمد العزب، وقام أولئك بحمل شعلة العلم في المدرسة، وبنشر الدعوة في المسجد ولا زال منهم من يؤدي ذات الدور حتى اليوم [2] .

---

(١) السيد مهدي بن أحمد من سلالة الحبيب مهدي بن محسن الحامد المتوفى بأحور، وقد انتقـل هذا السيد إلى المحفد وتوطّن ا ونال نصيباً من العلم والمعرفة، وكـان خطيبـاً وإمامـاً في مسجد المحفد حتى توفي بالمحفد ودفن بأحور .

(٢) قام الشيخ سالم بن محمد باجنيد المذكور آنفاً بكتابة هذه الرحلة، وهـي موجـودةٌ ضـمن أعمال سيدي الوالد المحفوظة .

ومن رحلاته العظيمة في سبيل الدعوة إلى اللّه رحلته الثانية إلى حوطة الفقيه علي في ٢٨ ذي الحجة ١٣٨٨، وقد كنت بمعيته [1] والأخ أحمد، حيث نـزلنا هناك عند الشيخ علي بن ياسين بعد أن استقبلنا أهل البلاد استقبالاً كبيراً إلى خارج البلاد، ودخلناها في موكبٍ كبيرٍ ومظهرٍ ديني بهيجٍ، وقد شهدت الحوطة خلال إقامة سيدي الوالد نشاطاً دينياً منقطع النظير، حيث كان س لا ينفك من مجلس علمي حتى ينتقل إلى غيره وحتى في المنـزل الذي نـزلنا فيه كان المواطنون يصِلُونَ أفواجاً للاستماع والاستفادة، وحتى النسوة، وشأنهن في هذه المدينة شأنٌ، إذ كن يشهدنَ في مسجد الجامع كل الصلوات الخمس وبأعدادٍ تكاد تفوق الرجال حتى إن الأهالي قاموا بشطر المسجد نصفين بواسطة إقامة الستائر البيضاء الكثيفة .

فكان سيدي الوالد يعظهن ويذكرهن ويعلمهن أمور الدين بعد صلاتي الفجر والعشاء، حيث كان الرجال يخرجون بعد أن ينالون نصيبهم من التذكير بعد صلاة المغرب حتى قيام صلاة العشاء، وكان الأمر الملفت للانتباه كثرةُ أجهزة التسجيل الصغيرة والكبيرة، وكثرةُ الدعوات والضيافات التي لم يستطع سيدي الوالد أن يردها، بل طلب من صاحب المنـزل الذي نحن في ضيافته أن يقوم بترتيب الأمر على حسب الأوقات المناسبة، وقد حفظ ديوان سيدي الوالد قصيدتين في رحلته هذه، واحدةٌ منهما وصيةٌ لأهل الحوطة رجالاً ونساءً .

---

(١) لم أمكث في هذه الرحلة مع سيدي الوالد إلا ثلاثة أيام فقط حيث عدت إلى أحور وبقي معه الأخ أحمد بقية الفترة كلها، وقد كتب سيدي الوالد رحلته على « مذكراته » لذلك العـام بما مثاله :

بيوم الاثنين توجهنا إلى حوطة الفقيه علي في ذي الحجة سنة ١٣٨٨ ورجعنا منـها ١١ محرم سنة ١٣٨٩ .

ومن رحلاته أيضاً في ذات العام ١٣٨٩ رحلته إلى دثينة، وهي الرحلة الثانية، حيث سبق له زيارتها في عام ١٣٦٩ تقريباً، وقد رافقه في زيارته الثانية الأخ علوي ولحقته أنا بعد أيام من بدء زيارته للقرى المتناثرة في تلك الرقعة الزراعية، وقد تنقّل سيدي الوالد في قرى عديدةٍ من تلك البلاد يحدوهم بلسان القرآن ويستجلبهم بالكلمة الحسنى والحكمة المثلى حتى أثّر في أنفسهم تأثيراً بالغاً ظهر في ذلك الالتفاف العظيم من الأهالي حيثما نزل واتجه، وقد قضى سيدي الوالد بدثينة قرابة نصف شهر تقريباً، ثم عاد إلى شقرة وأبين ثم إلى عدن، ومكث بها أياماً وجه فيها عدة مواعظَ ومذاكراتٍ بمساجدها كمسجد العيدروس ومسجد العسقلاني ومسجد أبان ومسجد الشيخ عبدالله، ثم عاد إلى مدينة أحور ليكمل دعوته الحكيمة في ذات الله تعالى، وقد تلت هذه الرحلات رحلات أخرى لم أرافقه فيها، منها رحلةٌ إلى حضرموت [1] ورحلةٌ إلى حبان كان معه فيها الأخوان علوي ومحضار وأحمد .

وجملة القول :

---

(١) كانت هذه الرحلة هي آخر رحلاته إلى مسقط رأسه، حيث سبق أن أوردناها في سياق الترجمة أن توقيتها صادف حصول بعض الإجراءات الموجهة ضد بعض دعاة الدين في حضرموت، فلم يطِب له المُقام بتريم رغم أنه ساهم خلالها في نشر الدعوة إلى الله في وادي دوعن مع جماعة الدعوة الذين أَلِفُوا الانتشار في تلك البقاع لذلك الغرض الأسمى، وقد ألّف العلامة الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ جمعاً مباركاً عن سير الدعاة في الوادي منذ خروجهم من مدينة تريم في ليلة السبت ٤ جمادى الثانية سنة ١٣٩٢ حتى يوم الأحد ١٩ رجب ١٣٩٢ ، وسماها « الموارد الهنية في الرحلة إلى الديار الدوعنية »، ويوجد عندنا منها نسخةٌ مخطوطةٌ لم يتسع المجال لذكرها في هذه الترجمة .

« إن حياة سيدي الوالد في حطه وترحاله وعمومه وخصوصه كانت مبذولةً في سبيل اللّه تعالى » .

ز ـ مُؤَلّفاتُهُ وآثارُهُ

لما كان سيدي الوالد مِمن رهن حياته في سبيل الدعوة إلى اللّه تعالى فقد كانت وسائله الفطرية والمكتسبة تؤدي ذلك الدور بنشاط واهتمام، فكان يضع الدعوة في مراتبها، فحيناً يرى أن اللسان هو الوسيلة المثلى، فيبعثه في مواطن العبادة والعلم ينثر دراري الحكمةِ وآي القرآن، وحيناً يرى أن القلم أبلغ وآكد فينبري ليكتب من وسائط الإبلاغ ما يؤثر على القارئ ويفيد المطالع والمراجع، ولذلك فقد جمع سيدي الوالد خلال نشاطه الدؤوب في بلاد العوالق السفلى أعمالاً مسجلةً ذات أهميةٍ بالغةٍ في نشر وتثبيت الدعوة والعلم، فمنها على سبيل المثال :

١- منظُومته الفِقْهيةُ المُسماةُ « هدِيةَ الأطْفال »

وهي منظومةٌ من بحر الرجز ضمنها أهم مبادئ الفقه الشافعي [1]، وكان قد صنفها لطلبته ومريديه بالمدرسة الميمونة، وحفظها غالب التلاميذ بل كانوا يرتجزون

(١) كتب القاضي الأستاذ قاسم غالب تقريظاً على هذه المنظومة الفقهية إبان إقامته بأحور قاضياً .

ا في الصفوف وبعد صلاة الظهر ليساعدهم ذلك على استظهارها كما كان سيدي الوالد يشرح موع الطلبة كل يوم منها بيتاً أو بيتين بعد انقضاء صلاة الظهر بمسجد هاشم ثم بالمدرسة الميمونة، وذلك قبل تدخل الأجهزة التربوية الحكومية في وضع منهاج الدراسة، وقد افتتحها سيدي الوالد ذه الأبيات :

الحمد لله على نعمة الإسلامِ والإيمان

ثم الصلاةُ والسلام الأبدي   على النبي المصطفى

وآله من بعده وصحبه   وتابعيه وجميع

وبعد فالدين أهم أمر   فاحرص على تفهيم كُل غِر

ففي الحديثِ « من يرد خيراً بِهِ   مولاه فليعرف حقوق

من عرف الفقه ينلْ آماله   ويقبلُ الله له

ويفهم الفرض به والسنةْ   كما به يرجى دخولُ

وهذه « هديةُ الأطفال »   تنير سبلَ الدين

أسألُ من ربي لها   لأدرك المقصود

٢- منظُومةُ التهذِيبِ

وقد صنفها لغرض تدريسها لأبنائه ومريديه، وجعلها حاويةً لأهم الآداب التي ينبغي أن يتملّى ا المسلم، وجعلها فصولاً مبوبةً بأبواب مختلفة، ونقتبس منها هذا المثال :

الحَمد لِلّهِ على الإسلامِ   وفق من شاء مِن الأنامِ

ثُم الصلاةُ دائماً في كُل حِين   مع السلامِ سرمداً للمرسلين

وبـعـد فـالـتـهـذيـب مِن أفْضل الأعمال بـاتـفـاقِ

...

فَصلٌ في التقْوى

من يـتـقِ الـلّـه فَذاك مِن كُل ضِـيـقٍ شِدةٍ تـفَـرج

وهـي امـتِـثـالُ الأمرِ مِـن ثُم اجتِناب النهي والكبائِر

٣- **السيرةُ النبويةُ العطِرةُ**

وله في هذا المضمار مصنفات عدةٌ، منها قِصةُ السيرة منظومةً على غرار ما كتبه الجد علوي، وهذا مثالٌ منه :

الحَمد للّهِ كَـثِـيراً طَـيـبـا ما أشرقَت أنوار ساكِنِ طَـيـبـةِ

المَصطَفى المُختارِ أفْضل مرسلٍ هو رحمةٌ للخلْقِ أعظَم رحمةِ

هذا الرسولُ الهَاشِمِي محمد نور الوجودِ وأصلُ كُل وضاءَةِ

هو سيد قد أشرقَت أنواره كالبدرِ بل كالشمسِ أعظَمِ نعمةِ

حقّاً على كُل يصنف سِيرةً يحكي لنا خير الصفاتِ بسِيرةِ

أخلاقُه وجِهاده أعمالُه إسراؤه للسبعِ أعظَم لَيلَةِ

كي نقتفِي هدي الرسول وصحبِهِ ونكُونَ حقّاً مِن خيارِ الأمةِ

يا رب صل على النبي محمدٍ خيرِ الأنامِ بـبكْـرةٍ وعـشِـيـةِ

وله قصةٌ منثورةٌ، وأخرى جمع فيها الآيات الواردة في فضل الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم، وله مصنف من الآيات والأحاديث والآثار المروية في محبة الرسول

صلى اللّه عليه وآله وسلم أسماه « بلوغ السول في وجوب محـَـبةِ الرسول »، وقد وزع مطبوعاً في ذكرى العام الأول لوفاته رحمه اللّه تعالى [١] .

٤- تجريد فتاوى النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم من « زاد المعاد » .

٥- كتابة تراجم مختصرة للسلسلة المشهورية إلى النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم .

وكان هذا الجمع هو آخر أعماله الكتابية رحمه اللّه تعالى حيث فرغ منه قبل إصابته بنوبة المرض بيومين أو ثلاثة فقط .

٦- جمع قيم للأحاديث النبوية المتعلقة بشؤون العبادات .

٧- مجموعةٌ من الخطب المنبرية التي كان يلقيها في مساجد أحور وجدة .

٨- ديوانٌ شعري يحتوي على قصائده التي ألّفها في بعض المناسبات .

٩- وريقات متفرقةٌ حاويةٌ لبعض الفوائد العلمية والأدبية والقصص .

١٠- قصائد شعريةٌ متناثرةٌ لم تجمع في ديوان،وسنقوم بجمعها إن شاء اللّه تعالى .

١١- شذرات من التعليقات والخواطر التي يسجلها في مذاكراته اليومية مع تبيين لبعض الكتب المقروءة وحزوبه من القرآن التي يقرؤها في الأسبوع .

١٢- ثبت خاص بوصاياه الشرعية التي كان يجددها كل عام، وسنذكر منها طرفاً في باب الوصايا والإجازات إن شاء اللّه تعالى .

١٣- مساجلاته الشعرية التي يكتبها ـبدءاً أو جواباً على بعض أصحابه أو محبيه أو أولاده، وهي كثيرةٌ ومتنوعةٌ، إذ هو رحمه اللّه كان يدخل السرور على كل من عرفه بما يناسب، ولذلك فقد اجتمعت من مساجلاته الشعرية نماذج كثيرةٌ .

---

(١) قام بطبعه الأخ خالد سالم زيدان .

والأمر الجدير بالإثبات أن مرحلة التصنيف والتأليف الواسعة كانت أيام توليه مسؤولية التدريس والتربية والتعليم بمدارس العوالق السفلى، أما بعد اعتزاله عنها فقد اتجه إلى التفرغ التام عن كثير من ذلك ما عدا شذراتٍ من الفوائد الشاردة والواردة التي قد تمر خلال مطالعة كتابٍ، أو اجتماع أحبابٍ أو شذرات من الأشعار التي ينظمها دون تكلفٍ في الصياغة ولا اهتمامٍ بالعروض، ولم يعرف له عملٌ متكاملٌ خلال سنين حياته الأخيرة غير الجمع الذي ترجم فيه لأجداده حتى الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم .

ح - ألوانٌ مِن مُساجَلاتِهِ وقَصَائِدِهِ المتَعَدّدَةِ الأغْراض

تحمِلُ دواوين ومذكرات سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى ألواناً عديدةً من مقطوعاته الشعرية التي نظمها في مناسباتٍ متعددةٍ أو مساجلاتٍ كتبها جواباً على قصيدةٍ وردت له من أحد أصحابه أو معارفه في بعض البلاد .

والشعر في ذاته شعور وفيض إحساسٍ وتعبير عن فكرٍ مكنونٍ، وخاطرٍ مدفونٍ، وكثيراً ما كان سيدي يظهر خواطره وأحاسيسه على قصائده الشعرية، ولذلك نجد أن القصائد التي كتبها كثيرةٌ جداً، وكأنما هو يرى أن الشعر والنظم أبلغ في إيصال الأحاسيس من النثر .

ويمتاز شعر سيدي الوالد في غالبه بأنه تعبير بديهي لا ينـزع إلى التكلف ولا المحسنات البديعية والأخيلة بل قد يتجاوز فيه القواعد العروضية إذا رآها ستمنعه من إثبات فكرته أو رأيه أو عبارته الفطرية، وهو رحمه اللّه قد كفانا القول والتعليل إذ تحدث عن نفسه وشعره في مقدمة ديوانه الأول المكتوب بخط يده، قال فيه :

« أما بعد فإني لست من فرسان ميدان الشعر، ولا أحب أن أُعرض نفسي للناس ولما أقوله، لأنه من سخفِ العقل أن يتحدث الإنسان بكل ما يخصه أو يعجبه في نفسه وأهله وولده، ومن صنف فقد استهدِف، وإنما حفظاً للوقت وتحدثاً بالنعم، وتذكرةً لي ولأولادي ومن أحب من إخواني المسلمين ورغب في ذلك، فلذا قَيدت بعض ما يجول في الخاطر من أبياتٍ ملفّقةٍ ليست موزونةً وإنما كما قال بعضهم : «قصيد عرعر» على غير قافيةٍ ولا ميزانٍ، فالرجاء من كل مطلِعٍ أن ينظر إليه بعين الرضا » .

وقد أثنى على هذا المنحى السلفي الفطري الحبيب أبوبكر بن عبدالله الحبشي الملقب « عطّاس » عند كتابته لسيدي الوالد أبياتاً قال فيها :

شِعْرٌ عَلى المشهور يأتي بِغير رويةٍ وشعور
فلِذا تراه بغير وزنٍ غالباً وترى بِهِ المَرفُوع كالمَجرور
وكلام أهلِ النورِ يأتي هكذا مِن غَير تقْدِيرٍ ولا تقْرير

وعلى الجملة فقد أحببنا أن نثبت في هذا الثبت المبارك شيئاً من تلك الأشعار والمساجلات التي وردت في بعض دواوينه ومذكراته رحمه اللّه تعالى من غير ترتيبٍ زمني، فمنها أبيات كتبها سيدي الوالد في عام ١٣٧٥ بمدينة أحور تتضمن النصيحة والتوجيه :

علَيك بِتقْوى اللّهِ في كُل لحَظَةٍ تجِد مخرجاً مِن حر نارِ جحِيمِ
عليك بِبِر الوالدين جمِيعِهم إذا شِئْت أنْ تحظى بفَضل كَريمِ
عليك بحفظِ القلبِ مِن كُل شاغِلٍ عنِ الرب وهابٍ لِكُل نعِيمِ
عليك بِوصل الأقْربين فِفيهم تجِد سعةً والحالُ غَير سقِيمِ
عليك بِبذْل المال في خيرِ وجهةٍ تجِد خلَفاً مِن واسِعٍ ورحِيمِ
عليك بِغسل القَلْبِ سبعاً مِن الأذى يدم طاهراً مِن سيءٍ وذَمِيمِ

ومن قصائده الحاوية الشاملة قصيدةٌ كتبها في المدينة المنورة عام ١٣٩٣ في الأول من شهر رمضان المبارك بعد وصوله إليها :

إلى اللّهِ أشكُو عالِمِ السر والجَهر　　بما قد عرانا مِن بلايا ومِن جور
إلهٍ كريمٍ مفْرِج الكَربِ والعنا　　ويشفي يعافي كل ما حل مِن ضر
فعِلْمك يا ربي بحالي وما انطوى　　عليهِ الفؤاد في انشراحٍ وفي عسرِ
فحاشا الكريم أنْ يخيب سائلاً　　وقد أوعد العبد استجابةَ ذي ضر
ففَرج إلهي كربنا باستجابةٍ　　فأنت الغِني والعباد أولو الفَقْرِ
لهذا توسلْت بأشرفِ مرسلٍ　　حبيبي رسول اللّهِ ذي العِز والفَخرِ
حبيبي رسولَ اللّهِ إني سليلُكُم　　بنسيتِنا للبابِ من باد للكُفْرِ
علِي هو الضرغامِ من بدعائِكُم　　بخيبر من اللّه بالفَتحِ والنصرِ
وبنتِكُم الزهرا تحِبونَ نسلَها　　دعوتم لها يوم الزفافِ مع الفَجرِ
وأهل الكِسا ذُخر لنا يا حبيبنا　　وجدتهم من بالعفافِ وبالبِر
خدِيجتِنا من جاء جِبريلُ بالهَنا　　ليقْرئَها نص السلامِ مع البِشرِ
ببيتٍ مِن الجَناتِ لا صخب　　ولا نصب يا نعم ذلك مِن قَصرِ

...

لمن نشتكِي يا سادتي وأحِبتي　　فمِحنتنا قد ضاق منها أخو الصبرِ
وضاقَت علينا الأرض وهي فَسِيحةٌ　　بما يفْعلُ الأعداءُ فينا مِن القَهرِ
فيا سيد الأكوان جِئْتك زائراً　　وأشكو إليك الأمر يا صاحب الأمرِ
وأنتم لنا أصلٌ ونحن فُروعكُم　　فهل غَيركُم نشكُو إليهِ مِن الجَورِ ؟
وما حل فينا مِن مصائِب جمةٍ　　وعِلْمكُم بالحال فينا وما يجرِي
قَضِيتنا يا سيد الرسل عِندكُم　　فهل غارةٌ مِنكُم فتشرح للصدرِ ؟

...

حـبيبي رسولَ اللّه عطْفاً ورأفَةً　　تغيثُ ا الملهوف تجبر للكَسرِ
وبي مرض أعيا الأطِبـاءَ كُلهم　　فداوِه يا طِب القُلُوبِ مِن الضر
وجِئْت بأولادي وأهلي إليكُم　　ضيوفاً على كنـز المَودةِ والِبر
...
وأيضاً لقد حلت حروب يبعـربٍ　　مِن الفِئَةِ الشوهاءِ في البر والبحرِ
وقَصدهم سحق الديانةِ والهُدى　　وإِطفاءُ نورِ الحَق بالمَكْرِ والغدرِ
غِياثاً لِكُل المُسلِمين فإِنهم　　كما تعلَموا في شِدةِ الضيقِ والعسرِ
توجه حبيب اللّهِ قد ساءَ حالُنا　　فنصر يهودِ البغي يفْضِي إلى الكُفْرِ
وحاشاك ترضى الخِزي والذل سيدي　　لأمتِك الغراءِ مِن وطْأةِ القَهرِ
أليس إله الخلقِ أعطاك نصره　　وأيـدك الأملاك في غَزوةِ البدرِ ؟
عليك صلاةُ اللّهِ ثُم سلامه　　مع الآلِ والأصحابِ ما غَرد القُمرِي

وكتب رحمه اللّه تعالى في مدينة الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم أيضاً :
حصلَ المُراد ونِلْت ما أملْته　　وامست غُيوم الهَم عنا تذْهب
بالمُصطَفَى الهادي المُباركِ أحمدٍ　　هو سيدي هو عمدتي والمَطْلَب
وهو الحَبيب لنا وطه المُجتبى　　وهو الشفِيع لِمن عصا والمَأرب
وهو الّذي منح الفضائلَ كُلها　　وهو الوسِيلَةُ والمَقام الأقْرب
وهو الطِبيب لنا إذا فُقِد الدوا　　وهو الشفاءُ، وفَيضه يتصـبب
وهو الغِياثُ لنا إذا دهم البلا　　أو حل خطْب قاصِم أو متعِب

ضاقَت بنا أوساع جيلان الفضا والقَلْب أضيق ما أَلِفْت وأَلْغب
وجمِيع أبوابٍ الرجا قد أُغْلِقَت إلاّ لبابِك قد قَرعت وأَطْلُب
مِما جرى فينا مِن الأعداء أَر بابِ العنادِ لهم فَساد مرعِب
هذي الحقيقةُ يا رسولَ اللّهِ قُم في كَشفِ هذا الكَربِ أنت المأْرب
والكُل لا يخفى عليك وإنما قصدي أُذَكرك الذي أنا معرِب
حاشاك ترضى سيدي والمُلْتجى أَنْ تستباح محارِم ومحارِب
أنت الذي جاهدت في وقتٍ مضى ولقد طُردت ومِن بلادِك تذْهب
للبلْدةِ الغراءِ طَـيـبـةَ ذُخرِنا منها نشرت الدين حقّاً تغلِب

ومن قصائده الغراء القديمة التي كتبها في أحور هذه الأبيات على صوت البادية في ذي الحجة ١٣٧٦ عندما عم العالم مرض الأنفلونـزا :

يا اللّه بعوده تريما نعم البلاد الجميلة
قلبي معذب متيم يصبو لأهل الفضيلة

...

علوي مذكر لربه في صبحها والأصيلة
في روحته باتجلى عنك الهموم الثقيلة
وفي المساجد محافل تحط فيها المخيلة
ويعمر اللّه قلبك بزورتك للدويلة
أما المقدم محمد هو شيخهم في الفضيلة
سقافنا بن محمد معطي العطايا الجزيلة

محضارنا في الشدائد　　　يدرك ـمة طويلة
بركته ربي يسهل　　　يجعل أموري سهيلة

...

يجعل لنا خير مخرج　　　من أرض كازم قبيلة
قتل وجور وظلم　　　أعمال أهل الرذيلة
دايم يفكر ويهمر　　　كيف البصر في قتيلة
فالقلب منها مكدر　　　فيه جروح دويلة

...

قلبي تصبر تثبت　　　على الأمور الثقيلة
حتى تصل حضرموتا　　　تشفي الكلوم العليلة
ا الغواني تمايل　　　ذات الخصور النحيلة
قد و د وخد　　　ما احلى العيون

...

إليك قصة حياتي　　　في أرض غنا جميلة
بيت عجيب لطيف　　　فيه الأواني الصقيلة
براد شاهي مسكن　　　من فجرنا للأصيلة
ونورة كالسجنجل　　　في كل سترة جميلة

...

يا قلب إرجع تصبر　　　فلست تقدر بحيلة
غير المقدر من اللّه　　　منشي السحاب الثقيلة
يا رب فرج همومي　　　بركة حبيبي الوسيلة
عليه صلى إلهي　　　في بكرته والأصيلة

والآل والصحب جمعا   يا نعم أهل الفضيلة
بحقهم يا إلهي   فرج كروبي الثقيلة

ومن قصائده في محنة الغربة بعد أن اطلع على قصيدةٍ لأحمد شوقي في مدح السفر:

شوقي يقُولُ وما درى ببليتي   « خير الحياةِ إذا سئِمت رحيلا »
لو كان يعلم ما بنا مِن مِحنةٍ   ما كان يأتي بالكلامِ عجولا
ليست حياةٌ أنْ تعيش بغربةٍ   إلاّ إذا حِل لديك نزيلا
وكذاك أهلُك والحبيب مخيم   يعلُو محياه السرور طويلا
وجبينه قد أشرقَت أنواره   وترى الفؤاد بعِطْرِهِ مخبولا

...

فاللّه يجمعنا وأحباباً لنا   في خير أيامٍ ضحى ومقيلا
كيف السبيلُ إلى الرجوع لبلْدةٍ   فيها لنا أهلٌ وأقْوم قيلا
فالصبر أعظَم ما تذرَعه الفتى   فاستمسِكن عرضاً به أو طُولا
وانظُر إلى فضل الإله لكُل من   فُرِجت له الأحوالُ صار مِعِيلا
يسر أتى مِن بعدِ إعسارٍ مضى   بشرى لنا و غَدا لها تحويلا
حاشا الكريم يخيب الظن بهِ   حاشا الكريم بأنْ يكونَ بخيلا
قد خصنا بالمصطفى هو أحمد   صلّى عليهِ بكْرةً وأصيلا
واصحابِهِ الغر الكرامِ وآلِهِ   اللّه فَضلَهم بذا تفضيلا

وفي مناسباتٍ متعددةٍ كان رحمه الله يتناول طرفاً منها بأبياته الشعرية السلسة تطميناً لقلب صديقٍ أو مشاركةً في تعزيةٍ مسنونةٍ أو انبساطٍ مع خِل حميمٍ، ومن هذا اللون الموسمي المتعلق بالأحداث هذه الأبيات التي كتبها سيدي الوالد تعزيةً للحبيب أبي بكر بن صادق الكاف [(١)] في ولده المرحوم « شيخ » المتوفى شهيداً في حادث طائرةٍ محترقةٍ عام ١٤٠٠ :

إلى سيدي ذاك الحبيبِ أبي بكرِ ... أُعزيكُم يا سادتي ما بقِي عمرِي
وأيضاً أُعزي أحمداً ومحمداً ... على فَقْدِ «شيخٍ» صار للموطنِ الأُخرِي
هو الولَد المِفْضالُ شاباً ويافعاً ... نشا في عباداتِ الإلهِ مع الصبرِ
كما جاء حقاً في الحديثِ لسبعةٍ ... يظِلهم الباري بظِلهِ في الحَشرِ
وللوالدينِ البِر منه لَهم أتى ... وإنفاق أموالٍ على خالصِ البِر
فعدد مناقبه ترى حل مشكِلٍ ... لكل عويصٍ صار في الأهل من عسرِ
ولا نحصِ ما قد قام « شيخ » بِهِ لنا ... هنيئاً لَه الجنات والسندس الخُضرِ
وفي بهجةٍ واستبرقٍ وأساورٍ ... مِن الذهبِ الصافي ومِن خالصِ التبرِ
تعانِقُه الحُور الحِسانُ لفَضلِهِ ... وآدابه الحسنى تفُوق على الحصرِ
وخاتمةُ الحسنى كرامةُ ربِهِ ... شهيداً ختام العمرِ يا لَه مِن فَخرِ
ونسألُ مولانا يثبت أهلَه ... ويجعلُهم في غايةِ الحِلْمِ والصبرِ

...

تفَطر قَلْبي مِن حوادِثِ دهرِنا ... فلا عيش لي يهنا مدى الوقْتِ والدهرِ
على أنني أبكِي الدموع مع الدما ... وليس بمغنٍ لو بكَيت مدى العمرِ

---

(١) تقدمت ترجمته مع بقية شيوخ سيدي الوالد.

وفوض جميع الأمر للرب دائماً ... وعندئذٍ كُن لازم الحَمدِ والشكْرِ
فقُدرته قد عمتِ الخَلْق كُلهم ... ولا سيما في حالَةِ البؤسِ والعسرِ
وحوقلْ دواماً فهي كنــزٌ لمن يكُن ... بِهِ الهَم دأباً في الصباح وفي العصرِ
وقُلْ دائماً إني إلى اللّهِ راجِع ... ولا حِيلَةٌ عِندي سِوى الصبر عالمُر
يعوضك الرحمن بالخَير يا فتى ... وتجزى جزاءً لا يكَيف بالحَصرِ
وتبنى قُصور في الجِنانِ بصبركُم ... وتكْتب مِن أهلِ اليقِين بلا نكْرِ
إذا اشتد خطْب مِثْلُ هذا فإننا ... بسيدِنا المُختارِ نفْزع بالأمرِ
عليهِ صلاةُ اللّهِ ثُم سلامه ... مدى الوقْتِ والأيام حقّاً بنا تجري
كذا الآلُ والأصحاب ما جاءَ زائر ... لطَيبةَ يسعى قاصِداً صاحب القَبرِ

وهذه أبيات أخرى كتبها سيدي الوالد للعلامة السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي [1] :

(١) العلامة السيد محمد بن علوي المالكي أشهر من نار على علم، ولـد بمكـة المكرمـة سـنة ١٣٦٧، وتربى ونشأ في أحضان والده الإمام علوي بن عباس المـالكي مـن أهـل البيـت المنتسبين إلى سيدنا الحسن بن علي رضي اللّه عنهم أجمعين، وتلقى بدايات علومه على نظـر والده وبعض المشايخ المعروفين بمكة والمسجد الحرام، ومنهم العلامة الشيخ حسن بـن محمـد المشاط والشيخ محمد العربي التباني، والشيخ الفقيه محمد يحيى أمان والسيد محمد أمـين كـتبي وغيرهم، وقد اعتنى به والده اعتناءاً كبيراً وملأ قلبه بحب أهله وأسلافه الصالحين مـن عبـاد اللّه، فنشأ بذلك متفرداً عمن حوله من طلبة العلم الذين يفتقرون إلى أسس معرفة الرجـال الأولياء، كما ربطه ربطا قويا بعلماء حضرموت ومنهجهم الفكري وطريقتهم المباركة، فقد كان والده علوي الطريقة متأثراً ومنطوياً في الإمام أحمد بن حسن العطاس الـذي بشـر بـه

إلى السيدِ المفضالِ مِن آلِ هاشِمٍ ... محمدٍ المَحبوبِ في كُلِ حضرةٍ
هو ابن الحبيبِ الشهمِ علْوي الفتى ... كذاك ابن عباسٍ كَريمِ السلالَةِ
علَيك سلام اللّهِ دأباً وسرمداً ... وما طِيف بالبيتِ لِحج وعمرةٍ
علَيك سلام اللّهِ ما زار زائِر ... محمداً المُختار ساكن طَيبةِ
علَيك سلام اللّهِ ما قام داعِي ... بِسردِ لِقُرآنٍ وتفْسِير آيةِ
علَيك سلام اللّهِ ما حدثَ امرؤ ... حدِيثاً عنِ المَروي في خير سنةِ
علَيك سلام اللّهِ ما قام عالِم ... بِعلْمٍ وتعلِيمٍ وتصنِيفِ حِكْمةِ
أُهنيك يا شيخي بِعِلْمِك والتقى ... هنِيئاً لَكُم يا فَرع أَصلٍ بِدوحةِ
كَتبت وصنفْت العلُوم بِكَثْرةٍ ... وبـيـنـت للقُرا بِحسنِ عِبارةِ
فلا نحصِ ما ألفْت مِن كُتبٍ الهُدى ... لِشتى العلُومِ النافِعاتِ لأُمةِ
فحياك ربي بل أطالَ لِعمرِكُم ... وبارك في الأوقاتِ في كُل حالَةِ
أُهنيكُم بالعِلْمِ والفَضل سيدي ... علَيكُم سلام اللّهِ في كُل لَحظَةِ
وقد كُنت في الأحوال أقْرأُ كُتبكُم ... وأسمع أقوالاً لَكُم بإذاعةِ
ولو كانَ والِدكُم يراكُم بِعينِهِ ... لَقَرت له عين وعاش بِفَرحةِ

وسماه قبل ولادته وصار اسما على مسمى وكذلك بالإمام علي بن محمد الحبشي وغيرهما، وقد تدرج الشيخ محمد بن علوي المالكي في طلب العلم حتى برز علماً وظهر نجماً يهتـدى بـه، ولما توفي والده تصدر في الحرم للدروس فكان علماً مرموقاً، وله في أجهزة الإعـلام بـرامج حيةٌ يرغب فيها السواد الأعظم من المسلمين، وقد نال شهادة الدكتوراه في علـم الحـديث وأصوله، وله مصنفات عديدةٌ لا يتسع ا ال لذكرها .

وقرت ـبكُم عين النبي محمدٍ بما تفْعلُوا في كُل يومٍ وليْلةِ
وختماً صلاةُ اللّهِ ثُم سلامه مع الآل والأصحابِ بل والقَرابةِ

ولا يغيب عن بالنا ما يشير إليه سيدي الوالد في قوله :

أُهنيك يا شيخي ـبعِلْمِك والتقى هنِيئاً لَكُم يا فَرع أَصلِ ـبدوحةِ

أنه تأكيد لما سبق في سياق الحديث عن مشايخه أن منهم من كان أصغر سناً، حيث يرغب سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى في نيل بركاتِ كل صالحٍ وولي وعالمٍ، فكيف إذا اجتمع الشأن كله في ذاتٍ واحدةٍ كما اجتمعت في حبيبنا محمد بن علوي المالكي ؟ أمتع اللّه به ونفع المسلمين بعلومه وأسراره آمين .

وكتب سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى إلى السيد المنيب عبدالرحمن بن سالم البيض في المدينة المنورة عام ١٣٩٣ :

إلى السيدِ البِيضِ لَه كم محاسِن فأنعِم وأكْرِم بالذي هو محسِنا
لإبنِ الحبيبِ الشهمِ علْوِي الفتى هو العلَم المَشهور ذو العِلْمِ والسنا
علَيك سلام اللّهِ ما جِئْت طَيبةً وسلمت للمختارِ في حضرةِ الهنا
لَقَد جِئْت للهادي تزور ـبهمةٍ هنِيئاً لَكُم يا سيدي ـنلْت للمنا
هو البحر حدثْ كم لآلٍ جواهِر فيقْذِفُها للزائِرين بلا ونا
فحاجات كُل الخَلْقِ تقْضى بأحمدٍ حبِيبٍ عظِيمٍ قد حباه ـإلهُنا
فلا شك أن اللّه يعطِي تكَرماً فَنِعم جواد كاشِف الضر والعنا
فشكراً لَكُم يا سيدِي ـبهدِيةٍ ـلمحسوبكُم فاللّه يجزِيك في الدنا

وفي الحَشرِ جناتِ النعِيمِ مخلداً   لَكُم ولأولادٍ ومن كانَ محسِنا
وعفْواً أبا الأشبالِ لَست بِشاعِرٍ   ولَكِنني أظْهرت ما كان كامِنا
مِن الشكْرِ في القَلْبِ الذي هو موجع   بِتركِ طَرِيقِ الرشدِ عن سيرِ جدنا
فحدت عنِ السيرِ تخلفْت سيدي   وقَلْبي قسا مِن كثْرةِ الذنبِ قد ونا
توجه سلِيلَ البِيضِ في خيرِ بقْعةٍ   هِي الروضةُ الغنا ا السولُ والمُنا
حبِيبي رسولَ اللّهِ يشفَع في رِضا   بِيومِ النشورِ لا نخاف مِن العنا
وندخلُ في جاهِ الحَبِيبِ محمدٍ   علَيهِ صلاةُ اللّهِ فهو شفِيعنا
وسلم تسلِيماً كثِيراً مضاعفاً   مع الآلِ والأصحابِ ما جِئْت في هنا

وكتب سيدي الوالد أيضا أبياتاً للسيد الأديب أحمد بن ضياء شهاب الدين بمدينة تريم الغناء جواباً على أبيات وردت إليه من السيد المذكور، ولم نعثر على تلك الأبيات التي كتبها سيدي الوالد وإنما عثرنا على أبيات السيد أحمد ضياء، ونثبتها للحفظ والاطلاع ولما فيها من الرجاء والشوق إلى طريق المعرفة والذوق :

الحمد لله ربي بالعوافي تكرم   على الحبيب الكريم
ونشكره ربنا بالفضل والجود أنعم   اللّه يديم النعيم
بجاه ذخري حبيبي والفقيه المقدم   واهل الطريق القويم
يروح كل الكدر والشوش والهم والغم   يا ربنا يا رحيم
يحفظه ربي يديمه نور للناس قد عم   وفضل ربي عميم
القانت العابد السجاد في الليل لظلم   بالعلم يلطم لطيم
يا ابن أبي بكر يا ذخري وبالحال أفهم   ما حد يفهم فهيم

مدوا يديكم إلى من هو بالاحوال أعلم   اللّه ربي عليم
عسى بكم يا حبيبي نمشي على الخط الاقوم   يكون قلبي سليم
غارق في الذنب والعصيان وافعاله الذم   ما يعرف الا الذميم
عسى موارد هنية يزول ما كان مبهم   لاني شبيه البهيم
فلا عرفنا الهدى واهله ومن هو متيم   ولا مرور النسيم
يا رب تجعل لنا الحسنى ا العمر يختم   بحق طه العظيم
عليه صلى إلهي ما سرى البرق غنم   واله ومن في تريم

في ١٥ / ١٢ / ١٤٠١
أحمد ضياء شهاب (١)

وهذه أبيات أخرى كتبها للولد المبارك طاهر بن محمد بن طاهر البخاري نجل صديقه الشيخ محمد بن طاهر البخاري ساكن طيبة على صاحبها أفضل الصلاة

---

(١) السيد أحمد بن ضياء شهاب من مواليد دمون حضرموت الداخل كما كانت تسمى، وتلقى باكورة علومه ومعارفه بمدارسها، وتخرج ذكياً فطناً لبيباً طموحاً له ميولٌ واضح إلى العلـم والمعرفة،كما كان من الشباب الطموح في تحسين حال بلاده ونشر العلم فيها، وقـد باشـر مهنة التعليم وتفانى فيها وبرز معلماً فذاً يرغب في النقاش الهادف والرأي الصريح .

تزوج بمدينة تريم مرتين، وأنجب عدداً من الذكور والإناث، وكانت زوجته الثانيـة هـي بنت العم عبدالقادر بن أبي بكر المشهور، مما يظهر الرابطة الوثيقة بين السيد أحمد ضياء وبين شجرة السلالة المشهورية، أمتع اللّه بحياته في خير وحقق آماله .

والسلام بمناسبة الولد الميمون الذي سماه عبدالقادر [١] :

إلى الطَّاهِرِ المَيمون مِن نسل فاضِلِ محمدٍ التالي لنا خير آيةِ
إلى ابنِ البخاري عِزي مِن أئمةٍ يحِبونَ آلَ البيتِ نعم العصابةِ
عليكُم سلام اللّهِ في كُل حالةٍ عليكُم سلام اللّهِ يا أهلَ طَيبةِ
سعِدتم وفُزتم بالحَبِيبِ محمدٍ تزورونه وقْت العِشاءِ وبكْرةِ
أُهنيك يا طَه بإبنِك سالِمٍ وعبدِالقَدِير قد سمِي بِبشارةِ
هنيئاً لكُم يا طاهِراً بمحبةٍ مِن السيدِ المِفضال شيخ الطرِيقَةِ
وسماه بالإسمِ العظِيمِ مكرماً فهذا هو الفَخر العظِيم بِنسبةِ

ومن آخر ما كتبه سيدي الوالد في جدة تهنئةٌ للأخ عمر المحضار المشهور بولده المبارك علي الذي سماه سيدي الوالد باسمه ودعا له بدعواتٍ مباركاتٍ :

إلى ابني مِحضارٍ دوام التحِيةِ بِمولُودِهِ المَيمون إبنِ الكَرامةِ
علي بنِ مِحضارٍ أُهنيك باسمِهِ مبارك فِيهِ الخَير شهم الطلِيعةِ
حبِيب ومحبوب حوى الفَضلَ كُله ويحفَظُ قُرآناً لِربي بِهِمةِ
ويقْرأُ للعِلْمِ الشريفِ بلا مِراً ويحفَظُه اللّه إله الخَلِيقَةِ
مِن السوءِ والمَكْروهِ والكِبرِ والريا يصِير دواماً داعياً للبرِيةِ
ويجعلُه باراً لأب وأُمِهِ يفَرحكُم دأباً بِحسنِ العشِيرةِ

---

(١) سماه بإشارة من الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف، وإليه يشير سيدي الوالد في قوله :

هنيئاً لكُم يا طاهِراً بمحـبـةٍ مِن السيدِ المِفْضال شيخ الطرِيقَةِ

ويخدمكُم بالنفْسِ والدينِ والدنا		يعوضكُم ربي بأحسنِ حالَةِ
وآمِنةٌ بِنت الرسول لها الهَنا		بإسمٍ حوى الطهر النـزيه بِطُهرةِ
فربي يشفِيها ويفْرِح قَلْبها		بِمولُودِها البر الرحِيمِ برحمةِ
وقد جِئْتما مِن أرضٍ قَومٍ بِعيدةٍ		تؤدوا بإذْن اللّهِ حجاً وعمرةِ
تزوروا ضريح المُصطَفَى أرض طَيبةٍ		تسلم عالجَد العظِيم بِروضةِ
علَيهِ صلاةُ اللّهِ دأباً وسرمداً		مع الآلِ والأصحابِ ثُم القَرابةِ

وفي فترة وجوده رحمه اللّه في مدينة جدة كتب هذه الأبيات للسادة عبدالقادر وعلوي أبناء العلامة الجهبذ سالم بن علوي خرد :

إلى السادةِ الغر الكِرامِ بنو خردٍ		بنو سالِمِ المِقْدامِ ذي العِلْمِ والمَجدِ
فأولُهم عبد لقادِرِ الفتى		وحافِظُ قُرآنٍ وشاعِرنا الفَرِدِ
أجاد القَوافي في المَحافِل جهرةً		أثار لإعجابٍ بإحكامِ ما يبدِي
وذِلك بالسبكِ الجَمِيل فإنهم		يقُولُونَ : يا هذا أعِد كامِلَ الرد
وعلْوي ذي الحِفْظِ القَوي بلا مِراً		وحاز مِن العِلْمِ فُنوناً بلا عد
محمدِنا نسألُ ربي يعِينه		ويسلُك سبِيلَ القَومِ والعِلْمِ والرشدِ
فنشكُركُم دأباً كَثيراً وسرمداً		على الدعوةِ الغرا ضِيافَةِ ذي الرفْدِ
لأن لنا تِلْك الصلاتِ قَدِيمةً		فلا ننس ذِكْر « الخِدر » قِصتها نبدِي
فقد قالَ والِدكُم حبِيبي سالِم		ألا إن جدي قال : إبنو بني خردِ
بموضِعِ هودٍ فابتنى علْوي الفتى		وقد جاءَ بالمِفتاحِ في يومٍ ذي الوعدِ

وأعطاه جدي ثُم قال : تفَضلُوا　　بسكْناكُم في شِعبِ هودِ النبي الفَردِ
وصلى إلهي كُل وقْتٍ وساعةٍ　　على أحمدِ الهادي الأنام إلى الرشدِ

ومن أشعاره الجميلة التي تحمل المرح والدعابة تلك القصيدة الطويلة التي نظمها سيدي الوالد خلال ازدهار حركة التعليم بأحور، واجتماع شمل الأحبة من المدرسين الذين كانت تربطهم بسيدي الوالد روابط الصداقة والمودة قبل روابط العمل من أمثال السيد الفاضل أبي بكر بن عبدالله بن سميط، والشيخ العلامة
محمد بن أحمد العزب، والأستاذ القدير أحمد بن حسين ذيبيان، وهم الذين دارت القصيدة على ذكر طرف من حيا م، وقد كتبها سيدي الوالد في أحد الرحلات التي كانوا يقيمو ا، وهذه بعض أبيا ا :

الحمد للّه خالق وعرها والسهول　　ثم الصلاةْ على المختار أعظم رسول
وبعد فاعلم بأن المدرسة يا عقول　　قد أصبحت للمعلم نـزهة في الطلول
يوما جلسنا فقال المقترح يا فحول　　ما لي أرى الشعب في أحور يحب الخمول
أجابه واحدا والقول ما له قبول　　لا يستفيقوا لنصح أو لمن هو يقول
لكن على الشخص دايم لا يقع في الملول　　ومن رأى منكرا واجب لمحوه يصول [١]

فصل في **التسلية**

والشيء بالشيء يذكر يا فتى في المثول　　إنا اجتمعنا بيوم كان فيه المثول
قد اقترح بوعزب[٢] شيخا كبير العقول　　فقال : حقا عليكم كل شخص يقول

---

(١) حذفت بعض الأبيات طلباً للاختصار .
(٢) الشيخ محمد بن أحمد العزب .

ذكراه في كل ماضي واذكروا للطلول   وليبدأ القوم في الذكرى بحسن المقول

فصل في المشهور [١]

مشهورهم قد ذكر تاريخهم بالنقول   من حين ما كان طالب في الصغر والمثول

بين يدي شيخه المفضال فحل الفحول   شيخي علي[٢]قد حوى سر الألى والأصول

عابد وزاهد يحب الذكر وسط الليول   وشيخنا الحافظ السجاد زاكي العقول

هو عيدروس [٣] المعالي تاركا للفضول   ومن حوى المعرفة عبدالإله العقول

هو شيخنا الشاطري[٤]نسل السلف والبتول   كم قد تخرج على يده من أهل الطلول

أما حبيبي وخالي سيدي ذو القبول   علوي[٥] هو المعجزة في وقتنا ذي الكلول

داعي لربه صباحا بكرة والأفول   فليس يوجد مثيله في زمان الذهول

أما أبي والدي [٦] ذلك الأبر الوصول   حفظني الذكر في القبة وحط الحمول [٧]

وأدخلني المدرسة ثم الرباط النـ ـزول   عرفت فيه المعارف نعم تلك العقول

رحلتي إلى الهند

عزمت والوالد الرحلة بمشي الرجول   للخير ندأب لدعوة كل غر جهول

---

(١) الوالد علي بن أبي بكر المشهور، يتحدث عن نفسه .

(٢) هو علي بن عبدالرحمن المشهور .

(٣) الحبيب عبداللّه بن عيدروس العيدروس الذي بشر الجد أبابكر بولادة الوالد .

(٤) الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري شيخ الرباط ومعلم المتأخرين من علماء حضرموت .

(٥) الحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين تاج الوادي وخليفة السلف .

(٦) الحبيب الجد أبوبكر بن علوي بن عبدالرحمن المشهور .

(٧) قبة الشيخ أبي مريم، وهي المبنى السلفي المبارك الذي أعد لتحفيظ القرآن الكريم .

حتى مررنا بأحور عامرة بالسيول   منها عدن واليمن عشنا ا كم نجول
منها إلى الهند والسيلان نرشد غفول   يقبل على الله يسلم راجيا للقبول
ثم رجعنا تريماً بلدةً لا تزول   ا السلف أهلنا يا نعم تلك الأصول

فصل في الزواج

أما زواجي فلا تسأل فإني جهول [١]   فقد دعاني أبي يطلب من ابنه قبول
ببنت زاهر وتم العقد ثم الدخول   حتى مضت برهة فوالدي جاء يقول
طلق لها إ ا ليست لنا في حلول   فلم يسعني سوى تطليق كل العقول
تنازلاً لأبي إنه بذا هو عقول   ثم تزوجت في عيديد بأمر الأصول
لم تمض مدة توفاها الإله الوصول   حتى دعاني حبيبي عابد في الليول
محمد بن حسن عيديد يرجو قبول   يخطبني لابنته الكبرى كفعل الرسول [٢]
فقلت سمعا وطاعة يا حبيبي نقول   وخلفت لي صغارا قد حظوا بالوصول
لجنة الخلد يسقونا ار الكلول   وهذه الدار لا تصفو لمن هو عقول

فصل في الرحلة

وقد وقع وقتنا في المسغبة والذبول   حتى توجهت للدعوة لنرشد جهول
مررت سيئون والغرفة نجر الذيول   شبام، قطن، حورة، عجلةً للعجول

---

(١) كان صغير السن لا يعلم من أمر الزواج شيئاً .

(٢) مثل ما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم من تزويج سيدنا عثمان بابنتيه، وتسميته « ذي النورين » .

ومشهد، ثم هجرين بعدها كم نقول   قيدون، قرن، بضة، وارض تلك الغيول

ثم مررنا القويرة حاوية للفحول   وشيخنا مصطفى المحضار نسل البتول
ومن خريبة طلعنا عقبةً بالرجول   إلى الظليعة بنجدين الكرف والجيول
يبعث، كذا أرض حوطة، لهيةً للوصول   حبان، محفد تجد فيها المشايخ حلول
منها إلى أحور ولكن قد أتانا رسول   من حاكم البلدة الغراء يقر النـزول
بسوحِها نفتح التعليم وسط الطلول   نبدا لتحضر تلاميذ الهنا والقبول
لم ندر أن المقادير تحكم للفقير الحلول   بأرض باكازم الفتنة وفيها القتول
أصبح ا القلب حيرانا كثير الذهول   فليس يدري متى المخرج من ارض الخمول
خائف على اولاده والفتنة وبعض الميول   فسيد القوم في خنفر بكى في الصبول[1]
وأصبح الحال شرحه عنهم بايطول   ومن سلك في سبيل اهله يجد كل سول
ومن تزيا بزي الجند عدة نـزول   بندق وجنبية حمل خس تلك العقول
وثوبه قد تشمر قد ظهرن الكعول   ولبس أسود ويبرق قد صبغ بالنيول[2]
بالرغم با يظلم المسكين مثل القَحول   ظالم وهو مفتخر بالظلم يعرف يقول
تارك فروضه وقاتل نفس دايم يجول   وسط اللعب يشترح يغرم يدق الطبول[3]
لا علم يقرا ولا يكتب خفيف العقول   وليس للعبد فيما قد جرى من مقول
غير الدعا هيأ الأسباب منها تزول   إلى تريم الفضائل ليس فيها غفول

---

(١) أحد السادة العلويين، أقام بخنفر وتزوج ا وأنجب، ومات كمداً على مصير أولاده عند البادية.
(٢) النيول جمع نيل، وهي صبغة معروفة تصبغ ا الثياب فتصير سوداء أو زرقاء .
(٣) الشرح من الألعاب التي كانت منتشرة في المدينة والريف عند حلول الوالد بأحور .

فصل في أحوال أبي بكر بن سميط [١]

أما المسمى سميط قال عرضا وطول — إني تعلمت في علمه ا كم طفول
وبعدها صرت أستاذاً لزمرة فصول — مدة وغادرت أرضي في زمان الكلول
حتى وصلنا المكلا طالبين الدخول — عمل جويد نحصل منه بعض الأكول
منها رحلنا عدن عند المعارف نـزول — توظفاً في (ـيين) منها الديانة تزول
حتى أتى أحورا فيها السعادة تجول — دين ودنيا ولكن قد غمرها الخمول
تقشف والفواكه ما تجدها حصول — حتى تزوجت فيها وامتلين الجبول
فيها وجدنا العسل والسمن فوق الرخول [٢] — في المدرسة منها نشوي عريض الفصول
ومن رضي فالقناعة كنـز ما له أفول — ونعمة اللّه نشكر تاركين الفضول

فصل في الشيخ محمد بن أحمد العزب [٣]

---

(١) العم أبو بكر بن عبداللّه بن سميط، وقد سبق التعريف به .

(٢) الرخول صغار الضأن .

(٣) هو الشيخ العلامة الفقيه محمد ابن الشيخ العلامة الفقيه المحب لآل البيت أحمد بن عمر العزب، ولـد في المحفد من أرض العوالق السفلى من أم تزوجها والده من تاربة من أعمال حضـرموت الـداخل، تربى بادئ الأمر في المحفد حتى حمله والده معه في بعض رحلاته إلى الشحر ثم إلى تريم، وطلب العلـم في الرباطين رباط الشحر ورباط تريم تحت رعاية أشياخ ذلك العصر أمثـال الحبيـب عبداللّـه بـن عبدالرحمن ابن الشيخ أبي بكر بن سالم بالشحر، والحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري بتريم،والحبيـب عبدالباري العيدروس وغيرهم من شيوخ العصر .

ثم سافر إلى جاوة حيث استقر والده هناك مجاورا للحبيب علوي بن محمـد بـن طـاهر الحـداد صاحب بوقور، وبقي هناك لعدة سنوات، ثم عاد إلى عدن ودخل أحور مطلوبـا لتـولي منصـب القضاء، فنـزل بأحور ثلاث سنوات للفصل بين الخصوم من البادية والحضر حتى عزل عن القضـاء

أما أبومعزب شيخ الفضائل يقول   كنت صبيا غبيا لاعبا في الحقول
حتى أمرني أبي أذهب مع اهل الحمول   سعف البداوات قوم شغلهم في القَتول
حتى وصلنا الشحر بندر معتمر بالنـزول   دخلت في زمرة السادات أهل الرسول
...
شيخي حبيبي عبيد اللّه فحل الفحول (١)   حتى امتلت فطنتي من علم خير الأصول
رجعت عند حبيب المعرفة للجهول   هو سيدي الشاطري نفديه عرضا وطول
رباني انه هو الأب الودود الوصول   علمني الخير والتقوى بنصف الليول
أما زواجي تكرر في البلد والطلول   وبعد سافرت في البلدان نرشد جهول

في حادثة ا ام مقصودة انتهت بسجنه أياماً حتى تدخل سيدي الوالد في أمر الإفراج عنه وسفره مـن البلاد، فأُخرج وسافر من اليوم التالي إلى عدن ثم إلى جاوة مرة أخرى، ومكث بجوار والـده عـدة سنين ثم عاد إلى عدن فأحور، واستقر ا وعمل مدرسا ضمن المدرسين بالمدرسة الميمونة، وصـار لزيماً دائماً الس سيدي الوالد ومدارسه، وابتنى داراً بأحور وتزوج ا وأنجب ثلاثةً مـن الـذكور، وهم : عبداللّه وعلي وعبدالقادر، وبنتاً واحدةً .

وكان يتعهد الإمامة فيما بين العشائين بمسجد الحبيب مهدي بن حسن قائما بعمارة هـذا الوقـت المبارك بالقرآن وتقرير الفقه الشافعي للطلبة، كما كان عقلاً وقاداً يـنير مجـالس العلـم ومدارسـه ومجالس الصفاء والأنس التي تقام في المدرسة أو في بعض منازل المتحابين في ذات اللّـه، فكـان لـه صوت رخيم ومؤثر، فترى السامع قد استغرق في سبحات الصوت منسجما مع الكلمات الرخيمـة بتأثير صوته العجيب، وخاصة عندما يقرأ القرآن أو ينشد بقصائد الأسلاف .

وعاش الشيخ الفاضل بأحور معلما ومفيدا للأمة ومساعدا للوالد حتى توفاه اللّه في شـوال ١٣٧٨ ورثاه بعض الشعراء المحليين بقصائد منها قصيدة للشاعر محمد بن علوي بوقرنين .

(١) إشارة إلى الحبيب عبداللّه بن عبدالرحمن ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، والذي كـان قائمـاً بالدعوة إلى اللّه في الشحر، وكان له رباط علم انتفع به الكثير من الطلبة .

حتى وصلنا إلى المحفد بلاد الأصول [(١)] وبعد شاءت لنا الأقدار أمرا مهول

مررت أحور وفيها صارت قاضي عجول[(٢)] منا رحلنا إلى جاوة نجر الذيول

لقيت علوي محمد [(٣)] ذاك فحل الفحول به اتصلنا عرفنا علم ما له مثول

---

(١) الأصل الذي انحدرت منه سلالة آل العزب من المحفد، وهي مدينة تبعد عن العاصمة أحور بحوالي ٧٥ ميلا إلى جهة الشمال الشرقي، وهي بلاد قديمة و ا قبائل متعددة وسادات ومشايخ، وجلهم يعملون في الزراعة والتجارة، وأما قبيلة آل العزب فيطلق عليهم آل باخريش، و ا إلى الآن أحفاد وأولاد وأقارب وأرحام .

(٢) جمع عجل، ويقصد كثرة الجهلاء الذين لا يأتمرون بأمر اللّه .

(٣) الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحداد العلامة المنيب والداعية الأديب، صاحب الكشف الجلي، والسر العلي، ولد وتربى ونشأ بقيدون، وتعلم العلم على يد أشياخه الأجلاء مثل والده وجده وشيخه الحبيب صالح بن عبداللّه العطاس والحبيب حسين بن محمد البار، والحبيب علي بن محمد الحبشي، والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور .

ولما بلغه وفاة والده بجاوة استأذن جده الحبيب طاهر في السفر إلى الحرمين الشريفين، وأدى النسكين، وأخذ عن جملة من علمائها أمثال العلامة الشيخ محمد سعيد بابصيل والشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد والفقيه مفتي الشافعية بمكة الحبيب حسين بن محمد الحبشي ثم دخل إلى جاوة و ا اتصل بالحبيب محمد بن عيدروس الحبشي والحبيب محمد بن أحمد المحضار والحبيب عبداللّه بن محسن العطّاس، وفي بلاد بوقور اشتهر وظهر وطار خبره وانتشر، وعرفت عنه الكرامات والأخلاق والوجاهات والأسرار والكشوفات، ووصلت إليه نقابة السادة العلويين، وتوفي بجاوة في يوم الخميس ٢٣ محرم ١٣٧٣ .

وله أولاد، منهم أحمد بن علوي الحداد، وقد أرسله والده صغيراً إلى حضرموت فلم يستقر ا ثم أعيد إلى أحور، فنشأ ا وتربى على يد الشيخ محمد بن أحمد العزب وسيدي الوالد، ثم رعاه سيدي الوالد بعد وفاة الشيخ محمد بن أحمد العزب حتى كبر وتعلم علوم

شفناه يبكي على الغنا لقيد الرجول عنده ربحنا تجارةْ والزواج العجول
كم غانية قد تعانقنا ا في الليول من كل هيفا جميلة من ذوات الحجول
ثم انثنى العزم لأرض البادية والصبول في أرض أحور نعلّم ثم صرنا حلول
عرست فيها وصار الأمر شرحه يطول

فصل في **أحمد حسين ذيبان**

أما المسمى ذيـبـان الأديب عجائب ليس تحصي عدها في النقول
من أحورٍ لا عدن دوعن كذا يا عقول وأسمرة، ومصوع حيروه النـزول
ثم الى ابين، مسيمير جِعار الخمول وكودهم، والمعر فيه النكد والتلول
أما الديانة ا قد قاربت في الأفول فلا مذكر ولا عالم ا قد يقول
من قول خير البرية مصطفانا الرسول والآن في احور مدرس راجيا للهطول
معلم فيه رحمةْ غير أنه عجول [(١)] يطلب صلاحا لقوم من صنوف العجول

الشريعة وأخذ من علوم العصر في مدارسها قسطاً وافراً، ثم التحق بالعمل مع الحكومـة ولا زال في إطارهم .

(١) الأستاذ أحمد بن حسين ذيـبان من المدرسين الأوائل في البلاد، ولد في أحور وتربى ـا ثم كثرت أسفاره صغيراً من بلادٍ إلى بلادٍ، فسافر إلى عدن ومكث ا مدةً من الزمان وسـافر إلى لحج وحضرموت، ومكث في دوعن فترةً من الزمان تعلّم فيها قسطاً مـن المعـارف، ثم عاد إلى عدن وسافر إلى أسمرة ومصوع، وعمل ا مدرساً لعدة سنواتٍ، ثم عاد إلى عـدن وعمل مدرساً في مدرسة أبين سلطنة الفضلي، ومنها انتقل إلى أحور مع ازدهار التعليم ـا مع افتتاح المدرسة الميمونة بإدارة سيدي الوالد رحمه الله تعالى، وشارك بحماس واجتـهاد في النهضة التعليمية في البلاد، وبرز فذّاً في المسرح التعليمـي والرياضـة حـتى عهـدِ الـتغير الاجتماعي بعد الثورة .

ما همهم غير جمع المال دايم يجول		للشر والبغي والمكر الذي لا يطول
وبعضهم في الحراثة والرشب والبتول[١]		وبعضهم للأراضي غاصبا والسبول[٢]
وبعضهم في سفاح لليتامى أكول		وبعضهم شاهدا زورا وبغيا يقول
والبعض منهم أحب العلم ماله ملول		ودوب وقته يعلّم يا فتى في الفصول
وبعضهم للتهجد قائما في الليول		دائم يناجي إله الخلق يرجو قبول

ومن قصائده على صوت الدان ـ وهو أحد ألوان الشعر الحضرمي ـ هذه القصيدة التي كتبها عام ١٣٦٧ عندما مرض الأخ أحمد مرضاً شديداً وكان أصغر أولاد سيدي الوالد آنذاك، وقد استعرض فيها سيدي الوالد آماله في أولاده يسأل اللّه تحقيقها بإذنه تعالى :

أما محمد ذاك المبجل		عالكل منهم باسمه مفضل
شافع ومقبول في يوم يبكين		والشاهد اللّه ما بين الاثنين

...

والعدني يحفظ لقرآن ربي		عسى يتمه بركة حبيبي
يقرؤه كله من غير تلحين		والشاهد اللّه ما بين الاثنين

...

وكان له باع في الأدب والشعر حتى أُطلق عليه « أديب أحور »، بل كان يكتب إبـان شبابه في بعض الصحف المحلية بعدن، وأحيل إلى مكتب الإشراف على التعليم بالبلاد خـلال عام ١٣٩٢ ولا زال مستشاراً تربوياً يقدم خبرته ومعرفته للأجيال .

(١) البتول هي مهنة الحراثة بالبقر، ويسمو ا (البتلة) والشخص منهم يسمى البتول وجمعه أبتال على الهجة الدارجة .

(٢)جمع سبولة، وهي السنبلة .

ومن سمي بالجد علوي مكرم　　بالعلم والخير يا خير مغنم
بايصلح الأمر دنيا مع الدين　　والشاهد اللّه ما بين الاثنين

...

بالجار شيخي سميت محضار　　يدرك لمن جاه أو كان محتار
لو كان في الغرب أو كان في الصين　　والشاهد اللّه ما بين الاثنين

...

أما المسمى ذاك الغريب　　للعلم يفهم فهما عجيب
يا رب يفضل عالكل ضعفين　　والشاهد اللّه ما بين الاثنين

...

يا حمد حبيبي يا قرة العين　　اللّه يطول لعمرك بلا شين
بركة محمد شافع مدى الحين　　والشاهد اللّه ما بين الاثنين

...

على فراقي أرض الحبائب　　تريم تحوي كل العجائب
يا رب سهل نخرج بنورين　　والشاهد اللّه ما بين الاثنين

...

أصلح للأحوال يا رب سالك　　سالك إلهي بياسين سالك
يا اللّه بغارة في يوم الاثنين　　والشاهد اللّه ما بين الاثنين

ومن طريف ما يذكر في أشعاره المحتوية على الجد والهزل والمداعبة أبيات كتبها للشيخ حسن بن أحمد بن عمر العزب بمناسبة زواجه في حضرموت :

أُهدِي السلام المُزكى　　إلى الذي قد تزوج
في خير أرضٍ بِبِكْرٍ　　وليس فيها معوج

تريم فيها المزايا كم طالبٍ قد تخرج

...

نهدي إليه التهاني أضحى كلانا متوج
وهو الذي قد تسمى باسمٍ له فيه مخرج
قد كانَ أعزب يحيى والآنَ شـ ـخص مزوج
بالعلْمِ يحيي الليالي وليس يهجر منهج
أيضاً و« منهاج » علْمٍ يتلوه دوماً ويلْهج
إلى النواوي انتساب و« تحفَةٌ » لمن احتج
فيها العلُوم تدفق كالسيل يأتي من الفَج
وهي السبيلُ الوحيد ا العلُوم تأجج

...

عليك يا ذا لُزوماً لـ « تحفَةٍ » خير منهج
بل واجتهادٍ نشاطٍ ليس كمن قد تزوج
فقد رأيت بعيني مثْلك شخصاً تدحرج
جفا العلوم وناما وامسى بعقْلِه أهوج
ففي المثال قَديم قَولٌ جميلٌ تروج
يذْبح علْم بفَخذٍ يسلُو بغنج المُغنج
فاحذَر وكُن ذا يقين إياك إياك تحتج
في كُل فعلٍ حميدٍ لا لا يغرك بهرج
ففَخرنا في العلُوم وفي اتباع لمنهج
ففيه فَوز ونجح فامسك به لا تحرج

منهج حبيبي محمد ليلةَ أُسري وعرج
صلى عليهِ وسلم ما قام غُصن معوج
وآلِهِ وصِحابٍ ما ناح باكٍ تشنج

ومنها أبيات أرسلها من أحور في شهر المحرم من عام ١٣٨٧ إلى السيد الفاضل ناصر بن عبدالله فدعق المقيم بأرض الحجاز والذي تربطه بسيدي الوالد صلات وديةٌ قويةٌ ذات جذورٍ أصيلةٍ، قال في أبياته :

إلى السيدِ المِفضالِ مِن آلِ هاشمٍ هو العلَم المفضالُ في أرضِ جدةِ
هو الناصر المَعروف يعزى لِفَدعقٍ عليك سلام اللّهِ مِن أرضِ محنةِ
بِلاد ا الجهلُ المُخـيِـم يا فتى دعوتهم ! لم يستجيبوا لدعوةِ
سلام عليك ما أتيت لمكةٍ فطُفْت وأحرمت بأفْضل ركْعةِ
سلام عليك ما أتيت لزمزمٍ شربت تضلعت بأعظَمِ شربةِ
سلام عيلك ما أتيت إلى مِنى لرمي الجمارِ يوم نحرٍ وفديةٍ
سلام عليك ما أتيت لطَيبةٍ ا زرت خير الرسل أصلاً لدوحةِ
وقُمت أمام القَبر في خير حالةٍ خشوعاً وإجلالاً لأعظَمِ حضرةِ
عليك سلام اللّهِ ما جاءَ زائر لمكةَ تدعوه بكُل حفاوةِ
لإكرامِهِ حق الضيافةِ والقِرى لوجهِ الإلهِ وابتغاءِ المَثُوبةِ
لقد وصلَ المُهدى كِتاب معظم حوى العلم والآداب «نهج البلاغَةِ»
لسيدِنا ذاك الإمامِ حبيبنا أبا الحَسنينِ جدنا بحقيقَةِ

هو الباب للعلمِ بنص حدِيثنا ... وتشبِيهِ خير الرسل باصل المَدِينةِ
فشكراً لكم بل ألْف شكْرٍ أخا الوفا ... وبلغك المَولى لِكُل مزيةِ
ونسألُه جمع القلوبِ على التقى ... لِتأْلِيفِهِ للمسلمين بِرحمةِ
وتركِ التقاطُعِ والتحاسدِ بيننا ... وإخمادِ نيران الشرورِ العظِيمةِ
يوفقُنا للخير والِبر والهدى ... ويصلِح للراعي وكُل الرعِيةِ
وأرشدهم للإقْتِفاءِ لِسيدٍ ... حبِيبٍ شفِيعِ الخَلْقِ يوم القِيامةِ
عليهِ صلاةُ اللّهِ ثُم سلامه ... مع الآلِ والأصحابِ في كُل حالَةِ

حضرة السيد الفاضل ناصر بن عبداللّه فدعق حفظه اللّه ورعاه

تحيةٌ وسلام، نرجو من المولى الكريم أن يمنحكم الصحة والعافية والسعادة، نحن جميعاً بخير وعافية، ونرجوكم كذلك، وقد وصلت هديتكم الثمينة، وخير الهدايا ما كان غذاءا للفكر والعقل، ونعم الغذاء « ج البلاغة » من كلام الإمام علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه، وترون أعلاه قصيدة نرجو قبولها وإغضاء النظر عن عيو ا، ويكفي أ ا خرجت من قلب ملؤه الاحترام والتقدير لكم .

هذا وسلام اللّه ورحمته وبركاته عليكم
علي بن أبي بكر بن علوي المشهور

ومن ألوان أشعاره رحمه اللّه شعر المساجلة مع بعض الخواص والعلماء، حيث كان سيدي الوالد كثيراً ما يرغب في تحريك القلوب بأبياتٍ شعريةٍ غير متكلفةٍ يضمنها شعوره وإحساسه نحو صاحبه أو ولده أو تلميذه أو كل من يكون باعث الشعر يخصه

ويعنيه، فنراه رحمه اللّه تعالى يساجل شيخه وصاحبه ودليله في الشؤون الخاصة والعامة الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ بأبياتٍ جعلها رداً على قصيدةٍ سلفت من الحبيب محمد بن سالم لم نعثر عليها، وموضوعها اقتراح بالزواج من حضرموت، فرد عليه سيدي الوالد رحمه اللّه بهذه الأبيات :

إلى السيدِ الشهمِ الكريم محمدٍ	لإبنِ حفيظٍ ينتمي ولسالِمِ
هو العالِم النحرير حل بمشطةٍ	وحامِلُ راياتِ العلا والمَكارِمِ
أيا سيداً قد حاز كُل فَضِيلَةٍ	عليك سـلام اللّهِ يا خير قائِمِ
مِن الليل تتلُو للكتابِ مرتلاً	إذا نام ذو سقْمٍ ربيب المآثِمِ
عليك سلام اللّهِ يا داعياً إلى الـ	ـفَضِيلَةِ والرشدِ ورد المَظالِمِ
عليك سلام مِن محِب متـيـمٍ	ينوح ويبكِي مِثْلَ ذاتِ المآتِمِ
أتانا كتاب مِنك في خير لَيلَةٍ	فقلت له : « أهلاً بأفْضل قادِمِ »
فبشرنا بالعطْفِ مِنكُم ودعوةٍ	عسى يغفِر الرحمن كُل جرائمي
ويا سيدي أبديت نصحاً لِخِلكُم	فشكْراً لَكُم يا خـير داعٍ وعالِمِ
ولكن قولاً مِنكُم يورِثُ الأسى	لِمن عاش يرعى للصغارِ السوائِمِ
فكيف إذا صح اقْتِراح ؟ فإننا	سنصبِح شتى كافِتراقِ البهائِمِ
وينفَجِر البركانُ مِن كُل جانِبٍ	وقُنبلَةٌ تأْتي لِسـحقِ المَغانِمِ
مِن الحَامِدِي [1] الشهمِ حالٌ له كذا	فغِيرتكُم شعواءُ يا نسلَ سالِمِ

---

(١) الحامدي : المقصود به الجد أبوبكر بن عمر الحامد « منصب البلاد » والذي تـزوج عنـده سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى .

أتحسب أني مِثْلُكُم في تزوجٍ ؟ ففي كُل شهرٍ زوجةٌ للمكارِمِ
لَئِن كان هذا تم فهي خسارةٌ وأُصبِح في أهلي منالَ شتائِمِ
أترضى بذا يا أخي لمحِبكُم ونحن على عصرٍ كَثِير المَظالِمِ ؟
وقد قال خير الخَلْقِ :« من كان مالِكاً لعقْدينِ يأتي يوم عرض العظائِمِ
له نصف تخلِيقٍ وليس بكامِلٍ وذاك إذا لم يعدِلَن في المَقاسِمِ »
وأما الدنانِير فلو كان عندنا مِن المال ما يكْفِي لَجِئْت بعالَمِي (١)
وكان جلُوسي في تريم ومسكَني بأرضِي لأحظَى باجتِناءِ المَغانِمِ
فإنْ شِئْت فقْهاً أو أردت تصوفاً فذاك وإلاّ فاتجِه للغنائِمِ
زيارةِ أجدادِي وأهلِي وعمدتي ببرزخ بشارٍ مقَر الأكارِمِ

فرد عليه الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ بهذه الأبيات :

إلى ابنِ أبي بكرٍ حلِيفِ المَكارِمِ أزف سلاماً مردفاً بالمَراحِمِ
وأعلِمه أني قرأت قريضه وأكْرِم بِهِ مِن ناظِمٍ أي ناظِمِ
ولكِنه خاف انفِجار قنابِلٍ عليه إذا أصغى لرأي ابنِ سالِمِ
وقد قِيلَ : « من قد ذَل أصبح سالِماً » فكُن هكذا يا ابن السراةِ الضراغِمِ
تأدب لآل الفَخرِ وارع صهارةً ولا تتذَكر غَير خِل ملازِمِ
إذا نِلْت ما قد رمته مِن مآربٍ فما لَك والأشواق يا ابن الأكارِمِ ؟
تمسك بذَيل الحُر مهما لَقِيته فقد عز من تلْقاه خير منادِمِ

---

(١) يقصد بـ « عالَمِي » : أهلي وأولادي .

ودع عنك عِشق الغانِياتِ فقد مضى   شبابك واعشق سامِياتِ المَكارِمِ
ودم داعِياً للّهِ ناشِر حِكْمةٍ   وعِلْمٍ وأخلاقٍ بكُل المَعالِمِ
وقُل للذي يدعو إلى غَير هذِهِ الـ ـسـ ـبيل : أترضى لي بعيشِ البهائِمِ ؟
أنا ابن أبي بكرٍ طَموح إلى العلا   إلى إرثِ خيرِ الرسل صفْوةِ هاشِمِ
أتحسبني أنقَاد للترهاتِ ؟ لا   ولكن علَت في الخَافِقَينِ عزائِمي

ومن هذا اللون الطريف من المساجلات الشعرية ما دار بينه وبين القاضي الشيخ علي بن شيخ باحميد [1]، والذي تولى القضاء بأحور خلال أربعة أعوامٍ تقريباً، وقد كان لزيماً لسيدي الوالد في كثيرٍ من مساجلاته وروحاته، ولذلك فقد طاب بينهما الحوار، لقرب الجوار، فجاءت هذه الأبيات من سيدي الوالد تتضمن فكرةً يراد ا استقرار القاضي وكمال راحته في السادس عشر من ربيع الأول عام ١٣٨١:

يا أيها القاضي الوفي الألْمعِي   في النفْسِ آمالٌ تداني مدمعِي

---

(١) قامت السلطات المحلية باستجلاب هذا القاضي العلامة علي بن شيخ باحميد من مدينته سيئون الطويلة ليقوم بأعمال القضاء والحكم الشرعي في البلاد، وقد مكث يؤدي هذه الوظيفة قرابة أربعة أعوام تزوج خلالها بامرأة من أحور لم تعش معه طويلاً، فطلّقها، كما تعرض في آخر أيام قضائه إلى بعض الأذى من بعض أهل القضايا المتعلقة بالعقار والأطيان المتنافس عليهـا في هذه البلاد، وقد كان على جانب كبير من الحنكة والمعرفة في مادة عمله إضافة إلى ما حبـاه اللّه من اطلاعٍ على علوم الآلة وفروع الفقه بمختلف أبوابه، غادر البلاد إلى حضرموت بعـد أن ظهرت بوادر التغيرات الاجتماعية في المنطقة كلها، وأصيب في بلاده بمرض الشلل حـتى توفي منذ ما يزيد عن عشر سنوات تقريباً ولم أقف على تاريخ وفاته بالتحديد رحمه اللّه تعالى .

إن السعادةَ شأنها يا صاحبي ... ليست على عِلاّتها فافْهم وعِ
كُل المعاني قد تلُوح لشاعِرٍ ... فاحذَر فإنك عالِم بالمَوضِعِ
إني أُريد سعادةً زوجيةً ... لَكَ في هناءٍ ذي رواءٍ واسِعِ
في زوجةٍ مِن أرضِ أحور وصفُها ... يسبي اللبيب إذا دنى للمضجعِ
فيها اللطافةُ والأناقةُ قد حوت ... كُل الرشاقةِ ذاتِ حسنٍ موجِعِ
وتريح نفْسك مِن عناءٍ حاصِلٍ ... في كنسِ بـيـتٍ أو طَعامٍ مشبِعِ
وسمِيرةٍ في لَيلك الكَدِرِ الذي ... يطْويه شوق للتي في المَربعِ
فتزوجن إنْ شِئْت عيشاً هانِئاً ... فلقد مكَنْت بِشر حالٍ مهلِعِ
إنْ شِئْت تطْلُب غَير هذا فاعلَمن ... أني بريءٌ منك يوم المَرجِعِ
أو شِئْت تحريفاً لـكُـنـهِ مقالَتي ... فاحذَر فإني سوف أُبدِي ما معِي
إني أردت الخَير فيما قُلْته ... والله يهدينا لخير المَجمعِ
وكذا استقامتنا على دِينِ الهدى ... وعلى الصلاح وكُل خيرٍ مزمعِ
وشهادةٌ وعوارِف ومعارِف ... وكرامةٌ مِثْلُ التي في « المَشرعِ »
والله يرشِدنا لكُل فَضِيلَةٍ ... فهو المُوفق للمقامِ الأرفَعِ
إنْ قد قَنِعت بما أقُـولُ فمرحباً ... أو لم يكُن فاحزر كَلامِي أو دعِ
وعليك صلى الله بعد محمدٍ ... والآل والأصحابِ ثُم التـبـعِ

فكتب له الشيخ القاضي قصيدةً شعريةً على قافيةٍ أخرى وكتب تاريخها في ١٦ ربيع الأول ١٣٨١ وقد أكلت دابةُ الأرضِ الشطر الأولَ من صدر القصيدة :

.... فنظرت ما فيها فتهت محيرا

وتلوتها وقرأتها فوجدتها ... مِن حسنها تزري بشِعر الشنفَرى

يا لَك مِن نظْمٍ بدِيعٍ فائِقٍ ... سهلٍ منيعٍ لا يمل مكررا

أهداه لي شهم عظِيم أمره ... قد حاز مِن كُل المَعالي مفْخرا

في وعظِهِ أو عِلْمِهِ أو نسكِهِ ... إذ ليس بدعاً أنْ أقُولَ وأُخِيرا :

إنْ شِئْت وعظاً قال قولاً صادِقاً ... بالحَق دأباً ناهِياً أو آمِرا

أو شِئْت عِلْماً فَهو بحر زاخِر ... يشفِيك فيما جِئْته مستخبِرا

أو جِئْت في نسكٍ ترى سِيماه في ... ذاك المُحـ ـيـ ـا بادِياً متنورا

فاشكُر حبِيبي ما منحت مِن العلا ... فيزيدك الباري إذا ما تشكُرا

يا سيداً قد حزت مرتبةً علَت ... يقْصر عن إدراكِها كُل الورى

قد خصك الباري بفَضلٍ باهِرٍ ... وحباك مِن نعمائِهِ ما أبهرا

اللّه أكْبر هذِهِ البشرى لَكُم ... مِن فَضل ربي لا تباع فتشترى

وادع إلهَك للغرِيبِ بمطْلَبٍ ... واسألْه أنْ يعطِيه ما أضمرا

فلقد مضى مِنه الشباب بغفْلَةٍ ... وعن المَعادِ فلا يزالُ مقَصرا

ثُم الصلاةُ على النبي محمدٍ ... والآل والأصحابِ ما نجم سرى

وأجاب سيدي الوالد على هذه الأبيات بأبيات من ذات القافية :

إلى ابنِ حمِيدٍ صاحبِ الشعرِ والإطرا ... علي له التسلِيم ما عادتِ الذكْرى

رِسالَتكُم جاءَت إلَي عشِيةً ... تضمنتِ العتب وصِيغت لنا شِعرا

عزيزي أنا الخَجلانُ مِما مدحتم | أُعاتِب نفسي جهرةً وكذا سِرا
ولَست بأَهلٍ للمدِيح وللثنا | وهذا ثَناءٌ زِدت فِيهِ لنا إِطْرا
أخاف مِن المولى العظِيمِ بأنه | يعاقِبني في موقفِ الحَشرِ في الأُخرى
عليك سلام اللّهِ في حسنِ ظَنكُم | بمن عاش في الأخطال مِن عمرِهِ عمرا
عسى اللّه يجزِيكُم بما هو أهلُه | وأُعطِيت ما تنوي وزادكُم قَدرا
وأعطاك عيشاً في هناءٍ وراحةٍ | وعند حبِيبٍ طال ما سكن الخِدرا
ونفْسك في طِيبٍ وعيشٍ منعمٍ | وهمك مدفُوع وذِكْرك في الشعرى
ولو كانَ عِندِي وزنُ رضوى بذَلْته | لإِيصال عِلْمٍ في البداوةِ للذكْرى
نعلم جهالاً ونهدِي لأُمةٍ | إلى دِينِ خير الخَلْق من أُعطِي الإِسرا
وشكْراً لقد أحسنت في قَولك الذي | ترى ثَمِلَ الصهباءِ أمسى   ا سكْرى

ثم أجاب الشيخ علي بن شيخ باحميد   ذه الأبيات :

إلى العالِمِ النحرِير أُهدِي تحِيتي | إلى ابنِ أبي بكْرِ الفَقِيهِ ولا فَخرا
أتاني قَرِيض مِنه هيج خاطِري | وأنعش روحِي حيثُ ذَكرني القُطرا
وذَكرني سيئُونَ أَرضِي وموطِني | ومسقَطَ رأسِي والذي سكَن الخِدرا
مِن الأَهلِ والأولادِ يا حبذا بِهِ | مِن الذكْرِ إن الذكْر قد يشرح الصدرا
وإخوانِ صِدقٍ قد نعِمت بصحبهم | فهم في حِمى سيئُونَ عاطَوني الخَمرا
وقد منحوني حبهم ووِدادهم | وكِلْت لهم بالصاعِ بل زِدتهم مصرا
نعم إنه قد قال لي في قَرِيضِهِ | عِتاباً مريراً إن ما قُلْته إِطْرا

أليس عجِيباً تنكِرونَ حقائِقاً ... أتنكِر ضوءَ الشمسِ يا صاحبي ظُهرا
ألست تقُوم الليلَ بل لست حافِظاً ... جمِيع كتابِ اللّهِ تتلُوه بالمُقْرا
وهل ذا اعتِراف مِنك ؟ لا بل تواضع ... ترِيد بما فيك المُهيمِن والسترا
وقد قُلْت ما قد قُلْت إلاّ لأنني ... علِيم محِق في مقالي كذا أدرى
وأني خبِير إن ما قد نشرته ... مِن القَول حق ليس هجراً ولا نكْرا
أقُولُ لكُم والعين عبرى مِن البكا ... فذلِك فَضلُ اللّهِ أنتم بِهِ أحرى
وأطْلُب مِن ربي المَزيد لِذاتِكُم ... مع الفَضل والتوفِيقِ والنعمةِ الكُبرى
لِكي تبلُغوا الشأو الرفِيع مِن العلا ... وأنْ تقْبلُوني ضيفَكُم يا بني الزهرا
وهذا كِتابي نائِب عن مقالتي ... شِفاهاً وما في القَلْبِ أنت بِهِ أدرى

ومن لون إدخاله السرور رحمه اللّه تعالى على أرحامه وأصحابه نثبت هذه الأبيات التي كتبها لأخيه وقريبه السيد المنيب محمد بن أحمد بن شهاب الدين إمام مسجد العمارية « بن لادن » وذلك شكرا له على إهدائه « ا موع شرح المهذب » بتاريخ ١١ جماد أول ١٤٠٢، حيث كتب له ما صورته :

أسعد اللّه صباح الفاضل محمد بن أحمد شهاب الدين بن هارون حفظه الله آمين..

بعد التحية الطيبة، سيدي، لقد وصل المرسل « ا موع العظيم شرح المهذب » والتكملة، وعليه لا نـقدر عـلـى مكافأتكم إلا بالدعاء كما في الحديث، وذلك بظهر الغيب، وصدرت أبيات ركيكةٌ كما تراها :

إلى السيدِ المِفضالِ مِن آلِ هاشِمٍ ... هو ابن شِهابِ الدينِ للدينِ ينتسِب
محمدٍ الشهمِ الكرِيمِ أخي الوفا ... حباه إله الخَلْقِ بالحِفْظِ والأدب

لِقُرآن ربي حافِظاً ومرتلاً ... كذاك إمام حاز عالٍ مِن الرتب
وفي جمعةٍ يعلُو لِمنبرِه الّذي ... بِمسجِدِه المَعمـورِ يقْرأُ لِلْخطَب
وأهديت «لِلْمجموعِ» للشيخِ ذي الحِجى ... أنار لِدِينِ اللّهِ جوزِي بِما أحب
فشكْراً لَكُم يا خالَنا وابن خالِنا ... ذا الكِتابِ فهو بغيةُ من قَرب
إلى العِلْمِ يقْرا دائماً متلّهفاً ... كمِثْلِك دأباً طالِباً غايةَ الطلَب
فنشكُركُم عالجُودِ والهِمةِ الّتي ... فَعلْت وأعطَيت كما سيدِ العرب
محمدٍ المُختارِ مِن آلِ هاشِمٍ ... عليهِ صلاةُ اللّهِ ما كاتِب كَتب
مع الآلِ والأصحابِ دأباً وسرمداً ... وما منشِد قد حرك القَلْب والطرب

والدعاء لكم مبذول ومسؤول .

علي مشهور

ومن هذه المساجلات الطريفة ذات المضمون الرصين وجدت مجموعةً منها جرت بينه وبين تلميذه المبارك حسن بن سقاف الكاف نثبت منها هذه الأبيات في ١٣ من شهر المحرم عام ١٤٠١ كتب السيد حسن لسيدي الوالد ما صورته :

عود اللّه لنا يا حبايب كل العوايد ... في رحابك هنا بسطت إلينا موايد
يا ابن أبي بكر قد سبت الدنا والقلايد ... واتبعت الهدى وتقلبتك المساجد
سرت في سيرة الأسلاف راكع وساجد ... مثل جدك علي لي كان فاهم وناقد
واتبعت الألى في السر بالسر عاقد ... من رآهم لقي يا صحاب كل الفوايد
كالفقيه الذي قد كان للجيش قايد ... كم وكم منهم أقطاب وشهاب تالد
يا هل زنبل رثوا من قد بقي في المباعد ... عل يرجع إلى تلك الطرق والمشاهد
بانذوق الذي ذاقوه والقلب زاهد ... في أمور الهوى وابليس له بانباعد

إن نظرة لكم تجلب لمن كان شارد ... يكتسي بالرضا والأنس هي والعقايد
قلهم أعطفوا عطفة أبوه ووالد ... عل ينـزاح من قلبي الكرب
يا قريب الفرج سالك تعيد العوايد ... تجمع الشمل في الأوطان والخير زايد
في تريم التي دبغت بكل المحامد ... قرب مسجدك يا المحضار هو والمقالد
وألف صلوا على المختار يا عز ماجد ... وآله الكل والأصحاب أهل المقاصد
ما سرى البرق في الداجي وعادت عوايد ... وانجلى الشوش من قلبي وبسط موايد

فرد عليه سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى بالأبيات التالية في ١٧ محرم ١٤٠١ :

إلى السيدِ المِفضالِ مِن آلِ هاشمٍ ... هو المُحسِن الشهم الكريم المُساِند
هو ابن لسقّافِ العلا مِن تريمنا ... حباه الإله الفَضلَ بل والعوايد
فيا أيها الإبن المُبارك قُلْتم ... كلاماً جميلاً حاز ما كان شارد
ولكنني يا بني لَست بعالِمٍ ... ولا من مشى في سِيرةِ الأهلِ جاهدوا
ولكن حسن الظن منك أخا العلا ... نطَقْت بأقوالٍ وفيها فوائد
وذلك نصح منك أنْ أقْتِفي لمن ... ذَكَرت مِن الأقوامِ واللّه شاهد
فإني أنا العاصي وأطْنبت سيدي ... بقولِك في المشهورِ ما كان زايد
فلا علم عندي بل ذنوبي كثيرةٌ ... وليس وسِيلَتنا لها غير « أحمد »
كذا السادةُ الماضونَ مثلُ «فَقِيهنا» ... هو الشيخ من زالت به كم مناكِد
وأبناؤه علْوي وأحمد جدكُم ... فحزتم به يا آلَ كافِ المقاصد
ومِن بعدِه السقاف محضارنا الذي ... له كم كراماتٍ وذا الجَد شاهد

وفي السابع والعشرين من ذي الحجة عام ١٤٠١ أهدى السيد المذكور آنفاً حسن بن سقاف الكاف لسيدي الوالد كتاب « إتحاف المستفيد فيمن أخذ عنهم الحبيب محمد بن حسن عيديد » ففرح سيدي الوالد بالكتاب فرحاً شديداً وكتب إليه ما صورته :

بعد التحية، الموضوع الشكر على كتاب « إتحاف المستفيد » وماذا نقول من الشكر والثناء على إحضارك هذا الكتاب العظيم، من بلدنا تريم، وقد حوى تراجم السادات الكرام، أهل العلم والسيرة الحسنة، وقد فاقوا على الأنام، فجزاك اللّه خيراً، وأعطاك خير الدنيا والأخرى، وقد وجدت ترجمةَ سيدي الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور والحبيب عبدالرحمن المشهور والحبيب علي المشهور وغيرهم من أهلنا وسلفنا الذين ينيفون على أربعمائة شيخ، لسيدي وسندي ووالدي المكاشف والعارف باللّه محمد بن حسن عيديد رحمه اللّه تعالى رحمة الأبرار، فأنت أتيت بالضالة المنشودة الذي كنا نتمنى أن نجد هذا الكتاب فجزاك اللّه خير الجزاء، وقد طلعت أبيات ركيكةُ المبنى قليلةُ المعنى، والمقصود سرورك عند قراءتها، وفي آخرها ذَكَرنا الحبيب الفاضلَ البركةَ أبابكر بن صادق الكاف، والدعاء لكم مبذول والسلام .

إلى الحَسنِ العفِيفِ الشهمِ حقّاً إلى الكافِ الحَبِيبِ أَخِي المَعالي
فِنسبته تكُن حِساً ومعنى لِسقّافِ المَكارِمِ والجَمال
علَيك سلام ربي كُل حِينٍ مع الشكرِ الجَزيل بلا ملال
جزاك اللّه خيراً يا خِليلي بإهداءِ الكِتابِ حوى رِجالي
مشايِخ شيخِنا مِن آل طَه كِرامٍ قائِمين مدى الليالي
فيتلُونَ القُرانَ بِكُل عزمٍ ويبكُونَ خشوعاً في توالِ

تهجدهم تدبرهم بِفَهمٍ ـ لما قد يقْرؤونَ مِن الطوال
و« إتحافٍ » وترجمةٍ لشيخي ـ حبِيبي السيدِ الشهمِ الجَمال
محمدِ حسنٍ عِيدِيد حقاً ـ له كُل المَناقِبِ والخِلال
وعِشنا عِنده وقْتاً طَويلاً ـ وأكْرمني بِبنتيهِ اللآلي
وكاشفَني بما في القَلْبِ حتى ـ بما أهديت يا نسلَ الرجال
ووفقَك الإله بكُل خيرٍ ـ وأعطَاك العلُوم مع الكمال
وأيضاً ذاك بوبكْرٍ حبِيبي ـ وخِلي صاحِب الأدبِ المِثالي
تواضعه دواماً كُل حِينٍ ـ تجِده دائماً للذكْرِ تالي
لقُرآنٍ عزيزٍ أو لِعِلْمٍ ـ حدِيثِ الرسل في كُل الليالي
علَيهِ صلاةُ ربي كُل حِينٍ ـ وسلم بالغدو وبالأصال

وكتب إليه لزيمه ومحبه الودود الملآن، خالد بن سالم زيدان في ١٥ صفر ١٤٠١ أبياتاً ذكر أن بعض أصدقائه ساهم معه في استقامة أبيا ا قال فيها :

هجرت الأصدِقا والناس طُرا ـ ولم أنظُر سِواك أباً وأُماً
وها روحِي ترفْرِف في حماكم ـ وتبغِي مِنكُم أماً وأُما
ويجذِبني لَكُم ود قَدِيم ـ وحب في الحَشا أعمى وأصمى
وإنْ يركَن إلى الدنيا بنوها ـ فإن رِضاكُم أسنى وأسمى
بِهِ سم الخِياطِ تصِير روضاً ـ وإلاّ عاد حالي الشهدِ سما
سقاني الوجد كأساً مِن صفاكُم ـ وأصبح في فُؤادِي الشوق جما

وطاب الوقْت سِراً لي وجهرا فلا أُلْوي على الْلُواءِ مهما
وأعطاني إلهي فوق شأني وزيدني وأكْرمني بنعما

ومن لطيف دعاباته لبعض أصدقائه ما أتحفني به السيد الجليل سقاف بن محمد السقاف من رسالة وقصيدة شعرية بعثها له سيدي الوالد بعد عزمه على الزواج، وكتبها في ٢٢ القعدة ١٣٩٣ عندما كانا لزيمين بمكة المكرمة معا :

إلى السيدِ المِفضال سقّافِنا الفتى يلقب بالسقّافِ بين الخَلِيقَةِ
عليك سلام اللّهِ ما جِئْت مكةً شربت تضلعت بأفْضل شربةِ
بزمزم تروى والطوافِ بِنيةٍ وقد كنت تدعو في المَقامِ بدعوةِ
عليك سلام اللّهِ ما حصلَ الذي بِقَلْبِك مِن قُربٍ لِأهل المُروءَةِ
بني الكافِ مِن هجرين أهلُ مودةٍ وعِلْمٍ وآدابٍ وحسنِ عشيرةِ
مِن السادةِ القَومِ الكِرامِ لَهم وفا بِبنتِهم فيها العفاف سجِيةِ
هنيئاً أبا الأشبال فانعم مكرماً ذا حباك اللّه فاشكُر لِنعمةِ
فهذا مِن اللّهِ عطاءٌ معجلٌ مِن الجَنةِ العلْيا بِصبرِك مدةِ
فمن يعتصِم باللّهِ يحظى معوضاً ومن يتق اللّه يفَرجه كُربةِ
فنسألُ مولانا يدِيم لَك الهَنا ويعطِيك كُل البِر في كُل لَحظَةِ
وصلّى إلهَي كُل وقْتٍ وساعةٍ على أحمد المَبعوثِ في خير أُمةِ
وسلم تسليماً كثِيراً مضاعفاً عليهِ مع الأصحابِ والآل جملَةِ

حضرة السيد الجليل سقاف بن محمد السقاف ..
بعد التحية ..

هذي أبيات ركيكة المبنى، ولا تخلو من معنى، ملفق القافية والميزان، تقرا بالمغنا [(١)]، قصد التسلية والتهنئة، جاءت من سيئون تجر [(٢)] ذيولها، على أ ا مرت على تريم بخيولها [(٣)]، حتى وصلت إلى الهجرين فتقبضت [(٤)] بيديها كي لا تسقط من فوق الخيل، فحصل لها النفَس [(٥)] لما وصلت إلى قيدون بإذن اللّه .

والسلام

أخوك علي مشهور

ومن اهتماماته بأصدقائه ومجالسيه هذ الأبيات التي كتبها إيناساً للشريف محمد بن عز الدين الجَندليّ الشامي، الذي كان يتردد عليه في منـزله بالشرفية ويحرص على حضور مجالسه ودروسه، أهداها لنا الشيخ المذكور بقلم سيدي الوالد :

أيها الشيخ محمد	جندِلي الأصل والجد
لَك مِني ألف شكْرٍ	يا عزيزي يا محمد
قد ذهبنا اليوم حتى	دوخ الرأس بلا حد
ودفعت للدراهم	غير حصرٍ أو بلا حد
فسلام اللّهِ مِني	كل حينٍ يتجدد

(١) أي : تقرأ على صوت الغناء والنشيد .
(٢) كلمة « تجر » لقب آل سيئون منذ القدم .
(٣) « الخيول » لقب آل تريم .
(٤) « التقَبض » أو ما في معناه لقب آل الهجرين .
(٥) « النفَس » لقب آل قيدون .

طَولَ اللّه ِلعمرِك ثُم أعطاك بلا حد
ولِأرزاقٍ جزيلةْ ولمالٍ قد تعدد
وعوافي مِن إلهك صحةَ الأهل فتسعد
وتمتع ببنااِتك المنى بالرشدِ ترشد
وكذا البنت الصغيرةْ عانك اللّه يا محمد

ط ـ المَوْعِظَةُ والدَّعْوَةُ إلى اللّه

من أفضل ما بقي لنا في هذا الباب الواسع جمع مبارك كتبه الفقير إلى اللّه أبوبكر المشهور خلال مذاكرات سيدي الوالد في ا امع العامة التي كانت تقام بأحور ونواحيها، وهي عبارةٌ عن مذاكراتٍ متعددة المواضيع، منها ما هو في التربية الأخلاقية ومنها ما هو في التعلق بجناب الرسول صلى اللّه عليِه وآلِه وسلم والتحدث عن شريف شمائله وسيرته، ومنها ما يتعلق بحكم القضاء والقدر وتسليم الأمور للّهِ سبحانه وتعالى، ومنها في الحث على التقوى والاستقامة، ومنها عن خطر الغفلة والإعراض عن اللّه، ومنها في أدب النساء والحجاب الشرعي، ومنها في بر الوالدين وعظيم حقوقهما عند اللّه تعالى، ومنها في خطر ترك الصلاة وفضل الصلاة في الجماعة، وغيرها من المواضيع السامية التي كان سيدي الوالد يتكلم فيها مع العامة .

ي ـ مُراسَلاتُهُ النَّثْرِيَّة

وهي تكاد لا تجاوز عدد الأصابع، إذ كان سيدي الوالد عادةً لا يحتفظ بشيءٍ منها، وإنما وقفنا على بعضها في حوزة من كان سيدي الوالد يكتب إليهم من الأعلام والعلماء والمحبين، منها رسالة كتبها في ١٧ شعبان ١٣٨٨ إلى الشيخ العلامة مهدي بن أبي بكر الشقّاع منصب المحفد آنذاك مشتركةً إلى الشيخ المستقيم خطيب وإمام مسجد الجامع القديم بالمحفد عبدالله بن محمد باعباد، وفيها كتب سيدي الوالد ما يجده من سوء الزمان وفساد الأعوان ونقص الإيمان، وأشار فيها إلى ما يلاقيه سيدي الوالد من صعوبات في سبيل تنشئة أولاده في بلاد البادية، وخشيته عليهم من تأثيرات الانحراف ومضِلاّت الفتن .

والحق يقال : إن ا اورة لمواقع الانحراف، تسيء إلى الأشراف، ولو باليسير، فقد كان لأبواق الحداثة وصراخ الجهالة وتطبيل المنحرفين أثر كبير في نفوس البعض منا واستتباع لظواهر الرعاية الجوفاء، حتى إذا ما حصحص الحق استبان بالدليل القاطع أن فزع سيدي الوالد من عصره كان عين الصواب، وأن عزل التربية عن تأثير الضلالات من حكم الوجوب الشرعي، للراعي والمرعي، وهذا نص الرسالة :

بِسمِ اللّهِ الرحمنِ الرحِيمِ

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، حضرات الكرام الأجلاّء المحترمين، الشيخ الهُمام، مهدي بن أبي بكر الشقاع والشيخ عبدالله بن محمد باعباد حفظهما الله آمين، سلام يغشاكم، وعين ترعاكم، مشرفُكُم العزيز وصل، وفهمناه وبه السرور والفرح حصل، ذكـرتـم وأطنبتم في مدح الفقير،

المقر بالعجز والتقصير، ولا هناك عندنا جد أو تشمير، وإنما حسن ظنكم، حقّق اللّه ما قلتم، اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون، وأنتم ذكرتم اعترافكم بالعجز والكسل حاشاكم .

إن العاقل في هذا الزمان والمتمسك بسيرة سيد ولد عدنان، والذي عزف عما عليه أهل الخرطان، والكلام الفارغ الذي ليس له محل ولا مكان، فهو الآن في رتبة الصحابة لسيد ولد عدنان، كما قال عليه الصلاة والسلام : « يأتي على الناس زمانٌ للعامل فيه أجر خمسين، قال الصحابة : منا أو منهم ؟ قال : منكم » فأبشروا فإنكم والحمد للّه ـ الاستقامة هي أعظم كرامة ـ مستقيمين على طاعة اللّه وقائمين بأوامر اللّه ورأيتم رجالاً من أهل اللّه، فحاشا اللّه أن يخيب من أحسن الظن بأولياء اللّه، ذكرتم أهل الزمان ونـزوع الحياء والمروءة والصدق والوفاء، لا يخفاكم أن الحبيب عبداللّه الحداد قد ناح وبكى وصنف « ديوانه » كله في ونا، فقال :

مضى الصدق واهلُ الصدق يا سعد قد مضوا فلا تـطْـلُـبـن الصدق مِن أهل ذا
فليس لُهم صِدق ولا يـعـرفُـونـه قد ارتـبـكُـوا في لُجةِ المَين والدرنْ

وفي القصيدة الأخرى يقول :

يا سعد راح الوفا واهله وراح الجميل وراحوا القوم ذي كانوا هداة السبيل

إلى آخر ما قال، وما ذكرتم من أحوال هؤلاء الشباب نعوذ باللّه، نـزغةٌ شيطانيةٌ، اللّه يحفظ، وأولادنا نحن في غاية المحافظة عليهم حتى بلغ من تأديـبـي الضرب والنصح في كل حين ؛ ولكن أهل الزمان يدخلون فيهم كالسم الناقع من الحناش الضارة، يريدون يعطّلون أولادنا علينا، ولا درينا إيش نعمل لهم ؟ ققص

نطرحهم فيه ؟ بايقولون مجنون، وإنما نساير الزمان وأهله، ودايم فوقهم بالصميل والجميل، وأنا واللّه أقسم يميناً بأن في هذا الوقت الأحسن ألا يتعلم الولد لا في متوسطة ولا ثانوية ولا يتوظف وظايف حكومية بل أحسن له يكون في دكّان، إذا لم يقم بطلب العلم ونشره في كل مكان .

كما أعلمكم أني متألم كثير مما عليه شباب أهل هذا الزمان، إما شيوعي ملحد أو كافر صريح، لا حياء ولا حشمة ولا خوف من اللّه، وأولاد هذا الزمان معاد لهم رغبة في طلب العلم، وإلا فأنا مبذول ليل ار، بل بعد كل صلاة نقرر في الفقه والحديث والتفسير ولكن ما حد يحضر، قال بن حسين :

يقول خو طاهر : عسى اللّه يعين من ذا الزمان لكشف

راحـ ـوا هـ ـلـ ـه قـ ـفـ ـا إبـ ـلـ ـيـ ـس الـ ـرجيم .. إلخ مـ ـا قـ ـال .

يا حافظ يا حفيظ، ولهذا أحببنا أن يكون « العدني » عندكم أو عند البدو أحسن من مجالسة من لا خير فيه، وعسى اللّه يحفظهم ويجعلهم قائمين بنشر العلم والتعليم، وأنتم عليكم النصيحة أنت وباعباد، والصائح قفا الصائح لابد يفيد، والله الهادي إلى سواء السبيل .

١٧ شعبان سنة ١٣٨٨

علي بن أبي بكر بن علوي المشهور

ومن ألوان رسائله ذات المضمون الديني والداعية إلى الإصلاح والصلاح ما وافانا به الشيخ عبدالله بن علي جنيد بامزاحم [1]، معلم وإمام وخطيب مسجد الجامع بقرية لباخة من وادي حمراء بأرض المحفد من أعمال العوالق السفلى سابقا، وفي الرسالة يظهر دور الإصلاح وجمع الكلمة التي كان سيدي الوالد يبذلها للبادية من أجل صلاح أمر دينهم ودنياهم، وقد كتبها إلى كافة أهل القرية لما علم باختلافهم حول صلاة الجمعة في مسجد واحد، حيث ترغب كل قبيلة أن تكون الجمعة في المسجد القائم بدورها ومحلتها، وحمل الرسالة إليهم معلمهم وخطيبهم الشيخ المبارك عبدالله علي جنيد حيث قرأها عليهم في يوم الجمعة، وهذا نصها :

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم :

إلى جناب المكرمين / الساكنين بوادي لباخة حفظهم الله آمين

بعد التحية الطيبة ..

نرجوكم جميعاً بعافية، لقد بلغني اختلافكم من جهة صلاة الجمعة، هذا شيء لا يـرضـي الله ولا رسـولـه، احذروا من الاختلاف، فإنه سبب القحط وعدم

---

(١) الـشـيـخ عبدالله بن علي جنيد من تلاميذ سيدي الـوالـد وخاصته حيث تلقى علـى يده باكورة معارفه وعلومه بمدرسة أحور، ثم أرسله أبوه بواسطة سـيدي الوالـد إلى تـريم لطلب العلم الشريف، ومكث في الرباط أكثر من ست سنوات انتفع خلالها انتفاعاً كـبيراً، وظهر عليه أثر العلم وأخذ على شيوخ ذلك العصر أخذاً مباركاً ثم عاد إلى أحور وعمل ـا معلماً للدين في المدارس وإماماً وخطيباً وواعظاً بمسجد أجداده في حصن عجـلان، ثم بعثـه سيدي الوالد إلى وادي لباخه مرشداً وداعياً ومعلماً، فانتفع به النـاس ورغبـوا في وجـوده بينهم، واشتد ارتباطه م حتى اليوم والليلة، حيث بقي يتردد على بلاده أحور خلال العطل السنوية فقط .

نـزول المطر، وفرح الشيطان وغضب الرحمن، فإن الله يقول : { ولا تنازعوا فتفْشلُوا وتذْهب رِيحكُم } ويقول : { واعتصِموا بِحبل اللّهِ جمِيعاً ولا تفَرقُوا واذْكُروا نِعمةَ اللّهِ علَيكُم إِذْ كُنتم أعداءً فألف بين قُلُوبكُم فأصبحتم بِنعمتِهِ إِخواناً } والآن أنتم مسلمون، وقد انتهى عصر الخلاف، فتجب المحبة والمودة، فبهما تحصل من الله البركة والرحمة في قلوبكم أيضاً، ولا هناك حاجة للاختلاف، وهذي بيوت الله، وأينما كانت الجمعة في أي مسجد من المساجد فهي جائزة، المقصود إقامة شعائر الله وعدم ترك الجمعة، ففي الحديث « من ترك ثلاث جمع فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله »، ويجب مقاتلة القرية التي لا تقام فيها الجمعة، فباختلافكم ستفشلوا، والنتيجة عدم الصلاة، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فالآن الرجاء منكم بعد وصول كتابي اتفقوا على أن تكون جمعة في الأعلى وجمعة في الأسفل حتى تكون خواطركم صافية، وإلا إذا اتفقتم على جمعة في مسجد واحد فهو أحسن ؛ ولكن خوفاً من سوء الظن من بعضكم البعض ومن الشقاق والنـزاع أخبرتكم بأن تصلوا جمعةً هنا وجمعةً هنا، فالرجاء أن توافقوا على ما ذكرت، وعلى ما يخبركم به عبدالله علي كفاية، وفقكم الله لكل خير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

علي بن أبي بكر المشهور
محرر ١٦ / ٥ / ٨٢

والجدير بالإشارة أن الرسالة أثرت تأثيراً بالغاً، واتفقوا على أن تقام الصلاة بالمسجدين على التناوب .

ك ـ نبْذَةٌ مِن مَواعِظِهِ وخُطَبِهِ الدِّينِيَّة

سبق لنا القول أن دورة الأيام والليالي في مجموع حياة سيدي الوالد رحمه اللّٰه تعالى كانت مصروفةً من أجل العلم والتعليم والذكر والتذكير، ولا أبالغ لو قلت : إن لحظات النوم التي يختطفها للتخفيف من وطأة الإرهاق المتصل هي لونٌ من ألوان الدعوة وصورةٌ من صورها، فهو لا ينام لينام، وإنما هو ينام لِيسهلَ عليه مواصلةُ السهر والقيام .

وقد كان رحمه اللّٰه مرتباً أوقاته غاية الترتيب، شعاره حديث رسول اللّٰه صلى اللّٰه علَيهِ وآلِهِ وسلم الذي أقر عليه سلمان في توجيهه لأبي الدرداء حين قال له : «إن لنفسك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقا، وإن لبدنك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه» .

والأمر الآخر الذي لابد من ذكره في مجال الدعوة هو التجرد الدائم في تحقيق الهدف المنشود من نشر دعوة الحق في الحضر والبادية دون توجيه أحدٍ من الناس ولا تحت إدارة سلطةٍ أو استشارة دولةٍ أو اختيار فردٍ أو جماعةٍ، كما لم يكن في دعوته متأثراً بمبدأٍ سياسي، ولا مذهبٍ عقائدي يخرجه عن مذهب أهله وأسلافه، ولذلك كان لدعوته قَبولٌ حسن واحترام منقطع النظير .

وقد كانت له منذ حلوله بأحور مذاكرات وعظيةٌ في مناسباتٍ عدةٍ كان منها ما هدى اللّٰه الفقير بتوجيه سيدي الوالد إلى إثباته خلال ا الس التي يعقدها لقراءة السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ثم قرأ ا عليه في ا الس الخاصة

بنا أو بأخص خواصه، وهنا نثبت من هذه المواعظ نبذاً يسيرةً تحمل رؤوس الأفكار وأسس المواضيع التي كان يتناولها رحمه اللّه تعالى .

فمن كلامه رحمه اللّه تعالى ليلة الجمعة ٤ جماد الأولى من عام ١٣٨٥ بمسجد الجامع الجديد بعد إنشاد الفقير بقصيدة الإمام البرعي التي مطلعها :

يا صاحِب القَبر المُنير بيثْرِبِ يا منتهى أملي وغايةَ مطْلَبي

قال رحمه اللّه تعالى :

لقد من اللّه على المؤمنين إذ بعث اللّه فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، عباد اللّه: تخيلوا كيف كان الناس ! وكيف كان الجهل ! وكيف كان الزنا ! وكيف كان القتل! وكيف كان الظلم ! وكيف كان الإشراك باللّه ! وكيف جاء محمد بن عبداللّه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، شخص واحد يتيم مستهانٌ بين قومه ليس له قَدر عندهم يسمونه يتيم أبي طالب، ثم بكل أناةٍ وحلمٍ وصبرٍ دعا الناس إلى الهدى، دعا الناس إلى الرشدِ، ولم يقابلْ منهم إلاّ كُل عتو ونفورٍ، ألم تعلموا أنه كان يوماً ساجداً تحت الكعبة فرأوه كفار قريش، فقال لهم أبوجهل الملعون : من منكم يأتي بالسلا حق ناقة آل فلان ؟ فذهب عقبة ابن أبي معيط وأتى به ووضعوه على الرسول صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم وهو ساجد حتى جاءت سيدتنا فاطمة رضِي اللّه عنها فأزاحت عنه السلا، فرفع رسول اللّه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم رأسه ودعا عليهم جميعاً فقتلوا جميعهم في بدر، ويوم آخر خنقوا الرسول صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، ويوما رجموه بالحجارة حتى أدموا رجليه فجلس، وإذا بملك الجبال يقول : يا محمد، أتريدني أُطبق عليهم الأخشبين ؟ كيف كانت رحمته صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم ؟ هل كان

ينتقم ؟ هل غضبه يزيد عليه ؟ لا، بل قال : يا جبريل، إني أريد أن يخرج اللّه من أصلا م من يتولاه، ولم يقل كما قال سيدنا نوح : { رب لا تذَر على الأرضِ مِن الكَافِرين دياراً }،وقد علّم قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً .

وهذا رسول اللّه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم انظروا إلى محبته في أمته، وإلى هذا التعب الذي لاقاه الرسول في مبدأ الإسلام وقبل إسلام سيدنا عمر، وعندما أسلم قال لهم : لم لا تصلون في المسجد ؟ قالوا : نخاف من المشركين، فقال لهم : اخرجوا، وخرج الرسول صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم وصلى م أول صلاة في المسجد، وكان سيدنا عمر على أحد الأبواب قائم وعلى الباب الآخر سيدنا حمزة وكلما رأى المشركون عمر تراجعوا، ثم بعد ذلك انتشر الإسلام رويداً رويداً ؛ ولكن المشركين كانوا يعذبون من أسلم، بلال رضِي اللّه عنه سيده أمية بن خلف كان يعذبه ويمدده في الصحراء المحرقة ويرميه بالأحجار ويضع على بطنه الأحجار الكبيرة وهو يقول : أحد أحد، فرد صمد، حتى مر يوم من الأيام سيدنا أبوبكر الصديق وبلال يعذب فقال سيدنا أبوبكر لأمية : اترك هذا المسكين، فقال أمية : إنك أنت أفسدته، فقال أبوبكر : تبيعه لي ؟ قال : نعم، فاشتراه سيدنا أبوبكر وأعتقه في سبيل اللّه، وهكذا كان كل من أسلم يؤذونه، حتى قال لهم الرسول : هاجروا، فهاجروا إلى الحبشة إلى عند النجاشي فأكرمهم وآواهم وآمن النجاشي، ثم أمر الرسول بالهجرة إلى المدينة وبدأ هناك يدعو الناس إلى الهدى، ثم أمر بالجهاد وجاهد الرسول صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم في أكثر الغزوات، منها غزوة أحد والذي أمر فيها رسول اللّه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم عبداللّه بن جبير مع جماعة من الناس بالجلوس على الجبل وقال لهم : لا تخرجوا إن نصرنا أو هزمنا، فعندما رأى الرجال الذين معه أن المسلمين قد انتصروا نــزلوا يجرونَ ليلحقوا بالغنائم، ولم يبق في الجبل

إلا عبدالله بن جبير ونفر قليلٌ، فعندما رأى المشركون قِلتهم ردوا الكرة وحملوا على المسلمين وقتلوا من المسلمين سبعين، وشج رأس رسول الله صلى الله علَيهِ وآلِهِ وسلم، وكانت فاطمة رضِي الله عنها تمسح الدم، وسيدنا علي يمسحه عن وجهه، وأحرق الحصير ووضعوه على الجرح، وقبلها غزوة بدر التي نـزلت فيها الملائكة تقاتل .

الدين لم يجي سهل، رجع رسول الله صلى الله علَيهِ وآلِهِ وسلم يوماً من الجهاد وأراد أن يستريح فنـزل عليه جبريل وقال : أتنام وبنو قريظة قد نقضوا العهد ؟ فقام رسول الله وصاح في قومه وقال : لا يصلين العصر أحد إلا في بني قريظة، ونحن ماذا عملنا ؟ لا جاهدنا، ولا صلينا بالليل، ولا أمرنا بمعروف ولا ينا عن منكر، الأعمال الصالحة اونوا الناس فيها، الشيطان أصبح يلعب بنا لعب الكرة، إذا لم نجاهد في سبيل الله يجب علينا نجاهد النفوس، كان رسول الله صلى الله علَيهِ وآلِهِ وسلم يسير مع عمر فقال : يا عمر، رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، فـقـال عمر : يا رسول اللهِ كنا نتجالد مع المشركين بالسيوف، فقال الرسول صلى الله علَيهِ وآلِهِ وسلم : يا عمر، إ ا نفسك التي بين جنبيك عدوك، هي التي تأمرك بالقبيح .

{ ومن جاهد فإنّما يجاهِد لنفْسِهِ }، والنفس فيها قاعدة، إذا أنت هذبتها وألفتها التقوى فهي تعينك على الخير :

والنفْس كالطفل إنْ تهمِلْه شب على حب الرضاعِ وإنْ تفْطِمه ينفَطِمِ

الطفل بعد سنتين يفطموه،وإذا خلوه يرضع بايرضع حتى وهو ابن أربع سنين أو خمس .

انـظـروا في صلاة الصبح كيف يكون الإنسان في مجاهدة نفسه، الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول : إذا نام أحدكم يأتي الشيطان ويعقد على قافيته ثلاث عقد، يقول : عليك ليل طويل فارقد، فإذا قام وتوضأ انحلت عقدة، وإذا قام وصلى انحلت عقدة، وإذا قام وحمد اللّه انحلت العقد كلها وأصبح طيب النفس نشيطا وإلا أصبح خبيث النفس كسلان، وهذا مجرب، كيف لو قالوا : بكرة مسافر إلى عدن الساعة أربع قدك مفتح عيونك، وليلة الحراوة عاد الحريو [1] ينام ؟ لا، قد ما هو داري متى باتجي العروس.

وإذا نمت اشكر اللّه، يومك تنام بخير لا شي يوجعك، لا ضرسك ولا رأسك ولا شيء، كيف إذا كنت مريض، باتصيح وباترجع إلى ربك، { وإذا مس الإنسانَ ضر دعا ربه منيباً إليه }، فاشكر النعمة إنك تصلي الصبح في جماعة، ما حد بايقوم الليل، { ومن الَّليل فَتهجد بِهِ نافِلَةً لَك عسى أَنْ يبعثَك ربك مقاماً محموداً } .

أبويزيد البسطامي كان يقرأ على والده : { يا أيها المُزملُ } قال له أبوه : لأنه كان إذا جاءه الوحي يزملوه، أي : يغطوه، فقال الولد : لماذا ربي يقول له : {قُمِ الَّليلَ} ؟ قال الوالد : اللّه يقول لنبيه : { قُمِ الَّليلَ } يريده يتهجد، فقال الولد : وليه أنته ما تقوم كما رسول اللّه ؟ قال له : يا ابني، النبي رجل صاحب قوة وعزم ونشاط ونحن كا نقدر كما رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، فسكت الولد، وقرأ حتى قوله تعالى : { وطائِفَةٌ مِن الذِين معك } قال له : يا أبة، من هم

---

(١) الحِريو في لهجة أحور ونواحيها اسم يطلق على الزوج أو العروس، والحراوة هي حفل الزفاف .

هؤلاء الطائفة ؟ قال الأب : هؤلاء أصحاب محمد، قال : يقومون الليل ؟ قال : نعم، قال : وليه أنت ما تقوم كما هم ؟ قال : ذولا أصحاب النبي عندهم قوة ونشاط وملكة، نحن ما نقدر، قال له الولد : يا أبة، لا خير في رجل لا يتبع محمد ولا أصحابه .

حياه اللّه من ولد، إيه قياسكم في عيال الزمان، بايقولون هكذا ؟ ثم إن الوالد اعتبر بكلام الولد وقام الليلة الأولى، وفي الصباح سأله الولد : هل قمت البارحة ؟ قال : نعم، قال ولده : ما قيمتي معك ؟ قال : عادك صغير ولا باتقدر، قال الولد : ربي يوم القيامة يجمع الكبار والصغار أو الكبار فقط ؟ قال : الكبار والصغار، قال : أترضى لي بالنار ؟ فصار لوالد والولد يقومون الليل (١) .

ومن كلامه رحمه اللّه تعالى ليلة الجمعة في الخامس من رجب عام ١٣٨٥ بمسجد الجامع بعد إنشاد الفقير بقصيدة الإمام عبداللّه بن علوي الحداد :

وصِيتي لك يا ذا الفَضل والأدبِ ... إنْ شِئْت أنْ تسكُن السامِي مِن الرتبِ

قال رحمه اللّه تعالى : الحبيب عبداللّه حداد يوصي الحبيب أحمد بن زين الحبشي ويشهد له أنه من أهل الفضل والأدب، ويقول له :

.... إنْ شِئْت أنْ تسكُن السامي مِن الرتبِ

وتدرِك السـبـق والغاياتِ تبلُغها ... مهـنـأ وتنالَ القَصد والأربِ

---

(١) للمذاكرة بقيةٌ مـثْـبـتـةٌ في « كُراسِ المَواعِظِ والمُذاكراتِ » .

ماذا يعمل ؟ قال له :

تقوى الإلهِ الذي ترجى مراحِمه   الواحد الأحد الكشاف للكُربِ

لماذا ؟ لأن التقوى هي التي جمعت المحاسن كلها، فمن أراد اللّه أن يجعل له فرقاناً بين الحق والباطل فعليه بالتقوى، يقول اللّه تعالى : { يا أيها الذين آمنوا إنْ تتقُوا اللّه يجعلْ لكم فُرقاناً ويكفر عنكم سيئاِتكُم }، فعرفنا أن جميع الفضائل في التقوى، يقول اللّه سبحانه وتعالى : { ولَقَد وصينا الذين أُوتوا الكِتاب مِن قَبِلكُم وإياكُم أن اتقُوا اللّه }، ويقول لحبيبه محمد صلى اللّه علَيِه وآلِهِ وسلم : { يا أيها النبي اتق اللّه } .

ثُم قال الحبيب :

....   الواحِدِ الأحدِ الكشافِ للكُربِ

سبحانه، هو الذي خلقني فهو يهدين، والذي يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين .

ويقول سبحانه جل وعلا في آية أخرى : { أمن خلَق السماواتِ والأرض وأنزلَ لَكُم مِن السماءِ ماءً فأنبتنا بِهِ حدائِق ذات بهجةٍ ما كان لَكُم أنْ تنبِتوا شجرها ؟ أَإله مع اللّهِ ؟ بل هم قَوم يعدِلُونَ . أمن جعلَ الأرض قَراراً وجعلَ خِلالَهَا أنهاراً وجعلَ لها رواسِي وجعلَ بين البحرين حاجزاً ؟ أَإله مع اللّهِ ؟ بل أكْثَرهم لا يعلَمونَ . أمن يجِيب المُضطَر إذا دعاه ويكْشِف السوءَ } .

انظروا إلى المضطر من الذي يدركه ؟ ومن الذي يخرجه من الشدايد، هو اللّه سبحانه وتعالى، يوم من الأيام خرج مالك بن دينار في البرية فرأى نخلتين واحدة خضراء حية والأخرى يابسة، ورأى غرابا أو طائرا يطير من النخلة الحية إلى النخلة الميتة وهكذا، فصعد النخلة اليابسة فرأى في أعلاها حيةً عظيمةً عمياء فاغرةً فاها والطائر يأتي بالتمر من النخلة الحية ويلقيه في فم الحية العمياء، فتعجب مالك وقال: إذا اللّه سبحانه ما ضيع الحية هذه فكيف بابن آدم، أو كما قال .

ل ـ الإجازاتُ والوَصَايَا

جرت عادة أسلافنا الأفاضل أن يكْـتـب كَبِيرهم لِصغِيرهِم، وممِدهم لِمستمِدهِم، ومأذُونهم لِمستجِيزهِم، وشيخهم لِمريدِهِم تقليداً توارثه الأبناءُ عن الآباءِ عن الأجدادِ، إلى الأبِ الأعلى، والفخرِ الأجلى، رسول اللّه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، يجمعونَ فيه شيئاً من العظات والعبر والوصايا القيمة والتوجيهات الروحية ذات الصبغة الرياضية، وا اهدة النفسية والمكابدة الحسية، رغبةً في قطع طريق السير حتى بلوغ الأُمنِية، التي بلغها شيوخ الطريقة العلَوية، ويضمنو ا أسانيد وإشاراتٍ وبشاراتٍ، وشعاراتِ أهل الكمالاتِ، ممن درجوا على سننِ الكمال، ومعارج الوصال، والمراقي العوال، ليستقي منها المستمد والمريد قَبس الهدى وجذوةَ الاتصال، وتكون دليلاً عملياً في كل حال .

وعلى هذه السنةِ الحسنةِ، والنحلَةِ المستحسنة، كان لسيدي الوالد رحمه اللّه تعالى من بعض أشياخه وآبائه وصايا وإجازات، ومِنح وعطِيات، ومواهب وفُيوضات، منها ما حفظته الأوراق فبقي لنا مناراً وتذكاراً، ودليلاً حياً نستمد منه

سنا النور الباهر، ولمع الحب الطاهر، ومنها ما اندرج واندرس في أحداث الزمان، وضاع بين الإمكان وعدم الإمكان، وقد وقعت اليد على شيءٍ من هذه الوصايا والإجازات بحوزة بعض المحبين المتعلقين، ومنها ما وجد بين طيات الأوراق المحفوظة والمذكرات الموجودة، وكلها تحتوي علوماً لدنيةً، وإشاراتٍ غنية، وبشاراتٍ هنية، نسأل اللّه تعالى أن ينفعنا ا أجمعين .

فمن هذه الإجازات المكتوبة ما وجدته بخط سيدي الوالد في مذكرةٍ صغيرةٍ اصطحبها معه من حضرموت إلى أحور عام دخوله إليها في شعبان سنة ١٣٦٢ جاء فيها ما مثاله :

هذه إجازةٌ من سيدي الوالد خاصة قبل وفاته أجازه فيها رجلٌ من أهل الصلاح، وهي لتسهيل الرزق:

« اللّه الكافي، قصدت الكافي، وجدت الكافي لكل كافي، كفاني الكافي، وللّه الحمد» أربع مرات [1] .

قال سيدي الوالد : أجزت ولدنا البار وسلوتنا وأنيسنا وجل مطلبنا من الدنيا ونعيمها علي بن أبي بكر السكران المشهور [1]، ثم علق عليها سيدي الوالد بما صورته « نقلته من خط سيدي الوالد ».

(١) لما قُرئت هذه الإجازة المباركة بمجلس الدرس الصباحي المقام بمنـزل الحبيب البركة عبدالقادر بن أحمد السقاف ضمن قراءة نص الترجمة بلسان الولد سقاف بن أبي بكر المشهور أشار السيد عبدالرحمن بن داود الجيلاني إلى أن هذا الذكر ا از فيه سيدي الوالد من الجد أبي بكر منسوب للإمام شيخ التصوف الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه اللّه تعالى، وأشار إلى أنـه مثبت في كتابه المسمى « الفيوضات الربانية » .

ومن الوصايا والإجازات، الجديرة بالإثبات، الحاوية على أحسن التوجيهات والإشارات، ولطيف العبارات، وصافي النيات، تلك الإجازة الخطية التي أوصاه ا وأجازه فيها الحبيب العلامة، والقدوة الفهامة، نسخة الأسلاف، الإمام الداعي إلى اللّه بقوله وفعله محمد بن هادي السقاف، شيخ المتأخرين، وقدوة الداعين إلى اللّه بأمر الدين، وذلك خلال زيارة سيدي الوالد له في منـزله بمدينة سيئون في شهر رجب من عام ١٣٦٢ وهو في طريقه إلى نشر الدعوة إلى اللّه بأرض البادية، حيث ذكر أنه مر عليه للاستمداد والتوجيه وحسن الأخذ برأيه، فأعطاه هذه الإجازة المباركة والتي كتبها أيضا لولده السيد عبدالقادر بن مـحـمـد بن هادي السقاف، وهذا نصها :

الحمد للّه ومنه نستمد، وعليه نعتمد، ونسأله التوفيق والعناية والرعاية والحفظ والسلامة، واللّه يفعل ما يشاء ويختار، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله الأطهار، وصحبه الهداة الأقمار، وبعد فإن الولد عبدالقادر بن محمد [٢] عزم إلى الحرمين لأداء النسكين وزيارة سيد الكونين، واللّه المأمول، أن يبلغه كل سول، ويجمعه بكل مأمول، وأن يجمعه بما فيه الخِيرةُ الصالحة والعاقبة الحسنى، في الدين والدنيا

---

(١) لم يعرف لقب الجد أبي بكر بالسكران إلا من هذا النص المكتوب في الإجازة .

(٢) للحبيب محمد بن هادي السقاف أولاد أربعةٌ : علي، وعبدالقادر، وسالم، وحسين، وقد نال كل منهم نصيبه من الأدب والتربية والعلوم الشرعية وعلوم الآلة وغيرها، حيـث كـان والدهم الحبيب محمد بن هادي إمام عصره في التعليم والتدريس والقـدوة الحسـنة في الأدب والأخلاق النبوية، فلا غرو أن يبذر هذه الفضائل وينميها في أنجاله، وهم الآن مقيمـون في أرض الحجاز، ولهم زيارات متفرقةٌ إلى حضرموت في بعض السنين .

والأخرى، ونأمره ونوصيه بملازمة التقوى، في السر والنجوى، والصبر والشكر، وهو أفضل طريقٍ موصلٍ إلى اللّه، إن الشيطان لو علم طريقاً توصل إلى اللّه أفضل منه لوقف عليها، فانظر إلى قوله : { ثُم لآتِـيَـنَّـهُـم مِن بين أيدِيهم } إلى قوله : {ولا تجِد أكْثَرهم شاكِرين } ولم يقل : « صابرين » ولا « خائفين »، وحسن خلُقَك مع الخلق جميعاً، فإن صاحب الخلق الحسن يدرك درجة الصائم القائم، ونـزه صدرك عن إضمار الغش والمكر والخديعة والبغض والأذى والحسد والكبر على أحد من خلق اللّه، وأصبح وأمسى غيرنا وظلم أحد، وتواضع للّه ولا ترى لنفسك قدراً على أحدٍ ذوقاً، ولا ترى أنك متواضع، وأحسن إلى من أساء إليك، فإن من أحسن إلى من أساء إليه فقد أخلص للّه شكراً، ومن أساء إلى من أحسن إليه فقد بدل نعمة اللّه كفراً .

واعتمد في كل أمورك على اللّه في إيرادك وصدورك، واستعن به، واجتهد فيما طلبه اللّه منك، قال في « الحِكَم » : «اِجتهادك فيما ضمِن لك وتقْصِيرك فيما طُلِب منك دليلٌ على انطماسٍ بصِيرتك »، وفي التوراة : « يا ابن آدم، خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، وفي أكثر منه فلا تطمع، ومن أقل منه فلا تجزع، فإن أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندي محموداً، وإن كنت لم ترض به فوعِزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البر ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندي مذموما، يا ابن آدم، خلقت لك السماوات والأرضين ولم أعِي بخلقهن، أيُـعْـيِـيـني رغيف أسوقه إليك من غير تعب ؟ يا ابن آدم، أنا لك محب، فبحبي كن لي محباً، يا ابن آدم، لا تطالبني برزق غدٍ فإني لا أطالبك بعمل غد، إني لم أنس من عصاني فكيف من أطاعني » .

وسِر في طريق الرضا وجانب طريق الردى، والطريق إلى اللّه على عدد أنفاس الخلائق، وأهل الطريق إلى اللّه ثلاثة : عباد ومريدون وعارفون، فطريق العبادكثرة الأعمال والتجنب من الزنا وسائر طرق الـضـلال، وطريق المريدين تخليص الباطن من الشوائب والنفور عن المشغلات، وطريق العارفين تخليص القلب للّه تعالى وبذل الدنيا والآخرة في طلب رضاه، ويعين على ذلك قِصر الأمل، فإن فيه الخير كله، وفي طوله الشر كله، ومن مناجاة موسى : يا موسى، لا تطِلْ في الدنيا أملَك فيقسو قلبك، والقلب القاسي بعيد مني .

وعن مالك بن دينار : « ما ضرب اللّه عبداً بعقوبةٍ أعظم من قسوة القلب »، ومما يورث قسوة القلب حب الطعام وحب الراحة وحب النوم والغفلة عن اللّه، شكى أسامة بن زيد إلى رسول اللّه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم قسوة قلبه فوضع يده على صدره فقال : اخرج يا عدو اللّه، فبكى، ثم قال رسول اللّه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم : « جمود العين من قسوة القلب » أي : وقسوة القلب من كثرة الذنوب، وكثرة الذنوب من الغفلة، والغفلة من نسيان الموت، ونسيان الموت من طول الأمل، وطول الأمل من الحرص على الدنيا، والحرص على الدنيا من حب الدنيا، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، فينبغي للعبد أن يؤثر ما يبقى للآخرة على ما يفنى، وهو الدنيا، فإ ا تصد عن الآخرة والمقامات الفاخرة، قال الحبيب عبداللّه بن علوي الحداد :

تلْهي عنِ الْأخرى ولا تـبـقـى   تصفُو بحالٍ فـاجـتـنـبـهـا

ومن أراد الآخرة فليْصم عن الدنيا ويجعلْ فِطْره الموت، فيدرك الولاية الكبرى والكنـزية العظمى، رأى بعضهم بعض الآدميين يمشي في البحر وفي الهواء فسأله عما أوصله فقال : بشيءٍ يسيرٍ من الدنيا، فَطَمت نفسي عن الشهوات وكففت لساني عما لا يعني ورغبت فيما دعيت إليه، ولزمت الصمت، فلو أقسمت على اللّه لأبر قسمي، ولو سألته لأعطاني .

واصحب في سفرك أهل العلم والخير والصلاح، وجانب أهل البطالة والجُناح، فإن من جالس الأماثل مثّل، ومن جالس الأراذل رذّل، وانظر إلى ما في القرآن من قصص الأنبياء واعتبر بمن وافقهم وخالفهم، فإن من اتبعهم فاز إلى طريق الرشد والهدى، ومن خالفهم هلك وارتدى، فاحترم السلف واقتد م، فإن من احترمهم واقتدى م رفع اللّه قدره على أبناء وقته وجنسه، وفي وصيته صلى اللّه عليه وآلِهِ وسلم لمعاذ الكفاية، لمن أراد النجاة وسلوك سبيل الهداية، قال صلى اللّه عليه وآلِهِ وسلم : « يا معاذ، أوصيك بتقوى اللّه، فإ ا الاسم الأعظم والكنـز المطلسم، وفيها الفوز بكل مطلب، والنجاة من كل خوف وشدة، وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجوارح ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل، وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح، وعليك بإحداث توبةٍ للّه، السر بالسر والعلانيةُ بالعلانِيةِ، هكذا أمر اللّه عباده ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، وأخلص للّه في أقوالك وأفعالك وسائر أحوالك، فإن العمل مع عدم الإخلاص ومع الأغراض لا ثمرة له، قال اللّه تعالى : { فمن كانَ يرجو لِقاءَ ربهِ فلْيعملْ عملاً صالِحاً ولا يشرِكْ بِعبادةِ ربهِ أحداً }، فلا تطمع في منـزلة عند اللّه

وأنت تريد المنـزلة عند الناس، فليس الخادم كالمستخدم، فالثاني يعمل لغرض الأجرة، والأول لأجل ذات المخدوم فقط .

وعليك بحفظ الأوقات وصرفها في الطاعات والقربات وسائر أنواع العبادات، وواظب على الأوراد النبوية والصلوات الواردة عن خير البرية، وحزوب وأوراد وصلوات السادة الصوفية وخصوصاً السادة العلوية، فإن فيها وفي مطالعة كتبهم الهدى والنور وما يقرب إلى اللّه العزيز الغفور، ولا حاجة في إطلاق العنان في هذا الميدان، فإن في كتب السلف وما لهم من نثر ونظم ما يكفي ويشفي . وخلاصة ما فيها التخلي عن كل خلق ذميم، والتحلي بكل خلق كريم، واستحفَظَ اللّه دينك وأمانتك وخواتيم عملك وسائر ما استحفظك اللّه عليه، ونسأل اللّه الحفظ والسلامة، وأن تصحبك العافية والاستقامة، وأن يكون اللّه معك ولك، ثم الرسول، ثم السلف الفحول، في الحس وفي المعنى وفي الحط وفي الترحال، وفي كل حال، وفي اليقظة والمنام والحضر والسفر في البر والبحر، وأن يكون لك معيناً وكافياً وهادياً، فهو الحسب ونعم الوكيل، فعليه التكلان، وهو المستعان، في كل حال وشان .

وأجزتك أيها الولد فيما صحت لي فيه الإجازة إجازةً خاصةً في خاص أو عام، وأذنت لك أن تجيز عني في نشر الدعوة والتعليم وما يقرب إلى اللّه الخبير العليم، ونسأله أن يعطينا وإياك ويرحمنا وإياك ويجعلنا من المؤمنين، فإنه بالمؤمنين رحيم، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين، وهذا مع عجلٍ وشغل بالٍ وعدم مقابلةٍ، اِقرؤوه بالمعنى وتفَقدوه فالقصد بذل النصيحة، والدعوة إلى ما فيه الصلاح والنجاح والفلاح والأرباح، واللّه يتولّى هدانا وهداك، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

محمد بن هادي بن حسن السقاف علوي

حرر

منتصف شوال سنة ١٣٦٢

وكتب تحته سيدي الوالد في مذكرته التي استنتسخ ا الإجازة المذكورة آنفاً :

« نقلاً عن الأصل، وهذه الوصية لأخينا ابنه، وفي شهر رجب سنة ١٣٦٢ مررت بسيئون وألبسني وأجازني بما حوته هذه الوصية، فكل مؤمن لا يستغني عنها، والله الموفق للعمل، اللهم ارزقنا العلم والعمل بما فيه، آمين » .

وهذه إجازةٌ أخرى كتبها الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار لسيدي الوالد ضمن رسالةٍ مطولةٍ أثبتناها كاملةً في غير هذا الموضع، وقد حصل له من هذا الحبيب الإجازة الإلباس حين مروره عليه في شهر رجب من عام ١٣٦٢ عندما خرج من حضرموت منفرداً بغرض نشر الدعوة إلى الله تعالى في أرض القبلة، وهذا هو نص الإجازة المكتوبة ضمن الرسالة المبعوثة لسيدي الوالد من الحبيب مصطفى بعد استقرار سيدي الوالد في أحور :

كتب الحبيب مصطفى بعد الكلام عن الشيخ القطب أبي بكر بن عبدالله العيدروس وأنه قد سبق بالرحلة من حضرموت في سبيل نشر الدعوة إلى الله إلى أن قال :

وقد طرح الأثر على الأثر، علي الأغر، الولد السيد النجيب، الحبيب ابن الحبيب ابن الحبيب، علي ابن أخينا المرحوم أبي بكر ابن والده الإمام البركة العلامة الداعي إلى الله بقوله وفعله وحاله وماله، وعياله ونيته وهمته، الوالد علوي بن عبدالرحمن المشهور، نفعنا الله به وبعلومه، وقد اتصلنا به وأخذنا عنه وقرأنا عليه،

وسايرناه وواكلناه، وجاء إلى عندنا وجئنا إلى عنده في تريم الغنا، وأضافنا وأجازنا إجازةً عامةً في طلب العلم وفي الذكر والتذكير وحسن الأخلاق، والالـتـجـاء إلى الخلاّق، والصبر والجبر، ولا قهر ولا ر، حتى يفيض النهر، ويستدير الشهر، وأجزناكم بإجازة الوالد علوي وبما أجازنا به الوالد أحمد المحضار، وغيره من أهلنا الأخيار، وكم بانعد نفعنا اللّه بالجميع، وأعاد علينا وعليكم الجميل والجمالة في كل حالة للجميع . انتهى

وفي مذكرة سيدي الوالد لعام ١٣٩٠ من الهجرة أثبت هذه الإجازة من العلامة السيد علوي بن عبداللّه السقاف :

الحمد للّه، بتاريخ ٢٣ القعدة ببندر عدن المحروسة ١٣٩٠ التقيت بالسيد العلامة علوي بن عبداللّه السقاف وأجازني إجازةً خاصةً في جميع ما أجازه أهله وسلفه ومشايخه الكرام، منهم سيدي الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور، وذلك في الأمهات الست لا سيما « البخاري » و« مسلم » وغيرها وفي جميع مروياته كما هو مثبت بخط يده، وأقربِ سندٍ إلى الإمام البخاري المنظوم، وذلك من نظم الحبيب عبدالرحمن بن عبيداللّه السقاف، وهذه صورة الإجازة :

بسم اللّه الرحمن الرحيم على ما فتح ومنح، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، وبعد فقد طلب مني أخي في اللّه العلامة الداعي إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة علي بن أبي بكر ابن الإمام الكبير علوي بن عبدالرحمن المشهور أن أُجيزه فيما أجازني فيه مشايخي، وفي مقدمتهم والده الحبيب علوي، وربما أني لست أهلاً لأن أُجاز فضلاً عن أن أُجيز، واعتذرت له فلم يرض، وبما أن له علي من الحق ما لا أقدر على أدائه فقد أجزته فيما صحت لي فيه الإجازة من مشايخي بالإجازة

العامة والخاصة وأرجو اللّٰه أن يدعو لي بحسن الخاتمة عندما يقرب الأجل ورضاء ربي عني مع التوفيق .

كتبه وجِلاً عجِلاً الفقير إلى اللّٰه
علوي بن عبداللّٰه السقّاف
عفا اللّٰه عنه
وذلك بتاريخ ٢٤ ذي القعدة الحرام
بندر عدن ١٣٩٠

وفي مذكرته رحمه اللّٰه تعالى لعام ١٣٩٢ من الهجرة كتب السيد العلامة محمد بن أحمد شعيب الأهدل إجازةً خطيةً لسيدي الوالد هذه صور ا :

بِسمِ اللّٰهِ الرحمنِ الرحِيمِ

الحمد للّٰه الواهب المانح من طلب، والصلاة والسلام على سيد العجم والعرب، وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسانٍ ومن أحب، وبعد فقد كان الاجتماع بشيخنا البحر الزاخر، الولي الكامل الشيخ الحبيب السيد علي بن أبي بكر العلوي الحسيني بمكة المكرمة في يوم الأربعاء ٢٠ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٩٢ بمنـزل أخينا أبي الحسن محمد بن شيخنا العلامة النبراس السيد علوي بن عباس المالكي عافاه اللّٰه تعالى ونفعنا من بركات السادة كلهم خصوصاً وعموماً، وطلبت منه الإجازة فلبى طلبي وحرر لي إجازةً حافلةً مطولةً وأحالني فيها إلى ثبت الإمام فخر الإسلام السيد أحمد بن محسن بن عبداللّٰه الهدار ابن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي الحضرمي المسمى بـ «العقد الفريد» ، ثم بعد تحرير الإجازة لي أمر علي وكلفني بتحرير إجازةٍ له وأنا

لم أكن أهلاً لذلك، وما أنا من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان ذلك الميدان ؛ ولكن امتثال الأمر خير من سلوك الأدب، وسأتشبه بقول القائل :

فتشبهوا إنْ لم تكُونوا مِثْلَهم — إن التشبه بالكرامِ فَلاح

فأقول : إني أجزت السيد المذكور إجازةً خاصةً وعامةً خالدةً تالدةً كما أجازني بذلك مشايخي الأعلام بنو الأهدل وبنو القديمي وآل باعلوي، كما أجيزه في ثبت مسند الدنيا السيد يحيى عمر مقبول الأهدل الزبيدي، وفي ثبت حفيده العلامة المحقق والبحر المدقق الأجل السيد عبدالرحمن بن سليمان بن يحيى بن عمر الأهدل الزبيدي رحمهم اللّه تعالى في « النفَسِ اليمانيّ والروحِ الريحاني »، وفي « عِقْدِ اليواقِيتِ » للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، وفي ثبت « حصر الشارد » للشيخ محمد عابد السندي المدني، وأجزته أيضاً في الثقب الأهدل مائة ألف لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه صلى اللّه علَيه وآلِهِ وسلم في نفَس واحد، يقرأ في أربعين يوما أو أقل أو أكثر بحسب النشاط، فإذا تم العدد تعوده ثانيا وهكذا، ولي سند فيه إلى النبي صلى اللّه علَيه وآلِهِ وسلم، وله أربع فوائد كما ذكرها صاحب « النفس اليماني » في إجازته لجدنا الحسن بن عبدالباري الأهدل في سنة ١٢٢٠ ، ومن الفوائد الأربع : أن من داوم على الثقب الأهدلي حصل له هذه الأربع :

الأولى : أن يرى الجلالة مكتوبةً بالنور في العرش .

الثانية : يكشف عن مقعده في الجنة قبل أن يموت .

الثالثة : يوفق لأكل الحلال .

الرابعة : يحسن له الخاتمة عند الموت .

وألقمت سيدي السيد علي بن أبي بكر المشهور كما ألقمني شيخي العلامة السيد علي بن عبدالرحمن الأهدل الزبيدي رحمه اللّه المتوفى سنة ١٣٨٨ رحمهم اللّه أجمعين،

وأرجو من سيدي المذكور أن لا ينساني من دعواته في خلواته وجلواته وتحركاته وسكناته ولمشايخي وأحبائي وجميع المسلمين، وصلى اللّه على سيدنا محمد الأمين وآله الطاهرين وصحابته أجمعين والحمد للّه رب العالمين .

وحرر في ٢١ / ١٢ / ١٣٩٢
كتبه عجلاً وقاله خجلا العبد الأقل
المرشد العام بتهامة وجبيل ومفتش مدارس قضاء حراز خادم العلم والعلماء في كل محل
محمد أحمد شعيب الأهدل (١)
عفا اللّه عنهم آمين

وفي إحدى مذكراته التي يجمع ا الفوائد والشوارد وجدت هذه الإجازة الحاوية من الحبيب أحمد مـشـهـور بن طه الحداد لسيدي الوالد، وقد كتب سيدي الوالد عليها ما صورته :

هذي إجازةٌ من الحبيب أحمد مشهور بن طه الحداد من ا على الفقير إلى اللّهِ في المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم وعلى آله وصحبه في ٢٩ محرم سنة ١٣٩٣ فجزاه اللّه خيراً، وأمرني بكتابتها، وهو الذي أمضى بيده الشريفة بعد أن أجازني، وهذه هي الإجازة :

بِسمِ اللّهِ الرحمنِ الرحِيمِ

(١) التقيت بالسيد المذكور خلال سنة ١٤١٥ بمنـزل الحبيب أحمد مشهور بن طه الحداد بجدة، فسـر بالترجمة، وكان ذلك في أحد مدارس العلم التي تقام في دورة الأسبوع بمدينة جدة المحروسة .

أول ما نستفتح به الإملاء بحمد اللّه تعالى والصلاة على رسوله وعبده سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه، ثم بكتب ما تنبغي كتابته كتابته من فائدة أو إشارة ألهمنيها المولى أو اختر ا من غيري رجاء الثواب من جمعها، وانتفاع من وقع نظره عليها أو سمعها، فإن السوانح في غير هذا الزمن الذي كثرت بلابله وشواغله لا يقرها غير القَيد، فكيف وقد تكاثر به الصيد، من نوائب داخليةٍ لا يلتقي طرفاها، وخارجيةٍ من كل صوبٍ فاتحةٍ فاها، لذلك رأيت أن أقيد كل ما سنح في خاطري راجيا من اللّه التوفيق والتسديد، إنه حميد مجيد .

بِسمِ اللّهِ الرحمنِ الرحِيمِ

الحمد للّه فاتح أقفال القلوب، بمواهب الغيوب، ونافح ذوي التعرض لنفحاته بغاية المطلوب، ومانح إكسير حسن الظن من أراد له الفتح المبين ونيل المحبوب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفاتح الخاتم المصطفى قبل إيجاد العالم زين الوجود ومجلى الشهود، صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وتابعيهم إلى اليوم الموعود .

وبعد فقد حمل حسن الظن وصفاء الجوهر وصدق الطلب، الولد النجيب، المستحق لنيل الكمال وكمال النيل بالفرض والـتـعـصيب، الداعي الواعي العلامة علي بن أبي بكر بن علوي بن عبدالرحمن المشهور طاب مسعاه، أن يلتمس من عمه العاجز أحمد مشهور بن طه الحداد الأخذ والإجازة فيما تصح فيه الإجازة من رواية ودراية وعلم وعمل وطريقة وأوراد، وهي لعمر الحق شأو لا يدركه إلا ضليع، وغارب لا يقتدره إلا رفيع، وتحوِيلٌ إنما يحرِزه مالك مِليءٌ، لذلك كان

الأولى لمثلي الإحجام عنها ورد الأمر إلى أهله، على أني بحمد الله ظفرت ا من مشايخ أجِلة في أقطار البلاد من حضرموت موطني .

وقد أخذت عن سيدي وعم والدي القطب صالح بن عبدالله الحداد الثاوي ببلد نصاب من الجنوب العربي ختمت عليه آخر « الألفية » حفظاً، وعن سيدي الإمامين العلَمين النـ يرينِ عبدالله وعلوي ابني طاهر الحداد، لزمتهما وقرأت عليهما الكثير من فنون العلم، وعن والدي المنيب طه بن علي الحداد، وعمن أعتز بذكرها في سند مشايخي والدتي الصالحة صفية بنت الحبيب طاهر بن عمر بن أبي بكر بن علي بن علوي ابن قطب الإرشاد الحبيب عبدالله بن علوي الحداد الآخذ عن كبار العارفين ممن زار والدها والشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، فهي أول من فَتق رتِقي وغذّاني بلبان العلم، وعن سيدي وخالي العارف المنيب عمر بن طاهر الحداد، وعن الشيخ البركة الزاهد عبود عمر باطوق العمودي، وممن أخذت عنهم سيدي الإمام الكريم مصطفى بن أحمد المحضار، وسادتي الأجلاء عبدالله بن هادون المحضار وحسين بن حامد المحضار والعلامة المحقق عمر بن أحمد ومحمد بن عبدالله وحامد وحسن آل البار والشيخ محمد بلخير، هؤلاء من دوعن، ومن تريم الغنا سيدي العارف بالله عبدالله بن عيدروس العيدروس، والحبيب العارف المنيب

علي بن عبدالرحمن المشهور، وسيدي العلامة الإمام عبدالله بن عمر الشاطري، وسـ يـ دي الـ مـ لاذ البقية علوي بن عبدالله بن شهاب الدين أوسع لي الإذن في الإجازة، والسيد البركة أبي بكر بن حسين الكاف، وسـ يـ دي العلامة المنيب سالم بن حفيظ، وسيدي العلامة المنيب الملاذ عمر بن أحمد بن سميط المقيم الآن بالشحر[1]، والشيخ العلامة محمد بن عوض بافضل، ومن سيئون السادات الأعلام

---

(١) وهو درةُ زنجبار وقاضيها ومحيِيها رحمه الله نفسه، ولكنه كان بالشحر وقت الإجازة.

أحمد بن عبدالرحمن ومحمد بن هادي السقاف، ومحمد بن علي الحبشي، والمنصب العظيم القدر عمر بن عـبـدالله الحبشي، ومن حريضة السيد العلامة المنيب محمد بن سالم العطاس، والسيد ذي السر المتواضع عبدالله بن عقيل، ومن الحرمين الشريفين سيدي الشيخ عمر بن سعيد باجنيد، وسيدي العارف الملاذ عيدروس بن سالم البار، والسيد الجليل محمد بن سالم الخيل العطاس، والمستتر برداء الولاية وخدمة العلم الشريف عبدالغني الششاء [1]، والسيد الجليل المجاهد الشريف أحمد السنوسي، لقيته بالمدينة المنورة وأجازني وأضافني على الأسودين التمر والماء بسندهما، وعن مسند العصر السيد محمد عبدالحي الكتاني، لقيته بمكة وكتب اسمي في رسالة إجـازتـه، ومن جاوة الحبيب العلامة الملاذ محمد بن أحمد المحضار والحبيب الولي عبدالله بن محسن العطّاس، وسيدي الخليفة الحداد علوي بن محمد الحداد وأخيه ذي السر الملامتي حسين بن محمد الحداد، والسيد الداعي المعمر علي بن عبدالرحمن الحبشي، وآخر من أخذت عنه وانقطعت إليه الحبيب الغوث أحمد بن محسن الهدار، ومن إفريقيا السيد العلامة ناشر دعوة العلم في إفريقيا الشرقية صالح بن علوي جمل الليل الثاوي ببلد لامو، والسيد الصالح أحمد بن حسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم والشيخ المجذوب أحمد الآيدني، والشيخ طلحة الأحمدي ببلد راوا من الصومال .

فقد ظفرت والحمد لله من هؤلاء الأعلام وغيرهم ممن لا أذكرهم بالأخذ والإجازة قراءةً وسماعاً ولفظاً وكتابةً في علوم الكتاب والسنة والأصلية وكتب القوم وحزوبهم وأورادهم بحسب تراجمهم وأسانيدهم المتلقاة عن الأثبات الشهيرة والأسانيد الخطيرة، ومن أجلها « عقود اللآل » و« عقد اليواقيت » كلاهما للحبيب الجهبذ

---

(١) ووالد المستجيز روض المعارف والآداب عالم مكة سيدي علوي بن عباس المالكي، أسـقطت هذه الجملة عن الأصل المنقول لكون الإجازة تكررت له ولسيدي الوالد، ثم أثبتناها حاشيةً .

المكين المسند عيدروس بن عمر الحبشي، و« منحة الإله » للحبيب سالم بن حفيظ، وما اشتمل عليه كتاب « المواهب والمنن » لسيدي العلامة علوي بن أحمد بن حسن الحداد، و«قرة الناظر» لسيدي العلامة عبدالله بن طاهر الحداد، و« الثبت الجامع » لسيدي العلامة علوي بن طاهر الحداد، و« فيض الأسرار » للشيخ العارف بالله عبدالله بن أحمد باسودان، وما أرويه عن مشايخي بما رووه عن الإمام الجهبذ المكين أحمد بن حسن العطاس من إسنادٍ وثبتٍ، وبما رووه واتصلت به من إسناد عن الحبر الجامع والبحر الواسع قطب الإرشاد سيدي عبدالله بن علوي الحداد، والحبيب أحمد بن عمر الهندوان، والحبيب عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه .

وقد أجزت الولد الميمون ونزلت على مراده، وأجزته بما أجازني به هؤلاء الأعلام من رواية ودراية، موصياً له بتقوى الله في السر والعلانية، والتواضع في القول والفعل، والصدق في الجد والهزل، والقصد في الفقر والغنى، والإقبال على طلب العلم بجد وتشمير، وحسن الظن في الصغير والكبير، واقتفاء أثر والده وهناك الفتح والإكسير، واغتنام الخمس، والمحافظة على الخمس، والاتباع المخصوص بالخمس، وأن لا ينسانيَ من دعائه في خلواته وجلواته، راجياً كمال النجح والاستقامة، والفتح والكرامة، بحق محمد صلى الله عليهِ وعليهم وآلِهِ وسلم .

أحمد مشهور طه الحداد

ومن الإجازات إجازةٌ مكتوبةٌ في إحدى الكراسات ذات الجمع المتنوع من السيد حامد بن محمد السري لسيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور، وهذه صورتها :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

{ ربنا لا تحملْنا ما لا طاقةَ لنا بِهِ واعف عنا واغْفِر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القَومِ الكَافِرين }

الحمد للّه على فضله الشامل، ومدده المتواصل، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأواخر والأوائل، وعلى آله وصحبه وتابعيه الكرام الأماثل، ومنهم الولد السالك مسلك أسلافه الأفاضل، الشارب إن شاء اللّه من شراب أسلافه أعذب المناهل، علي بن أبي بكر بن علوي المشهور بلّغه اللّه الآمل، وأصلح له العمل، وسلك به مسلك أسلافه الكُمل، آمين .

أما بعد فقد أحسن الظن بعبده الفقير، الذي ليس له في العير ولا في النفير، حامد بن محمد السري باحسن جمل الليل، ذلك الـولـد المومى إليه الداعي إلى اللّه ورسوله علي بن أبي بكر ابن شيخنا الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور، والْتمس منه الإِجازةَ وألّح عليهِ في ذلك فلم يسعه إلا مساعدته لحسن ظنه .

فأقول : أجزت الولد المذكور في كل ما تصح لي روايته ودرايته من علوم وأعمال وأوراد ودعوة إلى اللّه وكل ما يقربه إليه إجازةً عامةً مطلقةً تحتوي على الأمهات الست والسند إليها، وأعلاه من والدي الحبيب محمد بن سالم السري ومشايخي، ومنهم الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي والحبيب علي بن محمد الحبشي والحـبـيـب أحـمـد بن حسن العطاس وغيرهم من مكيين ومصريين وشاميين حسب ما اشتمله ثبت والدي محمد بن سالم السري، وأوصيه بكل ما فيه رضا المولى

ومراقبته في السر والنجوى وأن لا ينساني من دعواته في توجهاته، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

قاله في المدينة المنورة في عام حجه سنة ١٣٩٠
راجي عفو مولاه حامد بن محمد السري
باحسن جمل الليل

وقد أجازه أيضاً في تكرار « أنا في جاه رسول اللّه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم أينما كنت »، وفي مذكرته رحمه اللّه لعام ١٣٩٣ كتب نص إجازة من الحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس في قراءة هذه الصلاة على رسول اللّه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم على من به وجع « سيدنا محمد رسول اللّه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم لكل ألم » وقد سبق ذكرها في ترجمة الحبيب عبدالباري .

وفي كراسة الفوائد السابق ذكرها كتب سيدي الوالد في صفحة منها ما مثاله :

مبشـرةٌ من الحبيب صالح بن محسن الحامد

بتاريخ ١٣ الحجة سنة ١٣٩٠ اتفقنا بالحبيب صالح المذكور، وهو من الأقطاب والرجال الكمل، وهم ورثة الأنبياء، وذلك عام حججت بيت اللّه الحرام في منى أيام التشريق وبعد أن طلبنا منه الإجازة ومن ا علينا في جميع مروياته وفي الأمهات الست وغيرها وفي الدعوة إلى اللّه أتى لنا ا ذه الأبيات :

يا اللّه بعودة إلى مكة بكل السنين   نـزور طه حبيب القلب في كل
يا اللّه بدعوة مجابة والكرامة تبين   يا با الكرم جمل الأحوال دنيا ودين

انتو بلغتوا وربك في النوائب يعين   كل من بلغ بايحصل شف ذا يقين
شف بوعمر يكتب الأقوال يومه فطين   والفي صلاتي على المختار في كل حين
ما يلمع البرق في الداجي بكل السنين

ثم أجازنا في هذه الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، وأخبرني عنها السيد حامد بن محمد سري وهو أحد الحاضرين: أن هذه الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ألقاها عليه شخص يسمع صورته ولا يرى شخصه وهو جالس في المحراب، وتقرأ ١١ مرة أو ٤١ مرة أو ما لا نهاية، لتفريج الكروب، وبشرنا ببشاراتٍ عظيمةٍ، وأعظمها القبول وتفريج الكروب التي فيها المسلمين، وهذه الصلاة: اللهم صل على سيدنا محمد صلاةً تغفر بها الذنوب، وتصلح بها القلوب، وتنطلق بها العصوب وتلين بها الصعوب، وعلى آله وصحبه ومن إليه منسوب.

وكتب سيدي رحمه اللّه تعالى في ذات المذكرة السالفة، نص إجازة أخرى حصلت له من السيد حسن بن محمد فدعق في شهر ذي الحجة من عام ١٣٩٠ بمكة المكرمة [1]، وهذا مثاله:

ومما من اللّه به علينا في عام حجنا في الحجة سنة ١٣٩٠ بمكة المكرمة الإجازة العامة والخاصة من سيدي الوالد حسن بن محمد فدعق بصحبة الأخ محسن فضل

---

(١) توفي هذا السيد في يوم الثلاثاء ٣ رمضان ١٤٠٠ من الهجرة ودفن بمكة، وقد حضر سـيدي الوالد الصلاة عليه.

والأخ ناصر بن عبدالله فدعق [1] يوم الجمعة ونحن معتمرون فقال : لقد أجزتك يا ولد علي والحاضرين إجازةً خاصةً في جميع مروياتي وفي الأمهات الست وفي الدعوة إلى الله وفي كل ما تصح لي إجازته عن مشايخي الكرام، وأولهم الحبيب علوي بن محمد الحداد وغيرهم من السادة الساكنين بجاوة وأهل تريم، وأجزتكم إجازةً خاصةً في كل ما أجازوني به جميع مشايخي في مكة والمدينة وغيرها، ومن أهل مصر والعراق وغيرهم، وذلك في الأمهات الست وفي الحديث عامة .

وقد قبلنا الإجازة وصافحناه، وأجازنا أيضاً في هذه الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم صل صلاة أهل السماوات والأرضين عليه، وأجرِ يا رب لطفك الخفي في أمورنا والمسلمين، وأيضاً بشرنا بمبشراتٍ كثيرة وأهدى لنا كتباً، وأردف ذلك بقوله : عليكم بوصيتي المكتوبة في « الفوائد الحسان » [2] فأجزتكم بما فيها كما أجزت أولادكم ومن سيوجد وبلغوا سلامي وإجازتي لابن شيخي أحمد باجحدب .

وهذه صورةٌ خطيةٌ لإجازةٍ مثبتةٍ في « العقد الفريد » للحبيب أحمد بن محسن الهدار، وفيه نقلٌ عن سيدي الجد أبابكر بن علوي المشهور، وقد وجدها سيدي الوالد ضمن الثبت المذكور عند أحد السادة بمكة، فكتب ما مثاله : ومما من الله به

(١) أجازنا السيد ناصر بن عبدالله فدعق في كل ما أجازه فيه الحبيب حسن فدعق، وذلك بعـد قراءتنا عليه نص الإجازة المثبتة في الترجمة، وكانت الإجازة للفقير والحبيب محمد بن عبدالله بن بصري في شهر المحرم من عام ١٤٠٤ من الهجرة النبوية .

(٢) وقد طبع طبعة قديمة بعناية الشيخ مخلوف رحمه الله تعالى، وهو كتاب في الأوراد النبوية، ذيله بإجازته ووصيته لأولاده .

علي وقوفي على الكتاب « العقد الفريد » فيما وصل إليه إليه السيد أحمد بن محسن الهدار، وفيه نقَلَ عن سيدي الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور الإجازة في قراءة «صحيح الإمام البخاري» و« صحيح مسلم »، وقد أجازني مشايخي في قراءة «صحيح الإمام البخاري» و« صحيح مـسـلـم »، ومن أجلهم سيدي الوالد
عبدالله بن عمر الشاطري وسيدي أبي بكر بن علوي بن عبدالرحمن المشهور، ولذلك أحببت أن أنقل العبارة التي ا الإجازة المذكورة :

أما بعد فقد التمس مني الولد أبوبكر بن علي المشهور أن أُجيزه بـ« صحيح الإمام البخاري » و« صحيح الإمام مسلم »، فقد أجزت الولد أبابكر المذكور بالصحيح المذكور كما أجازني به مشايخي، منهم العلامة الأستاذ سيدي وبركتي الشيخ
محمد بن محمد العزب، وهو يرويه عن الشيخ علي خفاجي، وهو يرويه عن خاتمة المحققين العلامة الشيخ الأمير الكبير، وهو يرويه عن الشيخ السقاط، وهو يرويه عن عدة طرق منها طريق ابن سعادة عن شيخه سيدي أحمد بن الحاج عن أبي البركات سيدي يوسف بن سيدي محمد الفاسي عن أبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن آل يس عن سيدي زروق عن عبدالله العوزي عن أبي عبدالله المغربي عن القاضي أحمد بن محمد الخزرجي عن الرضي الطبري عن أبي خيرة عن عبدالعزيز بن سعادة عن أبي عبدالله بن سعادة عن أبي علي الصوفي عن الإمام الباجي عن أبي ذر الهروي عن أبي محمد عبدالله بن حمويه الحموي السرخسي عن الإمام أبي عبدالله محمد بن يوسف الفربري عن جامعه محمد بن إسماعيل البخاري، وأما « صحيح مسلم » فإني أرويه عن الشيخ المذكور أيضاً أعني محمد بن محمد العزب عن شيخه نور الدين الخفاجي عن شيخه العلامة الأمير الكبير عن شيخه السقاط عن ولي الله تعالى الشيخ إبراهيم

الفيومي عن الشيخ أحمد الفرقادي المالكي عن الشيخ علي الأجهوري عن الشيخ نور الدين العراقي عن الحافظ السيوطي عن البلقيني عن التنوخي عن
سليمان بن حمزة عن أبي الحسن علي بن نصر عن الحافظ عبد الرحمن بن منده عن الحافظ أبي بكر محمد بن عبدالله عن مكي النيسابوري عن الإمام مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري .

وفي مذكرة أخرى وجدت بخطه رحمه الله تعالى ما مثاله :
للإمام مالك :

إلهي نجني مِن كُل ضِـيـقِ | بجاهِ المصطفى مولى الجميعِ
وهب لي في مـدِيـنـتِـهِ قَراراً | ورزقاً ثُم دفناً في البقيعِ

أجازنا فيها السيد هدار بن عمر الهدار ابن الشيخ أبي بكر بن سالم [1] .

وفي مذكرته رحمه الله تعالى لعام ١٣٩٢ وجدت هذه الإجازة مكتوبة بخط يده أجازه فيها السيد حسن بن محمد فدعق، وهذه صورة المكتوب :
هذه صلاة على النبي صلى الله عليهِ وآلِهِ وسلم أجازنا فيها الوالد حسن فدعق :
« اللهم يا من له الاسم الأعظم وهو أعظم، يا من تقدم على القِدم وهو أقدم، يا من ليس أحداً معلوماً وهو أعلم، نسألك بكل اسمٍ هو لك جرى به اللوح المحفوظ والقلم، أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وأن تكفيني شر ما علمته

---

(١) اتصلت بهذا الحبيب المُعمر عام ١٤٠٥ شهر ذي القعدة الحرام وعمره مائةُ عام، وأجـازنا وبـشـرنا ببشاراتٍ عظيمةٍ، وسجلْت معه حديثاً هاماً عن علاقتـه بالجـد علـوي بـن عبدالرحمن المشهور بالشحر حيث كان مقيماً .

وما لم أعلم، وأن تسخر لي الملك والملكوت وتجري مرادي بالقضاء والقدرة والفلك، وقد سألتك بالأسماء التي ا تحيي من تحيي و لك ا من لك، بـ « لاإله إلا أنت وحدك لا شريك لك »، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وكل نبي وملك » .

وفي مذكرته رحمه اللّه تعالى للعام الهجري ١٤٠٠ كتب إجازة السند في الأمهات الست أجازه ا الحبيب البقية، حامل لواء السادة العلوية، الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف، وكتب عليها سيدي الوالد ما مثاله [1] :

زرنا الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف مع الولد شهاب الدين وأخذنا منه الإجازة والسند في الأمهات الست والبخاري ومسلم وأعطانا أبياتاً من نظم السيد عبدالرحمن بن عبيد اللّه السقاف، وهي أقرب سندٍ إلى الإمام البخاري :

نروي الحديثَ عن إمامِنا الأبر ... قُطْبِ الوجودِ عيدروسِ بنِ عمر
عن شيخِه الحَبرِ الإمامِ البدل ... نجلِ سليمانَ الوجيهِ الأهدل
عن شيخِه ابنِ السنةِ القُلاّنيّ ... عن أحمد بنِ العِجلِ اليمانيّ
والنهرواِني عن الطاووسِي ... فالـهـروي بهجةِ النفُوسِ
عنِ الجَمال الفاضل القَرغاِني ... عن شيخِهِ ابنِ مقْبِل الخَـتـلانِي
عنِ الفَربِري عن البخارِي ... بحرِ العلومِ السلْسِبيل الجاري
هذا أعز سندٍ في الدنيا ... رتـبـتـه بالاِتفاق العلْيا

(١) تمت الإجازة يوم الأربعاء من شعبان سنة ١٤٠٠ من الهجرة .

بِدونِهِ يرحلُ شاماً ويمن وقد أتاكُم هـيـناً بلا ثَمن
فدونكُم سِلْسِلَةً مِن الذهب غَنِيمةً بارِدةً بلا نصب

ثم كتب سيدي الوالد تحت هذا السند المنظوم ما صورته :

هذه السلسلة أخذ ا من السيد العلامة عبدالقادر بن أحمد بن عبدالرحمن السقاف الموجود حاليا في جدة، والذي رأى الشيخ المرحوم حسن المشاط قبل وفاته الرسولَ صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم في صورته، وهذا دليلٌ على قطب الوقت، وقد سألته عن ذلك فأجابني بما ذكر، وقد أجازنا وأولادنا في هذا السند المبارك القريب، ومعنا سند الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور في منظومته المشهورة (١) .

هذا ما وقعت عليه من الإجازات والوصايا التي حصل عليها سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى من أشياخه وأقرانه، وسنثْبِت أيضا لوناً آخر من ألوان الوصايا التي كان سيدي الوالد يكتبها بيده لأولاده ومحبيه مع ندرة هذا النوع من الكتابة، إذ كان سيدي الوالد لا يستجيب في الغالب إلى من يطلب منه هذا اللون من التقليد السلفي لشدة تواضعه واعترافه، وقد وجدت في بعض ما يحتفظ به من الكراسات الخاصة وصاياه الشرعية التي يكتبها في كل عام، ومنها بعض الوصايا التي تحمل التوجيه السليم والإشارة التربوية القرآنية، ونختار منها وصيتين شرعيتين، الأولى كتبها رحمه اللّه تعالى في ٢٩ رمضان سنة ١٣٩٣ بروضة النبي صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، وهذه صور ا :

(١) من مذكرة الوالد لعام ١٤٠٠ ، وهذه المنظومة ذكرناها مفصلةً في ترجمة الجد علـوي بـن عبدالرحمن المشهور رحمه اللّه تعالى « لوامع النور » .

الحمد للّه بعد فناء خلقه أجمعين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على رسوله المبعوث رحمةً للعالمين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد فلما كانت الوصية مندوبةً، وقد توجهت لحج بيت اللّه الحرام، وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، بتاريخ ٢٠ القعدة سنة ١٣٩٢ أحببت تجديد الوصية، وذلك امتثالاً لقول الرسول صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم : « ما حق امرئٍ مسلمٍ يبيت ليلةً وله شيءٌ يريد أنْ يوصي فيه إلاّ ووصِيته مكتوبةٌ تحت رأسه » رواه البخاري، وقوله سبحانه : { ولْيخش الذين لو تركُوا مِن خلْفِهم ذُرية ضِعافاً خافوا عليهم فَلْيتقُوا اللّه ولْيقُولوا قَولاً سدِيداً } ؛ فها أنذا أوصي بأنه إذا حضرني الموت في اليوم المعلوم، والأجل المحتوم، فإني أشهد ألا إله إلا اللّه، وأن محمدا رسول اللّه، وأن الموت حق، وأن القبر ونعيمه وعذابه حق، وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأن اللّه يبعث من في القبور، وأوصي أولادي وإخواني من المسلمين بتقوى اللّه، لقوله تعالى : { ولَقَد وصينا الذِين أُوتوا الكِتاب مِن قَبلِكُم وإِياكُم أن اتقُوا اللّه }، وأوصيهم بأداء الفرائض على الوجه الأكمل واتباع سنة الرسول صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، وترك التباغض والتنازع والتقاطع والتدابر، وأوصيهم بصلة الأرحام وإدخال السرور عليهم، وأوصيهم بالعطف على اليتامى والمساكين، وأوصيهم بالتسامح في المعاملة، وأوصيهم بكف قلو م وألسنتهم عن المعاصي وسائر الرذائل والمحرمات، وأوصيهم باتباع الرسول صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، وأوصيهم بالبعد التام عن الفتن ومظان الريب، وعليهم بحضور الجمعة والجماعة والخوف من اللّه في السر والعلن، وأوصيهم بقضاء الديون على موتاهم ؛ لأن روح الميت محبوسةٌ حتى يقضى الدين، وأوصيهم إذا حضرني الموت أن يوجهوني إلى القبلة ويلقنوني « لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه » بدون إلحاح ؛ لقول النبي صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم : « لَقنوا

موتاكُم «لا إله إلا اللّه»، فمن قالَها عِند موتِهِ وجبت لَه الجَنةُ »، وأوصيهم إذا حم القضاء وخرجت الروح إلى بارئها بشد الفكّين بعصابةٍ ليطبق الفم ويغمض البصر مع ذكر اللّه قائلين : « بسم اللّه، وعلى ملة رسول اللّه، اللهم اغفر له وارحمه، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين » .

وأوصيهم بنـزع ثياب الموت والتصدق ا، ويسترونني بثوب طاهر، ويوضع فوق بطني شيءٌ قَدر أوقيتين من الحديد حتى لا تعلو، وأوصيهم بتجنب الصراخ والعويل ولطم الخدود، فإني بريءٌ من كل نائحٍ ونائحةٍ ؛ لقول النبي صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم : « لَيس مِنا من ضرب الخُدود وشق الجُيوب ودعا بِدعوى الجَاهِلِيةِ»، وأوصيهم أن يعلنوا بوفاتي لأجل الصلاة علي وتكثير المصلين، وأوصيهم أن يكفنوني من مالي بثوب أبيض كما في الحديث، وأن يصلي علي من وفقه اللّه من أهل الخير والخشية ليدعوا لي من قلبه بكل رحمة وشفقة، ثم بعد الصلاة أوصيهم بوضع الجثمان في القبر على الشق الأيمن، وينـزل في القبر من وفقه اللّه ويقول وهو يلحد فيّ : « بسم اللّه، وعلى ملة رسول اللّه، اللهم افتح أبواب السماء لروحه، وأكرم نـزله، ووسع مدخله، وافسح له في قبره »، وبعد الدفن أُلقن كما في الحديث : « إذا مات أحد مِن إِخوانِكُم فسويتم التراب على قَبرِهِ فلْيقُم أحدكُم على قَبرِهِ ثُم لْيقُلْ : يا فلانَ ابن فلانة، فإِنه يسمعه ولا يجِيبه، فإنه يستوي قاعداً، ثُم لْيقُلْ : اُذْكُر ما خرجت علَيه مِن الدنيا : شهادةَ ألاّ إله إِلاّ اللّه وأن محمداً رسولُ اللّهِ، وأنك رضِيت باللّهِ رباً وبالإسلامِ دِيناً وبمحمدٍ صلى اللّه علَيهِ وسلم نـبِـيـاً وبالقرآن إماماً » إلخ ما ينبغي ذكره هناك .

ثم الفاتحة وقراءة ما تيسر من القرآن من كل خاشع متقٍ لِلّهِ خائِفٍ مِن اللّهِ، وأوصيهم بالصبر والتصدق علي لا سيما ليلة الجمعة وليلة الاثنين، وأوصيهم أن ينفذوا وصيتي ويتصدقوا على أرحامي بما يستطيعون من الدراهم، وأوصيهم بالتراحم والمحبة، لاسيما لأمهم، يبروها ويحذروا من عقوقها، وأوصيهم أن يهتموا بالخروج إلى تريم ـ ولو في كل سنة ـ ليتعلقوا ببلادهم وسلفهم الصالح، وأن يجعلوا أحداً منهم يطلب العلم الشريف بتريم أو مكة أو الأزهر الشريف، وتريم فيها التعليم السلفي البعيد عن العقائد الزائغة [1] .

وأوصيهم أن يرحموا جميع إخوا م، وأن يكونوا متحابين على طاعة اللّه ورسوله، وأرجو أن يقوم أحـدهـم بـالـدعـوة إلى اللّه، فإ ا طريقة الرسول صلى اللّه عليه وآلِهِ وسلم وطريقة أهلهم وسلفهم واللّه الموفق .

علي بن أبي بكر بن علوي بن عبدالرحمن المشهور

وقد استطرد سيدي الوالد بعد هذا القسط من الوصايا القيمة بإثبات ماله وما عليه من ضروب المعاملات مع بعض أصحابه ومعارفه، وختمها بالدعاء لأولاده بالخير والبركة وحسن الختام .

---

(١) إشارةٌ واضحةٌ منه رحمه اللّه إلى عدم رغبته الأكيدة في طلب العلم بغير حضـرموت، وقـد ظهر ذلك جلياً عند عزمي على السفر إلى مصر لطلب العلم هناك، واعتذاره بفساد الزمـان وتغير المناهج السلفية بالأزهر .

وفي عام ١٤٠٠ من الهجرة جدد وصيته الشرعية، وضمنها من الإشارات والتوجيهات والوصايا والإجازات ما يجعلها أشبه بالمنهاج المتكامل الذي يبلغ بالمريد، إلى حيث يريد، من رضا المولى العزيز الحميد، وهذا مثالها :

الحمد للّه القائل في كتابه العزيز : { ولَقَد وصينا الذِين أُوتوا الكِتاب مِن قَبِلكُم وإِياكُم أن اتقُوا اللّه }، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من أنـزل عليه الكتاب وفصل الخطاب، وآله الأقطاب، وأصحابه الأحباب، والتابعين إلى يوم المآب .

وبعد فلهذه الآية الكريمة ولما ورد عن النبي صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم الكريم والرسول العظيم من الوصايا لكثيرٍ من أصحابه خصوصاً وعموماً لأمته ؛ فأوصي نفسي أولاً بما أوصى اللّه به الذين أوتوا الكتاب وإيانا، وهو تقوى اللّه التي ا ينال العبد سعادة الدارين، ثم أوصي ا أولادي ذكرهم وأنثاهم وأولادهم ما تناسلوا، ومن اتصل بي من قرابةٍ وأحبابٍ وأصحابٍ في اللّه .

والتقوى كما شرحها العلماء امتثال أوامر اللّه تعالى واجتناب نواهيه ظاهراً وباطناً، سراً وعلانيةً، حساً ومعنى، وقوامها الإيمان الكامل واليقين الحازم بما جاءنا به سيد الرسل وخاتم النبيين الرحمة المهداة للعالمين صلى اللّه علَيهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلم من الشريعة السمحة الكافلة لمن تمسك ا سعادة الدارين بكمال المتابعة للمتبوع الأعظم صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، التي ينتج عنها محبةُ اللّه للعبد كما قال تعالى في الآية الشريفة المبشرة المحكمة : { قُل إِنْ كُنتم تحِبونَ اللّه فاتِبعوني يحبِبكُم اللّه ويغفِر لَكُم ذُنوبكُم واللّه غَفُور رحِيم }، وإن أعظم دعامةٍ للتقوى بعد تحقيق كلمة الإخلاص إقامة الصلوات الخمس، باستكمال أركا ا وواجبا ا وشروطها وسننها ورواتبها، حيث إ ا أفضل ما افترض اللّه على عباده بعد الإيمان، قال تعالى

: {حافِظُوا على الصلَواتِ والصلاةِ الوسطَى وقُوموا للّهِ قَانِتِين }، وإقامة هذا الركنِ العيني وكذا جميع أركان الإسلام وسائر الفروض لا يتأتى إلا بالعلم الصحيح، وطلب العلم فريضةٌ على كل مسلم، وفضل العلوم معلوم طافحةٌ به الآيات والأحاديث، فأوصيكم بتحصيله والعمل به .

وما أوصي به بعد ذلك أولادي وأولادهم ما تناسلوا التمسك بكتاب ر م وسنة حبيبهم الأعظم صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم وأداء ما أمر اللّه واجتناب ما ى عنه من المحرمات والبدع السيئات، فإن ذلك سبيل السعادة في الدارين .

وما أوصيهم به اقتفاء آثار أسلافهم العلويين ؛ لأ م خلاصة أهل البيت الطاهرين، والدليل على ذلك سير م الطافحة ا كتبهم، وشهادة أهل الفضل بذلك لهم، ومهما تمسكوا بذلك فأنا ضامن على اللّه ألا يصيبهم ضيم ولا ذل ؛ لأن وعد الكريم لا يخلَف [1] .

ثم مما أوصي به أولادي تصفية قلو م من الأدران وحفظها من الآفات، وعليهم بالتوادد والتحابب والتآلف والتعاضد والتساند في الحق بالحق وترك التحاسد والتشاحن والتباغض وعدم الإصغاء إلى الناس الفتانين بينهم من نساء ورجال والصبر على مشاق التكاليف وحسن العشرة فيما بينهم وبين أزواجهم وأهليهم وجيرا م وخلاّ م، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم

---

(١) هكذا درج السادة الأتقياء والأصفياء على توثيق أبنائهم بالطريق إلى اللّه، حتى لا تأخـذهم البهارج القولية والزخارف الدجالية التي يبني عليها المغرضـون طعنـهم في سـيرة السـادة الأشراف في الأزمان المتأخرة .

لأهلي »، وحقوق الجوار والخلاف معلومةٌ والمحبة في اللّه أمرها عظيم وثوا ا جزيلٌ، كما في حديث السبعة الذين يظلهم اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

ومما أوصي به أولادي أن يكونوا بسبب ما أنعم اللّه عليهم من النعمة الوافية الكبرى غير المكتسبة ـ وهي انتسا م لمن بعثه اللّه لهداية البشر، وتمم اللّه به مكارم الأخلاق ـ مثالاً حسناً وقدوةً صالحةً للأمة المحمدية في الأخلاق المرضية، تتوفر فيهم خلافة الدعوة إلى اللّه تعالى وإلى سبيله الأقوم عن جدهم الأعظم صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، كما درج عليه أسلافه رضوان اللّه عليهم، قال عليه الصلاة والسلام : « ذَهب حسن الخُلُقِ بخيري الدنيا والآخِرةِ » .

ثم مما أوصيهم به خاصةً وسائر إخواني من المسلمين المواظبة على إقامة الصلاة في الجماعة، وإن لم تكن في المسجد لعذر تكن مع أهلهم وأولادهم، وتفقدهم في إقامتها وتصحيحها، حيث قال اللّه تعالى : { وأمر أهلَك بالصلاةِ واصطَبِر عليها }، وتعليمهم ما يجب الإيمان واليقين به من العقائد الإسلامية الصحيحة، وتعريفهم سيرة الحبيب الأعظم صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم والخلفاء الراشدين والصحابة والأسلاف الصالحين رضِي اللّه عنهم أجمعين، حيث إن في ذلك تقويةً للإيمان وتثبيتاً للقلوب، وقد قص اللّه تعالى على نبيه أنباء الرسل السابقين لتثبيت فؤاده كما قال تعالى : {وكلا نقص عليك مِن أنباءِ الرسلِ ما نثبت بِهِ فُؤادك}، ونحن أحوج إلى هذا التثبيت، وهو صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم أعظم الرسل، وسيرته أعظم السير، وكذلك سيرة الصحابة والسلف الصالح المرضي، وإنما يساعدنا على توزيع كل خير توزيع أعمال الطاعات على الأوقات والدقة في ترتيب وظائفها كما هو مبين في جدولٍ خاص بأعمال اليوم والليلة .

قال سيدنا علوي بن محمد الحداد : ما حد عرف قيمة الوقت إلا اثنان : الصوفية حقاً وعلماً لا المتصوفة الكاذبون الأغبياء المبتدعون [١]، و« الإفرنج » نعوذ بالله من شرهم، عرفوه للدنيا .

ومن المهم في ذلك أن يواظب الإنسان في الصباح والمساء قدر المستطاع على أهم ما ورد في السنة من الأحزاب والأوراد من السور والآيات والدعوات والتحصينات، كقراءة الفاتحة وهي أم القرآن، وسورة السجدة، و« تبارك » ليلاً، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان لا ينام حتى يقرأها، وسورة الواقعة التي هي سورة الغنى، وسورة الإخلاص والمعوذتين ثلاثاً صباحاً ومساءً وعند إرادة النوم، وكذا قراءة الورد اللطيف لسيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد صباحاً ومساءً، وراتبه المشهور، وفي الورد اللطيف خلاصة ما ورد في السنة من أذكار الصباح والمساء من التحصينات والأذكار المضاعف ثواب قارئها في الآخرة، ومن ثَم إذا اتسع الوقت وقلّت الشواغل يقرأ بقية أوراد الحبيب عبدالله المذكور التي جمعها حفيده السيد العظيم علوي بن محمد الحداد دفين بوقور في مجموعه المسمى « وسيلة العباد »، وللسلف المتقدمين والمتأخرين أوراد وأذكار عظيمةُ النفع كثيرةُ الجدوى مقتبسةٌ من الآيات والدعوات النبوية، ظهرت أسرارها وأنوارها على من واظب عليها، وفيما أورده صاحب « المسلك القريب » في هذا الباب غُـنـيـةٌ وكفايةٌ .

ومما واظب عليه سلفنا وأوصوا به وحثوا عليه حضور صلاة الجمعة ؛ لأ ا فرض عين، وما ورد من الترغيب في أدائها والزجر عن تركها طافحةٌ به كتب السنة،

---

(١) موقف عظيم يبين عدم الرضا عن ما يظهر من بعض الدخلاء على التصوف والصوفية .

والغسل لحضورها والتبكير بالحضور وقراءة سورة الكهف يومها وليلتها، وكثرة الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى اللّه علَيهِ وعلى آلِهِ وسلم كذلك يومها وليلتها زيادةً عن بقية الأيام، ومما أوصيهم به أن يكون لهم ورد من القرآن ولو قدراً يسيراً، وعند الختم يجتمعون للدعاء لأنه مستحب عنده ووقت إجابةٍ .

فقوموا أيها الأولاد والإخوان والمحبون بما أوجب اللّه عليكم، واجتنبوا ما حرمه عليكم تظفروا بخير الدارين، ومما أوصيكم به ـ وهو من آكد الواجبات ـ بر الوالدين، وقد جعله اللّه قرين الأمر بعبادته، فقال تعالى : { وقَضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحساناً } الآية .

ومما يطلب شرعاً صلة الأرحام والإحسان إلى الجيران، وتعظيم العلماء وحملة القرآن وإكرام ذي الشيبة المسلم، قال عليه الصلاة والسلام : « ما أكْرم الشاب شيخاً لِسِنِهِ إلاّ قيض اللّه له من يكْرمه عِند كِبرِ سِنِهِ »، والاهتمام بأمر المسلمين والدعاء لهم دواماً بصلاح أحوالهم، قال عليه الصلاة والسلام : « من لم يهتم بِأمرِ المُسلِمين فلَيس مِنهم »، وتوقير الكبير منهم والرحمة بالصغير، قال عليه الصلاة السلام : « من لم يوقر كَبِيرنا ويرحم صغِيرنا فلَيس مِنا » .

فتأملوا هذا التهديد الشديد، نسأل اللّه العافية والرحمة بسائر المخلوقات كما في الحديث المسلسل بالأولية : « الراحمونَ يرحمهم الرحمن تبارك وتعالىَ، اِرحموا من في الأرضِ يرحمكُم من في السماءِ » .

وليجعل كل واحد منكم لنفسه كل يوم ساعة من وقته للتفقه في الدين وإنارة قلبه بالمنهج المستقيم، فيطالع في الكتب الدينية ما قسم له من وقته، فيوم في التفسير ويوم في الحديث ويوم في الفقه ويوم في السيرة النبوية، ويوم في الأخلاق المرضية، التي هي قوام التصوف الصادق، ويوم في سيرة الصحابة وسلفنا خاصةً، هذا، وإن أمكن الاجتماع لذلك يكون أوقع وأنفع .

ومن أهم ما أوصي به المواظبة على الاستغفار، ويسمى استغفار الأبدال، وهو: « أستغفر اللّه للمؤمنين والمؤمنات » (٢٧) مرة صباحاً ومساءً، وكذا الاستغفار الذي يوصي به السلف فيه منافع عظيمة، وهو : « أستغفر اللّه الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه » (٢٧) مرة [1]، هذا ما حضرني الآن، وإن فتح اللّه بزيادةٍ ألحقتها وبسطت القول فيها، وفقني اللّه وإياكم للعمل الصالح الخالص، وجعلكم من الصالحين البارين حتى يصلني دعاؤكم وبركم من بعدي كما في الحديث: « إذا مات ابن آدم انقَطَع عملُه إلاّ مِن ثَلاثٍ : صدقةٍ جاريةٍ، وعِلْمٍ ينتفَع بِهِ، ووَلَدٍ صالِحٍ يدعو له » .

وقد أجزت أولادي الموجودين منهم وأولادهم ومن يوجد منهم وأحبابي كما أجازني والدي خاصةً بسنده إلى النبي صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، وكما أجازني مشايخي : سيدي الوالد عبدالباري بن شيخ العيدروس والحبيب عبداللّه بن عيدروس العيدروس، وجدي علوي بن عبدالرحمن المشهور، وسيدي الوالد عبداللّه بن عمر الشاطري، و سيدي الوالد محمد بن حسن عيديد، كما في ثبته «إتحاف المستفيد

(١) يروى الاستغفار بصيغة أخرى : « أستغفر اللّه الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الحي القيوم الذي لا يموت وأتوب إليه، رب اغفر لي » .

فيمن أخذ عنهم الحبيب محمد بن حسن عيديد »، وقد قرأته عليه وأجازني بما حواه، وكما أجازني سيدي الوالد علوي بن عبدالله بن شهاب الدين، وهكذا حلقة وسلسلة متواصلة كما في « عقد اليواقيت » لسيدي الحبيب جامع العِلْمين الظاهر والباطن عيدروس بن عمر الحبشي رضي الله عنهم وأرضاهم .

كتب ذلك ورقمه بقلمه وهو في حال الصحة والاختيار
علي بن أبي بكر بن علوي بن عبدالرحمن المشهور

ومـن الـوصايا الشعرية التي وجهها سيدي الوالد إلى أولاده هذه الوصية القيمة الحاوية على شريف الآداب، وسماها « وصية الأولاد » (١) :

أُوصِيكُم يا معشر الأولادِ ... هيا الْزموا طَرِيقَةَ الأجدادِ
مِثْل الفَقِيهِ جدنا محمد ... قد قَرر العِلْم وكان يرشِد
واختار للأبـنـا طَرِيقاً سهلَةْ ... قد حوتِ الخَير جميعاً جملَةْ
وقال : من يـتـبـعني له الهُدى ... يسعى له دأباً سعِيداً مسعدا
وبعده السقاف ذو الأمجادِ ... أولاده الكِرام ذو الرشادِ
ثَلاثَ عشرةً لَهم مِن العدد ... سكراننا مِحضارنا عند الشدد
والكُل مِنهم عالِم وعابد ... ما بين راكعٍ له وساجِد

---

(١) لسيدي الوالد أيضاً وصيةٌ شعريةٌ عظيمةٌ أخرى وجهها لأبنائه سـنة ١٣٨٨ في ذي الحجـة سنثبتها في « ديوانه » إن شاء الله تعالى .

سِيرتهم محمودةٌ مرضِيةْ قُلُوبهم طاهِرةٌ نـقِـيـةْ
قد تبِعوا المختار في الأعمال بل في جميع الفعل والأقوال
وإنْ ترِد شرحاً لأحوالِهِم فـ «مشرع» و «غُرر» يروي الظمِي
ما عمِلُوا مِن الصفاتِ الحَسنةْ تـنْـتِـج للقلبِ وتذْهِب محنه
كذا احذَروا مِن صحـبةِ الأضدادِ كما أتى عن شيخِنا الحَدادِ
تفْسِد للقلبِ يصِير أسودا يعلُوه رانٌ وغِشاءٌ وصدا
ففي الحَدِيثِ : ألجليس الصالِح كحامِل المِسكِ له روائِح
والآخر الجليس مِثلُ الكِير يحرِق للثوبِ مع الضمِير
ثُم ابتدوا عِمارةَ الأوقاتِ بكثْرةِ الصلاةِ والطاعاتِ
فالفرض فَضلُه مع الجَماعةْ بمسجِدٍ سِواكِ والعِمامةْ
وحافِظُوا أيضاً على الرواتِبِ للفرضِ بالإخلاصِ والتأدبِ
ثُم الضحى أداؤها لو ركعتين تهجد والوتر مهر الجَـنـتـين
وحزبـهُـوا تلاوةَ القرآن في كُل يومٍ لو يكُن جزءين
أيضاً و«ورد» ثُم «راتب لطِيف» للسيدِ الحَدادِ يحفَظْك اللطيف
مِن كُل مكْروهٍ وكُل محنةٍ ومِن همومٍ وسمومٍ جملَةٍ
ثُم اقْرأن كُتب الحَدادِ «إحيا علُومِ الدينِ» ذي السدادِ
وكُتب العلومِ مِثْل «المُختصر» وغيرها مِن كُتبِ العِلْمِ الأغَر
منظُومتي الغراءِ والمَظْلُومةْ لتركِهم لها هِي المَهضومةْ
والبِر للآباءِ والأم الحَـنـونْ فَرض أتى بطاعةٍ عميا تكُونْ

كذا اجعلُوا لكم صلاةً عالنبي　　　في كل يومٍ فهي مكْـنـوز خيِي
صلى عليهِ اللّه دأباً سرمداً　　　ما حن رعد في الفضا ترددا
وآلِهِ وصحبِهِ الكِرامِ　　　والحَمد للّهِ على الدوامِ

ومن وصاياه الشعرية وصيةٌ كتبها بقصد الـنـصـيـحـة لسكان أحور ولعموم رجالها ونسائها وكبارها وصغارها، وهي قصيدةٌ مطولةٌ نقتبس منها هذه الأبيات :

سلامي على طه الحبيبِ محمدٍ　　　سلام على من حل في أرضِ طَيبةِ
سلام على من شرف اللّه قَدره　　　وعظمه في الذكْرِ في كل سورةِ
حبِيبي رسولَ اللّهِ إن عبيدكُم　　　بِهِ كُربةٌ في غربةٍ أي كربةِ
فقَلْب لَه يسهو وجسم به ونا　　　وصار هو الحيرانُ في كُل وجهةِ
أُصلي صلاةً والجَنانُ مسافر　　　يجولُ بِهِ الشيطانُ في كل خطْرةِ
وقد قال إسماعيلُ مقْري زمانِهِ　　　يكونُ الفتى مستوجِباً للعقوبةِ
وأقرأُ للقرآن والقلب غافلٌ　　　وليس بِهِ من هِمةٍ للتلاوةِ
وجدي علِي قد قال : يا قومِ إنه　　　إذا ضاع قَيد فهو في بطْنِ آيةِ
ومن ينس للقرآنِ مِن بعدِ حِفظِهِ　　　فذاك هو العاصي بأعظمِ زلةِ
ومن ضيع الأوقات في غيرِ طائلٍ　　　فذاك المسمى عبد سوءٍ وشهوةِ
ومن لم يراقِب للإلهِ فإنه　　　هو العبد للشيطان شر الخليقةِ
فيا سيدي المختار كن شافعاً لنا　　　إلى ربك الرحمنِ يوم الشفاعةِ

وأنْ يصلِح الجِسم مع القلبِ بالهدى ... ويرزقَنا رزقاً حلالاً بكَثْرةِ
فمسألةُ التدبير قد حار لُـ بـ نا ... ا في زمانٍ ليس تلقى لرحمةِ
وقد قال حداد القلوبِ بنظْمِهِ ... حذارِ من الأحزانِ والهَم جملةِ [1]
فربـ ـك رزاق رحيم مدبـ ـر ... وإياك مِن إشغالِ قلبٍ بلُقْمةِ
ولكن أَقِم أمر الإلهِ وما قضى ... عليك بِهِ في بكْرةٍ وعشِيةِ
تصلي للخمسِ التي هن يا أَخِي ... عماد لدينِ اللّهِ أفضل قُربةِ
فكُل مصل أمره مـ ـتـ ـيـ ـسـ ـر ... وليس به عسر ولا مِن مشقةِ
ومن ترك الفرض جحوداً وشِقْوةً ... فذاك بإجماعٍ له شر قتلَةِ
ويرمى بلا قبرٍ ليصبح طُعمةَ الـ ... ـكلابِ التي تفري لأخبثِ جِيفَةِ
يموت على سوءٍ وقلبه ظامئٌ ... فلا البحر يملي البطن مهما تملتِ
ويا ويله مِن منكرٍ ونكيرِهِ ... يحاسبه عن تركِ كُل فَرِيضةِ
ولا تنس ضم الأرضِ للعاصِ إنه ... له ضغطَةٌ شنعاءُ أعظِم بضغطَةِ
وغِيبةِ إخوانٍ أتى في عقا ا ... أشد على الإسلام مِن فعل زنيةِ
ومن يخلِف الميعاد والكِذْب دأْبه ... وأقْبح منه خائن للأمانةِ
ومن يك قَـ ـتـ ـاتاً فذاك نسمِهِ ... ماز او نمامٍ شر الخليقةِ
ومن يك ذا مالٍ ولم يك منفقاً ... فذاك ببخلٍ غارق في البخالةِ

(١) إشارة إلى قول الإمام الحداد :
وإنْ ترض بالمَقْسومِ عِشت منعماً ... وإن لم تكُن ترضى بِهِ عِشت في حزن

ومن يك بـيـاعاً وصار مخادعاً … بأدنى احتيالٍ ذاك غَشاش أُمةِ
ونقْصِ لِمكيالٍ وذَرعٍ فإنه … عدو لدينِ اللّهِ سافلُ نيةِ
وأهلُ الحراثاتِ تجِد كم مناكِرٍ … ولا سيما العمالُ في كُل جريةِ
بأنْ يدخِلَ الأسوام في جربة الذي … تكون لَديهِ لا يبالي بِجيرةِ
إلى النارِ يا هذا فأبشِر بنـزلها … وللأرضِين السبعِ حملاً برقْبةِ
وأهلُ الزنا قد قَبح اللّه شأنهم … وعقباهم نار بيومِ الفضيحةِ
وأهلُ الربا قد آذنَ اللّه حربهم … لأ م الأعداءُ في نص آيةِ
ومن قَطَع الأرحام فهو معذب … عليه مِن الرحمنِ أعظَم لَعنةِ
ولا تنـزلُ الرحمات في كل قريةٍ … ا قاطع الأرحامِ إلا بتوبةِ
ومن يؤذِ للجارِ ا اورِ إنه … يصاب بلا ريبٍ بشر مصيبةِ
وسحقاً لمَن عق الأصولَ ومحنةً … وبعداً مِن المولى بيومِ القيامةِ
فقد جاء في « سبحانَ » قولُ إلهنا … بخفضِ جناحٍ والدعاءِ برحمةِ
ومنعاً لـ « أُف » وهي أدنى تضجرٍ … فكيف بمن يهذي بِشر عبارةِ
ومن لم يزكي المال فهو مفَرطٌ … بتقصيرِهِ في منعِ هذي الفريضةِ
وأما صيام الشهرِ أمر مقَرر … فصمه وجوباً وارعِ فيه لِحرمةِ
كذا حج بيتِ اللّهِ في العمرِ مرةً … على المستطيعِ للذهابِ لمكةِ
وزورةُ خيرِ الخلقِ فهو شفيعنا … عليه صلاةُ اللّهِ في كُل لحظةِ

وقد تعرض سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى في كل لحظة لسيرة الرسول صلى اللّه عليه وآلِه وسلم ودعوته لقومه بمكة وإسلام بعض الصحابة ثم تعرض لهجرة سيدنا أحمد بن عيسى المهاجر إلى وادي حضرموت وما خلفه هناك في أرض الأسلاف من عنصر طاهر ومظهر ديني باهر، وذكر بعض المناقب الشريفة التي وردت في كتب القوم وا اهدات، ثم استطرد إلى ذكر أجداده وأسهب في ذكر الجد علوي ومآثره بحضرموت والهند، وتعرض بعد ذلك لوالده الجد أبي بكر واهتمامه بشخصية ولده علي وتحفيظه كتاب اللّه، وعرج بعد ذلك على ذكر أشياخه الذين تلقى عنهم العلم من المتأخرين أمثال الإمام عبداللّه بن عمر الشاطري والحبيب عبدالباري، وبما أن المقام الذي نحن نكتب فيه خلال هذا الفصل له ارتباطٌ بالأمر نثبت هذا الجزء من القصيدة لتمام الفائدة :

وأما أبي وهو الذي كان راعياً	لأولادِه خص الفقير بنعمةِ
فحفظني القرآنَ في قُبةِ الهدى	وعلمني للعلمِ في خير بلْدةِ
ولازمت أستاذي وشيخي وسيدي	هو الشاطِري شيخ العلومِ الكثيرةِ
كذا شيخي المفضالَ ذاكر ربـ ـنا	هو العيدروسِ عبدِ باري الخليقةِ
وبن عيدروسٍ كان يدعو لإبنِهِ	ومنه اقتبسنا العلم في خير ليلةِ
وأما الملاذُ علَوي فإنه	له اجتمعت كل الخصال الحميدةِ
فلا زال للنفع العميم وبذْلِهِ	لطالِبِه في بكْرةٍ وعشِيةِ
وقد حصل الإلباس والأخذُ والسند	من اشياخي الماضين خير إجازةِ
إلى شيخِنا الحدادِ أصل طريقِنا	مسلسلةً للأمهاتِ بنسبةِ
ولست بمحصٍ عدهم وصفاتِهم	بفخرِ الوجودِ الكل فاصلِح سريرتي

سألتك يا ربي بجاهِ نبينا وساداتِنا الماضين فامنن بنفحةِ
وتصلِح سويدا القلبِ تذْهِب رانه وتصقُلُه عن فعل أدنى خطيئةِ
ويصلِح أولادي ويجعلُ منهم رجالاً إلى الخيراتِ تدعو ـِمةِ
ويفْتح في العلمِ الرصينِ عليهم ولا سيما القرآنُ أعظم مِنحةِ

وبعد هذا الاستطراد الشعري البهيج نجده يتناول الحديث عن الأولاد فرداً فرداً داعياً لهم بكل خير، وقد تركنا ذلك خشية الإطالة، وسنعمل على إثبا ا كاملةً في مجموع أعماله الشعرية إن شاء اللّه تعالى منفصلاً عن هذا الجمع المختصر.

و ـذا القدر من الوصايا النثرية والشعرية نختتم القول في هذا الباب سائلين المولى جل وعلا أن يوفقنا للعمل بما به أوصى، وأن نكون خير خلف لخير سلف، وأن يمنحنا الثبات والإخلاص في كل طريقٍ نسلك به الاتباع للمنهج القويم والطريق المستقيم .

الحَيَاةُ في أَشْرَفِ البِقَاع

تعد هذه المرحلة في حياة سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى هي المرحلة الثالثة والأخيرة، وقد كانت بلا شك أقسى مراحل الحياة وأصعبها وخاصة في بدايتها، حيث اختار السفر من بين أهله وأولاده بعد أن ذاق طعم الاستقرار، وانتشرت الدعوة في سائر الأقطار، ورضي العيش وحيداً فريداً عدة سنواتٍ، حيث وصل سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى إلى الأراضي المقدسة في العشرين من ذي القعدة عام ١٣٩٢ قادماً إليها من عدن بعد أن ضاقت به الأحوال، وشهدت عينه الأهوال، واضطرب القلب من سوء الأقوال والأفعال التي بدت على سلوك الجهال، ورأى أن الرحلة مهاجرةً بالدين خير من البقاء في الأوحال، فعزم خلال أيام المناسك بغرض أدائها ونـزل بادئ ذي بدء عند أحد المحبين [1] الذين استوطنوا جدة منذ عهد بعيد .

ثم انتقل سيدي الوالد بعد أيام إلى مسكن بعض الأقارب القاطنين أيضا بجدة، ثم صار كثير التنقل بين مكة والمدينة حتى استقر في رباط السادة بمكة المكرمة ومكث به قرابة عام كاملٍ إلا قليلاً يسكن بغرفةٍ صغيرةٍ من ذلك الرباط ويقطع الوقت بين تلاوة

---

(١) هو الحاج محمد بن علي العنبوري، وهو من قبائل آل عنبور المشهورة بـالعنف والـبطش في بلاد العوالق إلا أن هذا الحاج المبارك كان ينهج جاً مخالفاً لتلك القبائـل، لكونـه عـاش نـزيل المدن والحواضر، وكان سبب سفره الهروب من المشاكل التي تحدِثُها قَبِليةٌ في النـاس حتى يختلط فيها البريء با رم، وقام مع وجوده في جدة بفتح عمل تجاري محـدود وتـزوج وأنجب عدداً من الذكور والإناث وصار منـزله كهفاً للقصاد من البلاد يكرمهم ويـؤويهم ويلبي حاجتهم، ولم يزل كذلك حتى وافته المنية في شهر ذي القعدة ١٤٠٥ بمدينـة جـدة ودفن بمقبرة حواء رحمه اللّه رحمة الأبرار .

القرآن ومطالعة الكتب منفرداً أو مع من يألفه من ساكني ذلك الرباط، وقد يسافر إلى المدينة أياماً لزيارة الرسول صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، ثم يعود إلى مكة المكرمة يتملّى في القبلة التي رضيها لنا رسول اللّه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم في قوله تعالى : { فلَـنـولـيـنـك قِبلَةً ترضاها } .

فكان رحمه اللّه يعتكف في المسجد الحرام متجرداً في محاريب الثواب وطاعة الرحمن شاكراً مولاه الذي هيأ الأسباب، فحقق له أمنيةً كان يتمناها، إذ كنا نسمعه يكرر لنا قوله : « أتمنى من اللّه أن يهيأ الأسباب حتى أتجرد لعبادته تجردا، وأستصفي القرآن أنيساً وصاحبا، وقد أثبتت لنا مذكراته التي سجلها خلال ذلك العام ما يؤكد تحقيق الأمنية الغالية، كقراءته لكتاب اللّه في كل أسبوع وصيامه بعض الأيام المأثورة تبتلاً إلى اللّه، بل جمعت مذكراته عدد الختمات التي قرأها، كما كتب في مذكرته أيضاً أنه كان يقرأ في « صحيح البخاري » مع جماعةٍ من أصحابه، وختمه معهم في ١٩ رجب من عام ١٣٩٣ كما أثبت قراءته لـ« تجريد البخاري » وختمه في ١٢ شعبان من ذات العام، وقرأ بعد ذلك في «سنن النسائي» وفي « رسالة المعاونة » للإمام الحداد .

وفي بعض الشهور خلال عام ١٣٩٣ وأحسبه في شهر رمضان استقر في مدينة الرسول على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وارتبط برجلٍ صالحٍ من مواطنيها القادمين من بلاد بخارى، واسمه الشيخ محمد بن طاهر البخاري، وكان حافظاً لكتاب اللّه تعالى مجيداً لسرده وتلاوته، فكان يدارسه الـقـرآن في الـحـرم

الـشـريـف، حيث ذكر سيدي الوالد في مذكرته أ ـما كانا يختمان القرآن في كل ثلاثة أيام [١]، وقد يصليان التراويح والوتر بشيءٍ من كتاب اللّه تعالى .

وفي يوم السبت ٧ من شهر ذي القَعدة عام ١٣٩٣ من الهجرة استلم سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى مهمات الإمامة في مسجد رمضان بالشرفية بمدينة جدة، وكان ذلك أول ارتباطٍ به ـذه المدينة الواسعة، فكان بادئ الأمر يتكلف الإشراف على شؤون المسجد كلها مؤذناً وإماماً وخطيباً ومنظفاً، وحتى كان يضطر في بعض الأيام إلى الخروج لجلب الماء بالسيارات لملء خزانات المسجد عند فراغها، وكانت تلك مرحلةً شاقةً ومضنيةً من حيث نظرنا نـحـن إليها ونظر الناس من المراقبين حياته، أما هو فقد كان راضياً بما يرضاه له مولاه، وكيف لا وقد نضجت فيه شروط المتكلين على مولاهم في شتى الشؤون، وقد كتب له والده يوماً وهو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى في المكث ببلاد العوالق السفلى :

والحَق أنْ تمكُثَ حيثُ أنـزلَك حتى يكُونَ اللّه عنه نقَلَك

فكان يسكن في غرفةٍ صغيرةٍ لاصقةٍ بذلك المسجد، قانعاً بشظف العيش وخشونة الحياة راغباً في التجرد إلى اللّه تعالى، والتخلي عن الخلق وعلائقهم وطلباً للأجر والثواب من الرحيم الرحمن، وقد كان رحمه اللّه تعالى يروي لنا في بعض الأيام صوراً مؤلمةً من تلك الصور المريرة التي قد تمر عليه في عالم الوحدة بذلك المكان الصغير كالأمراض ومضاعفات السكري وأعراض الشيخوخة من إرهاقٍ وعجزٍ عن الحركة الكثيرة مع الحاجة الماسة إلى من يساعده في التنظيف والأكل وغير ذلك من الأمور

(١) تعرف سيدي الوالد على هذا الشيخ في يوم الجمعة ٢ رمضان ١٣٩٣ .

التي تمر على المرء في مثل هذه الأحوال، وكان الصبر سلاحه دائماً كما عرفه الكثيرون من قبلُ ومن بعد في شتى أحواله، وقد يظهر شيئاً من خفايا صدره فيما يختاره من الحِكَمِ على ظهر مذكراته، ففي مذكرة عام ١٣٩٣ كتب على الصفحة الأولى :

ما لي أَذِل وللقناعةِ عِزةٌ	أنجو ا مِن ذِلةٍ وهوانِ ؟
وأصونُ وجهي أنْ يذِل لأوجهٍ	منحوتةٍ مِن عالَمِ الصوانِ
والقوم كالأصنامِ والإسلامِ نـ ز	هني عنِ الأصنامِ والأوثانِ

وفي ذي الحجة من عام ١٣٩٤ هيأ اللّه الأسباب، واستجاب دعاء المتبتل الأواب، فسمح للوالدة أمتع اللّه ا وصغرى بنا ا أن تغادر الجنوب لتعيش مع سيدي الوالد بالأراضي المقدسة، وكان وصولهم إليه يعد حالةً مرضيةً وجالبةً للاطمئنان حيث خففت عنه بعض الأثقال النفسية والجسمية، مع أنه رحمه اللّه كان قد رتب أمره مع عدد من أقرانه لقضاء الوقت والمسارعة إلى عمارته على مدار اليوم والليلة، من قراءةٍ ومدارسةٍ في كتاب اللّه تعالى وقراءةٍ في كتب الأحاديث الصحيحة، وسنذكر ذلك في حينه .

وفي العام الذي يليه يأت الأسباب لكل من الأخ أحمد بن علي المشهور والأخت الكبرى فاطمة الوصول إلى الأراضي المقدسة بعد الحصول على إذنٍ رسمي لمدةٍ محدودةٍ، وقد عاد الأخ أحمد إلى الجنوب بعد انقضاء مدته .

والمتأمل بعين البصيرة لتوالي الأحداث وحركة القضاء والقدر في دائرة أسرة سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى وما استجد خلال الأعوام الأخيرة من حياة سيدي الوالد حيث التأم شمل الغالب من هذه الأسرة في ظروفٍ عجيبةٍ وغريبةٍ للغاية يعرف سر القول المحكم في الآية الكريمة : { ومن يتقِ اللّه يجعلْ له مخرجاً ويرزقْه مِن حيثُ لا يحتسِب }، فسبحانَ مدبر الأمور ومقدر القدر المقدور .

صُوَرٌ مِنْ أَعْمَالِهِ واجْتِهَادَاتِهِ فِي جُدَّة

كانت جبلة سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى مفطورةً على فعل الخير والأمر به ديدناً وعادةً، ولم يخالف هذه القاعدة حتى قِيد أنملةٍ كما وصفه بعض الملاحظين حياته وسلوكه، حيث قال : لقد كانت حياته صبياً وشاباً وشيخاً واحدةً لا تتغير ولا تتبدل إلا إلى الأحسن والأولى والأفضل .

فهو لم يترك خلال حياته كلها قيام الليل وقراءة القرآن من كل يومٍ إضافةً إلى القراءات الخاصة والعامة [1] في كتب الفقه والحديث والتفسير، ومنها قراءات مع أسرته وأولاده، وقد حوت مذكراته لأعوام مكثه في هذه البلاد جمعاً مطرداً للكتب المقروءة في المجالس المختلفة، كما كان لا ينفك عن صلة أرحامه وزيارتهم واستدرار عطفهم والأخذ بخواطرهم بالرسالة والهدية، وحيناً بالتزاور إذا كان أحد منهم على مقربةٍ منه، ولم نشهد أسبوعاً من حياته رحمه اللّه تعالى إلا وهو يحمل القلم ليكتب إليهم سائلاً عن أحوالهم طالباً منهم الدعاء باذلاً إياها لهم .

---

(١) كان من جملة من قرأ عليه في هذه البلاد : السيد محمد بن أحمد بن شهاب الدين، والسيد صالح بن عبدالرحمن البيض، والسيد علوي بن عبدالرحمن الجفري، والمحب الفاني خالد بن سالم زيدان، والشاب طالب بن يوسف مرشد، والسيد عبداللّه بن محمد الجفري، والسيد محضار الحبشي، والطبيب عاطف فخري، والعلامة الداعية الذي نفع اللّه به حتى يومنا هذا في إفريقيا الشيخ محمود بن عبدالباري من الصومال، والسيد عبدالقادر بن حسين ابن الشيخ أبي بكر، والمحب سالم باحارث .

كما كانت له جولات خاصةٌ في بعض الأيام والليالي يزور فيها بعض الصالحين والأولياء وبعض أصحابه الذين يأنس إليهم ويمدهم ويستمد منهم، وكان لا يخلد إلى الدعة والراحة والتكاسل أو التثاقل في العبادة من أبنائه ومريديه، بل كان يحث الجميع على النشاط والمسارعة إلى الخير، ويسبقهم إلى أفضل الطاعات والعبادات والأعمال الصالحات، فتراه رغم ما تتجاذبه من الأمراض والأوبئة ملازماً كل الملازمة لقرآنه وأوراده وحزوبه في عين الأوقات المحددة لذلك، ولربما حضر إلى شيءٍ من القراءة مع تلاميذه أو أولاده وهو في غاية التأثر من المرض ومضاعفاته ولكنه لا يبدي ذلك ولا يظهره اقتداءاً بسلفه الصالح الذين كانوا يكتمون أحوالهم وآلامهم حتى من أقرب الناس إليهم، وفي مدينة جدة كان مقسماً وقته على ذات التقسيم المألوف في حياته الأولى مع زياداتٍ واضحةٍ في التكليفات الخاصة وا اهدات الذاتية، فهو إضافةً إلى القراءات المستمرة في كتب الحديث والعربية والتفسير والسير والتصوف كان يخصص بعض الوقت للتأليف والكتابة، ومادة تأليفه وكتابته تتحدد في الفوائد التي تقرأ في حلقات دروسه العامة بعد المغرب أو قبل الظهر وبعده، أو هي في مجال السير والتراجم والأشعار والحكم المفيدة، حيث نجدها مادة مذكراته للأعوام الأخيرة، إضافةً إلى مواضيع الخطب التي يكتبها في مذكراته قبل أن يخطب ا ارتجالاً، حيث يجمع الأحاديث والآيات الواردة في الموضوع الواحد .

وأما في الأشهر الأخيرة من حياته فقد نـزع رحمه اللّه تعالى إلى أمرين واضحين، أولهما كثرة الاعتكاف في المسجد، حيث كان غالب وقته لا يخرج إلا في وقت الأكل أو لزيارة أحد أو إذا قدم ضيف إلى المنـزل، وخاصةً أثناء النهار، ويكاد اعتكافه بين العشائين وبعد العصر إلى المغرب يكون مستديماً خلال المرحلة الأخيرة، ولست أعلم إذا كان حدسي في موقعه إذا قلت : إن سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى

قد وصلت إليه إشارة قرب الأجل فاستكثر من فعل الخير، إذ وقع خلال شهر جمادى الأولى من عام وفاته أمر يرجح ما ذهبت إليه في حدسي، وسأذكره في حينه.

أما الثانية من الأمور التي نـزع إليها آخر حياته شدة الانفعال والصمت، حتى إنه رحمه اللّه كان يكتب تراجم أجداده العلويين إلى النبي صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم في غالب أوقات فراغه من الشهر الأخير من حياته، بل كان أحدنا يقرأ عليه في بعض الكتب [1] وهو مستغرق في الكتابة على غير عادته، ولم نفطن إلى شيءٍ من الأمر إلا بعد وفاته رحمه اللّه تعالى .

وأما الأمر الذي أعزو إليه اهتمام سيدي الوالد بأمر الأجل و اية الحياة فهي رؤيا منامية حصلت لأحد المغاربة، وقد سجلتها من الرائي بخط يدي وسميتها « البشرى من صاحب المعراج والإسرا »، واستحسن الوالد صياغتي لها كما أملاها علي صاحبها، وكتب عليها بخط يده : « مِن ملهمات الولد أبي بكر »، وهذا نص ما سجلته في البشرى :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه القائل في محكم بينات الكتاب : { وأما بِنعمةِ ربك فحدثْ }، والصلاة والسلام على السبب الأقوى والوسيلة الموصلة إلى رب الأرباب سيدنا محمد صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم مفتاح باب الرحمة سيد الخلائق في الحياة الدنيا وفي يوم الحساب، الحبيب المحبوب راعي الخَيرين من سلالته ومراعيهم، يجذ م على درج

(١) قرأت عليه خلال هذه الفترة الأخيرة من كتاب « جة المحافل » للعامري، ومـن « عقـد اليواقيت »، وكان يخصص ما بعد صلاة الفجر لقراءة النحو عليه في «الكواكب الدرية» .

الترقي إلى مراقيهم . وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم، وارض اللهم عن آله وأصحابه الذين اكتحلت منهم المآقي بسنا الجمال المحمدي فأبصرت، وسرت منه إلى القلوب رياح الحب اللطيفة فأينعت وأثمرت، وفاض منها الإمداد إلى أوعية التابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وبعد فلما كان يوم الثلاثاء الموافق ٢١ جماد الأولى ١٤٠٢ وصل إلى سيدي الوالد رجلٌ من صحراء مالي الإسلامية اسمه الشيخ طيفور بن يحيى الفامنتولا .. حيدرة، وعمره خمسةٌ وأربعون عاماً تقريباً، وقد كان يعمل في بلاده مستشاراً، وأصله ينحدر حقيقةً من سلالات الأشراف بمكة المكرمة، وقد كان جده يسكن بوادي فاطمة بالحجاز ثم هاجر إلى مالي مع دخول آل سعود البلاد واستوطن صحراء مالي، وقد كان يؤدي بعض الصلوات بالمسجد الذي يصلي فيه سيدي الوالد إماماً أيام وجودِه في جدة، وفي بداية شهر جماد الأولى ذهب إلى المدينة المنورة زائراً ومكث ا قرابة الأسبوعين .

قال الشريف طيفور : من عادتي منذ ٣٥ عاماً أن لا أنام أكثر من ساعة واحدة خلال اليوم والليلة، وبينما كنت في يوم الاثنين الموافق ٢٠ جماد الأولى أ يأ للراحة بعد أن توضأت وشرعت في قراءة أورادي التي تعلمتها من والدي، أخذتني سِنةُ نومٍ رأيت بعد أن استيقظت أ ا أطول فترةٍ ِنمتها منذ ٣٥ عاماً، فقد بلغت قرابة ٣ ساعات، وفي هذه السنة رأيت هذه الرؤيا :

رأيت الشيخ الإمام ـ ويعني به والدي ـ كأنه قائم بكامل ملابسه وعليه هيبةٌ وجلالةٌ، وعن يمينه وقف رسول اللّه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، وعن يساره أبوبكر

الصديق رضِي اللّه عنه، ووقف خلفه سيدنا عمر بن الخطاب رضِي اللّه عنه وعليه سمات الهيبة والقوة الموصوف ا، وأخذ سيدنا أبوبكر في الحديث فكان يسألني عن الشيخ الإمام : هل عرفته ؟ ولم يتبادر لذهني خلال تلك اللحيظات من هو لأني أعرف الشيخ معرفةً عاديةً من خلال حضور الصلوات معه فقط، وقد ظننت بادئ الأمر أنه أحد علماء الأزهر الشريف، وكان أبوبكر الصديق رضِي اللّه عنه يقول لي بمعناه : إنه قريب منك، إنك تسكن بجواره، تصلي خلفه، ولم يزل يعرفني به حتى رأيت عمامته وهي مطويةٌ بطريقةٍ خاصةٍ ليست كعمائم الأزهر، فعرفته حينذاك وتيقنت مكانه، فقال لي سيدنا أبوبكر الصديق : اشتر من سوق المدينة ٩٩٩ مسبحة من النوع المسمى بالتمر، واذهب إليه تجده يوم الثلاثاء (٢١ جماد الأولى) يقرأ القرآن بالمسجد بعد صلاة الفجر، وسمى لي ثلاث علاماتٍ أُعرفُه ا وأعرِفُه ليطمئن قلبه وقلبي، وخذ مسبحةً من ذلك العدد المشترى واقرأ : { قُلْ هو اللّه أحد } ألف مرة، ثم عند بلوغك الـ ٩٩٩ قم إليه بنيةٍ صالحةٍ ووجهةٍ قويةٍ وسيسلمك مسبحةً بيضاء وسلمه أنت هذه المسبحة وعرفه بالعلامات :

الأولى : أنه يتلو في حزب اليوم ثلاث سورٍ منها سورة النمل .

الثانية : مسبحته البيضاء التي سيعطيك إياها .

الثالثة : عنده ابتلاءٌ بثلاثة أمراضٍ : السكري وهبوط القلب ووجع الركب، ثم علمه هذا الدعاء ليقرأه عند اشتداد الألم والوجع، وصورته :

١- أن يصلي للّه ركعتين قبل العصر أو بعد الإشراق، وبعد السلام يقول ٤ مراتٍ : يا حي يا قيوم، ثم يقرأ هذا الدعاء :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم يا حي يا قيوم أنت حي قبل كل حي وبعد كل حي، أسألك باسمك الحي أن تحيي قلوبنا

وأعمالنا وأمورنا وصحتنا، وأن ترزقنا رزقاً واسعاً مباركاً طيباً حلالاً، نحن وجميع المسلمين نعيش فيه برحمتك يا أرحم الراحمين، يا حي يا قيوم يا قادر يا مقتدر يا كبير يا متعالي يا ذا الجلال والإكرام، والحمد لله رب العالمين .. إلى آخر الفاتحة .

ثم يقول : يا حي يا قيوم « سبعين مرة » ثم يقرأ الدعاء إلى آخره، ثم يقول : اللهم يا حي يا قيوم « مئة مرة » ثم يقرأ الدعاء إلى آخره، ثم يقول : اللهم يا حي يا قيوم «أربع مرات» ثم يقرأ الدعاء إلى آخره، ثم يقول : اللهم يا حي يا قيوم «سبعين مرة» ثم يقرأ الدعاء،ثم يقول:اللهم يا حي يا قيوم « مئة مرة » ثم يقرأ الدعاء.

قال الشريف طيفور : ثم كلّمني بعد ذلك الحبيب صلى اللّه عليه وآله وسلم وقال: أخبره ـ أي : والدي ـ أنه إذا أراد أن يراني يقرأ عند نومه قوله تعالى : {وما أرسلْنا مِن رسولٍ إلاّ ليطاع بِإذْن اللّهِ، ولو أنهم إذْ ظَلَموا أنفُسهم جاؤوك فاستغفَروا اللّه واستغفَر لَهم الرسولُ لَوجدوا اللّه تواباً رحِيماً } .

انتهى من الرؤيا ما أمكن نشره، وقد كتبتها من لفظ الشريف المذكور فجر الثلاثاء ٢١ جماد الأولى ١٤٠٢ .

الأمْراضُ والابْتلاءاتُ الجَسَديَّة

كان سيدي الوالد في الأسبوع الأخير من حياته يطلب مني أن أُسمعه تسجيل خطبة الجمعة التي ألقيتها على منبر المسجد نيابةً عنه وكانت عن « الابتلاء والصبر عليه » وما أعده اللّه من الدرجات للصابرين، فلما سمعها ذرفت عيناه بالدموع، وسألني : لماذا اخترت هذا الموضوع ؟ فقلت له : لقد وقعت يدي في المكتبة على كتاب ابن القيم المسمى « عدة الصابرين » وأنا أبحث عن موضوعٍ ملائمٍ، فرأيت المناسبة تدعو إلى ذلك، وخاصةً أن مادة الكتاب تكاد أن تحوي كل شيءٍ عن الصبر على البلاء، فسكت سيدي الوالد وكأنما هو قد علم من ذلك أمراً .

والحق يقال : إن درجة الصبر التي تحلى به سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى خلال تناوب الأمراض على جسده منذ ثلاثين عاماً وزيادة توضح بيقينٍ أنه يرجو بذاك اللّه والدار الآخرة، فكان أول مرضٍ نـزل به منذ أن حلّ ببلاد العوالق السفلى هو «مرض الفتق» أو « الهزر » كما يسمى في اللهجة الدارجة، ولما استفحل أمره بعد الزواج سافر إلى عدن مدة شهر واحدٍ حيث أُجريت له عمليةٌ جراحيةٌ في مستشفى المكاوي بعدن، ثم عاد إلى أحور، ولم تمر على استقراره بأحور سوى مدةٍ قصيرةٍ حتى ابتلي بالروماتيزم في ركبه، حيث أ كه ذلك البلاء المفاجئ إ اكاً وأقعده أياماً طويلةً سافر خلالها إلى مستشفى المخزن بـجـعـار للعلاج، ثم عاد يستعمل الأدوية والعقاقير الطبية العربية ويستعين على القيام والحركة بعصاه .

ولم يلبث أن انقشعت سحابة الروماتيزم المستمرة حيث أصبحت موسمية بعد ذلك تعاوده من حينٍ إلى آخر حتى ابتلي بمرض السكري، وهو أخطر مرضٍ أُصيب به،

حيث استمر يمتص صحته عاماً بعد عامٍ، ومنعه لذيذ العيش وطيب الطعام، وغادر إلى جعار وعدن لمعالجته مراتٍ ومراتٍ ؛ لكن الرأي الأمثل لأصحاب هذا النوع من المرض قولهم : « الوقاية خير من العلاج » وقولهم : «الحمية رأس الطب» فاحتمى سيدي الوالد عن كل مشروبٍ ومأكلٍ منع منه لسكرياته، وحتى اضطر إلى الالتزام بنصائح الأطباء في تخفيف الانفعال والتقليل من الإجهاد الذهني والجسدي، فكان لذلك أثر بين على سلوكه وتصرفاته مع طلبته وأولاده، إذ خفف من العقاب الشديد الذي كان يعتاده في معالجة بعض الأمور .

ولخطورة هذا المرض المستعصي لم تعرف العافية التامة إلى جسده سبيلاً، وإنما كانت نوبات الألم والأوجاع تتغشاه بين الحين والآخر فتمتص منه جهداً كثيراً، وخاصةً في أخريات إقامته بأحور ونواحيها مع اشتداد وطأة الأفكار المنحرفة وتدخل السفهاء في المناقشات التافهة التي تثار ا أعصابه ويشتد ا غضبه، وانحراف الأجيال عن الأخلاق الإسلامية السامية، وتعرض بعض العلماء والدعاة إلى القتل والنهب والسخرية والامتهان، فلم يغادر البلاد إلا وهو يحمل ـ على ما به من أمراض ـ بوادر أمراضٍ جديدةٍ، كهبوط القلب وسرعة الإجهاد وإشراف عهد الشيخوخة، فكانت كلها مجتمعةً على جسده وبنائه النفسي والجسدي ترتع لتمتص قواه البدنية وتنهكه إ اكاً كلياً .

ومع ذلك فقد عرض سيدي الوالد نفسه على عددٍ من الأطباء وجاب عِدةَ مستشفياتٍ وأخذ بالأسباب إلى حيث انتهى به الأخذ، وشرب من المركبات والأدوية والوصفات الطبية ما لا تجمعه الأوراق، ومع كل ذلك فالألم المشترك كان يسحق كل ما تبنيهِ آمالُ الأطباء، ويواري في أليمه ما يزرعه الحريصون الأوفياء،

ويظهر لهم ولغيرهم أن الوباء والبلاء للعبدِ الصالح تمحيص واختبار وزيادةٌ في الأجور والحسنات، وظلّ سيدي الوالد رحمه الله مع تلك الأوبئة بين المد والجزر وبين الأخذ بالأسباب والتذرع بالصبر حتى استفحل في الأمعاء مرض جديد وبلاءٌ مفاجئٌ كان له الأثر الغالب والفعل الأقوى في ضرورة المعالجة خارج البلاد لصعوبة ما يترتب على الإهمال من أمور القلق والانـزعاج .

وغادر سيدي الوالد مدينة جدة برفقة الأخ أحمد بن علي المشهور في يوم الخميس ٢٠ شوال ١٤٠١ صوب المملكة المتحدة حيث أخذ بعض الوقت هناك في العلاج والتطبب وظهرت بوادر العافية تلوح على المحيا، وسمح له بالعودة إلى الحجاز، مع ضرورة استخدام بعض الأدوية الخاصة والامتناع عن الصوم الشرعي، وحددت له أوقات وكميات الغذاء المتناول في اليوم والليلة، وعاد إلى مدينة جدة في يوم السبت ١٤ من ذي القعدة الحرام ١٤٠١ واستقبله الأبناء والأصحاب والمحبون استقبالاً حافلاً، وقَرأت بحضرته قصيدةً شعريةً بمناسبة الوصول قلت فيها :

بشراك يا مخبِري بالأهيفِ الحَصِفِ ... طَمنت قلباً غَدا في غَايةِ اللَهفِ
ماذا أُجيزك في البشرى فقَد وكَفَت ... جفْناي أدمعها مِن شِدةِ الشغفِ
واستعمر النفْس داءُ الاِضطِرابِ هوى ... وخِلْت نفْسِي قد أودت إلى تلَفِ
وهكذا جِئْت بالإبهاجِ في خيرٍ ... أزاح عني ما قد كان مِن كَسفِ
وأشرق الحَي مِن إشراق طَلْعتِهِ ... واستأنس الوجِلُونَ اليوم بالإِلْفِ
وجاد بالغيثِ وادي الغيثِ عادته ... فاهتزتِ الأرض بالأرزاقِ والعلَفِ
عاد السرور على برذَونِهِ صلِفاً ... فأبهج العاشِق المَوصوف بالصلَفِ
وبانَ للأرضِ أن الشمس قد طَلَعت ... تجدد الأملُ المَمزوج بالأسفِ

الصدر صدر وما كُنا بِغيـبـتـهِ ... إلاّ خِماصاً علينا مِسحةُ العجفِ
أب يروم بنا خيراً ومكرمةً ... يرقى بنا شرفاً في سلمِ الشرفِ
أقام للحق في محرابِهِ سكناً ... وزانه بالتقى والصبرِ والشظفِ
وسد خوخاتِ عصرِ الزيفِ منتهجاً ... نهج الأكابِرِ في صبرٍ وفي أنَفِ
أسقى جـدوب الهدى منا فأخضلها ... وصانها بكِتابِ اللّهِ والسلفِ
وقلب الطرف في مضمون حاضِرِنا ... فلم يرقْه فأرخى رافِع السجفِ
وعاش في كنفِ القُرآن مشتغِلاً ... بِهِ عنِ الخَلْقِ لا يلْوِي إلى ترفِ
وبدد العمر في ترسِيخ دعوتِهِ ... فكانَ أنموذُجاً في عالَمِ الخَلَفِ
ماذا ألم بلُبنى وهي تسألني : ... أترتجي بالثنا شيئاً مِن الشرفِ ؟
فقلت : لا تسخري مِن فيضِ ذاكِرتي ... هذا مقام الوفا إنْ كُنت فِيهِ وفيّ
هذا أبي وهو أدرى كيف قد نسِجت ... فرائد الدر في مكْنونةِ الصدفِ
يجوز لي شرفاً إظهار مكْرمتي ... ولا يعِيب الفتى شيءٌ مِن الظرفِ
ونعمةُ اللّهِ قد جاد الكريم ا ... فليس مِن عجبٍ وليس مِن صدفِ
وزارنا الأنس مختالاً على فرسٍ ... شماءَ تركُض في وادٍ مِن الترفِ
وغردت فوق روضِ الشوق مطْرِبةٌ : ... أهلاً وسهلاً بِحِب القومِ والسلفِ

وفي ختام قراء ا قال سيدي الوالد : « الحمد للّه، حقق اللّه ذلك [١]، الإنسان إذا خرج من محله ما يدري أنه سيعود »، ثم تكلّم سيدي الوالد عن مشاهداته في

---

(١) سجد الوالد في هذا الموضع شكراً للّهِ .

بلاد الإنجليز وحال أهل تلك البلاد المزعج وما أنعم اللّه به على أهل هذه البلاد الإسلامية من نعمة الإسلام والإيمان .

وقد وجدت في مذكراته التي حملها معه إلى تلك البلاد هذه الأبيات :

إلى اللّهِ أشكُو مِن همومِي ووحدتِي وبالمصطفى المُختارِ نعم الوسِيلَةِ
لقد ضاق مِنا الحَالُ يا سيد الورى وصلْنا إلى هذِي البِلادِ الغرِيبةِ
فلا دِين فيها لا شِعار لمسلِمٍ يؤذنُ فيها للصلاةِ جماعةِ
سِوى مسجِدٍ أقصى البِلادِ لفَيصلٍ بناه هناك للقِيامِ بدعوةِ
فأشكُو إلى جدي حبِيبي محمدٍ يفَرج عنا مِن بِلادٍ خبِيثَةِ
لقد عم فيها الكُفْر والفِسق والخَنا ولا سِيما الإسلام ضاع بفِتيةِ
فأرجو الشفا مِن خالِقِي وهو كاشِف لمِحنتِنا يشفِي لأمراضٍ عِدةِ
فداءٌ ببطْني حير القَوم كُلهم أطِبا أخِصائي الأمورِ العوِيصةِ
وهذا الحبيب المصطفى هو جدنا وسِيلَتنا في كُل ضر ومِحنةِ
فيا سيد الرسل الكِرامِ قَصدتكُم توجه إلى الرحمنِ يرفَع مصِيبتي
شِفاءً قَرِيباً عاجِلاً غير آجِلٍ نعود إلى أرضِ الحِجازِ ومكةِ
فنِعم الشفِيع البر يا سيد الورى توجه إلى الرحمنِ يرفَع بلِيتي
وصلى إلهي مع سلامٍ مضاعفٍ وسلم تسلِيماً عليكُم بكثْرةِ

وقضى سيدي الوالد بقية ذلك العام وطرفاً من العام الذي يليه ١٤٠٢ في صحةٍ ملحوظةٍ وارتياحٍ نفسي ونشاطٍ دؤوبٍ في دروس العلم والقراءات الخاصة، حتى إنه

رحمه اللّه كتب على الصفحة الأولى من مذكرة العام الجديد «عام الرضا الحقيقي»[(١)]، و ذَيلَ تحته بالأبيات التالية :

يا رب عودتنا ِفعلَ الجَمِيل فلا	تقْطَع عوائِد ِبر ِمنك قد سلَفَت
واجبر ِبكَسرِ فَقِيرٍ ضاق مذْهبه	وداو مهجته الحَرى فقَد تِلفَت
ِإنْ لم تكُن لي فمن أرجــو ِلنائِبتي ؟	فغير بابِك نفْسِي قَط ما عرفَت

وفي موسم الحج لهذا العام ١٤٠٢ قام سيدي الوالد بأخذ كافة أفراد العائلة إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم، وفي ليلة عودته إلى جدة أُصيب في أصبعٍ من أصابع يده اليمنى بجرحٍ بالغٍ، فلم يأخذ به بالاً وصبر على الألم والوجع خوفاً منه على فساد صلاته إن هو عمل الجبيرة عليها، وتجنباً عن العمل بالرخص الشرعية التي أوردها الفقهاء وأخذاً بالعزائم، واكتفى خلال أيامه الأولى بوضع الأدوية من الظاهر وتكميدها بالماء الحار، وبقي هذا الجرح يتسع ويزداد ألماً وتأثيراً حتى تاريخ ٦ صفر ١٤٠٢ حيث عرض نفسه على الطبيب الذي كان يشرف على معالجته من كافة الأمراض التي بــه، وهو الــطــبــيــب المبارك ذي السمت الحسن حسين بن سهل، فلما رأى الجراحة المتفشية في الأصبع هاله الأمر وأغلظ العتاب لسيدي الوالد رحمه اللّه تعالى، وبين له خطر الإهمال وخاصةً أنه مصاب بالسكري، وأن علاج المصابين ـذا الداء من أعقد وأخطر المعالجات في الطب الحديث،ولذلك اقترح الطبيب ضرورة إجراء عملية فتح الجرح واستفراغ ما يحويه.

(١) هذا التاريخ للحبيب أبي بكر بن عبداللّه الحبشي الملقب « عطّاس » رحمه اللّه تعالى .

ولكن سيدي الوالد لم تطمئن نفسه لهذا الأمر الذي سيترتب عليه وجوب التيمم حال الصلاة، فأقنع طبيبه بالبحث عن دواءٍ آخر يمكن أن يؤثر على الجرح دون الحاجة إلى إجراء العملية، فامتثل التوجيه السيد حسين بن سهل وكتب له دواءً معروفاً بالتأثير الموضعي من الخارج، وبقي سيدي الوالد يستخدم ذلك المرهم مدةً طويلةً حتى طغى ألم المفاجأة الأخيرة على كل شيءٍ وانطوى الأدنى في الأعلى .

وقد كان لدولة الابتلاءات في جسد سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى عودةً مفاجئةً خلال شهورٍ قلائل، فخلال تأثره بالجرح المذكور آنفاً في أصبعه فاجأه ألم الروماتيزم في الركب والأقدام، فأقعده خلال شهر جمادى الثانية ١٤٠٢ عن تأدية الإمامة في المسجد إلا متكلفاً في بعض الأحيان، وكنت أنوب عنه خلال غيابه بأمره وتوجيهه رحمه اللّه تعالى، وكان يؤدي كافة نوافله التي اعتادها وهو جالس في غرفته بالمنـزل ولم يتخلّ عن وردٍ من أوراده قطّ، وقد يقضي بالنهار ما يفوته بالليل .

وقد ظهرت بوادر القدر تنذر بامتصاص قواه الجسدية، وذلك بهجوم نوباتٍ قلبيةٍ مفاجئةٍ خلال شهر رجب وأوائل شهر شعبان ١٤٠٢ حيث فاجأته نوبةٌ قلبيةٌ يوم الأربعاء ٢٦ رجب مساءً، نوبةٌ صدريةٌ حمل على إثرها إلى مستشفى بخش بجدة، ونصحه الأطباء بالخلود إلى الراحة بعد أن تم حقنه ببعض الحقن، وعادت له طبيعته المألوفة مع شيء من التعب وآثارٍ لإرهاقٍ، وطلب إخراجه من المستشفى في اليوم التالي الخميس ٢٧ رجب ١٤٠٢ وتحسنت حالته الصحية وباشر الصلاة إماماً بالناس وخطبة الجمعة من اليوم التالي كالعادة، وكان موضوعها « توديع رجبٍ واستقبال شعبان » .

وفي اليوم الثاني من شهر شعبان عادت تلك النوبة المفاجئة، وأحضر الطبيب إلى المنـزل، وتم الكشف والعلاج ونصحه الطبيب بعدم الإكثار من الحركة والانفعال وأن قلبه لم يعد يتحمل الانفعال، وقد وجدت في مذكراته لذلك اليوم ما صورته : « في هذا اليوم لم أُتم أورادي بسبب المرض، والحمد للّه قد قضيتها »، وكان سيدي خلال هذه المدة مشغولاً بتدبير الزواج للفقير كاتب الترجمة، وكان في انتظار وصول الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف من الخليج حيث إن أمر الزواج كان مربوطاً بوجوده وتوجيهه، ولذلك فقد أثبت سيدي الوالد في مذكراته لليوم الثاني من شهر شعبان بعد إخباره بوصول الحبيب عبدالقادر من الخليج ما صورته : « الحمد للّه، وصل الحبيب عبدالقادر من أبوظبي » وفي يوم الثلاثاء ٤ شعبان ـ وهو مناسبة قيام الحضرة السلفية للحبيب عمر البار بمنـزل العم عبداللّه بم حامد البار تم العقد بعد الفراغ من الحضرة المباركة، وكتب سيدي في مذكرته معبراً عن ذلك : « بحمد اللّه، تم العقد للولد أبي بكر بواسطة الحبيب عبدالقادر، وكانت جلسةً مباركةً » .

وتحددت في ذلك المجلس المواعيد المتعلقة بالزواج ودعوة الناس والكل في غفلةٍ عن القدر المدبر، ولا يظهر على سيدي الوالد غير آثار التعب والإرهاق من أدنى عملٍ يؤديه أو حركةٍ يقوم بها خلال تلك الأيام التي سبقت النوبة الأخيرة .

مُفَاجَأَةُ القَدَر

لم يأت شهر شعبان من السنة الهجرية ١٤٠٢ حتى كانت كثير من الهموم التي تثقل كاهل سيدي الوالد قد وضعت أوزارها وتحقق الأمل المطلوب في نواحٍ عديدةٍ، فقد اجتمع شمل الغالب من الأسرة ولم يعد في البلاد إلاّ من هم مرتبطون بزوجا م ومستقرون في حيا م، وكادت حلقة الأهل الدائرية أن تلتقي في منـزلٍ واحدٍ وتـهـيـئـةٍ روحيةٍ وماديةٍ واحدةٍ، وخاصةً بعد أن قيض اللّه الأسباب من شبه العدم إن لم يكن العدم بعينه، حيث رتب اللّه لسيدي الوالد الإمامة بمسجدٍ جديدٍ في حي كيلو (٢) بجدة المحروسة، ولما كان بالمسجد الجديد سكن واسع وحسن فقد استخلف سيدي الوالد الفقير كاتب الترجمة إماماً بديلاً عنه في مسجد رمضان بالشرفية، وانتقل هو مع بقية العائلة والأولاد إلى البديل الملائم، فكان ذلك عاملاً هاماً من عوامل الاستئناس النفسي في ذات سيدي الوالد .

كما كان يهمه أمر التزويج لأبنائه وبناته، فهيأ اللّه الأسباب خلال العام ١٤٠٢ أن يتزوج كل من الأخ أحمد والأخت فاطمة في شهر رجب من ذلك العام الذي تعرض فيه سيدي الوالد للنوبات التالية، وفي شعبان وهو شهر الانتقال كان التدبير العملي على أشده لإقامة الزواج للفقير عند السيد عبداللّه بن حامد البار بواسطة الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف، أمتع اللّه بحياته .

وقد سبق القول عن التغير المفاجئ الذي حصل في سلوك سيدي الوالد خلال الفترة الأخيرة من حياته كحب العزلة والخلوة في المسجد والاستغراق في القراءة والأذكار ومطالعة الكتب، والكتابة في تراجم وسير الأجداد، وقد كان ذلك آخر

أعماله الخطية التي استفرغ فيها وقته واهتمامه، وقد كان رحمه اللّه تعالى يستحثني على كتابة ذلك الجمع بين الحين والآخر ولكن الانشغال بالمسجد والحركة بين المسجد والمنـزل ودروس الحبيب عبدالقادر بن أحمد وغير ذلك من المهمات المختلفة لم يحقق لي ما كان أملاً حتى شرع الوالد بذاته يكتب ذلك الجمع الهام، وكتبه باختصارٍ كأنما هو أراد أن يكون ذلك رؤوس الأقلام التي يحبذ أن يظهر من أولاده من يكملها ويتوسع فيها، والغريب في الأمر أن فرغه من ذلك الجمع المبارك كان قبل إصابته بنوبة القلب الأخيرة بثلاثة أيام .

وكانت آخر عمرة قام ا سيدي الوالد مودعاً تلك الرحاب الطاهرة في يوم الثلاثاء ٢٥ رجب ١٤٠٢ وكان برفقته الأخ شهاب الدين، وكان الأخ محضار يود مشاركتهم في ذلك اليوم المبارك ولكن بوادر الوضع لدى زوجته جعلته يتأخر عن ذلك، وكتب سيدي الوالد في مذكرته يصف تلك الزيارة :

« قمت أنا وشهاب الدين بعمرة إلى مكة ومنتظرين الفرج لزوجة محضار، ودعونا لهم في مكة »، وألحق في ذيل صفحة اليوم نفسه بعد أن ولدت زوجة الأخ محضار في المساء : « حصل الفرج بعون اللّه، ولدت زوجة محضار بمولود بحمداللّه وسماه علياً، اللّه يبارك فيه » .

ومر يوم الأربعاء ٢٦ رجب والمنـزل يعيش فرحة المولود الجديد، وحتى حل المساء حيث اعترت الوالد النوبة الصدرية التي تحدثنا عنها، وحمل إلى مستشفى عبدالرحمن بخش وتماثل للشفاء وختم ختمته المعتاد عـلـيـهـا في كل أسبوع وهو على سريره بالمستشفى، وأثبت ذلك في مذكرته بعد خروجه في اليوم التالي بما نصه :

« الحمد لله، خرجنا من الـمـسـتـشـفى بعون الله ورعايته غير أن الختم تأخر إلى الساعة العاشرة بسبب المرض، وختمنا في المستشفى مع الأولاد الموجودين عندي »، ومنذ ذلك اليوم وصحة سيدي الوالد تبدو غير عادية من حيث المعتاد في مظهره وحياته، ولكنه مع ذلك كان يستحثنا على متابعة الإعداد للزواج المرتقب للفقير عند آل البار وطبع البطاقات الرسمية لذلك .

وفي اليوم التالي خطب سيدي الوالد رحمه الله تعالى خطبته الأخيرة في المسجد، وكان موضوعها « التوبة والحث عليها »، وكان هذا اليوم هو آخر الأيام التي يسجل فيها سيدي الوالد أسس الموضوع على مذكرته الخاصة بالخطب الأسبوعية، وقد سجلت خطبة سيدي الوالد على شريط الكاسيت، ولازالت ضمن مجموعته المسجلة .

وفي يوم الأحد ٣ شعبان ١٤٠٢ دعي سيدي الوالد إلى المشاركة مع بعض المحبين في ختم درسٍ لميتٍ توفي في دائر م، فذهب رحمه الله بعد صلاة المغرب واستخلفني مكانه لأصلي العشاء بالمسجد، ولما عاد من هذه المناسبة بعد العشاء بزمنٍ طويلٍ عاد وعليه علامات الجهد والإرهاق لارتقائه مبنى مرتفعاً مكوناً من ثلاثة أو أربعة أدوار ؛ ولكنه مع ذلك لم يخلد إلى الراحة وإنما دعا بصورةٍ عاجلةٍ لقراءةٍ مولدٍ مختصرٍ بمناسبة ختان وتسمية المولود الجديد « علي » نجل الأخ محضار بن علي المشهور، وقرأ سيدي الوالد مولد الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور وأنشد بقصيدةٍ شعريةٍ نظمها في ذلك اليوم ذه المناسبة إدخالاً للسرور على الأخ محضار وأسرته وتعليماً لنا أن الرجال لا يفرطون في أبسط الأسباب الخيرة حتى في أشد حالات التعب، وهذه هي القصيدة :

وقفنا تحت باب الجود ... وبا يحصل لنا المقصود
كذا الحسنى وعقبى الدار ... كرامة يا عمر محضار

فيا ربي بحق الجار　　وشيخي هو عمر محضار
تشفي الكل واهل الدار　　كرامة يا عمر محضار

ومعنا أمنا الزهرا　　وسيله وامنا الكبرى
خديجة زوجة المختار　　كرامة يا عمر محضار

فيا ربي بحق اهلي　　حسن ثم الحسين وعلي
أجرنا من عذاب النار　　كرامة يا عمر محضار

م يا رب تصلحنا　　وترحمنا وتسترنا
وتحفظنا من الأشرار　　كرامة يا عمر محضار

وهذا يومنا المشهور　　خـ ـتـ ـنا إبننا المبرور
علي لابننا المحضار　　كرامة يا عمر محضار

فنسأل ربنا يهديه　　ويقرا العلم و« التنبيه »
ويحفظ للسور كرار　　كرامة يا عمر محضار

يطول عمره يسلم　　وأمه « آمنة » تسلم
أبوه ذلك المحضار　　كرامة يا عمر محضار

وصلى ربنا دايم　　على المختار ما عالم
يذكر في الربا والدار　　كرامة يا عمر محضار

مع الآل وسلم دوب　　على مرسولنا المحبوب
محمد سيد الأخيار　　كرامة يا عمر محضار

وقد كانت هذه القصيدة آخر ما كتبه سيدي الوالد بخط يده من الشعر، وبعد الفراغ من المولد رتب فاتحةً شاملةً جامعةً حاويةً، ثم نـزل إلى غرفته لينام بينما بقي أفراد الأسرة يتجاذبون أطراف الحديث حتى حان موعد الرقود، وكنت في مثل هذه الساعة أغادر المنـزل عائداً إلى المسجد الآخر الذي أصلي فيه بالناس إماماً، وهو مسجد رمضان بالشرفية ولكن الأقدار كانت تفعل غير ذلك، فقد فَقَدت مفاتيح سيارتي ومسكني ففضلت الرقود في غرفة سيدي الوالد، فلما فتحت الباب داخلاً بفراشي طلب مني سيدي الوالد أن أُضيء السراج وأن أُحضر له الدواء والماء وكان ذلك الدواء قد أُعطي له لاستجلاب النوم عند الضرورة، فشرب سيدي دواءه وجرع عليه من ماء زمزم جرعاتٍ ثم استقبل القبلة على فراشه مضطجعاً يذكر الله، وتـوسـدت فراشي قريباً منه وكان يرقد في الغرفة أيضاً الأخ شهاب الدين والذي اعتاد أن ينام فيها لكونه أعزباً، ومر الليل طويلاً وأنا أتقلب على الفراش قِلقاً لإدراك المصدر الرئيس للقلق، ومع الفجر الأول نـزل الأخ محضار كعادته ليؤذن الأذان الأول ويـفـتـح الأبواب، وقام سيدي الوالد ليتوضأ وهو يئن من وطأة المرض، ولـمـا عاد جلس على طرف فراشه مكدوداً وطلب مني أن أُحضر له شيئاً من الهيل ليذهب عنه الغثيان، ففعلت، ثم شرب شيئاً من القهوة، ثم استقبل القبلة يذكر الله ويصلي وهو جالس على طرف فراشه حتى حان موعد الفجر الثاني فأمرني أن أُصلي بالناس صلاة الفجر وأخفف ليمكنه أن يصلي مأموماً، وما أن فرغت من الصلاة حتى قام سيدي الوالد من آخر المسجد حيث صلى هناك واتجه إلى بيت الطهارة يستفرغ كل ما في جوفه بالقيء المتصل، حتى أجهده القيء وسلب منه قواه، واتكأ بعد خروجه من الطهارة على ساعدي وساعد الأخ شهاب الدين ولكنه كان فاقد السيطرة على مجموع جسده، حتى وضعناه على فراشه فاقد الوعي يصدر شخيراً مخيفاً وقد خرج لسانه من فيه وكان موقفاً مفزعاً ومخيفاً للغاية، كنت أفرك

صدره بقوةٍ وعزيمةٍ لأساعد قلبه على النبض المتصل وخاصةً أني تذكرت قول الطبيب أن نبضات القلب ضعيفةٌ عندما أسعفناه في المرة الأولى، واندفعت بعد أن تركت الأخ شهاب يؤدي مهمة الفرك على القلب لأوقظ الأخوين أحمد ومحضار .

ونـزلت لأحرك السيارة حتى باب المسجد وطلعت لأساعد الإخوة في حمل سيدي الوالد إلى السيارة، وقد ساعدنا في ذلك بعض المصلين في المسجد حيث حملناه على فراشه للمرة الأخيرة من منـزله صوب المستشفى وذهب معه الأخوان أحمد وشهاب الدين، واتجها به إلى مستشفى سليمان فقيه حيث تمت الإسعافات الأولية وأُدخل إلى غرفةٍ خاصةٍ يطلق عليها « غرفة العناية المركزة »، وانتشر الخبر في الناس بمرضه فكثر المترددون والسائلون إلا أن المستشفى منع الزيارة عنه أربعة أيامٍ بلياليها كان خلالها تحت مراقبة وإشراف الأطباء ولم يسمح لأحدٍ في زيارته إلا أبناؤه وخاصته، وتحسنت حالته الصحية بعدها فسمح له بالانتقال إلى غرفةٍ خاصةٍ تحمل الرقم ٤١٧ بالدور الرابع وسمح للناس أن يزوروه في الأوقات المعتادة للزيارة، وانكب الناس من كل مكانٍ يزورونه ويهنئونه بالعافية، حتى كثر عليه الزوار وأدى ذلك إلى تكلّفِهِ القعود والحركة واستماع الكلام من كل زائرٍ يقدم رأياً أو دواءً أو نصيحةً أو لوماً أو غير ذلك من ألوان حديث الناس، وطلب الطبيب تخفيف الزيارة وقلة عدد الزائرين .

وفي يوم السبت ١٤ شعبان ١٤٠٢ أصبح الوالد في حالةٍ متحسنةٍ ومرضيةٍ حتى حل المساء حيث ظهر في قدمه اليسرى ألمٌ غريب ومفاجئٌ، وكان هذا اليوم هو اليوم الذي تمت فيه إجراءات الزواج المستعجلة للفقير وأُجلت دعوة الضيوف حتى يتماثل سيدي الوالد للشفاء، وفي يوم ١٥ شعبان زرت سيدي الوالد ومعه العم

عبدالله بن حامد البار والأخ محضار، فلما دخلنا فرح واستبشر وقال لي : « مرحباً بالإمام » وعينه تدمع وأخذ يحدثنا بطلاقةٍ وبشرٍ وفرحٍ، وكان من ضمن ما قال : «البارحة حصل المقصود» والذي ظهر لنا من كلامه أن إشارةً ظهرت له في المنام بحصول العافية ولم نعلم أن الإشارة كانت تقتضي أمراً آخر [1] .

وفي مساء ذلك اليوم ١٥ شعبان سنة ١٤٠٢ تضاعف الألم واشتد في الساق اليسرى وارتفعت حمرة الدم، ولم تنفع الأدوية المختلفة التي وضعت له، حتى لم ينم تلك الليلة من شدة الآلام، وقرر الطبيب بعد الكشف أن نتعجل الأمر في نقله إلى مستشفى آخر لتجرى له عمليةٌ سريعةٌ خلال ساعاتٍ في قدمه اليسرى تسمح بإيصال الدم إلى قدم الساق بعد أن تبين لهم حدوث انسدادٍ في الشرايين .

وتحت وطأة الصدمة والقلق حضرنا جميعاً إلى المستشفى ونقل منه إلى المستشفى العام الوطني والذي قيل إن إمكانياته أكثر تطوراً، وفي تلك الساعات المتأخرة من الليل طمأن قلوبنا طبيب النوبة المختص وأعلَمنا بأن الأمر لا يحتاج إلى ذلك الانزعاج وأنه بالإمكان تأجيل العملية حتى وقتٍ لاحقٍ، فسرى الاطمئنان إلى قلوبنا ودخلنا عليه رحمه الله وهو مسجى في سريره، وودعناه وهو يوصينا بالمسجد والاهتمام بالصلاة في الجماعة، وعدم السهر، وأن نبلغ السلام على الأهل جميعاً، وخرجنا من المبنى بعد أن تركنا بجانبه الأخ شهاب الدين، والذي جرت

---

(١) ظهر لنا ذلك الأمر بعد موته رحمه الله تعالى، إذ أخبرنا الخال محمد بن أبي بكر الحامد أن سيدي الوالد سلمه في صباح ذلك اليوم ١٥ شعبان ١٤٠٢ خاتمه الخاص، ليسلمه لسيدتي الوالدة، فكتم الوالد محمد الأمر بعد أن عرف الإشارة حتى توفي سيدي الوالد، فأخبرنا بذلك بعد أيام .

أقلام القدر أن يمنح من عمله رخصةً لمدة شهرٍ كاملٍ قبل إصابة الوالد رحمه اللّه تعالى بثلاثة أيامٍ فقط، فكان ذلك أمراً خارقاً للعادة، إذ ساعد ذلك على ملازمة الأخ شهاب الدين لسيدي الوالد في أصعب ظروفه .

وعاد كل منا إلى البيت وفي النفس بارقة أملٍ واطمئنانٍ في شمول الصحة وكمال العافية لسيدي الوالد، وزاد من ذلك الاطمئنان وصول الأخ شهاب الدين صباح اليوم التالي ١٦ شعبان ١٤٠٢ وقص علينا حديثاً شيقاً دار بينه وبين سيدي الوالد عن بعض الآمال التي يطمح إليها الأخ شهاب الدين في حياته وهما يتناولان طعام العشاء [1] .

وبعد ظهر ذلك اليوم ١٦ شعبان ١٤٠٢ اتجهنا لزيارة سيدي الوالد والاطمئنان على صحته، ولمّا دلفنا غرفته التي وضع ا لم نجد للسرير أثراً ولا خبراً، فلما سألنا قسم الاستعلامات الرسمي أخبرنا بأن الوالد نقل إلى غرفة العمليات، واندفع الدم في الشرايين بقوةٍ وازدادت نبضات القلب وخرجنا .رع إلى حيث وجهنا من الطابق الأسفل، وما أن توسطنا الممر العام حتى ظهر الأخ شهاب الدين يتقدم سرير الوالد رحمه اللّه تعالى وقد فُرغ من أمرٍ ما ؟ وتحلقنا حول السرير وفتح سيدي الوالد عينيه يحدق فينا، وسألنا عن الصحة والأهل، ثم دلفنا معه إلى المصعد وأشار لي أن اقْرب إليّ، فدخلت إلى جوار رأسه من السرير، فظل يحدق فينا وهو صامت، وفي الطابق الثاني من ذلك المستشفى دلفنا إلى غرفةٍ تحم الرقم (٢٠٧)، و ا ست سرر حيث

(١) أُشير علينا في ذلك اليوم برفع برقيةٍ عاجلةٍ إلى الديوان الملكي بشأن طلب علاجٍ للوالد رحمـه اللّه في المستشفى التخصصي العام بالرياض، وكُتبت البرقية وبعثـت إلى الريـاض، وجـاء الجواب بالموافقة بعد فوات الأوان .

وضع سرير سيدي الوالد في أحد جوانبه قريباً من الباب وكان سيدي الوالد يتحدث إلينا بصعوبةٍ بالغةٍ ويغيب عن الحس حيناً من آثار المخدر الذي وضع له، وقد امتدت أنابيب رقيقةٌ من أعلى فخذه الأيسر حتى عليةٍ زجاجيةٍ قد علقت على جانب السرير ينصب فيها من الدم قطرات ثم تنساب عبر أنابيب أخرى إلى الجزء الأسفل من الساق المصاب، وخلال غفوةٍ من غفوات سيدي الوالد سألْنا الأخ شهاب الدين عن قصة العملية المفاجئة، فذكر أنه عاد إلى المستشفى صباح اليوم بعد أن كان معنا فوجد الأطباء قد نقلوا سيدي الوالد إلى غرفة العمليات وأ م أجروا له عملة تصفية للدم، وأُجلت العملية الأخرى التي ستجرى في الشرايين إلى موعدٍ آخر، ومر الوقت سريعاً ونحن نتبادل الحديث بجوار سرير سيدي الوالد، وقد يفتح عينيه قليلاً ويتمتم بعباراتٍ أو كليماتٍ لنا، ثم يعود إلى غيبوبته فيغمض عينيه، وعندما قرب موعد العصر ودعناه وداعاً أبدياً ونحن لا نعلم من الأمر شيئاً، وقبلناه على رأسه ويديه كعادتنا عند توديعه في مرضه، وانصرفنا على أمل العود في اليوم التالي، وتركْنا الأخ شهاب الدين بجواره مرافقاً ولزيماً .

وقبل منتصف تلك الليلة وكنا نجلس في المنــزل ندعو اللّه بالشفاء للوالد إذ وصل إلينا الأخ شهاب الدين كئيباً فاستوضحناه الأمر، فأخبر أن الأطباء المشرفين على النوبة منعوه من البقاء وطلبوا منه المغادرة، ولم يؤثر فيهم استعطاف سيدي الوالد، بل قيل له : لابد من حمله رخصةً رسميةً ليدوم بقاؤه في المستشفى، وودعه سيدي الوالد على أن يعمل في صباح الغد الباكر على إخراج تلك البطاقة المشؤومة، وذكر الأخ شهاب الدين أن المخدر الذي كان يغيب به ذهن سيدي الوالد زال مع أول الليل وأن صحته تحسنت كثيراً وأكل في تلك الليلة زيادةً على ما يعتاده من الأكل

وشرب بعض اللبن، وصلى صلاة العشاء وقرأ كافة أوراده، ونام قبل أن ينصرف الولد البار الصابر جوار والده المريض .

ولما خرج الأخ شهاب الدين عن ذلك المبنى في تلك الليلة غمرته حسرةٌ غريبةٌ وألمٌ نفسي شديد ولم يدرك أن ذلك كان إيذاناً بأ ا الليلة الأخيرة من حياة سيدي الوالد رحمه اللّه رحمة الأبرار، وفي يوم الأربعاء ١٧ شعبان ١٤٠٢ ض الأخ شهاب الدين من نومه مبكراً وغادر المنـزل في طريقه إلى المستشفى تتزاحم في صدره الآمال والأماني ويفكر في الوسائل التي تمكنه من الحصول على البطاقة الرسمية بالدخول إلى المستشفى والإقامة فيه مع سيدي الوالد كما غادر الأخ أحمد أيضاً المنـزل متجهاً إلى عمله وفي ذاته توقعات وتوجسات، وكان الأخ محضار في غرفته مع ولده الجديد المبارك بينما كنت أستقبل ضيفاً قدم من اليمن يود زيارة أبي رحمه اللّه تعالى، وأخذت أتجاذب معه أطراف الحديث في غرفة سيدي الوالد .

وبلغ الأخ شهاب الدين إلى المستشفى وولج بعد الاستئذان إلى حيث يرقد سيدي الوالد فلم يجد له أثراً فخرج إلى قسم الاستعلامات يستفسر الأمر، فقالت له إحدى الممرضات وهي تتلعثم خبراً صدم به وا ار وأشارت بيدها إلى جانب جناح المستشفى، ففوجئ بجثة سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى وهو على سريره وقد غمر الدم بعض أجزاءٍ من رجله اليسرى وتلطخت به ملابسه التي كان يلبسها، تمالك الأخ شهاب نفسه وحمل على عواطفه وحمل سماعة الهاتف، رن جرس الهاتف بجواري وأنا مع الضيف القادم، فأجبت الداعي وعرفت الخبر من خلال العبارة الأولى التي فاهت ا لسان الأخ المصدوم .

كان الخبر يسري في النفس سرياناً غريباً، ويفعل في الأحاسيس فعلاً عجيباً، وتضيق الرؤية ويعتم الإحساس وتتعدد الشخوص وتختلط الأصوات، ولا يملك الإنسان خلال لحيظات المفاجأة غير صدى التفكير ورجع الملكات الكامنة في الهيكل المشدوه، وتتحرك الجوارح في بحر جديد من السلوك والتصرفات لا تؤلف ولا تقَدر وإنما هي حالة طوارئ تكتسح دولة التفكير فتستنفر كافة الأحاسيس وترتفع كفاءة الجوارح عند البعض بينما هي لدى البعض الآخر تصبح ركاماً لحمياً لا يكاد يستقيم، وكان لابد بعدما أُعلنت الوفاة على مسامعي أن أُبادر في قبض خيط التصرف المقدور بلا موعدٍ منتظرٍ .

وركبت السيارة لأحمل النبأ إلى الأقارب وعلى رأسهم الخال محمد بن أبي بكر الحامد، وطلبت منه الذهاب إلى المنـزل لترتيب الأمر، واتجهت صوب الموقع الذي يعمل فيه الأخ أحمد خارج مدينة جدة، وما أن بلغت إليه حتى بدأت الحواس الكامنة تفعل فعلها وكأنما هو قد أدرك الأمر وركب معي بعد أن هدأت من روعِهِ وعزينا بعضنا البعض في أهم من عشنا تحت ظله ورعايته .

وما أن بلغنا المنـزل حتى وجدنا الأمر قد تفاقم في ذات الأخ شهاب الدين حيث أُصيب بصدمةٍ عصبيةٍ عنيفةٍ جعلته يفقد السيطرة على نفسه ولسانه، وتشعبت مهمات العقل والقلب وخاصةً بعد أن دخلت على سيدتي الوالدة أُخبرها الأمر المُفَتت للفؤاد وأُعزيها في مصابنا الأليم، واختلط الحابل بالنابل ولم يعد في المناسب غير طلب الصبر والتفويض للعزيز الحكيم، والإكثار من قوله : إنا للّه وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم .

وتدفّقت على المنـزل المفجوع سيول البشر من رجالٍ ونساءٍ تعزي وتواسي في الفقيد الكبير الذي سكن كل قلبٍ ودخل كل إحساسٍ، وتمت إجراءات نقل الجثة خلال سويعاتٍ قلائل وشاركت في نقل الجثمان سفارةُ الجنوب اليمني بسيارة إسعافٍ نقلته من المستشفى المركزي إلى المنـزل، ورتب أمر الغسل والدفن، وتم الاتصال ببعض السادة الأفاضل [1] في مكة المكرمة لترتيب حفر القبر بمقبرة السادة العلويين بالمعلاة .

وباشر الغسل والتكفين ثلاثةٌ من الأفاضل العلماء، كلهم على قدرٍ كبيرٍ من القرب والارتباط بسيدي الوالد رحمه الله تعالى، وهم :

١- السيد المنيب الصالح عبدالرحمن بن سالم البيض، وهو سيد ناسك تقي له علاقةٌ وثيقةٌ بسيدي الوالد، ولوالده أيضاً ارتباطٌ قديم بالجد علوي بن عبدالرحمن المشهور حيث كان من خاصة تلاميذه، كما أن الحبيب المـذكـور عـبـدالرحمن بن سـالـم البيض يعود له الفضل الأشمل والأكبر في تنفيذ الطبعة الثانية من مولد الجد علوي بن عبدالرحمن المشهور .

---

(١) وهو السيد عبدالله بن حسن الجفري قاضي يشبم والعوالق العليا، والعلامة المتواضع الذي أخذ العلـم في رباط تريم على يد الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري وأفاضل شيوخ ذلك العصر .

وهنا ملاحظة، وهي أنه بعد وفاة سيدي الوالد أخبرني السيد الصـالح صـالح بـن أحمـد العيدروس أنه رأى في الليلة التي أصبح فيها سيدي الوالد متوفياً رأى كأنما هم في حضـرموت بمنـزل والده وكأن والده يقول لهم : « رتبوا المحضرة أم التسعة، بايجو ضيوف » فأخـذوا في العمل، وكأنه بعد ذلك يسير في جنازةٍ عظيمةٍ عرف فيها رجالاً بأسمائهم وصورهم، هم الرجال الذين رآهم في اليوم التالي في جنازة الوالد . انتهى باختصار .

٢- ولده المبارك صالح بن عبدالرحمن البيض، وهو طالب علمٍ نبيه وذكي وله درايةٌ كبيرةٌ واطلاع في شتى صنوف العلوم العربية والفقهية، وقد نال نصيباً من القرب والألفة لدى سيدي الوالد رحمه الله تعالى حيث كان يكثر من التردد عليه والقراءة معه في كتبٍ كثيرةٍ وخاصةً فيما بين العشائين وقبيل الظهر من غالب الأيام، وقد توفي سيدي الوالد وقراءته مع تلميذه الصالح معلقةٌ في الحديث واللغة حيث كانا يقرآن في « سنن أبي داود » وكتاب « شذور الذهب » لابن هشام .

٣- الشيخ كرامة سهيل، وقد ذكرناه في مقدمة الحديث عن حياة الوالد، وأن بينهما علاقةً وطيدةً منذ عهد الصبا وسن الطلب بتريم .

وما أن فُرغ من مراسيم الغسل والتكفين حتى أُحضرت الجنازة قبل صلاة العصر وصلي عليها في مسجده الذي بناه الشيخ علي بن عبدالله العيسائي، وكان به سيدي إماماً وخطيباً حتى توفاه الله، وحضر الصلاة عدد من السادة العلماء والوجهاء وأعداد لا يحصون من أهل الجنوب المقيمين بجدة، وقُدم السيد محمد بن أحمد الشاطري ليصلي إماماً بالناس بعد أن أُذن له في ذلك .

وبعد الصلاة والفاتحة نقل الجثمان إلى مكة المكرمة تنفيذاً لوصيته رحمه الله تعالى، وهناك في المسجد الحرام وضعت الجنازة في أحد زوايا الصحن المبارك، والتقينا بحبيبنا وبركتنا العلامة أبوبكر بن عبدالله الحبشي الملقب « عطاس » نـزيل مكة حيث تأثر بالخبر تأثراً بالغاً وقام إلى حيث وضعت الجنازة وقرأ مع الحاضرين ما تيسر من القرآن ورتب الفاتحة، وقدم لنا ولكل من حضر الجنازة خالص التعازي وأفضل الدعوات، وأُقيمت الصلاة في المسجد الحرام وصلى الجمع الأكبر على الجنازة بعد الفراغ من

صلاة المغرب، ثم حمل على الأعناق في موكبٍ مهيبٍ إلى المعلاة، وهناك دفن وآوى إلى مثواه الأخير، وقُرئت سورة يس على روحه عند القبر ثم تلقى الأبناء التعازي من الناس كما هي العادة جاريةٌ هنا .

وأُعلن في ذلك المقام موعد الدرس على روحه بمسجد العيسائي بعد صلاة المغرب لمدة ثلاثة أيامٍ، وقد تكلّم خلال هذه الأيام الثلاثة الحبيب العلامة محمد بن عبدالله بن شيخ الهدار صاحب البيضاء بعد صلاتي العصر والمغرب وذكر طرفاً صالحاً من حياة وأخلاق سيدي الوالد رحمه الله تعالى، وفي الليلة الأخيرة من ليالي الدرس وصل الحبيب قدوة الخلف إلى طريق السلف العلامة عبدالقادر بن أحمد السقاف من المدينة المنورة وحضر ختم الدرس على روح الفقيد، وأُعدت بتلك المناسبة بعض القصائد والكلمات التي تبين شيئاً من حياة سيدي الوالد كدليلٍ على الوفاء له ولمقامه في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، ففما وقع في ذلك الحفل التأبيني ما أنشده الفقير إلى الله « أبوبكر بن علي المشهور » في ذلك المقام المهيب أبياتاً شعريةً من نظمه في الفقيد نثبتها تتميماً للفائدة:

مصاب جل عن وصفِ اللسانِ وخطْب فاق تدِبيج البيانِ
وأمر لا تكَيفُه الحَواشِي ولا تطْويهِ ساعات الزمانِ
وأنى للزمانِ حِساب عمرٍ توزع في المَضامِينِ الحِسانِ
وما كُل الحَوادِثِ في سواءٍ فبعض الحَادِثاتِ لها معانيْ

...

أبو الأجيال في « المَعلا » ضجِيع بدربِ القَومِ في حِصنِ الأمانِ
جِوارِ السادةِ الفُضلاءِ قَوم لَهم شأنٌ كَبِير أي شانِ

دعاه الحَق في شهرٍ كَريمٍ ومحص عيشه بالإمتحان
قَضى عمراً مليئاً بالمَزايا وبالحَسناتِ في جل الثوانيْ
صبوراً للبلايا مستجيباً ومجـ ـبـ ـولاً على خفْضِ العِنان
بسيطاً في الأمورِ ولا يحابِي وينصح بالتي في كُل آنِ
له في الذكْرِ والأورادِ عزم ولا ينفَك عن درسِ القُرانِ
ومأكلُه قَليلٌ مِن قَليلٍ وما أكَلَ الطعام على خِوان [1]
محِب للعلُومِ ومبتغِيها ومقْروءاته كُتب الزيانِ
وإيمانٌ شموخ لا يجارى وفي الأعمال كَساب الرهانِ
مجاهدةٌ وصبر وارتياض وقَطْع للذائِذِ والأمانيْ
فسلْ أركانَ هذا البيتِ عما سرى في البارِدات مِن المَثانِي
وسلْ تاريخَه في كُل وادٍ جواد جاب ممدود المَكان
لأجلِ اللّهِ يدعو كُل غِر ويسقِي بالهدايةِ ذا توانِي
ويمنح سامِعِيهِ القَولَ دراً دليلَ القَول مِن نص البيان
له في الوعظِ والتذْكِير باع وفي الإخلاصِ للرحمنِ فانيْ
محاسِنه كَثِير مِن كَثِيرٍ تفُوق عن التكَيف بالمَعانِي
مضى مِن عالَمِ الأمواتِ شوقاً إلى الأحياءِ في روضِ الجِنان

...

أبا الأجيال قد فُجِع الصبايا ودمرتِ الفَجِيعةُ لي كَيانِي

---

(١) الخِوان : الطاولة المعدة للأكل .

مقادير تسير لكل نفس ... إلى الأجداث في حشد الأماني
وفي قبض الكرام نذير شؤم ... وداعية انتقاص في الزمان
وما الميراث للعلماء مال ... ولا جاه ولا بيض السنان
وما الميراث إلاّ نور علم ... وأعمال تترجم في التفاني

...

كفاني ما أفضت ولست أحصي ... مزايا الفضل لكني كفاني
وأسأل خالقي صبراً وعوناً ... وغفراناً لمن في الخلد هاني
ويمنحنا الثبات وصدق عزم ... ويربطنا بأقطاب الزمان
وتمتلئ الجوانح فيض نور ... بسر المصطفى رمز الأمان

والحمد للّه رب العالمين

ومن أهمها ما ألقاه الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف كلمةً شاملةً قال فيها :

« كان الإمام الحداد يبكي فيها ـ أي : القصيدة آنفا ـ أخاه الحامد، ويبكي فيها كذلك غيره من إخوانه الذين سافروا في ذلك الوقت إلى الهند وتوفاهم اللّه في عامٍ واحدٍ، بكاهم فيها ثم ذكر أن الأرواح كلها تعود إلى موطنها وإلى محلها وإلى عند أهلها ومحلها بالنسبة لهؤلاء السادات كما سمعتم في هذه القصيدة :

فيا بعيديد بشار البشائر هلْ ... وافَت على اليمن إخوانٌ وأولاد

لأ ا تعود هناك وهم من حيث إقامة الظاهر هم م تتنور الأكوان، ولابد من انتقالهم من بلد إلى بلد، ومن عالم إلى عالم، حتى يقيم اللّه الأمان في ذلك العالم ؛ لأ م كما قال

الحداد : ولولاهم بين الأنام ..إلخ، وكان شيخكم الشيخ الكبير أبومدين بلده كانت «بجاية» في المغرب، وألقى اللّه له محبة في القلوب، واطمأن الناس إلى ولايته ودعواته المقبولة وعلومه المبذولة، وكان من أمره أنه لما ألقى اللّه له محبة واسعة في القلوب حسده الكثير، فكانوا يبثون بالوشاية إلى سلطان تلك البلد، وكان من أمره أنه أرسل له السلطان ليستدعيه وأخبر أمير البلد أن يأتي به، فجاء أمير البلد وكان معتقداً في الشيخ شعيب وقال له : وصلتني دعوة من السلطان لاستحضاركم وحضوركم إلى بلده إلى عنده هناك، وأرى الدعوة غير طيبة، فقال له : اتركنا حتى نرى رأينا، فاستدعى خواصه من تلامذته وقال لهم : السلطان أرسل لي مرسوله وأراد مني أحضر، فاختلف أصحابه وتلامذته، فمن قائل يقول له : إن التصريف بيدك وأنت أفضل من السلطان، ولا سلطان غـيـرك، لا تـروح، ومن قائل يقول له : أمر السلطان مطاع ولابد من إقامة الظاهر، فقال لهم : دعوني إلى الليلة الثانية، فجاء الليلة الثانية وقال لهم : على بركة اللّه سوف أسير إلى السلطان، فأما الذين تشبثوا بالرأي الأول إنه لا يسير بقوا يشددون على شيخهم ويقولون له : ما يحتاج مع كبر سنك وعظم فضلك ومواهبك وما أعطاك اللّه لا ينبغي أن تسير، فألحوا عليه، فأسر إلى أذن أحد خواصه الذين يطمئن إلى سره معهم وقال له : لا، إنما أنا أموت قبل أن أصل إلى السلطان، بلاد من بلدان المغرب ما لها درك من الأولياء أنا دركها أموت فيها، وأخذ يمشي من بلد إلى بلد، وكلما دخل بلد استقبله أهلها استقبال عظيم، وحضروا مجالسه ودروسه وروحاته وعاداته، وكان يتنقل حتى وصل إلى « تِلمسان »، ولما وصل إلى تِلمسان عقد مجلسه العلمي كعادته الليلة الأولى، وإقامة الليلة الثانية، وبعد إقامة ا لمس وركوعه النافلة واستعجاله بنافلة آخر الليل لما انتهىمنها كان لا يزال في مصلاّه مفترشاً رجليه في هيئة التشهد قال : آه، { وعجِلْت إِليك رب لِترضى }، وألقى النفَس الأخير، فقال لهم هذا الذي خصه بالسر أنه قال لي: أنا درك هذه البلاد .

وهؤلاء الرجال كما قال الإمام الحداد : بأطراف البلاد من شرقها إلى غر ا، لأ م هم الدرك و م الأمان للبلاد وعليهم حمول البلاد وعليهم راية البلاد، ومنهم أخونا رحمه اللّه، وكثير من هؤلاء الرجال يخرجون في ظاهر الأمر من بلدا م ولا يود أن يخرج ولا يوده الناس أن يخرج ولكن { وكانَ أمر اللّهِ قَدراً مقْدوراً }، وأمر اللّه ما هو من أجل الخروج لأجل الأمور الظاهرة التي تكْـتُف أو التي تشوش أو التي لا يقدر على إزالتها ؛ لكن أمر اللّه بأن ينقله إلى البلد الثانية لأجل أن يكون دركها ويتولى أهلها ويصلح اللّه م شا ا ويكون عليهم معولها، هو أمر اللّه هذا وقضاء اللّه .

ثم الأرواح لا تزال جوالةً في المُبدع كما قال الإمام الحداد [1]، الجسد هذا له كرامته ؛ لأنه مرت معه الحياة وهو في طاعة وفي عبادة، وفي تلقي وفي ترقي، على اختلاف ما أعطوه هؤلاء الرجال، لا يزال الجسد عليه الدرك ولا تزال الروح تتردد على الجسد، ومنها ترقى إلى المُبدع ومنها تأتي إلى حضرات، ومنها تنـزل على أهلها ومنها تتردد عليهم .

كان يخبرنا أحـ ـد الإخـ ـوان مـ ـن آل تـ ـريـ ـم في وفاة والدي رحمه اللّه، وهو الشيخ توفيق أمان، كان في « نويدرة تريم »، وجاء خبر وفاة والدي بعد الوفاة مباشرةً وهو توفي قبل المغرب بنصف ساعة، فانتشر الخبر ووصل إلى تريم ؛ لكن الشيخ هذا ما وصله الخبر لأنه جاء إلى داره بالليل ولا عرف شيء لكنه قال : أنا

---

(١) المقصود بالمُبدع الكونَ المرئي، وهو يشير إلى قوله :

وأرواح تِطير إلى علاها   بأجِنحةِ الغرامِ المَقْعدِيهْ

رأيت من آخر الليل وأنا في نومتي كأن هذي جنازة عظيمة يتقدمها رجال كبار وزحام كبير يمشي مع الجنازة وهي داخلة إلى سدة تريم، فسألت عنها، قلت لهم: جنازة من ؟ قالوا : جنازة الحبيب أحمد بن عبدالرحمن، قال : أصبحت أقص الرؤيا، قالوا لي: البارحة توفي .

فهؤلاء كلهم المرجع إلى تريم، ومرجع تريم إلى المدينة إلى الحبيب صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، وروحانية الحبيب طوافة في تريم أكثر من تطوافه في غيرها من العالم كله ؛ لأنه رضِي عن أولاده الذين ساروا بسيرته وقاموا بطريقته ونشروا طريق دعوته صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، فأرضوه في جميع حالا م، كما بلغكم أن حامد بن عمر الإمام الكبير لما جاء للزيارة قام واحد من عند الشباك يمشي ويقول : أفيكم حـ ـامـ ـد بن عمر ؟ ثلاث مرات حتى وصل إلى آخر ا لس فقال له : لبيك، أنا حامد بن عمر، ما شأنك ؟ قال له : جدك رسول اللّه يقول : إن محلك الصدر داخل إلى جانبه،فدخل يتخطى الناس حتى وصل؛لأنه أرضاه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم .

ومثلها كان الأخ محمد [(١)] يقرأ عندنا في كلام الحبيب عبداللّه بن عيدروس، الإمام الكبير، ذكر لنا قضية الحبيب علوي بن الفقيه، قال : لما وقف تجاه القبر الشريف وسلم الحبيب أخذته حالة، وقال الحبيب عبدالرحمن بن مصطفى إنه ((زيق)) ساعة، أي : أدخل رأسه في جيبه ثم رفعه وقال : أُريت في هذه اللحظة جدي صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، وسألته فقلت له : أين منـ ـزلتي عندكم يا جد ؟ قال له : منـ ـزلتك في العين، قال : ثم سألني وقال : وأين منـ ـزلتي عندكم يا علوي ؟

---

(١) يقصد به السيد محمد بن أحمد بن هارون بن شهاب الدين .

قال : قلت له : على الرأس، فإذا الصديق يقول له : ما أنصفت جدك يا علوي، يضعك في العين وتضعه على الرأس ؟ قال : قلت له : ما وجدت إلا هذا، قال : عليك « شكرانية » للفقراء، قال : فخرجت من المواجهة ولم يكن عندي شيء ولكن أحد المحبين أعطاني مئة دينار فأعطيتها أحد الخدم، وقلت له : تصدق ا على فقراء الحجرة وعلى فقراء المسجد النبوي، شكرانية للنعمة التي جمعتني بمحمد هذا ؛ لأ م كما ذكرت لكم أرضوه وبلغوا في طريق الرضاء ما يعجبه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم ؛ لأن الرضا له مبتدأ وله منتهى وله وسط وله طريق، فبعضهم يرضيه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم ؛ لكن بعضهم يرضيه رضا يحبه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم ويعجبه ويدنيه، هؤلاء أهلكم، الروحانية المحمدية تطوف عليهم، وكثير من الشيوخ يحكون أ م رأوه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم يقول لأهل تريم خاصة : «يا أهل هذه البلدة إن لي بضعةً منكم »، يشير إلى أن من أغضبها أغضبني مثل فاطمة الزهرا ؛ لأ م بضعة من فاطمة وأولاد فاطمة، وموضع الشاهد أن اللّه سبحانه وتعالى يرسل هؤلاء الدعاة والعلماء وأرض اللّه كلها بالنسبة لهم واحدة، فإذا وضعوهم في قبورهم فيها أو سكنوا في تلك البلدة أحيا اللّه م البلاد والعباد وأقام م شريعة سيد الأمجاد صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، فإذا البلد هذي صارت من أفضل البلاد .

المدينة إنما زانت بالحبيب، وتريم إنما زانت بأهل البيت، حضرموت كلها إنما زانت ؤلاء الرجال، وكل بلدة ينـزلها هؤلاء كما قال الحبيب عبداللّه الحداد :

تحيا ِبهم كُل أَرضٍ ينـزلُونَ ا ... كَأَنهم ِلبِقاعِ الأَرضِ أَمطَار

وهكذا، أسأل اللّه سبحانه أن يرحم أخانا علي، وأن يبقي البركة إن شاء اللّه في أولاده أجمعين، ويجعلهم خير خلف إن شاء اللّه لخير سلف، يأخذون في الطريقة؛ لأ ا سلسلة « يا بوبكر » إلى أبوبكر إلى ما قبل أبوبكر، كلهم كما ذكرت، عرفت جده [1] علوي وكان كثير الدعوة ؛ لأنه كان كثير التنقل والسياحة في البلدان والقفار والأودية المباركة وفي غيرها، وكانت له أخبار ومناقب وكرامات كبيرة في رحلاته هذه، وكانت له مساجد كثيرة أقامها في دعوته هذي وفي رحلاته هذي، ونفع اللّه سبحانه وتعالى به وبدعوته، ثم جاء بعده جدكم «أبوبكر» ما عرفتوه، عاد نحن عرفناه، ونشر الطريقة على الطريقة هذه، ثم جاء المرحوم أخونا علي ومشى على قدم أوسع من القدم الأول بكثير وبكثير وبكثير، وأضاف إليه زينة بتواضع جم وعقل كبير ودعوة عظيمة وصبر كثير وأخلاق ألين من النسيم وأرق من الماء كثيرا، واحتمال في الدعوة وصبر فيها على الجفاة، وصبر فيها على العتاة،وكرم فوق مستوى الحد وفوق الحد؛ ولكنها شِنشِنةٌ أَعرِفُها مِن أخزمِ.

أسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع الرحمة وأن يجعل مقامه في الأكرمين من آبائه الأولين، ومن رجاله السابقين، الذين أثنى عليهم القرآن ومن أهله العلويين، وأسأل اللّه أن يجعل البركة ويبقي سلسلة العلم والدعوة والخير والصبر إن شاء في أولاده كلهم أجمعين، وفي أولادهم أجمعين، ويدر عليهم النعماء ويجعلها طريق الرضا، ويحفظهم إن شاء اللّه ويحفظنا من الابتلاء، ويجعل البيت عامر إن شاء اللّه بالعلم وبالعمل وبالصلاة وبالقرآن وبالذكر وبالدعوة وبالأخلاق، ويجعلها سلسلة إن شاء اللّه سائرة على الطريق لا يثنيها شيء من التدهور ولا من الفسخ ولا من الغيار،

---

(١) أي بالنقل والخبر وليس بالمشاهدة ؛ لأنه لم يدركه .

تبقى في أولادكم وأولادنا وإخواننا وإخوانكم، ويعمركم إن شاء اللّه عمارة تامة، يعمركم بالدين الكبير وبالخلق الكبير وبالعقل الكبير وبالرزق الغزير وبالاستمرار على ما كان عليه أهلهم إن شاء اللّه على هذه النية .

ثم رتب الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف فاتحة الاختتام :

اللهم بجاهه وبذكره وبعظيم محبته عندك إلا ما غفرت لأخينا علي وباركت في أولاده وجمعتنا وإياه في الفردوس، وجعلت منـزله عند أهله وأجداده وعند نبيه صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم وأطلقت روحه تتردد على أولاده وعلى مسجده وعلى معهده وعلينا وعلى إخوانه أجمعين، وعلى محبيه، واجعله اللهم في الفردوس الأعلى مع نبيه محمد صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم، وأنـزله المقعد المقرب وأكرمه بالرضا ومقام الرضا مع أهل القرب ظاهرا وباطنا والحمد للّه رب العالمين .

ثم تناول الحاضرون في غرفة سيدي الوالد ما تيسر من الطعام، ورتبت الفاتحة إلى روحه، ثم أنشد السيد الفاضل محمد بن هارون بن شهاب الدين :

أَجودُ بدمعِي والدموع على الخَد   شهود على الأشواق والحُزن والوجدِ

ثم رتب الحبيب أحمد بن طه مشهور الحداد الفاتحة للختام بالقبول والإقبال، وصلاح الأحوال، وصلاح الأعمال وصلاح العيال، وأن اللّه ببركة أخينا علي يكرمنا إن شاء اللّه بالقبول وبلوغ السول والمأمول، واتباع السيرة ويصفي السريرة، ويدخلكم إن شاء اللّه في دواوين السلف الصالح، وتظهر بركتهم في أولادنا وإخواننا ومن قام معهم ومن أيدهم ومن سعى في إقامة شأ م، وأن اللّه يمن عليهم بالرضا والتوفيق وصلاح الأحوال ويعطي كل منا ما سأل ويبلغنا غاية الآمال من فضله

وإحسانه ويرزقنا كمال الكرامة وكمال الاستقامة وكمال الاتباع لسيد المرسلين صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم .

ثم أكمل الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف الفاتحة على أن اللّه يجعلها ساعة مباركة حضر ا روحانية أخينا علي وروحانية أهله ورجاله وروحانية أهلنا كلهم إن شاء اللّه، يمن اللّه علينا وعليكم باجتماع الأرواح بالأرواح والقلوب بالقلوب والأجسام بالأجسام ويجعلنا وإياكم إن شاء اللّه ممن صفت أرواحهم فنظرت إلى تلك الأرواح وعاشت مع تلك الأرواح وأخذت من تلك الأرواح، وجمعت من تلك الأرواح ما تفرق في خيرات ومسرات حسية ومعنوية، وأسأل اللّه أن ينطق الولد أبوبكر وإخوانه إن شاء اللّه بالحكمة وينطقنا وإياكم بالحكمة، ويلهمنا الصواب ويجعلنا ممن أوتيها وممن خص ا وممن كان فيها وممن كان من أهليها ويجعلها ساعة مباركة يقضى لنا ولكم فيها الحاجات أجمعين، ويبلغنا الأماني والآمال كلها، ويربطنا ؤلاء الرجال ربطاً لا ينحلّ في جميع الأمور ظاهرها وباطنها، ويجعل هذا المنـزل دائماً معمور إلى يوم الدين بالعلم والخير والبركة والسر والنور والهداية، يغمرنا ويغمركم ويغمر أولاد الأخ المرحوم إن شاء اللّه، ويجعلهم محفوظين في الذات والحس والمعنى وفي جميع الأمور، ويجعل دخول شهر رمضان دخول خير ودخول بركة ودخول نور إن شاء اللّه يصل إلى القلوب فتقوم به من الكسل وتحفظنا به إن شاء اللّه من الخلل في الحس والمعنى، ويطلعنا على كنوز هذا وعلى ما في هذا الشهر، وينصب لنا فيه ألوية، ويظهر لنا فيه لواء إن شاء اللّه نكون ممن مشى تحت ظل اللواء في خيرات من مجامع القرآن وجوامع القرآن وأسرار القرآن ورعاية القرآن وحد القرآن ومطلع القرآن وباطن القرآن، اللهم أكرمنا بذلك كما أكرمت من قبلنا، واجعل لنا لسانا تعقل، وقلب يتكلم وينطق فيه ظاهرا وباطنا، ويجعل لنا إلى الهداية

طريق نصل به بلا عنا وبلا تعب، وإلى الرعاية طريق نصل ا بلا عنا وبلا طلب، وإلى الولاية طريق نصل ا بلا عنا وبلا طلب حسا ومعنى ظاهرا وباطنا، وإلى حضرة النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم .

ثم دعا الحبيب بعد قراءة الفاتحة من الحاضرين ذه الدعوات المباركات :

« اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، اللهم يا هادي يا دليل دلنا وهؤلاء إلى السبيل الذي سلك فيه خير جيل مع خير رعيل حسا ومعنى ظاهرا وباطنا والحمد للّه رب العالمين » .

نمَاذجُ مِنَ التّعازِي والمَرَاثي الّتي وَرَدَتْ إلَينا بِهَذا المُصَابِ الأَلِيم

كان الخبر بوفاة سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى قد انتشر خلال الأيام الثلاثة الأولى في كافة نواحي البلاد داخلها وخارجها، وبعثت رسائل التعازي وبرقيات الإعلام بذلك إلى كل مكان لإقامة الصلاة على روحه، وقد تم ذلك وكان للخبر وقع أليم وصدى مؤثر، ونثبت هنا نص رسالة التعزية التي رفعتها أسرة الفقيد بجدة إلى كافة أنحاء البلاد :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين .

بمزيد من الأسى والحزن والاستسلام للقضاء والقدر نرفع إليكم التعازي في فقيد الجميع سيدي المرحوم الوالد علي بن أبي بكر بن علوي المشهور المتوفى صباح يوم الأربعاء ١٧ شعبان ١٤٠٢ إثر نوبة في الدماغ، وقد سبقت ذلك بأسبوع نوبة قلبية مكث بسببها في المستشفى، وكانت اية ذلك حصول قضاء اللّه وقدره، رحمه اللّه رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأ ار، وإنا للّه وإنا إليه راجعون، واللّه نسأل أن يلهم الجميع الصبر والسلوان في المصاب الكبير الجلل .

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

وهذه رسالة التعزية التي وردت إلينا من الأخ الأكبر في أسرة سيدي الوالد، وهو الأخ محمد بن علي المشهور وبقية الإخوان المقيمين بعدن وأحور، قال فيها :

لقد تلقينا نبأ وفاة الوالد رحـمـه الله بمزيد من الأسى والحزن، وقد تكلفنا الصبر والتحمل أمام هذه الفاجعة، وقد أعلنا الخبر على الناس صباح الجمعة، وخرجت أحور عن بكرة أبيها للتعزية رجالا ونساء، وقد استمرت وفود التعزية إلى قرب صلاة الجمعة وصلينا عليه صلاة الغائب بعد صلاة الجمعة، وقد تمت عليه الصلاة في جميع المساجد في أحور والمحفد ونواحيها، وأعلنا الدرس في يوم الأحد إلى يوم الأربعاء، وعملنا بركة الختم على روحه الطاهرة، وقد وصلتنا وفود من المشايخ من مناطق شتى، وقد شارك الكثير من الناس في الختم والبركة، نسال الله أن يكون ذلك خالصا لوجهه الكريم، وأن يوصل أجره إلى روح الوالد رحمة الله عليه .

وأما بالنسبة للنساء فقد منعناهن من الصياح بتاتاً، وأقنعنا الأهل قبل إشاعة الخبر بأن الوالد أوصى بذلك، وأنه لا يريد أن يرتفع عليه صوت، وتمت التعازي لثلاثة أيام فقط بعد أن كانت عادة النساء أن تستمر « السلقة » تسعة أيام كاملة، وقد ذكرنا في ليلة ختم الدرس بعض فضائل الوالد وشكرنا الناس على التعازي باسمنا واسمكم، وقام الأستاذ أحمد حسين ذيـيـبان بقراءة قصيدة شعرية مناسبة للمقام .

ونعزيكم أيها الإخوة كما نعزي أنفسنا، وانقلوا تعازينا لكافة الأهل وخاصة والدتنا العزيزة والأخوال والأقارب منا ومن أهل أحور جميعا رجالا ونساء وأطفالا، وكذلك تعازي أهل المحفد والعرقين ولباخة، وقد كلفونا بإبلاغ التعازي إليكم، والحقيقة التي لا غبار عليها أن المصيبة كبيرة، والمصاب عظيم، ولا نقول إلا ما قاله

الصابرون : إنا للّه وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم، وتحلوا يا أعزاءنا بالصبر، فإن الأجر على قدر المصيبة، والصبر عند الصدمة الأولى، وفقنا اللّه وإياكم لما يحبه ويرضى، ونسأله تعالى أن يهدينا للسير على ما رسمه لنا والدنا رحمه اللّه، فهو ولله الحمد لم يقصر في التربية، وخطّ لنا أفضل طريق،وإن شاء اللّه إننا على الدرب سائرون، وسلام اللّه عليكم ورحمته وبركاته.

وهذه قصيدة الأستاذ أحمد حسين ذيـ يـ بان الملقاة على أسماع الحاضرين في ختم الدرس بمسجد الجول على روح سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى بأحور :

أبكيك يا مشهورنا يا غالي ... يا نسلَ طه يا أبا الأشبال
أرثيك من قلبٍ بدمعٍ ساخنٍ ... وأرد من بعضِ الوفا في الحال
قد كنت فينا مرشداً ومعلماً ... علمتنا الأخلاق حسن خِصال
أسست علماً نافعاً ومدارساً ... كي تدي للّهِ ذي الأفضال
قد كنت نجماً ساطعاً في نورِهِ ... بل كنت شمساً في دجى الجُهال
إن القلوب حزينةٌ لِفراقِكُم ... فإلى جِنان الخُلْدِ في الترحال
إن القلوب لِودكُم وبِفَقْدِكُم ... جرحى ولست بذا المقال مغالي
يا صاحب الفضل الكبير تحيةً ... تهدى لِروحِك رحمةَ المتعالي
ذكراك تبقى في النفوسِ طويلةً ... ذكراك لا تنسى مدى الأجيال
فاهنأ بجناتِ النعيمِ وحورِها ... يا من دعانا صالحَ الأعمال
أسألُك يا رب تعظم أجرنا ... فالعبد خطّاءٌ كَثِير القال
أسألك يا رب تحسن ختمنا ... وكذاك مغفِرةً عن الأخطال

فلِئن فَقَدنا اليوم فَذّاً عالِماً فالخير نتمناه في الأنجال

ثُم الصلاةُ على النبي محمدٍ وكذا الصحابةِ كلهم والآل

وكتب إلينا الحبيبان عبداللّه وعلي ابنا الحبيب محمد ابن الحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين رسالة تعزيةٍ جاء فيها :

الباعث لتحريره السؤال عنكم وإفادتكم باستلام مشرفكم العزيز المعلن لنا بمسنون التعزية في والدكم المرحوم فقيد العلم والدعوة إلى اللّه وإرشاد العباد الحبيب علي بن أبي بكر المشهور رحمه اللّه رحمة الأبرار وأسكنه جناتٍ تجري من تحتها الأ ار، فعظّم اللّه أجركم وغفر لميتكم وأحسن عزاءكم وأخلفه على الجميع بخلف صالح .

وقد شق علينا فراقه كثير ؛ ولكن نقول ما قاله الصابرون : إنا للّه وإنا إليه راجعون، هذا سبيل الدنيا ومصير الأحياء، ربنا يطرح البركة فيكم، ويجعلكم خير خلف لخير سلف، ونحن لا نـزال نذكركم وندعي لكم بصلاح الأحوال كلها الظاهرة والباطنة، ولا سيما بحضرات الأسلاف الفقيه والسقاف، ونستحضركم في مسجد الشيخ عمر المحضار، وندعي لكم ونتخيلكم، فأنتم من جيرانه وأولاده، واللّهِ لا يندم من جاور المحضار، والسلام .

وكتب الحبيب طاهر بن حسين بن أحمد الكاف من بلاد الصومال « مقديشو » رسالة تعزية في الفقيد قال فيها :

نبعث إليكم التعزية بمن قدس اللّه روحه، أخينا وأعز عزيز علينا والدكم المرحوم علي بن أبي بكر المشهور، تغمده اللّه بواسع رحمته وأسكنه فراديس جنته، فأحسن

اللّه عزاءكم، فموته ثلمة في الدين وصدمة ورزية عظمى، وما يسعنا إلا الصبر والتسليم، فنسأل اللّه جل وعلا أن يلهمكم الصبر ؛ لِيعظُم لكم الأجر، وأن يحليكم بما تحلى به، وهو من حين صغره صحبناه على هذه الحالة لم يصب طول حياته كما كان الأخ المرحوم « محمد بن علوي بن شهاب الدين » كذلك رحمة اللّه عليهم، وكنا نتفرح بلقياه ونتذكر أيام صبانا وتعليمنا نحن وإياه ؛ ولكن الموت ما خلى قليب سالي، والموت تحفة كل عبد صبار، عسى اللّه يرزقنا الثبات عند الممات، آمين :

للمنايا على الورى وثّبات　　　عز فيها تصبر و ثَبات

وختم الحبيب المذكور رسالته بأبياتٍ أرخ فيها موت سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى، وهي قد أُثبتت في صدر الكتاب، ونثبتها هنا ىيء السياق :

٧　٥٨٥　١٣٩　٢٥٦　٩٥　٦٥٢　١٧　١٥١=١٤٠٢

أجاب داعي الحَق نورِ الدينِ　　　مرتبِطاً بِحـبـهِ المَـكِـينِ

تاريخ موتِ السيدِ المَشهورِ　　　في ضِمنِ بيتٍ كامِلٍ مسطُورِ

بشرى لَه بِزائِدِ الأجورِ　　　جِوارِ بيتِ ربـ ـهِ المَعمورِ

يا رحمةَ اللّهِ عليهِ دوري　　　وأنعِمِي بالخَير والحُبورِ

وكـتـب الفقيه العلامة الحبيب عمر بن أحمد بن عبداللّه المشهور رسالة تعزية وقصيدة تأبين في الفقيد رحمه اللّه تعالى، وهذا بعض ما جاء في رسالته :

لقد شق علينا فراق تلك الطلعة البهية، سيد الأفاضل، العالم الذي كان للمعارف كنـزا، وللآداب حرزاً، مصدر الفواضل والفضائل، ومعدن العلوم والمعارف،

المشهور بالعلم والأخلاق، الداعي إلى طريقة ربه الخلاق، الهادي إلى سنن الهدى والصواب، المرشد إلى العلوم والتقى والهدى، من أحيا أناساً وانتشلهم من ظلمة الجهل وهداهم إلى نور العلم وألهمهم التقوى والرشاد، ومهد لهم سبل الإرشاد، حتى أوصلهم إلى ذروة ا د والكرامة، ورفعهم إلى أسنى العز والزعامة، لقد حز في قلبنا فراقه ولكن ما وسِعنا إلا أن نقول ما قاله الصابرون: { إنا للّه وإنا إليه راجعون }

وما كان قيس هلْكُه هلْك واحِدٍ ولكنه بنيانُ قَومٍ تهدما

لقد عاصرناه من ابتداء نشأتنا لطلب العلم في الرباط تحت إرشاد شيخه العارف باللّه عبداللّه بن عمر الشاطري، فكرعنا منه بالحفن، وصرنا كرضِيعي ِلبان، وفَرسي رِهان، نتدارس القرآن ا يد، ونتلقى العلوم المفيدة ردحاً من الزمان، حتى بلغ كل منا ما يرومه والحمد للّه على ذلك .

وأرفع إليكم طي هذه الرسالة مرثاةً أنشأ ا في فقيدنا المغفور له على أنني لست من رواد ذلك الميدان ولا من سباق فرسانه، ولا معدوداً من الشعراء البارزين في تلك الحلبة، غير أني تطفلت في شيءٍ لا أعرف صناعة ألفاظه من تصريع في الشعر، وتسجيع في النثر، وأقسامه كلزوم ما لا يلزم من رويه وقوافيه وعيبه كالزحاف وغير ذلك مما هو معلوم في صناعة الشعر، ولقد حملني على إبراز ما سنحت به قريحتي هو ما يكنه ضميري نحو الأخ علي، وما هذا إلا قليلٌ من كثيرٍ، وقطرةٌ من بحرٍ، ولو أرسلت يراعي لما وسِعته السطور، نعم صادرةٌ من أخٍ محب لأخيه وأترابه وأقرانه، وإنما الأعمال بالنيات، و ذه النية الحسنة والقصد الحسن أرجو قبولها والغض عما احتوته من نقص ومن ركاكة في مبنى الشعر ورصعه :

وإنْ تجِد عيباً فسد الخَلَلا | فجل من لا عيب فِيهِ وعلا

وهذه أبيات القصيدة :

مضى خلَف الأبرارِ والسيد الطهر | فصدر العلا مِن قَلْبِهِ بعده صِفْر
وغَيب مِنه في الثرى نير الهدى | وغارت ذُكاءُ(١) الدينِ وانكسف البدر
فحق المعالي أنْ تشق جيوبها | عليهِ وتنعاه المَكارِم والفَخر
تجمع فِيهِ الخَير والفَضلُ كُله | وصاحبه المَعروف والجِد والبِر
لقد غَدرت فيهِ الليالي فإنها | لِكُل وفي العهدِ شِيمتها الغدر
وفي حِينٍ فاجانا النبا بوفاتِهِ | تغيرتِ الألباب وانثَلَم الصدر
وصِرنا حيارى في ذُهولٍ ونحتسِي | كُؤوس الأسى واليأسِ لازمنا الصبر
مصاب جلَلٌ والخَطْب أَقْطَع طاقَةٍ | ورزءٌ عظِيم لا يطاق لَه الوعر
فهدم مِني كُل عضوٍ ومفْصِلٍ | وصِرت رهِين اليأسِ واستعمر الصبر
فسالَت عيوني في المَآقي بدمعةٍ | على الخَد تجري مثلما قد جرى البحر
لَبِست قَمِيص الحُزن واليأسِ والأسى | وغَمض الكرى مِن مقْلَتي زال والحَجر
فها أنذا أنثُر دمعِي كآبةً | على فَقْدِ طَودِ العِلْمِ حالَفَه النصر
ومن قام في صف الدعاةِ إلى الهدى | بِجد وتشمِيرٍ فَلانَ لَه الصخر
حلِيف المعالي والعلُومِ مع التقى | كريم السجايا دأبه العِلْم والخَير
ومنذُ نشا لم يصب طَرفةَ عيـنـهِ | ومعتنِق الآدابِ ديدنه النشر

(١) ذُكاء : اسم للشمس .

وفي عفِيف ذو مقامٍ ورِفْعةٍ   رفِيع المَعالي شـ ـأنه النظْم والنثْر
إذا قام فينا واعِظاً متكلماً   يماثِلُ سحباناً وقَساً ولا فَخر
ومِن دوحةِ العِلْمِ الشرِيفِ أُصولُه   أُصولَ العِلْمِ منها بدا الفَخر
بنورِ الهُدى والعِلْمِ في كُل بقْعةٍ   هم إبن بجدتِها فما نالَهم عسر
سلالةُ طه المصطفى ووصِيه   وآلُ علِي المُرتضى هم لنا ذُخـر
وإبن شهابِ الدينِ والفَخر جده   محمد المَشهور طاب له الذكْر
عرفْناه مِن منذُ الدروسِ بمعهدٍ   بغناءَ بنتِ العِلْمِ طالَعنا الخَير
وكُنا كفُرساني رهانٍ ـمةٍ   لكسبِ العلُومِ والعلا سادنا اليسر
نبيت لحل المُشكِلاتِ ونحتسِي   كُؤوس المَعالي منتهى درسِنا الفَجر
بإرشادِ شيخ الطالِبين إمامِنا   مسمى عفِيف الدينِ أُستاذُنا الفَخر
هو الشاطِري شيخ الشيوخ ويا له   إمام مرب في الأنامِ له قَدر
قضى نحبه والدين يصرخ داعياً   وآداب ارشاد كذا النهي والأمر
وتنعاك يا ابن الأكْرمين منابِر   ودرس لقُرآنٍ كذا الوعظُ والذكْر
علي المَعالي قد ثَوى داره الذي   له وارد كل ابنِ أُنثى ولا عذْر
ثَويت وللدنيا عليك وأهلِها   بكاءٌ وحزنٌ والجِنانُ لها البِشر
عليك بني المشهورِ هاطِلُ رحمةٍ   تبل ثرى قَبرٍ بِه حفك الخَير
مِن اللّهِ بالغفران والعفْوِ والرضا   وجناتِ عدنٍ في نعِيمٍ ولا إصر
وحور وولْدانٌ وروح وراحـةٌ   جداولُ مِن شهدٍ ا قد جرى النهر
جِوارِ النبي المصطفى سيدِ الورى   وآلٍ ونعم الآلُ أسلافُك الغر

فما مات من أبقى فُروعاً زكِيةً — على العِلْمِ رباهم فَحياهم الدهر
ـِيروح الأمانيْ والرقي فهم إلى الـ — ـ معالي ويعلُو ذِكْرهم ولهم قَدر
فُروع تسامت للعلا وهو أهلُها — فطَابت وفي أفنانِها العدلُ والبِر
يكونوا بتوفيقِ الإلهِ جمِيعهم — خلِيفَته والعِلْم فيهم كذا السر
ويغمرهم بالخير والعلمِ والندى — فيحيِي ـِبهم ربع البِلادِ كذا القُطْر
فأهدِي التعازي سائِلاً مِن إلهنا — رِعايةَ لُطْفٍ كي يضاعف لنا الأجر
وسلوانَ قَلْبٍ ذاب مِن فَرطِ ما — وأحرقَه نار وقد مسه الضر
مع الأهل والإخوان والصحبِ كُلهم — وآل بني المشهورِ هم للعلا صدر
وصلى إلهي كُل وقْتٍ وساعةٍ — على أحمد المختارِ ما طَلَع الفَجر
وآلٍ وصحبٍ سادةِ البِر والتقَى — أُصول الهُدى والعِلْمِ مِنهم بدا الخَير
وعِترتِهِ الأطهارِ مِن آل هاشِمٍ — عليهم سلام اللّهِ هم في الدجى بدر

تمت في ٧ رمضان المعظم ١٤٠٢ بتريم

ومن جزيرة سيلان « سيريلانكا » وافتنا الشريفة السيدة « شريفة بنت العم محمد بن أبي بكر بن علوي المشهور » برسالة تعزية قالت فيها :

بمزيد من الأسى والحزن تسلمنا رسالتكم، وكان فيها انتقال العم علي بن أبي بكر المشهور رحمه اللّه، وإنا للّه وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ر م ورحمة وأولئك هم المهتدون .

اللهم اغفر له وارحمه وآنس وحشته وارحم غربته، ونور ضريحه وتقبل حسناته وتجاوز عن سيئاته، واغفر ذنوبنا وذنوبه، اللهم اجعل قبره روضةً من رياض الجنان ولا تجعله حفرةً من حفر النيران، ألا إن أولياء اللّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، اللهم أدخله الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، آمين يا رب العالمين .

ألْهم اللّه الجميع الصبر والسلوان في المُصاب الكبير الجلل .

وكتب لنا أبناء الحبيب أحمد بن صالح الحداد وآل الحداد رسالة تعزية من مدينة نصاب، جاء فيها :

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، سلام على آل ياسين، وبعد ؛

لقد استلمنا بمزيد الأسى وعميق الحزن خطابكم العزاء في فقيد الجميع الحبيب العلامة علي بن أبي بكر المشهور رحمه اللّه، ولقد آلم قلوبنا وأحزن نفوسنا فراقه، وعلى مثله فليبك، فموته خسارةٌ فادحةٌ على الجميع :

إذا ما مات ذو عِلْمٍ وتقْوى　　　فقد ثُلِمت مِن الإسلامِ ثَلْمةْ

ولقد افتقدنا بموت حبيبنا علي التقوى والعلم الغزير والتواضع الجم والأدب الكبير والسيرة العظيمة، وقد كان الشهيد السعيد حبيبنا أحمد يقول عن المرحوم : إنه واحد ممن أُعجب بحسن أد م، ونحن الجميع نحتفظ للمذكور بجميل الذكريات، ولقد عز علينا فراقه ورحل عنا في وقتٍ نحن أحوج ما نكون إلى مثله وأمثاله ؛ ولكن هذه مشيئة اللّه وحكمه وأمره الذي لا يقابل بغير التسليم، وقضاؤه الذي ليس له سوى الصبر الكريم، وقد عملنا الـدرس في مـحـضرة الحبيب القطب صالح بن عبداللّه ترحماً على روح الفقيد الطاهر، وصلينا عليه صلاة الغائب في جامع نصاب بعد صلاة الجمعة .

إننا إذ نعزيكم ونعزي أنفسنا بهذا المصاب الجلل والحادث المؤلم لا يسعنا إلا أن نرفع أكف الضراعة إلى الله أن يتغمد الفقيد بالرحمة والرضوان، وأن يلهمنا جميعاً الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون، والسلام .

وقد تواردت علينا رسائل التعزية من كل حدبٍ وصوبٍ ولكثرتها لم نستطع إثباتها، واكتفينا بهذه النماذج السابقة، ونختتم نماذج التعازي المعبرة عن هذا المصاب الأليم بالرسالة المباركة التي بعثها إلينا الحبيب البركة صاحب السر المكنون والنور الإلهي المصون، سيدي أبوبكر بن عبدالله الحبشي الملقب « عطاس »، وهي رسالةٌ حاويةٌ ووصيةٌ جامعةٌ سماها : « شِفاءَ الصدور لآل عِلِي المَشهور »، وقد كتبها جواباً على أبياتٍ ركيكةٍ جاءت عفو الخاطر والبال قُرئت في حضرته يوم زيارتنا له بمكة المكرمة، من نظم الفقير إلى الله أبي بكر بن علي المشهور، وهذا نص رسالة الحبيب عطاس :

بِسمِ اللّهِ الرحمنِ الرحِيمِ
{ ما ننسخ مِن آيةٍ أو ننسِها نأتِ بِخيرٍ مِنها أو مِثْلِها }

الحمد للّهِ وارثِ الأرض ومن عليها، ومعِيدِ ما خرج منها إليها، ونسأله أن يثَبتنا بالقول الثابت في الحياة وفي الآخرة، ويثْبِتنا في ديوان من أحبه واصطفاه، فخافه ورجاه واتقاه، وامتثل أوامره، واجتنب زواجره، ويرزقَنا التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نـزوله محِبين للقاء اللّه محسِنين الظن به راجِين بشائره، وأن يحيِينا في الدارين الحياةَ الطيبةَ العامرة، بالأنوار الزاهرة، ويعيننا على ذكرِه وشكرِه وحسنِ عبادته الباطنة والظاهرة، ويحيِي جدوب أراضي قلوبنا بغيوث فضله الماطرة، وسحب جوده العاطرة، ويجعل فينا وفي أولادنا أبداً ما

تناسلوا وسائرِ إخواننا وأحبابنا وأصحابنا كمالَ الاستعدادِ والقابليةِ لمواريثِ نبينا محمد صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم وأهل بيته العترة الطاهرة، ويوفر حظنا من علومهم وأسـرارهـم وأنـوارهم المتكاثرة، ويدخلَنا في رعايتهم وعنايتهم ولا يخرجنا من تلك الدائرة، ويجمع بيننا وبينهم من غير سابقة عذابٍ ولا توبيخٍ ولا عتابٍ في مقعد الصدق مع الوجوه الناضرة، التي إلى ر ا ناظرة، ويجعلنا من ضنائِنِ خلْقِهِ الذين وصفهم الحبيب صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسلم بقوله : « إن للّهِ ضنائِن ِمن خلْقِهِ، يغذُوهم في رحمته، ويضِن م عن القتل والفتن والأمراض والأسقام في الدنيا، ويطيل أعمارهم في حسن العمل، ويحسِن أرزاقهم ويحيِيهم في عافية ويقبض أرواحهم على الفُرش، فيعطيهم منازلَ الشهداء » انتهى من « كنـز العمال » من عدة روايات، ويا لها من أوصافٍ زاخرة، أكرمنا اللّه ا بمحض فضله ورحمته الباهرة، لا بجهودنا القاصرة، وأعمالنا الفاترة، آمين، اللهم آمين .

وبعد فقد وصل إلى بيتي بمكة للزيارة والاستمداد، وتجديد عهود المحبة والوداد، الأولاد الأدباء، والسادة النجباء، أولاد الأخ النديم، والصاحب من قديم، أيام ِثِبي وتريم، المرحوم برحمة اللّه الحي القيوم، الذي شق فراقه على المسلمين، إذ كان ثَلْمةً في الدين، ذي السر المستور، علي بن أبي بكر المشهور، مؤدين لي حق التعزية في الأخ المذكور، لَما عجزت عن الوصول إلى بيتهم بجدة من أجلها، وكانوا أحق ا وأهلَها ؛ ولكن ِلتربيةِ أبيهم لهم بالتربية الحسنة، وتعليمهم الآداب والأخلاق المستحسنة، آثرونا با يء إلى البيت، ومعزين لي في أبيهم الذي هو إن شاء اللّه بالحياة الأخروية حي ليس ِبميت، بدليل قوله تعالى : { ولا تحسبن الذِين قُتِلُوا في سبِيل اللّهِ أمواتاً بلْ أحياءٌ }، وقوله صلى اللّه علَيهِ وآلِهِ وسـلـم : « إذا جـ ـاءَ

الـمـوت طالِب العِلْمِ وهو على حالِهِ مات شهيداً وليس بينه وبين الأنبياءِ إلاّ درجةٌ واحِدةٌ »، وقال الشاعر المُجيد :

موت التقِي حـياةٌ لا فَناءَ لها قد مات قَوم وهم في الناسِ أحياءُ

وقد أنشدنا الولد المبارك أبوبكرٍ العدِني في هذه الزيارة قصيدةً فريدةً أتعب فيها القريحة، وحلاّها بالمعاني المليحة، والألفاظ الفصيحة، على لسانه ولسان حال إخوانه، ومضمو ا طلب الدعاء الصالح من عمهم أفقر العباد، إلى فضل اللّه الجواد، بحصول القصد والمراد، وصلاح أمر المعاش والمعاد ، والتوفيق لسلوك طريق الرشاد، التي سلكها السلف الأمجاد، ولِسانُ حسنِ الظن في المولى الكريم يبشر ويقول : « لَكُم بشرى الإِجابةِ والقَبول »، ولَما رأيت منهم تلك الآداب والأخلاق، الناشئة عن طَـيبِ الأعراق، والثناء البليغ عـلـى عمهم أسير القصور والجَهل، بما ليس له بأهل ؛ استحسنت أن أُجيبهم على تلك الأبيات المِلاح، بنظمٍ سهلٍ لا يحتاج قارِئُه إلى مراجعةِ « قاموسٍ » أو « صِحاح »، وكلامٍ واضحٍ جلي يفْهمه كل ذي قلبٍ سليمٍ خلِي، مثل كلامِ الأخ المرحوم علي، وجدِهِ الحبيبِ علوي، لا مثل شعرِ المتنبي، البليغِ القوي، المعربِ المبني، الذي سلك طريقَه في الشعرِ الولد أبوبكرٍ العدنيّ، وقد بلَغنا عن الحبيب الجامع بين عِلْمي الباطن والظاهر، عبداللّه بن حسين بن طاهر، أنه لما سمع قول الشاعر :

علَي نحت القَوافي مِن معادِنها وما علَي إذا لم تفْهمِ البقَر

قال رضي اللّه عنه :

تركْت نحت القَوافي مِن معادِنها لأن لي مقْصِداً أنْ تفْهم البقَر

والقصد كل القصدِ أن تنشرح لذلك مِنا ومنهم الخواطر، وتصفو ا القلوب والسرائر، المُكدرةُ بما جرى على الأخ المرحوم، من الأمر المحتوم، على الأصاغر والأكابر، فقلت مستعيناً باللّه بعد الحمد للّه رب العالمين :

ما مات من أبقَى خِيار البنين — خلائفاً مِن بعدِهِ صالِحِين
حبيبنا مشهورنا في الورى — نجل أبي بكْرِ بنِ علَوي القَطِين
في صالِحِ الأعمال مِنهم لَه — حظ عظِيم وافِر كُل حِين
ربـ ـاهم تربيةً نفْعها — يبقَى بِهِ حـ ـيـ ـاً جمِيع السِنين
ومن تربـّ ـى خير تربيةٍ — بِخير ساداتِ الورى المُتقِين
ربـّ ـى ا الأولاد والـ — أحباب والأصحاب واللائذِين
وقد صحِبناه سِنيناً وأنـ — ـوار الهُدى وضاحةٌ في الجَبِين
هادٍ ومهدِياً خطِيباً إما — ماً في بـ ـيـ ـوتِ اللّهِ للمقْتدِين
يـ ـبـ ـدِي لنا مِن نثْرِهِ المُنتقَى — ونظْمِهِ السهل اللطِيفِ المَتين
إذا أتـَ ـيـ ـنـ ـاه وإنْ زارنا — ما يشرح الصدر ويشفِي الحَزين
ولم تزلْ أوقَاته بالهُدى — معمورةً حتى أتاه اليقِين
وذِكْره باقٍ وإنْ قد مضى — وفَضلُه يذْكَر في العالَمِين
يا ربنا ارحمه ونور لَه — ضرِيحه في برزخِ الفَائِزين
في روضةٍ مِن جنةِ الخُلْدِ في — أمنٍ مِن الخَوفِ وحِصنٍ حصِين
وكيف لا والصدر فِيهِ كِتا — ب اللّهِ للحافِظِ نور مبِين
بالخَلَفِ الصالِحِ فاخلُفْه في — أولادِهِ يا أرحم الراحِمِين
يمشونَ في آثارِهِ دائماً — لِجدهِم خير الورى مقْتفِين
جاؤوا إلى الحَـ ـبـ ـشِـ ـي — ما يخجِلُ الدر النظِيم الثمِين
قَصِيدةً فيها الثناءُ لَه — إذ كانَ للمشهورِ خير خدِين

وذاك مِنهم حسن ظَن فلا | خـيـب ربـّ ـي أملَ الآمِلين
يا رب حقق ما بِهِ نطَقَت | ألْسنهم يا أكْرم الأكْرمِين
وافْتح علَيهم بالفُتوح التي | فَتحها للسادةِ العارِفين
واجعلْهم في سِر خيرِ الورى | ونورِهِ مِن أعظَمِ الوارِثين
يا رب في الدارينِ أسعدهم | جمعاً وحقق قَولَنا أجمعِين
بِجاهِ من أرسلْته خاتماً | للأنبِياءِ وكذا المُرسِلين
وصل يا رب علَيهِ وأهـ | ـلِ البيتِ من قد خلِقُوا
والصحبِ والأتباعِ ثُم علَيـ | ـنا معهم دنيا وأُخرى ودِين

وقد أحببت أنْ أختِم الأبيات، بنصائح مفِيدات، ووصايا وحِكَمٍ مناسبات، كتبها الوالد عبدالله بن علوي الحَبشي في آخر « وصِيته » لذُريـّـاتِه، قبل وفاتِه، وهي وصِيتي لكم أجمعين، فخذُوها بقُوة، يا أهلَ الفُتوة :

قال الوالد رضِي الله عنه : أوصي نفسي وجميع أولادي حفظهم الله تعالى وسائر المسلمين، بتقوى الله رب العالمين ظاهراً وباطناً، وهي امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، امتثالاً لأمر الله وقياماً بحق الربوبية، واعترافاً بالعبودية، وخوفاً من عقابه ورجاءً لثوابه، وأوصيهم ببذل الطاقة والاجتهاد في طلب العلم النافع والعمل بكل ما دعاهم إليه، والإخلاص فيه لوجه الله تعالى، والسير على المنهج الواضح والهَدي المستقيم، مما جاء به الكتاب المبين والسنة المطهرة، واتباع السلف الصالح في المقاصد والنيات والأعمال والأقوال والأحوال كلها، كما درج عـلـيـه سلَفُهم العلَويون، وبثوه في كتبهم المعروفة، والتخلق بأخلاقهم والتزيي بِزِيهم، فليحرصوا على ذلك غايةَ الحرص، وأوصيهم أيضاً أن يبذُلَ كل منهم جهده واستطاعته في نفع جميع إخوانه بكل ما يقدر عليه من نصحٍ ومعاونةٍ بالحال والمال والقال والمحبة والشفقة

والتراحم والتواصل والاحتمال والصبر على ما يكره والمداراة والمصابرة، مبتغياً بذلك وجه اللّه ورضاه وامتثال أمره، وأن لا يتقاطعوا ولا يتدابروا ولا يتضاروا، ولا يبغي أحد منهم على أحدٍ، وأن يهونوا أمر الدنيا الحقيرة بينهم، فهي بأسرها لا تساوي عشر عشيرِ ما لكل على أخيه من الحقوق، ولا تزنُ أدنى شيءٍ من مقامه، وأن يشاور بعضهم بعضاً مع كمال النصح والشفقة، فبهذا الذي ذَكَرته يطِيب عيشهم وتدوم أُلْفَتهم وينالون مرادهم، وتظْهر بركةُ أُخوتِهم وسِرها ونورها، فالمرءُ كثير بأخيهِ .

والله يتولاّهم ويرعاهم ويأخذُ بأيديهم لما يحب ويرضى، ويعينهم ويوفقهم لأعمال البر كلها، ويتقبلها منهم ويجعلهم أئمةً في الخير، و قادةً في الهدي الصالح، وييسر لهم المطالب كلها ديناً ودنيا وآخرةً، ويغنِيهم بفضله عمن سواه، ويصلحهم ويصلح م وينفع م، ويحفظهم من الآفات كلها والشرورِ كلها ظاهراً وباطناً، إنه أرحم الراحمين، لا إله إلا اللّه عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

انتهى ما كتبه الحبيب أبوبكر بن عبداللّه الحبشي في « وصيته » لآل المشهور، نفع اللّه به وبوصيته وبقوله وفعله، آمين .

ويحسن هنا أن نثبت الأبيات الشعرية التي قرأها الفقير إلى اللّه أبوبكر بن علي المشهور في حضرة الحبيب عطاس الحبشي المذكور آنفاً يوم زيارتنا له في شهر شوال عام ١٤٠٢ :

سِبيلُ حياةِ الخَلْقِ أمر مدبـ ـر   وشأنُ صروفِ الدهرِ ما أنت تبصِر

ومنطَلَق الإِنسان آماله التي   ا تنطَوي الأَحداثُ والخَطْب يصغر

ولولا عطاءُ اللّهِ صبراً على القضا | لَدمرتِ الأحوالُ من لَيس يصبِر
إذا نابتِ الإنسانَ في العمرِ شِدةٌ | وعالَجها بالصبرِ هان المُقَدر
ومن عرف الأسباب في فِطْرةِ الورى | تعرف للأحكامِ والحُب يقْبر
وأفْضى إلى التسلِيمِ في دولَةِ الرضا | ولم يعترِض حكْماً وللّهِ يشكُر
وشاهد في الأخيارِ صِحةَ مشهدٍ | وأروى جدوب الذاتِ والنفْس تطْهر
هم سادةُ الدنيا ملُوك على الورى | بِهم يرزق الأحياءُ والسحب تمطِر
بقُربِهم تحيا القُلُوب وترتِقي | وتنحسِر الضراءُ واليأس يدحر
وها نحن والأحباب في منـزلِ الهَنا | وفي نـزهةِ « العطاسِ » نجني
أبو الجُودِ والخَيراتِ والبِر والتقَى | خلِيفَةُ أسلافٍ وقُطْب منور
أب للحيارى في عصورٍ تنكرت | وبلْسم أحزانٍ ودرٌ ومفْخر
أنخنا ونحن المُثْقَلُونَ بوزرِنا | على البابِ نرجو الشيخ للقَومِ ينظُر
ويقْرِي ضيوفاً يسأَلُونَ تعطفاً | وفَيضاً مِن الأنوارِ في الحَالِ يسفِر
يؤهلُنا للشأْنِ فالأمر مذْهِلٌ | وما خلف الماضونَ حِملٌ محير
فلا تهمِلُونا يا أَحِبةَ أَهلِنا | ويامن بِكُم شأنُ الجَمِيعِ يـيـسـر
على رغْمِ ما فينا انظُرونا بِنظْرةٍ | تزيلُ كَثافاتِ الفُؤادِ وتصهر
وتلْحِق فَرع القَومِ فَضلاً بِأَصلِهِ | وتصقَلُ أدرانَ الزمانِ وتـبـتـر
وللنورِ والأسرارِ والفَيضِ والسنا | وللذكْرِ والقُرآنِ والصدق تـبـذُر
وأَختِم أبياتي بنورِ قُلُوبِنا | رسولِ الهُدى للكَونِ نور ومظْهر
عليهِ صلاةُ اللّهِ تتراً وآلِهِ | وصحبٍ وأَتباعٍ على النهجِ شمروا

ثمَرَةُ قَبُولٍ

تعددت أثناء الإعداد الأخير لتصوير هذا الجمع المباركِ المَرائي والمُبشرات التي توحي للقلب بالرضا والاطمئنان، سواءٌ ما كانت من رؤيا للفقير كاتب الترجمة أو لغيره من الإخوان والأحباب والأصحاب، وهنا يحسن أن نثبت ثمرةً من ثمرات القبول وصورةً من صور العالم ا هول، رؤيا منامية لها أوسع مدلول، عن المقام والحال الذي وصل إليه سيدي المرحوم الوالد علي بن أبي بكر المشهور، قال السيد أحمد بن هارون عمر باهارون :

في ليلة النصف من شهر رمضان عام ١٤٠٢ رأيت فيما يرى النائم أنني وأخي محمد هاورن جالسين في الروضة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وكأن اليوم يوم الجمعة والناس في انتظار الخطبة والصلاة، ولما بدأ الخطيب يخطب إذا هو الحبيب علي بن أبي بكر المشهور، فأخذنا نتهامس عن كيفية بلوغه مقام الخطابة في المسجد النبوي، ثم عزمنا على مصافحته بعد الجمعة، فلما فرغ من الخطبة صلى بالناس، ثم تقدمنا بعد الصلاة للقائه، وإذا به أقبل من المحراب في هيئةٍ عظيمةٍ وصورةٍ فخيمة لابساً ثيابه الرسمية المعروفة وعلى صدره صفائح من الفضة اللماعة كتب عليها آيات قرآنيةٌ جلية الحروف، وفي يده اليمنى خاتمٌ فضي كبير عليه فص دائري كتبت عليه أسماء اللّه الحسنى، وكان يسير أمامه طاؤوس كبير يشيعه وطاؤوس عن يمينه وآخر عن شماله، وهما أصغر من الطاؤوس الذي يمشي بين يديه، ويمنعون عنه الناس الذين يزدحمون على الجانبين، وهكذا حتى بلغوا باب الرحمة، فعادت الطواويس الثلاثة إلى الحجرة الشريفة وتقدمنا نحن نحوه وصافحناه وسلمنا عليه عند باب الرحمة،

ففرح بنا واستقبلنا كعادته من الابتسام والفرح، وانتبهت من النوم وأثر نعومةِ كَفِهِ في يدي، رحمه اللّه رحمة الأبرار .

وقد فسر بعض أهل الفضل هذه الرؤيا، بأن الفضة الموشاة بالآيات القرآنية على صدره هي زينة القرآن، شاهده قوله تعالى : { بلْ هو آيات بينات في صدورِ الذِين أُوتوا العِلْم }، والخاتم الذي نقشت عليه أسماء اللّه الحسنى هي زينة الذكر والأوراد، والخطبة على منبر الرسول هو شرف الدعوة إلى اللّه وقبولها عند اللّه ورسوله، والطواويس روح المصطفى وأبي بكر وعمر، وقد كان لهم به سابق اعتناءٍ في رؤيا كُتِبت في فَصلٍ آنِفٍ، وأما باب الرحمة فهو الباب الذي وسع كل شيء، بشاهد قوله تعالى : { ورحمتي وسِعت كُل شيءٍ }، رحمه اللّه رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأ ار .

الخاتمة

قال سيدي القطب الحبيب عبدالله بن علوي الحداد في أبياتٍ كتبها عام ١١٢٤ :

لا أوحش الله مِنكُم يا أحِبتنا فإنكُم أُنسنا منوا بإيناسِ
إذا ذَكَرناكُم نارت سرائِرنا ونقي الصدر مِن هم ووسواسِ
وأزعج النفْس عن أوطانِ غَفْلَتِها والقَلْب يخنس عنه شر خناسِ

والحال كذلك منا إذا نحن تذكرنا فقيدنا وإمامنا وشيخنا وأبانا وسنا أفئدتنا والذي قضى حياةً حافلةً بالخير والبر والتقوى، بذل فيها خلاصة الروح في سبيل النفع والانتفاع والدعوة إلى الباري جل وعلا مع الصبر والجلَد والتحمل حيثما أقام أو ظعن معالجاً للأجلاف من الأعراب والبوادي الذين لا يعرفون الدين إلا خبراً من الأخبار ولا يألفون في مجموع حياتهم غير النهب والسلب والظلم والمعاصي الظاهرة والباطنة، فقد أحال الانحراف في أولئك إلى استقامةٍ، وغيّر الظلْم الطبِعي إلى خوفٍ ووجلٍ من رب الأرباب ومسؤوليةٍ في النفس تستشعر اللوم والعتاب، ولم يفُته نصيب النفس وتأديب الذات وتربية من في دائرته من البنين والبنات، والاعتناء التام بترتيب أوقاته معمورةً في طاعة الله تعالى، ولذلك فإن مماته لا يوصف إلا بأنه انتقالٌ من نعيم المجاهدات إلى ثمرات القبول للأعمال الصالحات :

مِن العمل المَرضِي لِلْمنزل العِلي تبوأ خير المنزل قُدوتنا عِلي
وأنزلَه في مقْعدِ الصدق منعماً هنيئاً مريئاً في مقامٍ مبجل

وجملة القول : إن الخسارة علينا في موته فادحةٌ والأمر جللٌ والرزيةُ عظيمةٌ ؛ ولكن المصير الذي قدره اللّه لعبده هو عين العدل في مكنون حكمه ومستور أمره، غفر اللّه له مغفرةً واسعةً وأدخله في صف أهليه الأماجد الفحول، وجمعنا وإياه بعد طول عمرٍ وعافيةٍ وأعمالٍ صالحةٍ على حوض الرسول، وأسأل مولاي قَبولَ هذا العمل، وأن يجعلَه خالصاً لوجهه الكريم، وهذا آخر ما سطره القلم، وآخر دعوانا أن الحمد للّهِ رب العالمين .

الفقير إلى عفو المولى
أبوبكر بن علي المشهور
جدة - ١٤٠٣

اِنْـتهتِ الترجمةُ بعون الله

فِهْرِس الأَعْلَام

وهو على ثلاثة أقسام : فهرس للرجال، وآخر للنساء، وثالث للكنى .

تنبيهات :

- لم يشمل الفهرس مواضع ذِكْرِ المترجم الحبيب علي المشهور والمؤلف نجله أبي بكر لغلبة ورودهما في جل الكتاب .

- العلماء الذين ترجم لهم المؤلف أشرنا إلى مكان ترجمتهم بوضع رقم الصفحة بين هلالين ( )، ووضعنا بعد اسم كل واحد منهم رقم ترجمته بين معقوفين [ ] .

فِهرس أعلامِ الرجال

فهرس أعلام النساء

فِهرس الكُنى

فِهرس المُؤلفات والمَراجِع

تنبيات :

- أشرنا للمراجع منها بنجمة (*)
- أشرنا للمخطوط منها بحرف الخاء (خ)
- لم نشِر إلى مؤلفات المترجم الحبيب علي المشهور لأن المؤلف أفرد لها فصلاً خاصاً في الكتاب ص٤٣٠

الفهرس العام